الجـــزء الثاني

من كتاب الابتهاج بنور السراج وهو شرح العلامة
المحقق الاديب الفهامة المدقق الاريب ذى الفضل
الباذخ والقدم الراسخ والمجد السنى السيد أحمد بن
المأمون البلغيثي العلوى الحسني على منظومة
من صيته في الآفاق سارى سيدى
العلامة العربى بن عبد الله بن أبى
يحيى المسارى نفعنا
الله بعلومهما
آمين

تطوان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿باب آداب المدارس﴾

باب خبر مبتدا حذف للعلم به أصله هذا باب وباب مضاف الى آداب جمع أدب وقد مر الكلام عليه وآداب مضاف للمدارس جمع مدرسة بفتح الميم والراء موضع الدرس أى القراءة والمدرس كمحدث هو القارئ بها وهم الطلبة ففى نوازل الاحباس من المعيار من جواب لابى الحسن على بن عثمان الونشريسى مانص المراد منه لان المدرسة انما بنيت للطلبة لانها مشتقة من الدرس والدراسون هم الطلبة اهـ يقال درست الكتاب أدرسه بالضم وأدرسه بالكسر درسا بالفتح ودراسة بالكسر وقد يفتح كأدرسته ودرسته بالتثقيل أى قرأته وكررته * واعلم أن المدرسة تارة تجعل لتدريس العلم وينصب فيها عالم خاص يعلم من بها من المتعلمين وهكذا كان الامر فى القديم ولا زال الامر عليه فى بعض بلاد المشرق ولذلك سميت مدرسة كما مر وتارة تجعل للسكنى فقط كمدارس بعض بلاد المغرب وعليه فتسميتها مدرسة باعتبار ما كانت تبنى له فى الاصل وقد أشار فى مختصر الافادة الى تعريف مدرسة السكنى بقوله المدرسة شكل مربع ذو مساكن قال الناظم

(86) ﴿واخترْ منَ المدارسِ القريبهْ * لموضعِ الإقراءِ لا العجيبهْ﴾

الواو للاستئناف واختر فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب ومن المدارس متعلق به والقريبة ضد البعيدة مفعول باختر على حذف الموصوف أى المدرسة القريبة والموضع متعلق بقريبة وهو مضاف للاقراء مصدر أقرأ الرباعى ولا نافية عاطفة والعجيبة معطوف على القريبة ومراده بالعجيبة البديعة الحسنة ﴿والمعنى﴾ اختر أيها الطالب من المدارس ما قرب منها لموضع الاقراء وهو فى فاس مسجد القرويين ولا تختر المدرسة البعيدة الجيدة أى حيث كانت بعيدة من موضع الاقراء فان كانت قريبة وبديعة فذلك الكمال ومنتهى الآمال اذ علة النهى التى هى المشقة والشغل قد انتفت وكلام الناظم فيمن

تيسرت له القريبة وعدل الى البعيدة لكونها بديعة وأما من لم تتيسر له القريبة وعدل الى البعيدة بديعة أم لا فليس عليه فى ذلك من لوم ولا عتاب نعم ان تيسرت له القريبة بعد ذلك فينبغى انتقاله اليها حيث لا حرج ثم قال الناظم

87) ﴿وَعَظِّمَنْهَا واحترم جِوارَهَا * وَلَا تُدَنِّسْ والتزمْ وقارَهَا﴾

الواو للعطف وعظمنها فعل أمر مبنى على فتح الميم لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة والضمير البارز هو مفعول الفعل والجملة معطوفة على قوله اختر فى البيت قبله واحترم معطوف على عظم أو اختر وهو الاولى وجوارها بضم الجيم وكسرها مصدر جاور وهو مفعول احترم والكلام على حذف مضاف أى أهل جوارها وهم الجيران والهاء المضاف اليها جوار عائدة على المدرسة أيضا وقوله ولا تدنس لا ناهية وتدنس أى توسخ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ومفعول تدنس محذوف للعلم به أى ولا تدنسها وجملة لا تدنس معطوفة على ماقبلها والتزم وقارها جملة معطوفة على ماقبلها أيضا والضمير المضاف اليه وقار عائد على المدرسة أيضا والوقار الحلم والسكينة كما مر ﴿والمعنى﴾ عظم أيها الطالب المدرسة التى تسكنها واحترم جيرانها ولا تدنسها حسا أو معنى والتزم الوقار الواجب لها ففى القانون لأبى على اليوسى رحمه الله أنه يلزم من يسكن المدرسة أمور (الاول) استقامة الامر فيها بوجود بيت وتيسير الرزق وسائر المنافع وأن يكون المال الذى بنيت به وما أجريت به منافعها طيبا فان مراعاة المسكن لازم كالمأكل والمشرب ولانه قد يأكل من أوقافها فلا بد من معرفة ذلك وينبغى تجنب مبانى الملوك ان أمكن فان تعذر ينظر فى ذلك فالمعلوم بالعدل والاستقامة لا بأس به وقليل ماهم (الثانى) أن يتعرف أحكام المدرسة وكل ماشرطه الواقف ليقوم بذلك فيسكن أو يترك وان أمكنه التنزه عن معلومها فهو أسلم والا فليعرف أوصاف من جعل ذلك له ليعرف أنه ممن يستحق ذلك أم لا فان حصرها الواقف على قوم مخصوصين أو جنس من الناس كالعرب أو العجم أو الفقهاء أو النحاة أو الشيوخ أو الكهول لم يكن لغيره أن يسكن فان فعل كان متعديا ظالما (الثالث) أن يحترم أهل المدرسة فيعرف لهم حقهم ويسعى فى جبر خواطرهم ما أمكن ويشكر محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اهـ باختصار لمحل الحاجة منه هنا ثم قال الناظم

88) ﴿لَا تَخْتَزِنْ بها سِوَى القُوتِ فقط * وَمَنْ يَزِدْ فقد تَعَدَّى وَقَسَطْ﴾

لا ناهية وتختزن مضارع مجزوم بلا يقال خزن الشئ واختزنه أى جعله فى المخزن وأحرزه فيه وبها متعلق بتختزن والباء للظرفية بمعنى فى والضمير المجرور بها عائد على المدرسة وسوى اسم استثناء وهو منصوب على المفعولية لتختزن والقوت بضم القاف مايقتات وهو مضاف اليه سوى وأل فى القوت نائبة عن الضمير أى سوى قوتك وفى نسخة * لا تختزن سوى لقوتك فقط * وعليها فقوله لقوتك صلة ما محذوفة والتقدير لا تختزن سوى ما لقوتك فقط وحذف الموصول وابقاء صلته سائغ حيث كان اسميا غير أل كما فى الاشمونى ومنه قوله أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
أى ومن يمدحه وقوله فقط بفتح القاف والبناء على السكون للوضع على حرفين على مذهب من لا يشترط كون الثانى منهما حرف لين وهى بمعنى حسب والفاء الداخلة عليها زائدة لازمة اذ لم يسمع من العرب هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا الا مقرونا بها وبعضهم يجعلها عاطفة ففى كتاب المسائل لابن السيد وانما صلحت الفاء فى هذه لان معنى أخذت درهما فقط أخذت درهما فاكتفيت به فجعل الفاء فيه عاطفة اهـ نقله فى المطول وقوله ومن يزد الواو للاستئناف أو للعطف على مذهب من يجيز عطف الخبر

على الانشاء ومن اسم شرط ويزد مضارع مجزوم بها وقوله فقد الفاء رابطة الجواب بالشرط وقد للتحقيق وتعدّى فعل ماض وفاعله ضمير عائد على من ومعنى تعدّى ظلم وقوله وقسط معطوف على تعدّى ومعناه جار ومنه قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وأما أقسط الرباعى فمعناه عدل ومنه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقوله صلى الله عليه وسلم المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن وجملة قوله قد تعدّى وقسط فى محل جزم جواب من الشرطية ﴿والمعنى﴾ لا تختزن أيها الطالب فى بيت المدرسة سوى القوت ومن تعدّى واختزن فيها الزائد على قوته فقد ظلم وجار وعرّض نفسه للبوار والنهى فى قوله لا تختزن الخ للتحريم ففى الزرقانى عند قول خليل فى باب العارية لا مالك انتفاع مانصه فلا يجوز اسكان بيت المدرسة دائما ولا ايجاره اذا عدم الساكن ولا الخزن فيه ولا بيع ماء الصهاريج ولا استعماله فيما لم تجر العادة به الا الشئ اليسير اه وفى أوّل نوازل الاحباس من المعيار وسياقه أن المسؤل أبو محمد عبد الله العبدوسى رحمه الله مانصه وسئل عن أناس متزوّجين بديارهم اتخذوا بيوتا فى المدرسة للاختزان والراحة فى بعض الاوقات ولا يحضرون لقراءة حزب ولا لمجلس علم بل هم آخذون فى صناعاتهم فهل يجب اخراجهم من بيوت المدرسة وتعويضهم بمن لا دار له ولا زوجة من الطالبين أم لا وهل يجب عليهم فى اختزانهم أمتعتهم فى المدرسة المذكورة كراء أم لا بينوا لنا ذلك مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته (فأجاب) الحمد لله تعالى وحده دائما والله سبحانه الموفق للصواب بمنه انه يجب اخراج من كان بهذه الصفة ولا يجوز تركه ولا يختزن بالمدرسة من سكنها باستحقاق الاقدر عولته على ماجرت به العادة فى الأحباس وهذا كله منصوص لائمتنا المتأخرين رضى الله عنهم أجمعين وفى لزوم الكراء لمن اختزن مالا يجوز اختزانه من طالب أو عامى خلاف بين المتأخرين الاشهر أنه لا يقضى عليه بالكراء والله سبحانه التوفيق اه باختصار لمحل الحاجة هنا وكرّر هذا السؤال والجواب فى المعيار بنحو ثلاث وخمسين ورقة من القالب الكبير عن العبدوسى أيضا ﴿وفى نوازل العلامة الحافظ أبى الحسن على التسولى رحمه الله مانصه﴾ وسئل الامام أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بن جلال رحمه الله عن بيوت المدارس المحبسة على سكنى طلبة العلم فان بعض أهل البلد ممن له دار وعقار يحجر منها بيتا أو بيتين أو أكثر ويخزن فيها الزرع والفحم وغير ذلك ويسدها النهار كله فهل يجوز له ذلك أم لا وكذا بعض من ينتمى للتصرّف يحجر بيتا أو أكثر ويأوى فيه أيام اقامته بالمدينة فاذا سافر أغلقه وغاب عنه وهذا دأبه وعادته هل ذلك جائز أم لا ومسكنهم بالبادية وانما يجعلون ذلك لينزلوا به اذا قدموا الى المدينة حتى يقضوا أوطارهم بها ويستعينون على ذلك بأصحاب الرياسات من القوّاد والولاة وغيرهم ويطردون الطلبة المنقطعين للقراءة المشتغلين بها من البيوت لهذا الغرض فهل يحل هذا الفعل أم يحرم وهل هذا تغيير للأحباس أم لا (فأجاب) لا يحل تحجير البيوت المذكورة على الوجه المذكور وفاعل ذلك فوّت غرض المحبس وفيه تغيير للشرع وعلى من يتولى أمورها زجر من يفعل ذلك وازالتها من يده ويردّها الى ماحبست عليه اه من خطه اه من النوازل المذكورة (وقال أبو على اليوسى فى القانون ذ) ص فقهاؤنا على أن من اتخذ المدرسة مسكنا للراحة ومخزنا ولا يشتغل بالدرس ولا يحضر الحزب انه يخرج منها ولا يجوز تركه فيها ثم قال وليس لمن هو أهل لسكنى المدرسة أن يختزن فيها الا قوته وماجرت به العادة فى ذلك (واختلف) فى لزوم الكراء لمن اختزن مالا يجوز وزاد على القوت من طالب أو عامى انتهى المراد منه بل فى نوازل الاحباس من المعيار مانصه سئل القباب عن مدرسة أكثر بيوتها خالية لا يوجد من يسكنها فهل ترون أن يسكنها من لم تجتمع فيه شروط التحبيس لما فى ذلك من المصلحة لان عدم سكناها يؤدى الى خرابها أم لا (فأجاب) القاعدة ان الاحتياط بالسلامة

من

من المكروه أولى من تحصيل المستحب فترك الامامة بالمدرسة والصلاة بغيرها أولى وأما سكنى من لم يستكمل الشروط فلا وأما عذره بخوف خرابها وما علمك منها اذا خربت وقد سئل مالك عن نخل محبسة توالى عليها الاهمال وخيف أن تأكلها الرمال وأراد السائل معاوضتها لذلك فقال دعها تأكلها الرمال اه كلام المعيار ولعل في السؤال حذفا كما يدل عليه الجواب ثم قال الناظم

(٤٧) ﴿وَأَعِنِ الجَارَ إِذَا اسْتَعَانَا * وَأَوْلِهِ المَعْرُوفَ وَالإِحْسَانَا﴾

الواو للعطف وأعن فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والجار مفعوله والجملة معطوفة على الجملة قبلها واذا ظرف معمول لقوله أعن واستعان فعل ماض والسين والتاء للطلب أى طلب الاعانة والضمير المستتر في استعان عائد على الجار وأوله فعل أمر من أولى يولى أى أعطى والضمير البارز هو المفعول الاول وهو عائد على الجار والمعروف مفعول ثان بأول وهو الخير والرفق والاحسان فعطف الاحسان عليه عطف تفسير ﴿والمعنى﴾ أعن أيها الطالب جارك في المدرسة اذا طلب منك الاعانة أى بصريح المقال أو مقتضى الحال وأوله الخير والاحسان والنوال وذلك اما بالملاطفة في الكلام وافشاء السلام أو بالفعل كاعارته ما يحتاج اليه والسعى له فيما يصعب عليه فالجار ان لم يكن لهذه الصفة أهلا فالبعد عنه أجمل وأولى ولهذا قال أبو علي في القانون ينبغي لطالب المدرسة أن يختار لجواره أحسن الناس خلقا وأتقاهم وأكثرهم اعانة وتحفظا ليحظى بخيره ويسلم من شره وليتطبع بطبعه فان الطباع تسرق الطباع اه ومن الامثال القديمة الجار قبل الدار وفى معناه قال الزاهد أبو عمران

لتعن بالجار قبل الدار تسكنها * لا خير في الدار مالم يحمد الجار

الجار ان غبت عن أهل وعن وطن * نعم الخليفة هم أهل وأنصار

والجار المساعد أحسن من القرابة * يروى أن رجلا كان جار الابى دلف ببغداد فأدركته حاجة ولحقه دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه فيها فسألهم ألف دينار فقالوا ان دارك تساوى خمسمائة فقال أبيع دارى بخمسمائة وجوار أبى دلف بخمسمائة فبلغ أبا دلف الخبر فأمر بقضاء دينه ووصله وقال لا تنتقل من جوارنا فانظر كيف جعل للجوار ثمنا كثمن العقار (وقال بعضهم فى عكسه)

يلوموننى ان بعت بالرخص منزلى * ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملامة انما * بجيرانها تغلو الديار وترخص

وقد ورد فى البرور بالجار جملة من الآيات والاخبار كما ورد الوعيد فى اذايته وعدم حفظه وصيانته قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والمراد بالجار ذى القربى الجار الذى بينك وبينه قرابة والجار الجنب الجار الذى هو أجنبى منك لا قرابة بينك وبينه وقيل المراد بالجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار الجنب الذى بعد جواره * وفى صحيحى البخارى ومسلم وأبى داود وابن ماجه فى الادب والترمذى فى البر من حديث عائشة وابن عمر رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه * ومن وصيته صلى الله عليه وسلم لابى هريرة قوله له فيها وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما * وقال صلى الله عليه وسلم حرمة الجار على الجار كحرمة أمه * وفى صحيح البخارى عن أبى شريح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره * وعن الحسن البصرى قال قيل يا رسول الله ما حق الجار قال اذا استقرضك أقرضته وان دعاك أجبته وان استعان بك أعنته وان أصابته مصيبة عزيته وان مات شهدته وان غاب حفظته ولا تؤذيه بقتار ٣ قدرك حتى تهدى له * وفى صحيح البخارى عن أبى شريح وأبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن

الصواب: أَذِيَّتِهِ

٣ أى رائحتها ودخانها فالقتار كدخان وزنا ومعنى كافى المصباح اه مؤلفه

والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه * وفيه أيضا عن أبي شريح من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره والاحاديث في هذا كثيرة شهيرة (ولابي عثمان سعد التجيبي)

للجار حق فاعتمد بره * واحمل أذاه مغضيا ساترا
فالله قد وصى به فاغتفر * زلاته الباطن والظاهرا

والمراد هنا مطلق الجار سواء كان مسلما أو كافرا عابدا أو فاسقا صديقا أو عدوا غريبا أو بلديا ضارا أو نافعا قريبا أو أجنبيا قريب الدار أو بعيدها (قال القسطلاني) ويحصل امتثال الوصية بالجار بايصال ضروب الاحسان اليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج اليه وكف أسباب الاذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية اهـ (قلت) وانظر اذا كف الجار أذاه عن جاره ولم يحسن اليه هل يكون مؤديا لحق الجوار أم لا فقد تعارض في ذلك قوله في الحديث فليكرم وقوله في الآخر فلا يؤذ واستظهر بعض المحققين ممن هو في طبقة بعض شيوخنا رحمه الله تعالى ان عدم الاحسان اذاية قال والا لم يكن فرق بين الجار وغيره اذ الكل يطالب بكف الاذى عنه ويبقى حق الجار في تحمل الاذى والاحسان اهـ (قلت) ولا تعارض بين الحديثين كما هو صريح أول كلامه لان الجار مطالب بأمرين بكف الاذى وبالاحسان فأمر صلى الله عليه وسلم بكف الاذى في قوله فلا يؤذ وبالاحسان في قوله فليكرم وقد عبر آخرا بالصواب اذ قال ويبقى حق الجار في تحمل الاذى الخ وما استظهره بعد التنظير من أنه لا يحصل الامتثال بمجرد كف الاذى هو كذلك وهو منصوص (قال الشبرخيتي في شرح الاربعين) قال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار احتمال الاذى ونقل قبل هذا عن بعضهم قال حسن الجوار في أربعة أشياء أن يواسيه بما عنده وأن لا يطمع فيما لجاره وأن يمنع أذاه عنه وأن يصبر على اذايته اهـ وليس مراد الناظم بالجار من قرب منك بيته فقط بل جميع أهل المدرسة جيران فيما بينهم فقد روى الطبراني باسناد ضعيف عن كعب بن مالك مرفوعا ألا ان أربعين دارا جوار (وعن عائشة رضي الله عنها) حق الجوار أربعون دارا من كل جانب (وعن علي رضي الله تعالى عنه) من سمع النداء فهو جار اهـ غير أن الاقرب لمحل القرار أوكد بحق الجوار ففي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا (ثم قال الناظم)

(٩٥) ﴿وكن أخا حلم وصدر رحب * ولا تكن فظا غليظ القلب﴾

الواو للعطف وكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب وأخا أي صاحب خبر وهو مضاف الى حلم والحلم الصفح والستر وعرف بانه ضبط النفس عن هيجان الغضب وصدر معطوف على حلم ورحب أي واسع نعت لصدر وجملة قوله وكن أخا الخ معطوفة أيضا على ما عطفت عليه الجملة قبلها وقوله ولا تكن الخ الواو للعطف ولا ناهية وتكن مضارع مجزوم بها واسمها ضمير المخاطب وفظا أي شديدا جافيا غليظ القلب يقال فظ يفظ من باب تعب اذا غلظ حتى يهاب في غير موضع الهيبة فقوله غليظ القلب وصف كاشف والجملة معطوفة على الجملة قبلها وفي البيت تلميح لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴿والمعنى﴾ كن أيها الطالب ذا ستر وعفو على أبناء جنسك وذا صدر واسع معهم ولا تكن شديدا جافيا غليظ القلب أي لان ذلك يؤدي لنفرة الناس عنك وعدم مؤالفتهم لك وفي الغلاظة والجفاء دلالة على سوء الاخلاق والمطلوب من المؤمن وخصوصا أهل العلم حسن الخلق مع الناس ومعاشرتهم باللطف والايناس ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر * وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى

وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون * وأوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت الى من أحسن خلقه أن أظله في عرشي وأسكنه حضرة قدسي (وقال صلى الله عليه وسلم) ما من مسيء الا وله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه ما تاب من ذنب الا عاد في شر منه الى غير هذا من الاحاديث الكثيرة ﴿تنبيه﴾ ليس المراد بحسن الخلق ما يعتقده العوام من مساعدة الناس والاتيان على هواهم في كل مرام لان الله قد حذر من هذا نبيه ومجتباه في قوله جل اسمه وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله بل المراد بحسن الخلق التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل نعم مخالطة الناس بالبشر والايناس هي بعض حسن الخلق المطلوب وصاحب ذلك بالباقي مطلوب ﴿واعلم﴾ أن الحلم من أصح السمات على محمود الصفات وهو يدرك بالتخلق وحمل النفس عليه فهو مكتسب كما يدل عليه الحديث انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلم (وفي الحديث) ان الله يحب الحليم الحيي ويبغض الفاحش البذي (وقال علي رضي الله عنه) من حلم ساد ومن تفهم ازداد (وقيل) ما ذب عن الاعراض كالصفح والاعراض ﴿وللحلم عشرة أسباب﴾ رحمة الجهال والقدرة على المعفو عنه والترفع شرفا وعلو همة والاستهانة أنفة وعجبا والحياء والفضل والاستكفاف أي جعل السكوت والصبر سببا لكف الجاهل وخوف العقوبة إما لضعف نفس أو لرأي وحزم ورعاية نعمة أو حرمة وتوقع الفرصة دهاء ومكرا فان خلا الحلم عن هذه الاسباب كلها كان ذلا وكل واحد منها يحمل على عدم الانتقام في الحال أو دواما * فمن رحمة الجهال قول أبي الدرداء رضي الله عنه لرجل شتمه يا هذا لا تغرق في سبنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه وقول الشافعي وقد شتمه رجل ان كنت كما قلت غفر الله لي والا غفر الله لك * وفي القدرة على المعفو عنه قال صلى الله عليه وسلم اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا على القدرة عليه (وقيل) أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر * ومن الترفع قول ابن هبيرة وقد أعرض عن رجل سبه وقال له اياك أعني وأنا عنك أعرض (ولبعضهم)

أو كلما طن الذباب زجرته * ان الذباب إذن علي كريم

(ولعمرو بن علي)

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن أني * عييت عن الجواب وما عييت

* وفي الصفح لاجل الحياء قيل احتمال أذى السفيه أيسر من التحلي بحليته * ومن الفضل قول الاسكندر لما قيل له فلان وفلان يتنقصانك فلو عاقبتهما قال هما بعد العقوبة أعذر في تنقصي * ومن الاستكفاف قول ضرار بن القعقاع وقد قال له رجل والله لئن قلت لي كلمة لتسمعن عشرا لو قلت لي عشرا ما سمعت كلمة واحدة * وفي خوف العقوبة قيل الحلم حجاب الآفات * وفي رعاية النعمة قيل أكرم الشيم أرعاها للذمم * وفي توقع الفرصة قيل غضب الاحمق في قوله وغضب العاقل في فعله (وقيل)

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا * ونشتم بالافعال لا بالتكلم

ثم ان الغضب في الامور والمغضبة مطلوب في الجملة لانه من قوة النفس وفضلها الا ان الشجاعة والانفة والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار أمور مركبة من الغضب فمن عدمها هان

فوضع الندى في موضع السيف مفسد * كافساد وضع السيف في موضع الندى

(ولآخر)

أصفو وأكدر أحيانا لمختبري * وليس مستحسنا صفو بلا كدر

(وقلت في المعنى)

الحلم في بعض المواضع ذلة * فاغضب اذا يدعو السداد الى الغضب
فلربما يدعو التأني ربه * يوما الى أردى المهالك والعطب
ذو الحزم من يعطي الامور عتادها * ويرى المسبب قبل إبان السبب
لا تحسبن الحلم دوما نافعا * فالجد لا يصفو لغير من انتدب
فاذا لقيت ذوي الفضائل والنهى * فاصبر وجمل حسن صبرك بالادب
واذا لقيت ذوي الرذائل والردى * فاغضب تجد عقبى ارتفاع عن غضب

﴿ومن المشاهير بالحلم﴾ الاحنف بن قيس ويضرب به المثل في الحلم واسمه الضحاك وقيل صخر وانما لقب بالاحنف لانه كان أحنف والحنف اعوجاج الرجلين وقيل أن تقبل ابهام احدى الرجلين على الاخرى وهو رضي الله عنه من الموصوفين ببشاعة الصورة وهو من كبار التابعين رضي الله عنه وكان يقول انما تعلمت الحلم من خالي قيس بن عاصم المنقري وقيس هذا صحابي رضي الله عنه ومن حلمه ما حدث به الاحنف قال كنا عند خالي قيس بن عاصم فأتي بولد له قتيل فقال ادفنوه وعظم الله أجر أمه فيه وما رأيناه تغير ولا حل حبوته لذلك فقالوا له وان أخاك قد قتله فقال متمثلا

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خاف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(ومن حلم الاحنف) ما روي أن عمرو بن الاهتم جعل لرجل ألف درهم على أن يسفه الاحنف فأقبل الرجل عليه يسبه سبا ذريعا والاحنف ساكت فرجع الرجل يعض أنامله ويقول واسوأتاه والله ما منعه من جوابي الا هواني عليه وفعل به آخر مثل ذلك وأطال في شتمه الى أن أراد الاحنف القيام الى غدائه فقال للرجل يا هذا ان غداءنا قد حضر فقم بنا اليه وكان الاحنف يقول ما عاداني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث خصال ان كان أعلى مني عرفت له قدره أو دوني رفعت عنه قدري أو نظيري تفضلت عليه اه وهذا كلام في غاية الحكمة وقد نظمه الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى فقال

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه علي الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فحلمي تكرما * أصون به عرضي وان لام لائم
وأما الذي مثلي فان زل أوهفا * تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم

﴿وممن يضرب به المثل في الحلم أيضا﴾ معن بن زائدة ومن نوادره في ذلك وقد وهب بعض شعراء وقته على مائة بعير اذا هو غاظه فعمد الى جمل فنحره وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب مجتمع عليه ولبس برجليه نعلين من جلده كذلك وجلس بين يدي معن على هذه الصورة ومد رجليه وقال يخاطبه

أنا والله لا أبدي سلاما * على معن المسمى بالامير

فقال معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك فقال الشاعر

ولا أنزل بلادا أنت فيها * ولو حزت البلاد مع الثغور

فقال البلاد بلاد الله ان نزلت فرحبا بك وان رحلت كان الله في عونك قال الشاعر

وأرحل عن بلادك ألف شهر * أجد السير في أعلى القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة فقال الشاعر

أتذكر اذ قميصك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال أعرف ذلك ولا أنكره فقال الشاعر

وتأوى كل مسطبة وسوق * بلا عبد لديك ولا وزير

فقال ما نسيت ذلك يا أخا العرب فقال الشاعر

ونومك في الشتاء بلا رداء * وأكلك دائما خبز الشعير

فقال الحمد لله على كل حال فقال الشاعر

وفي يمناك عكاز قوى * تذود به الكلاب عن الهرير

فقال ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصا موسى فقال الشاعر

فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

فقال بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر

فعجل يا ابن ناقصة بمال * فاني قد عزمت على المسير

فأمر له بمائة دينار فقال الشاعر

قليل ما أمرت به فاني * لأطمع منك بالشيء الكثير

فأمر له بمائة أخرى فقال الشاعر

فثلث اذ ملكت الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بثلاثمائة دينار فقال الشاعر

ولا أدب كسبت به المعالى * ولا خلق ولا رأى منير

فأمر له بأربعمائة دينار فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا * وفيض يديك كالبحر الغزير

فأمر له بخمسمائة دينار ولا زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألف دينار فأخذها وانصرف متعجبا من حلمه وعدم انتقامه منه ثم غير حالته ورجع اليه ومدحه واعتذر اليه بأن الحامل على ما فعل هو المائة بعير التي روهن عليها فأمر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة أخرى لنفسه * ثم قال الناظم

(٩) * واحذر من الجلوس حول بابها * خوف البطالة فكن منتبها *

الواو للعطف واحذر فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب ومن الجلوس متعلق به وحول ظرف مكان بمعنى الجهة وهو مضاف الى بابها والضمير عائد على المدرسة وقوله خوف البطالة منصوب على المفعولية له معمول لقوله احذر وهو مضاف الى البطالة بفتح الباء كما اقتصر عليه الجوهري في الصحاح وكذا الرازي في مختصره وصدر به في المصباح ثم حكى عن بعض شراح المعلقات الكسر قائلا وهو أفصح ثم ذكر أنه ربما قيل بالضم حملا على نقيضها وهو العمالة فباؤها على هذا مثلثة وهي من بطل اذا تعطل عن العمل وقوله فكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب ومنتبها بوزن اسم الفاعل خبرها والفاء الداخلة على كن زائدة محسنة للفظ وفي البيت عيب سناد التأسيس والتأسيس ألف بينه وبين الروى حرف والروى هنا هو الهاء فالالف السابق عليها في الشطر الاول هو التأسيس وهو لازم في الشطر الثاني لكن الناظم أخل به وذلك هو سناد التأسيس غير أنهم نصوا على ان أنواع السناد الخمسة كلها جائزة للمولدين * والمعنى * احذر أيها الطالب من الجلوس في جهة باب المدرسة فان ذلك من البطالة التي لا تليق

بطالب العلم فاذا اتقيت الجلوس المذكور تكن منتهيا غير غافل عما يليق بك ومراده بالجلوس الذى نهى عنه ما كان كثيرا لغير حاجة وأما الحاجة من غير اتخاذ ذلك عادة فلا بأس به (وفى القانون لأبى على اليوسى رحمه الله) ويتحرز أى ساكن المدرسة عن اذاية أهل المدرسة بفعل أو قول كالجلوس كثيرا بباب المدرسة وكل ما هو طريق أو مشرع فان فيه مع كونه بطالة فتنة للنظر والسمع واذاية لمن يمر ولا يريد هو أو وليه أن يرى أو يسمع اه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات * أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما والامام أحمد فى المسند وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والجلوس على الطرقات فان أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والنهى فى قوله صلى الله عليه وسلم اياكم للتنزيه كما قاله شراح الحديث (قلت) فان حصل محذور أو خشى حصوله حرم وقوله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم الا المجالس أى الجلوس بأن دعتكم لذلك حاجة وفى رواية فان أتيتم الى المجالس بمثناة فوقية والى للغاية (واعلم) أن للجلوس على الطريق آدابا غير المذكورة فى هذا الحديث نظمها الحافظ ابن حجر فى قوله

جمعت آداب من رام الجلوس على الـ * ـطريق من قول خير الخلق انسانا
أفش السلام وأحسن فى الكلام تقى * وشمت العاطس الحماد ايمانا
فى الحمل عاون ومظلوما أغث وأعن * لهفان رد سلاما واهد حيرانا
بالعرف مر وانه عن نكر وكف أذى * وغض طرفا وأكثر ذكر مولانا

وعلى الجلوس بباب المدرسة لحاجة وأداء حق الطريق يذكر هنا ما فى جامع المعيار ونصه * وسئل العالم سيدى أبو عبد الله الشريف اذ جاز عليه وهو جالس مع جماعة من الطلبة بباب مدرسته من تلمسان المحروسة سيدى ابراهيم الرقاد على بغلته فسلم عليهم فاتفق ان وافق سلامه عطاس رجل من جلسائه هل يقدم رد السلام أو تشميت العاطس (فأجاب) بأنه يقدم التشميت على الرد لانه لا يكتفى فيه من الجماعة بالواحد بخلاف رد السلام اه منه فيحمل الجلوس بباب المدرسة من العالم المذكور على الحاجة والضرورة لا على البطالة والاختيار والله أعلم * ثم قال الناظم

٩٢) * واشتر بيتا مفردا اذا ضوء * ذى منافع لستر ذيول النوء *

الواو للعطف، واشتر فعل أمر وضميره المستتر فيه للمخاطب هو الفاعل وبيتا مفعوله ويجمع بيت على أبيات وبيوت سواء أريد به بيت السكنى كما هنا أو بيت الشعر خلافا لجماعة من شراح المرشد المعين حيث جعلوا بيوتا جمع بيت السكنى وأبياتا جمع بيت الشعر وكلام أهل اللغة كالقاموس والمصباح ظاهر فى الرد على من فرق بل كلام الزمخشرى فى الأساس وكلام شارح القاموس صريح فى ذلك على ان بيت الشعر مأخوذ من بيت السكنى أى مشبه به فلا يمكن مع هذا تغايرهما فى الجمع فلا تغتر بكلام من فرق وقد كنت كتبت من عندى هذا التعقب على الشيخ الطيب أوان قراءتى على الاشياخ وقد قيل قديما اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال نعم الاكثر أن يجمع بيت السكنى على بيوت وبيت الشعر على أبيات وشاهد جمع بيت الشعر على بيوت قول جوسن الكلابى ٣ وكان أبوه منعه من قول الشعر فرض حزنا فرق له أبوه وقد أشرف على الموت فقال يابنى انطق بما أحببت فقال هيهات حال الجريض دون القريض فأرسلها مثلا وهو أول من قاله والجريض الريق الذى يغص به صاحبه وأنشد من أبيات * فما تغنى بيوت الشعر عنى * وشاهد جمع بيت السكنى على أبيات ما أنشده ابن قتيبة حين وقف على مصارع الحسين وآله بكربلاء من قوله

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها أمثالها يوم حلت

٣ جعفر والصواب انه بالجيم صدره لا بالشين كما وقع فى القاموس نبه عليه شارحه اه مؤلفه

(قلت) ظاهره ان عبارة القاموس بالشين لا بالجيم وليس كذلك وعبارته على ما بأيدينا من نسخة (الجوشن) الصدر والدرع اه كتبه

وشاهد

وشاهد النوع من كثير وقول الناظم مفرداً نعت لبيتاً ولا يصح كونه منصوباً على الحال من فاعل اشتر فيصير المعنى اشترحال كونك مفرداً غير مشترك فيه مع أحد لأنه ليس المراد الانفراد بالشراء بل المراد الانفراد بالسكنى ولا يلزم من الانفراد بالشراء الانفراد بالسكنى وقوله ذا أي صاحب نعت لبيتاً وذا مضاف الى ضوء وقوله يقي أي يحفظ مضارع مرفوع وضميره عائد على بيت ومتاعك مفعول أول مضاف الى ضمير المخاطب وسيول جمع سيل مفعول ثان ليقي لأنه سمع من العرب تعديه لاثنين ففي المصباح وقاه الله السوء حفظه منه لكن يحتمل كون الثاني منصوباً على نزع الخافض وهو وان كان سماعياً لكن بالنوع لا بالشخص وهذا النوع مسموع بكثرة وسيول مضاف الى النوء بفتح النون وهو كما في القاموس النجم اذا مال للغروب أو هو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق * وقال ابن منظور في لسان العرب انما سمي نوأ لأنه اذا سقط الغارب ناء الطالع وذلك الطلوع هو النوء اهـ وكانت العرب تضيف الأمطار الى الساقط من النجوم وقال الأصمعي الى الطالع منها في سلطانه فتقول مُطرنا بنوء كذا فجاء الشارع بابطال ذلك ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقول الله عز وجل أصبح من عبادي مؤمن وكافر فمن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) قال الزجاج فمن قال مطرنا بنوء كذا وأراد الوقت ولم يقصد الى فعل النجم فذلك والله أعلم جائز (وقال ابن الأثير) وأما من جعل المطر من فعل الله وأراد مطرنا بنوء كذا أي في وقت هذا النوء الفلاني فان ذلك جائز أي أن الله تعالى قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات وروي مثل هذا عن أبي منصور وقد جاء عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال ان العلماء بها يزعمون انها تعترض في الافق سبعاً بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس فانما أراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة أنه اذا تم أتى الله بالمطر وانما أضاف الناظم السيول للنوء على هذا المعنى الجائز والله أعلم

﴿والمعنى﴾ اشتر أيها الطالب بيتاً في المدرسة مفرداً بك ذا ضوء صحيح السقف بحيث يحفظ كتبك وأمتعتك من سيل المطر فراده بقوله يقي متاعك الخ أن يكون سقفه صحيحاً لا ينفذ منه سيل الماء فعبر باللازم الذي هو وقاية المتاع وأراد الملزوم الذي هو صحة السقف وذلك لأن المقصود هو اللازم فليست صحة السقف مقصودة لذاتها بل لحفظها المتاع من السيل وانما طلب أن يكون الطالب في بيت وحده، وأن يبعد عما يشوش فكره وخاطره، لأن ذلك أدعى لحضور البال، ووفور الاقبال، فمن المتأكد في حق طالب العلم أن يختلي بمكان إن ساعده الإمكان، والا فطنين الذباب يشغل أولي الألباب، وليس المراد بقوله مفرداً أن يكون البيت واحداً فلا يأخذ اثنين فأكثر فان ذلك بعيد من مراده لوجوه أولها أنه لو أراد ذلك لقال واحداً أو الوزن يقبله الثاني أنه على ماذهب اليه من جواز الشراء يجوز في الجملة أن يشتري أكثر من واحد الثالث لا يمنع من أخذه بيتين مثلاً اذا لم يكفه الواحد أو لغير هذا من الاغراض المعتبرة * ففي نوازل الأحباس من المعيار مانصه وسئل القاضي أبو عثمان سيدي سعيد العقباني عما نصه سيدي أبقى الله بركتكم وأعلى في مقامات العلماء رتبتكم انه كثيراً ما ينزل بهذه الطائفة الطالبية نازلة وهي ان أحدهم يتسبب في بيت مدرسة فيه فائدة تعينه على ماهو بسبيله فيجد البيت ضيقاً لا يليق بسكناه يكون هناك ما يوجب اجتنابه فيصيره لمن يسكنه من الطلبة و ينظر في مدرسة أخرى بيتاً آخر لسكناه يليق به وتتأتى فيه القراءة بهناء وانشراح خاطر ولا فائدة فيه سوى السكنى أو فيه فائدة قليلة تصرف لمن يستحقها فهل يسوغ الجمع بين البيتين لهذا المعنى وان كان الظاهر يقتضي اختصاص الطالب الواحد بالبيت الواحد من غير زيادة أولاً ثم اذا انضاف الى هذا أن يكون هذا الطالب من ذوي القابلية في العلم

ومن أهل المروءة ولا حرفة له ولا صناعة وقد يؤدي تركه الى أن يتصل بها من يتصف بنقائض هذه
الاوصاف بل هذا هو الغالب ولا شك ان النفس تميل الى ترجيح ما فيه مصلحة غير أن بعض المصالح
تنافي استمرار العادة فيتخرج السماج بارتكابها فاشكل علينا الأمر بسبب ذلك لانا ان نظرنا الى المقاصد
والمعاني ولاحظنا المصالح في الاعتبار رجح الجمع بينهما في حظه فيهما وان نظرنا الى العادة ومقتضى مقصد
المحبس رجح الاقتصار على أحد البيتين على ان مقصد المحبس انما هو سكنى من ينتفع به ولا شك أن الورع
والاحتياط يوجب الاقتصار على بيت واحد ان لم يكن الترك يؤدي الى أن يتصل به من لا يستحقه قطعا
أوظنا ولكن سؤالنا على الجواز فبينوا لنا حقيقة الامر وحليته في ذلك متفضلا يعظم الله أجركم والسلام
عليكم ورحمة الله ياسيدي وبركاته (فأجاب بما نصه) الحمد لله اذا عين الناظر بيتا من بيوت المدرسة لطالب
من الطلبة وعين له مرتبا من حبسها فاذلك الطالب أن يسكن بنفسه في ذلك البيت ولا له أن يعير غيره
لسكنى ذلك البيت لا بعوض ولا هبة ولا عارية لان الطلبة لا يملكون من البيوت التي تعين لهم الا
الانتفاع بها ولا يملكون أن يتصرفوا فيها بغير ذلك ولهم أن يتصرفوا في المرتب بما شاؤا بعد أن
يستحقوه ويدخل في ملكهم وأما تعدد المرتب في أكثر من مدرسة واحدة فان كانت وظائف تلك
المدارس يتمكن الطالب الواحد من الوفاء بجميعها من غير مزاحمة بينها ووفى بجميع تلك الوظائف
وعين له الناظر تلك المرتبات كلها جاز له أخذ الجميع والا لم يجز وأما ترك الطالب البيت خاليا لعدم
احتياجه لسكناه فلا يضره ذلك ٢ لأن سكنى البيوت من الوظيفة التي بها يستحق المرتب انما جعلت
البيوت ليرتفق بسكناها من له اليها حاجة لا يكون سكناها وظيفة عليهم يقومون بها والله تعالى أعلم
وكتب سعيد بن محمد بن محمد العقباني اه وطلب الناظم في البيت أن يكون مضيئا لان الضوء من
ضروريات الطالب لاحتياجه له في سائر المطالب ثم ان قول الناظم واشتري يفيد جواز بيع بيوت
المدارس وهو الذي عليه عمل الناس اليوم وقبله بكثير والعلماء ساكتون عنه لا يظهر منهم نكير وربما
يستدل له في الجملة بفتوى القاضي ابن محسود بجواز بيع الحبس اذا احتاج المحبس عليه الى ثمنه
وبفتوى البرزلي بجواز بيع وظيفة الحبس أو نحوه وجواز اعارة بيوت المدارس ممن هو بها لغيره أما
فتوى ابن محسود فهي المشار لها في الدرر المكنونة ونصها وسئل القاضي أبو الحسن علي بن محسود
رضي الله عنه عن أرض المساكين المحبسة عليهم هل يجوز بيعها في مثل هذه السنة لعيشهم لما نزل
من الخصاصة والحاجة بالمساكين أم لا (فأجاب) بيع أرض المساكين المحبسة عليهم في مثل هذه السنة
لعيشهم وحياة أنفسهم أفضل عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم وقد أمرت ببيع كثير منها في مثل
هذه السنة والله أعلم اه نص نوازل الدرر بنقل العلامة الرهوني ونقلها صاحب المعيار والامام
المسناوي في تأليفه في الاستنابة وغيرهما * وأما فتوى البرزلي فقد ذكرها في نوازله ونصها وسئل ابن
رشد عمن له جزء في معدن ومعه فيه شركاء عدة فادعى أحدهم انه وهب هذا الجزء من المعدن على الاشاعة
وأقام على ذلك شاهدين لم يريا المعدن ولا عرفا ماهو ولم يحوزاه والمعدن في موضع والشهود في آخر
واستظهر المدعى عليه بعقد يقتضي أن تلك الهبة انما كانت صورة وانما كان بيعا والهبة تحيل لاجازته
هل هذه الهبة جائزة أو يبطلها الرسم الآخر (فأجاب) ان باعه أو وهبه حظه من المعدن ولا نيل فيه الآن
لكن يرجو الحائز العثور عليه فهو جائز اذ ليس ببيع وانما ترك له بما أخذ منه ما هو أولى به من الطالب
في ذلك الموضع لتقدم حفره فيه ﴿قلت﴾ ٣ هذا ونحوه يدل على أن ما يفعل اليوم بالبلاد المشرقية من بيع
وظيفة في حبس ونحوه من مرتبات الأجناد فانه يرفع عنه يده خاصة وقد كان يمضي لنا من أشياخنا ان
هذا لا يجوز لوجهين * أحدهما أنه لا يملك الا الانتفاع لا المنفعة فلا يجوز له فيها بيع ولا هبة ولا عارية

٢ (قوله لان سكنى البيوت من الوظيفة الخ) كذا بالاصل والصواب ان يقال ليس من الوظيفة الخ كما لا يخفى بدليل ما بعده اه مصححه

٣ قائله البرزلي اه مؤلفه

والوجه الثانى على تسليم جواز بيعه فهو مجهول لا يدرى بقاؤه فيه ولا قدر ما يستحقه وتقدم نحوه فى كتاب الجهاد وانه ليس بمعاوضة حقيقية ومن شرطه أن يكون من أهل جنسه وديوانه وقد وقعت لى مسئلة بالديار المصرية وذكرت فيها أن أصحاب حبس المدارس والزوايا لا يجوز لهم بيع ولا هبة ولا عارية ثم انى افتقرت لسكنى بعض المدارس أيام الإقامة فأعارنى رجل بيتا فى مدرسة شيخون وأنا سائر للحج وأعارنى آخر آخر فى المدرسة المنتصرية بالقصرين بمجاورة الارستان بالقاهرة فى حالة الرجعة فأخذوا على فى ذلك الذى أفتيت فيه بالمنع وفعلته فأجبت بأنى من أهل الحبس لكن سبقنى فيه غيرى فاذا طابت نفسه برفع يده أياما أو مطلقا فهو جائز اه نقله سيدى عبد القادر الفاسى فى أجوبته والتتائى فى شرح المختصر والرهونى فى بعض تآليفه ٣ ووجه الدليل من فتوى ابن محسود لجواز بيع بيوت المدارس عند من قال به أن كلا يباع فيه الحبس للحاجة والضرورة وذلك موجود فى مسئلتنا اذ لا يتأتى اليوم لطالب العلم أن يسكن بيتا فى المدرسة بغير شراء، ووجه الدليل من فتوى البرزلى انه قاس مسئلة بيوت المدارس على مسئلة المعدن لأن بيع المعدن فيه غرر عظيم لأن دافع العوض لا يدرى أيجد شيئا فى المعدن أم لا وعلى تقدير وجوده لا يدرى أقليل هو أم كثير وأجيده هو أم ردىء وهل تستمر حياة صاحبه الى المدة التى دفع اليه العوض على العمل فيها أم لا ومع ذلك فقد أجاز واله دفع العوض، ووجهه ابن رشد وغيره بأن العوض لرفع اليد وليس بيعا حقيقيا فكذلك مسئلتنا البيت محبس على من يقرأ فيه وكما لا يجوز بيع الغرر لا يجوز بيع الحبس فلما كان الغرر فى مسئلة المعدن غير مؤثر فكذا يكون الحبس غير مؤثر لانه لرفع اليد لا عوض حقيقى، وأيضا قد أجاز البرزلى إعارة بيوت المدارس مع انها انما علك فيها الانتفاع وما كان كذلك لا يباع ولا يعار ولا يوهب ولا يكرى وحيث أجاز الاعارة فالبيع مثلها وفى الاستدلال المذكور نظر أما فتوى ابن محسود فغير صحيحة لوجوه* أولها ان العلامة النحرير أبا زيد سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى اعترضها وقد نقل اعتراضه تلميذه ابن أخيه سيدى عبد القادر الفاسى فى أجوبته ونصه وفيما علقه شيخنا العارف أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسى على مختصر خليل فى باب الحبس ما نصه ولا أعلم مستند التلاث الفتوى ولعلها اجتهاد فى تلك النازلة فلا تتعدا ها لما ثلها كما سيأتى فى القضاء والله أعلم نعم مستندها فى الجملة اعتبار المصالح المرسلة وهو أصل مذهب مالك بل المصلحة فى ذلك ضرورية فهى أولى بالاعتبار من المرسلة لما تقرر فى الاصول فتنبه لذلك ولم يسلم ذلك فيها لكون الضرورة غير كلية فلا أقل من كونها مرسلة وهى جارية على قاعدة ارتكاب أخف الضررين اه وسلمه سيدى عبد القادر كما سلمه ولده أبو زيد ولم يعرج على فتوى ابن محسود بل قال فى نظمه العمل الفاسى بيع المحبس على المسكين لم * يقع مع الحاجة عند من حكم

وقد اعترضها أيضا الفقيه الصدينى بأنه لم ير ذلك لأحد من أهل العلم* ثانيها ان قوله فى الفتوى المذكورة وحياة أنفسهم أعظم عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم لا يتم الا لو فرضنا ان الحبس وقع على مساكين مخصوصين اذ فيه تظهر الأفضلية التى ذكرها اذ لا يتوقف منصف فى أن النفع الحاصل له ببيعه واحياء نفسه أنفع له من بقائها حبسا حتى يموت والمسئلة التى سئل عنها لم يقع التحبيس فيها على معينين فلا يسلم قوله أفضل عند الله لانا لو تركنا بيعه ومات من كان يستحقه فى الوقت من مساكين ذلك البلد لم ينعدم انتفاع غيره من جنس المحبس عليهم بل يستمر ما بقيت الدنيا ولو بالنقل الى مساكين أقرب بلد الى موضع الحبس ان فرضنا انعدام وجود مسكين أو مساكين بعد موت هؤلاء من ذلك البلد الى يوم القيامة على سبيل فرض المحال العادى* ثالثها أن ابن محسود نفسه رجع عن فتواه ففى الدرر المكنونة بعد ما نقل فتوى ابن محسود بنصف ورقة ما نصه وسئل الفقيه الصدينى عن أقوام باعوا حبسا

٣ هو التأليف المشار اليه آخر هذا المبحث اه مؤلفه

مؤبدا وفرقوا أثمانه على المساكين وربما باعوه بما يساوى من الثمن أو بأقل منه وزعموا ان الفقيه ابن محسود أباحه لهم وأمرهم به والذى كنا نعرفه نحن من قوله وفتياه فى ذلك انما هو بيع أموال المساكين حبسا كان أو صدقة فهل ينفذ بيعهم لذلك أم ينقض وكيف يفعل بالثمن الذى فرق على المساكين (فأجاب) لا تباع الأحباس على كل حال سواء كانت لجميع الناس أو للمساكين وقلتم ان الشيخ ابن محسود رحمه الله كان أفتاهم بذلك فما علمت ذلك لاحد من أهل العلم الا أبا يحيى ذكر لى عند قراءة كتابهم هذا انه كان أفتى بما ذكرتموه عنه ثم رجع عن ذلك الى ابطال بيع الحبس المؤبد فان بيع شئ منه فينقض البيع ويقتضى المشترى الثمن مما وجب للمساكين من صدقة أو وصية أو وصى بها ميت وان لم توجد فمن غلة هذا الحبس ولا يباع الحبس الا ان يدخل فى مسجد جامع لانه كله حبس فيكون حبس نقل الى حبس وان بيع فى غير مسجد ووقع عند من لا ينتصف منه أخذ الثمن فجعل فى حبس مثله ولا يؤكل الثمن على حال فاحذر خلاف هذا ولا ترخص فى بيعه والله تعالى أعلم اهـ فتبين من هذا عدم صحة فتوى ابن محسود فلا يعتمد عليها وعلى تقدير صحتها فلا يقاس عليها مسئلة بيع بيوت المدارس لان مسئلة ابن محسود قد حصل فيها نفع للمحبس عليه أفضل لان احياء نفسه أولى بقصد المحبس من نيل الأجر والثواب ومسئلتنا قد بطل فيها غرضه وهو أن يسكن الطالب بلا شئ يلزمه فافترقا فتأمل منصفا (وأما فتوى البرزلى) فلا دليل فيها لجواز بيع بيوت المدارس بل من تأمل وأنصف ظهر له ان مسئلتنا ممنوعة بلا خلاف اذ وجه الدليل منها كما تقدم هو القياس وهو غير تام لوجوه * أحدها أنه مخالف للظواهر اذ نصوص المتقدمين والمتأخرين ظاهرة فى ان مالك الانتفاع فقط لا يجوز له أخذ العوض ولو ممن ساواه فى استحقاق ما بيده وساكن بيت المدرسة ليس له الا الانتفاع لا المنفعة كما نص عليه غير واحد وقد علم أن الظواهر عند الفقهاء نصوص بل صرح المحققون بأنها اذا جاءت على وتيرة واحدة فظواهرها مقصودة فهى كالنصوص الصريحة كما ذكره فى نوازل المعاوضات من المعيار وقد علم فى علم الاصول أن القياس المعارض للنص فاسد الوضع * ثانيها أن مسئلة المعدن وان ساوت مسئلة بيوت المدارس فى ان المملوك فيهما الانتفاع لا المنفعة بدليل بطلان كل بالموت وعدم انتقال الحق للوارث لكنهما مختلفان من وجه آخر وهو ان بطلان ذلك فى بيوت المدارس بالموت فلا ينتقل لوارثه أمر مجمع عليه فى المذهب وفى بطلان ذلك فى المعدن خلاف شهير فى المذهب فقد قال أشهب ان مات عنه صاحبه اختص به وارثه مطلقا وقال سحنون يختص به ان مات بعد الشروع فيه وقد بدا له نيل حسبما فى ابن عرفة وغيره وهذان القولان جاريان على ان المملوك فى المعدن المنفعة لا الانتفاع فقط ومراعاة الخلاف فى مذهبنا معلومة فلا يلزم من الجواز فيما قيل فيه بملك المنفعة الجواز فيما أجمع عليه انه ليس فيه الا الانتفاع * ثالثها ان مسئلة المعدن التى وقع القياس عليها ليس فيها موجب للمنع ومسئلة بيع بيوت المدارس المقيسة فيها موجب للمنع غير ما ذكر وهو ان استمرار أخذ العوض عن كل بيت بيت فى كل وقت وقت مفوت للغرض الذى قصده المحبس قطعا لان قصده اعانة الطالب وانتفاعه بالبيت بلا شئ يلزمه أصلا وذلك منتف مع أخذ العوض دائما واتباع غرض المحبس فى مثل هذا واجب بالاجماع فكيف يصح هذا القياس بل هو فاسد من غير التباس على ان ما قاله ابن رشد من أن العوض فى المعدن انما هو لرفع اليد ليس بيعا حقيقيا لا يخلو من بحث عند التأمل والانصاف لانهم نصوا على ان معدن العين لا يجوز دفعه بالعين كما أشار اليه فى باب الزكاة من المختصر بقوله وجاز دفعه بأجرة غير نقد على ان المخرج للمدفوع له اهـ فلولا ان العوضية منظور اليها عندهم فى الجملة ما منعوا ذلك وعلى تسليم القياس وقطع النظر عما ورد عليه من الابحاث فلا دليل فيه لجواز بيع بيوت المدارس على الوجه الواقع اليوم

وقيل له بكثير اذ موضوع قياس البرزلي اذا كان الطالب القابض للثمن لا زال مستحقا له لقيام الوصف به فيدفع له العوض لرفع يده عنه والواقع في هذه الأزمان ان الطالب اذا فرغ من القراءة وأراد الرجوع الى وطنه أو مات يبيع البيت هو أو وارثه مع انه لا استحقاق له هنا ولا يد حتى ترفع بل هذه يقرّ المازري عنها ولا يقول قطعا بجوازها * فتحصل ان بيع بيوت المدارس أو اعارتها أو اجارتها لا وجه له في الشريعة وان تواطأ على ذلك الطلبة في هذه الازمنة وقبلها بكثير، وليس في سكوت العلماء على ذلك دليل لتسويغه كما هو شهير، اذ كثير من الأشياء وقع السكوت عنها وهي محرّمة كتابا وسنة واجماعا على انا لا نسلم سكوتهم وعدم انكارهم فلا زال الشيوخ رضي الله عنهم ينكرونه اذا سئلوا وعند قراءتهم في الموضع الذي يناسبه، هذا تلخيص ما تضمنه تأليف العلامة الرهوني في مسئلة بيع المدارس وليس لي فيه الا حسن الاختصار والتناسب بين الكلام، فالواجب على من يستبرئ لدينه من الطلبة أن لا يبيع بيت المدرسة ولا يقرّ على بيعه كما ان الواجب على من ولاه الله الأمر أن يمنع من ذلك ويزجر فاعله وقد اتضح من هذا أن ما مشى عليه الناظم في قوله واشتر بيتا الخ غير صواب فلو قال *واسكن ببيت مفرد ذي ضوء* لكان سالكا سبيل الصواب والله تعالى أعلم * ثم قال الناظم

٩٣ * والمشيَ لا تُكثِر لغيرِ فائدهْ * إلا اذا كانتْ هُناكَ مائِدَهْ *

الواو للعطف والمشي مفعول مقدّم بتكثر ولا ناهية وتكثر مضارع مجزوم بها ولغير متعلق بالمشي وفائدة مضاف اليها غير والفائدة لغة ما حصلته من علم أو مال أو جاه أو غيرها فهي اسم فاعل بمعنى مفعول مشتقة من الفيد بمعنى استحداث المال والخير وقيل اسم فاعل باق على أصله من فأدته اذا أصبت فؤاده وعليه قول الشهاب الخفاجي

من الفؤاد اشتقت الفائدة * والنفس يا صاح بذا شاهدة
لذا ترى أفئدة الناس قد * مالت الى من في قربه فائدة

والمراد بها في كلام الناظم ما يستفاد من العلم وجملة لا تكثر معطوفة على الجملة قبلها وقوله الا حرف استثناء أبطل النهي السابق والاستثناء متصل سواء مشينا في تعريف المتصل على مذهب الجمهور أو على مذهب القرافي وهو التحقيق فان المتصل عند الجمهور ما كان فيه المستثنى من جنس المستثنى منه كجاء القوم الا زيدا ورأيت اخوتك الا عمرا وعند القرافي عبارة عن الحكم على جنس ما حكمت عليه أوّلا بنقيض ما حكمت به أوّلا فمتى انخرم قيد من هذين القيدين كان منقطعا فيكون المنقطع هو أن تحكم على غير جنس ما حكمت عليه أوّلا أو بغير نقيض ما حكمت به أوّلا وعلى هذا فالاستثناء في قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى منقطع للحكم فيها بغير النقيض فان نقيض لا يذوقون فيها الموت يذوقون فيها الموت ولم يحكم به بل بالذوق في الدنيا فتبين ان المنقطع عند القرافي أعم منه عند الجمهور كما لا يخفى فكل منقطع عند الجمهور منقطع عند القرافي ولا عكس وكل متصل عند القرافي متصل عند الجمهور ولا عكس والاستثناء في كلام الناظم من الجنس لان المشي للمائدة من جنس مطلق المشي ان قطعنا النظر عن المتعلق وهو قوله لغير فائدة وقد حكمنا فيه على المستثنى بنقيض ما حكمنا به على المستثنى منه فهو متصل على كلا المذهبين نعم ان اعتبرنا في المستثنى منه الذي هو المشي متعلقه الذي هو لغير فائدة كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه لان المشي في المستثنى منه لغير فائدة وفي المستثنى لفائدة فيكون منقطعا على كل من المذهبين والمنقطع يقدّر عند البصريين بلكن وهذا أظهر لان روح الكلام المقيد بقيد هو ذلك القيد واليه يتوجه النفي والاثبات كما نص عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز نقله غير واحد والله أعلم واذا ظرف زمان مضمن معنى الشرط منصوب بالا وكانت

بيع بيوت المدارس واعارتها لا يجوز

صفة الاستثناء عند القرافي خلاف الجمهور

فعل ماض تام والتاء للتأنيث ومائدة فاعل بها والمائدة معروفة وهى مشتقة من ماده ميدا أعطاه فهى فاعلة بمعنى مفعولة لان المالك مادها للناس أى أعطاهم اياها وقيل مشتقة من ماد ميدا اذا تحرك لانها تتحرك بما فيها فهى اسم فاعل على الاصل ولا تسمى بهذا الاسم الا وفيها طعام ويقال لها الميدة قال الشاعر

وميدة كثيرة الالوان * تصنع للجيران والاخوان

وهناك اشارة الى المكان وهو ظرف معمول لكانت والكاف للبعد والاشارة لمكان مفهوم من الكلام السابق والاصل لا تكثر المشى لاى مكان الا اذا كانت هناك الخ وجملة كانت هناك مائدة فى محل جر باضافة اذا اليها وجواب اذا محذوف دل عليه ما قبلها والتقدير الا اذا كانت هناك مائدة فلا بأس بالمشى لها ﴿والمعنى﴾ لا تكثر أيها الطالب المشى للاماكن لغير أخذ فوائد العلم لكن اذا وجدت مائدة فلا بأس بالمشى لها والمراد بالمائدة الاكرام أى الا اذا كنت تذهب عند من يكرمك بمائدة أى طعام أو غيره فلا بأس اذا كنت مدعوا لذلك خصوصا أو عموما وقوله لا تكثر نهى عن الكثرة ومراده المشى من أصله لا بقيد الكثرة لان المشى فى الاسواق من غير حاجة ولو قليلا لا ينبغى ونكتة تعبيره بالكثرة مع ارادته أصل المشى الاشارة الى أن المشى من غير حاجة وان كان قليلا فى نفسه فهو كثير من طالب العلم ولبعضهم فى معنى بيت الناظم

يا جملة الاخوان أوصيكمو * وصية الوالد والوالده

لا تعملوا الاقدام الا الى * كانت لكم فى وصله فائده

إما لعلم تستفيدونه * أو لكريم عنده مائده

(وحدث الاصمعى) قال لقينى عمرو بن العلاء وأنا سائر فى بعض أزقة البصرة فقال الى أين يا أصمعى فقلت لزيارة بعض اخوانى فقال يا أصمعى ان كان لفائدة أو لمائدة والا فلا اه ﴿تتميم﴾ فى أمور تتعلق بسكنى المدرسة * منها أن يعلم أن حكمة بناء المدرسة ووقف الاوقاف عليها الاعانة على تحصيل العلم أى اعانة العالم على نشر ما عنده من العلم واعانة المتعلم على طلب العلم وتحصيله ليبقى العلم دائما ويبقى الدين مستمرا وليس بناؤها القصد غرض آخر دنيوى كمجرد السكنى أو الخزن أو التجارة ولا دينى كالصلاة أو الصيام وعلى هذا يدور معظم الادب والشروط فمن ثبت له الوصفان أو أحدهما كان أهلا فى الجملة للسكنى والانتفاع بمرافقها وأوقافها ما لم يمنعه مانع ومن لا فلا وليس المراد بالاهلية وجود الوصفين أى التعليم والتعلم فى الصورة فقط بل فى المعنى فان فائدة التعليم افادة الناس ووصول العلم اليهم وفائدة التعلم استفادة العلم واستحصاله فكل معلم فى الصورة ولا نتيجة له لكونه لا تحقيق عنده أو لا معرفة له بالصنعة أو متعلم لا يحصل لكونه لا فهم له أو لا تفرغ فهو لغو لا عبرة به وقد نص علماؤنا على انه يجب ان لم يكن بيت مال أن يجمع الناس مالا ليرتبوا منه الاجناد وحملة العلم أعنى فرض الكفاية قالوا والذى يتعين عليه هذا العلم هو من جاد حفظه وحسن ادراكه وطابت سجيته وسريرته فهذا هو الذى تجوز له الجائزة ومن لم تكن فيه هذه الاوصاف فلا يجوز له الاخذ وربما كان طلبه العلم من باب العبث باعتبار المصلحة التى ترجى اذ لا تحصل عادة معه ومعلمه يكون بطالا ومتكلفا ما لا يطيق وكل ذلك مذموم قاله أبو على فى القانون * ومنها انه انما يسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوقها وأخذ فى الدرس جهده وفى حضور حزبها صبحا ومغربا كما فى المعيار وغيره قال أبو على اليوسى والتحديد بالعشرين سنة أخذ بالمظنة والعلة هى الريبة وخوف الفتنة وذلك بعد العشرين وقد ينتفى دونها وقال بعضهم الاولى أن لا يسكن المدرسة وسيم الوجه ولا صبى ليس معه ولى فطن اه لكن وسيم الوجه اذا كان أمرد فالواجب تجنبه والا فهو تحجير وحرج والصبى يتقى منه فتنة النظر وان كان معه ولى وقد يقال ان

محل شرح البيت اللطيف

بيوت المدرسة كالديار فكما لا يطرد جار عن جاره بما يخشى من الفتنة كذلك المدرسة وقد يفرق بوجود الاتساع في الديار دون المدرسة وبأن المدرسة ملحوظ فيها غرض الواقف ومعلوم أنه لا يحب الا المصلحة وبأن غالب سكان المدرسة الاعزاب ٣ وهم محل الفتنة غالبا فتراعى فيهم المظنة ويحتاط لاجلها * ومنها أن من أقام في المدرسة عشر سنين يطلب العلم ولم تظهر نجابته أخرج منها جبرا لانه يعطل الحبس كما في نوازل الاحباس من المعيار من جواب الامام العبدوسي ومثله في نوازل العلامة التسولي والقانون لابي علي اليوسي * ومنها أنه لا يجوز سكنى المدرسة للمتعبد المنقطع للعبادة من غير حضور مجالس العلم اذ المدرسة كما تقدم حبست لطالب العلم مع عبادة لا تشغل عنه كما ان العكس كذلك وهو أن الرباط لا يسكنه المشتغل بالعلم وانما هو للمريدين الا أن يكون ذلك في أصل التحبيس قاله في المعيار ومثله في القانون وغيره * ومنها أنه ينبغي أن يكون الوضع في المدرسة مختلفا فمن الناس من يليق به صدر المدرسة كالمتصدرين للصالح من تدريس أو فتوى أو نظر أو رعاية ونحو ذلك ومن يليق به المضيء كأهل النظر والنسخ ومن يليق به العلو كأهل المدن والقرى المترفقين في المشي والتصرفات ومن يليق به الاسفل كأهل البدو ومن يليق به البعد عن مسجدها ومواضع درسها كأهل الاصوات المرتفعة بتلاوة القرآن مثلا وغير ذلك فينزل كل بالمحل الذي يليق به وبالحبس فلا ينبغي لأهل الحكم أن يغفلوا عن هذا الترتيب والمصلحة قاله في القانون * ومنها أنه لا يجوز لساكن المدرسة أن يعير بيتا تحت يده فانه لم يجعل له بها الا السكنى خاصة على ما نصوا عليه قاله في المعيار من جواب العبدوسي لكن محله مالم يكن المستعير من أهل الحبس ففي جواب لابن عرفة ما نصه وكذلك عارية بيت السكنى بالمدرسة فان كان المستعير من أهل ذلك الحبس جاز والا لم يجز لوجهين فقدان شرط التحبيس عادة والتصرف في المنفعة بالهبة وهو لم يؤذن له الا في نفسه فقط اه ﴿قلت﴾ والظاهر أن المستعير اذا كان من أهل الحبس لا يأخذه على وجه العارية بل على وجه الاستحقاق لكونه من أهل الحبس فهو عارية بمجرد الاسم والله أعلم * ومنها ان من سافر لبلده بقصد الرجوع عن مدة قريبة ثم رجع فهو مستحق لبيته مالم يعزم على عدم الرجوع كما في نوازل الاحباس من المعيار * ومنها أن ابن عرفة سئل عن الدخول الى المدارس لقضاء الحاجة بها والوضوء والشرب من مائها (فأجاب) ان كان من صنف أهلها ساغ له ذلك لأن الحبس لاهل ذلك الصنف وهو غير معين فمتى وجد ذلك الصنف جرى حكمه على ما صح لاهلها وان كان من غير صنف أهل الحبس فلا يجوز له ذلك اه باختصار نقله العلامة التسولي في نوازله ثم قال الناظم

٣ جمع عزب بالزاي وهو من لا أهل له اه مؤلفه

﴿باب آداب الرتبة وأحكامها﴾

باب خبر مبتدا محذوف للعلم به والخبر مضاف لآداب جمع أدب وآداب مضاف للرتبة والرتبة هنا بالفتح الظاهر انها فعلة للمرة من رتب الشيء من باب قعد أي ثبت ودام ومنه الرتبة بالضم وهي المنزلة والمكانة وغير خفي ان المقصود من فعلة مرة من الفعل فسمي فعلة هو الفعل الواحد لا الشيء المفعول مع أن المتعارف هو اطلاق الرتبة على الطعام المأخوذ لا المرة التي هي مسمى رتبة في الاصل فيكون اطلاق الرتبة على الطعام المأخوذ مجازا مرسلا من باب اطلاق المتعلق بالكسر وارادة المتعلق بالفتح على حد قوله تعالى هذا خلق الله أي مخلوقه لكن قد اشتهر هذا المجاز فصار حقيقة عرفية والله أعلم وقوله وأحكامها بالخفض معطوف على الرتبة مدخول لآداب وهو جمع حكم والضمير المضاف اليه أحكام عائد على الرتبة والمراد بأحكامها ما يتعلق بها فلذا جعلناه مدخولا لآداب لا خصوص الحكم الشرعي المشار اليه بقوله وهي كالميتة للمضطر لانه حكم واحد لا تعدد فيه حتى يجمع ثم قال الناظم

٩٤ ﴿والرتب ان أجاك الدهر لها * فاعن بها يا سعد من حصلها﴾

الواو للاستئناف والرتب مرخم رتبة للضرورة وهي مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على الباء على لغة من لم ينو ولم ينتظر أو بالضمة على التاء المحذوفة والباء مفتوحة على لغة من نوى وانتظر وان حرف شرط وألجأ أي أحوج فعل الشرط والكاف مفعول مقدم والدهر فاعل وهو بسكون الهاء وفتحها لغة وجوّز ذلك بعضهم في كل حرف حلق وقع وسطا وهو في الاصل اسم لمدّة العالم الدنيوي ثم يعبر به عن كل مدّة كثيرة أو قليلة فهو بالنظر الى أصل معناه بخلاف الزمان لانه يقع على المدّة القليلة والكثيرة وقال بعضهم الدهر وعاء الزمان وخصه بعضهم بألف سنة ولها متعلق بألجأ والضمير للرتبة وقوله فاعن الفاء رابطة للجواب بالشرط واعن فعل أمر من عنى بالبناء للمفعول بمعنى اعتنى وهو من الافعال اللازم بناؤها للمفعول وسمع بناؤه للفاعل في لغة قليلة وبها متعلق باعن والضمير للرتب أيضا وجملة الشرط والجواب خبر المبتدا ولا يصح جعل الرتب مفعول بفعل محذوف يفسره اعن من باب الاشتغال لان أداة الشرط الواقعة قبل الفعل المفسر تمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها وما لا يعمل لا يفسر عاملا وقوله ياسعد الخ يا حرف نداء القريب وسعد منادى منصوب لانه مضاف الى من الموصولة والسعد اليمن يقال منه سعد يسعد كقعد يقعد وأما سعد ضد شقي فهو بكسر العين ونادى السعد مع أنه لا يمكن منه الاقبال تنزيلا له منزلة من يصح منه ذلك لقصد الفرح والسرور وكأنه يقول ياسعد أقبل فهذا وقت حضورك فنداؤه مجاز علاقته المشابهة من جهة أنه ينبغي الاقبال على كل من المنادى وما وقع به الفرح والسرور وقوله حصلها صلة من والعائد من الصلة الى الموصول الضمير المستتر في حصل والضمير البارز عائد على الرتبة هو مفعول حصل ﴿والمعنى﴾ أن الرتبة ينبغي أن يعتنى بتحصيلها من أحوجه الدهر لها الفقره فان حصلها مع احتياجه لها فقد حصل له السعد الكامل وكفى السعي الشاغل وفهم من قوله ان ألجأك أنه ان لم يلجئه الدهر لها لا ينبغي أن يعتنى بها بل الاولى التعفف عنها وقد صرح بهذا في قوله

95 ﴿وهي كالميتة للمضطر * مباحة الأكل لأجل الضرّ﴾

الواو للاستئناف وهي مبتدأ عائد على الرتبة وكالميتة متعلق بمحذوف خبر المبتدأ والكاف للتشبيه وللمضطر متعلق بمحذوف حال من الميتة تقديره كالميتة حال كونها منسوبة للمضطر وقوله مباحة خبر مبتدأ محذوف تقديره هي أي الميتة مباحة الخ فيكون من تمام الكلام على المشبه به والاكل مضاف اليه مباحة ولأجل متعلق بمباحة على انه علة له والضرّ بالضم والفتح خلاف النفع وقيل بالضم اسم وبالفتح مصدر وهو مضاف اليه أجل ويحتمل أن يكون قوله مباحة خبرا ثانيا لقوله وهي فيكون من تمام الكلام على المشبه والاول أقرب ﴿والمعنى﴾ ان الرتبة انما يجوز أخذها وأكلها للحاجة فهي بمنزلة الميتة للمضطر فكما أن الميتة لا يجوز أكلها للمختار فكذلك الرتبة وقد أشار خليل في المختصر الى حكم أكل الميتة للضرورة بقوله وللضرورة ما يسد غير آدمي وخمر الا لغصة الخ غير أن المعتمد ان له أن يزيد على سد الرمق بل له أن يشبع ويتزود فان وجد غيرها رماها ثم ان ما أفاده الناظم من ان الرتبة لا يجوز أكلها لمن وجد عنها غنى ومندوحة لا يخلو عن مسامحة لان الرتبة اذا أخذها الطالب عن طيب نفس معطيها وعلمه بأن آخذها لم يصل لحد جواز أكل الميتة فلا شك في الجواز حينئذ ولو مع عدم الاحتياج لكن اليد العليا خير من اليد السفلى فهي صدقة تنبئ عن عزة المعطي وذلة المعطى له والحر لا يرضى بمطلق الذل فكيف بذل السؤال سيما اذا كان المسئول منه الرتبة لا يعرف للعلم منزلة ولا يعظم حامليه وأهله أو كان بخيلا بالمأمول لا تسمح نفسه بالمأكول فالموت حينئذ ألذ من أكل طعامه والتعفف أجمل بالطالب من انعامه فقد ورد في الخبر طعام البخيل داء وطعام السخي شفاء وعقده الحافظ

السلفي

السابق بقوله

لاتجب دعوة البخيل لاكل * فطعام البخيل فى الجوف داء
واذا ماد عاك شخص سخى * فأجبه وكله فهو شفاء

ولله در علي بن سعيد اذ قال

لبذل وجهي الى لئيم * أمرّ من وقفة الوداع
فالبدر فى وجهه كدوح * لما اجتدى الشمس فى الشعاع ٢

٢ أى طلب الجد العطاء اهـ مؤلفه

وقد خمستهما بقولى

لا أحوج الله من كريم * (لباب مسترذل ذميم)
وحق رب لنا عظيم * لبذل وجهى الى لئيم
(أمرّ من وقفة الوداع)
فمن غداعنده يروح * وبسؤاله يبوح
تباله وجهه وقوح * (فالبدر فى وجهه كدوح)
(لما اجتدى الشمس فى الشعاع)

وشطرتهما أيضا بقولى

(لبذل وجهى الى لئيم) * ليس بنيل المنى لساع
ان أمّه رده بمنع * (أمر من وقفة الوداع)
(فالبدر فى وجهه كدوح) * أزرى به ذاك فى التماع
وقد بدا النقص فى ضياه * (لما اجتدى الشمس فى الشعاع)

فباعتبار هذا المعنى تكون الرتبة كالميتة عند ذوى الهمم العلية لايرون مناولتها الالحاجة القوية فكلام الناظم مع هذا القبيل ولايصح الابهذا التأويل فان وصل الشخص لحد الضرورة وجب عليه السؤال واستجلاب مايدفع به الضر من النوال فقد جاء فى الاثر عن سيد البشر قال من جاع فلم يسأل فمات دخل النار الا ان ترك السؤال عند خوف التلف سبب للتلف فكأنه أعان على قتل نفسه قاله البلوى فى كتابه ألف با وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول فى استعاذاته وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد سأل موسى والخضر عليهما السلام فرادا وقد أخبر الله تعالى عنهما بذلك فى قوله استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقال الحريرى فى المعنى

فان رددت فمافى الرد منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

هذا مع الضرورة الداعية للسؤال والا فعند الاختيار يكون السؤال من غير ردّ منقصة فكيف بالرد وفصل الخطاب فى هذا الباب هو قول أبى عمران موسى بن عمران القيسى

اقبل البر اذا اجتثت من البرّ الوصول * ما رأى أن لك الفضل عليه فى القبول
وأتى بالشئ صفوا * طيبا من غير سول * وأمنت المنّ منه * فى كثير أو قليل
رب من قد أقام الشحر فى حال الذليل * واذا استغنيت عنه * لاتعرّض للفضول
وصن النفس بستّ الشرب عن عرف البخيل ٣

٣ العرف بفتح العين وكسرها وفاء هو المعروف اهـ مؤلفه

ثم هذا كله حيث كان مع السؤال وأما ما كان من غير مسئلة من النوال فقد جاء فى حديث مسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى عمر بن الخطاب العطاء فيقول اعطه يارسول الله أفقر اليه منى فقال له صلى الله عليه وسلم خذه فتموّله أو تصدّق به وماجاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيأ ولا يردّ شيأ أعطيه وفى الحديث عن خالد الجهنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف

ولا مسـئلة فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله اليه ﴿قلت﴾ وبالبداهة ان محل هذا فى غير الحكام وولاة الامر والاحكام والافيجرى فيه الخلاف والتفصيل المتقرر فى قبول المتولى الهدية وفى غير من يعرف أن معطيه عن بعدما أعطى أو يتوصل لغرض فاسد بالمعطى والمرء فقيه نفسه ولكل جزئية حكم والله أعلم ثم قال الناظم

96 ﴿ورتبـة الليل هيَّ المؤكدهْ * وان تكُن في حومة مُستبعدهْ﴾

الواو للاستئناف ورتبة مبتدأ مضافة الى الليل وهى ضمير فصل حرف لا محل له من الاعراب على الصحيح وقيل انه اسم والمؤكدة خبر رتبة والجملة معطوفة على ماقبلها وقوله وان الخ مبالغة فى التأكيد لرتبة الليل فان شرطية وتكن فعل الشرط مجزوم بسكون النون واسم تكن هو الضمير العائد منها على رتبة الليل وفى حومة متعلق بمحذوف خبر تكن ويحتمل أن تكون تامة بمعنى توجد وعليه فالضمير فيها هو فاعلها وفى حومة متعلق بها والحومة بفتح الحاء وهى فى الاصل كما فى القاموس وغيره معظم البحر والقتال وغيرهما ولم أجد فى كتب اللغة اطلاقها على جهة من البلدة كما هو العرف عندنا الذى هو مراد الناظم الا أن يقال ان كل جهة من البلد هى معظمه وقوله مستبعدة نعت لحومة والسين والتاء زائدتان لتأكيد البعد ﴿والمعنى﴾ أن رتبة الليل هى التى ينبغى الاعتناء بها أكثر من رتبة النهار فيسعى الطالب فى تحصيلها وان كانت فى حومة بعيدة وذلك لان الطالب يحتاج فى الليل الى الاكل أكثر من النهار لاشتغاله فى النهار بحضور مجالس العلم فيكون فى الليل أحوج الى الطعام منه اليه فى النهار وأيضا رتبة الليل يتعشى بها وقد ورد النهى عن ترك العشاء ففى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تدعوا العشاء ولو بكف من حشف وان تركه مهرمة قال الناظم

97 ﴿ثم اذا حصَّلتَهَا ياصَاح * فاستبشرنْ بالخير والنجاح﴾

ثم للعطف مع الترتيب اللفظى واذا اسم شرط وهو ظرف زمان معمول لجوابه وحصلتها فعل وفاعل ومفعول والضمير عائد على رتبة الليل لا مطلق الرتبة بدليل قوله بعد * وسر اليها باختفاء ليلا * وقوله ياصاح يا حرف نداء وصاح منادى مرخم صاحب على غير قياس لانه وصف ولا يرخم قياسا الا ما توفرت فيه أربعة شروط منها العلمية وهى مفقودة هنا وقوله فاستبشرن الفاء رابطة للجواب بالشرط واستبشرن فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة فهو مبنى على فتح آخره وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على الصاحب المنادى وبالخير متعلق بفعل الامر والنجاح أى الظفر بالمراد معطوف عليه وجملة اذا حصلتها الخ معطوفة على جملة قوله فى البيت قبله ورتبة الليل الخ ﴿والمعنى﴾ اذا ظفرت أيها الطالب برتبة الليل فقد حصلت لك البشارة لانك ظفرت بالخير والنجاح وحصلت على المراد الذى هو الرتبة ثم قال

98 ﴿وسِرْ اليهـا باختفاء ليـلا * ذا قُفة واسْدل عليها ذيلا﴾

الواو للعطف وسر فعل أمر بمعنى امش وفاعله مستتر فيه وجوبا عائد على طالب العلم واليها متعلق به والضمير عائد على رتبة الليل وباختفاء أى استتار متعلق أيضا بسر والباء للملابسة وليلا ظرف زمان منصوب بسر وذا بمعنى صاحب منصوب على الحال من الفاعل المستتر فى سر وهو مضاف الى قفة بضم القاف وتشديد الفاء والقفة وعاء معروف يتخذ من خوص جمعه قفف كغرفة وغرف وهو لفظ عربى مذكور فى كتب اللغة وفى المختصر فى باب الزنا وندب جعلها فى قفة وجملة قوله سر اليها الخ معطوفة على قوله استبشرن فى البيت قبله وقوله واسدل الواو للعطف واسدل بضم الدال فعل أمر من سدل الثوب من باب قتل أى أرخاه وأرسله ولم يقولوا أسدل بالهمز فى الثوب كما فى المصباح وما فى القاموس

من أنه يقال أسدل بالهمز أيضا فحذفها في الشعر كما هو صريحه فلا تخالفة والله أعلم وعليها متعلق بأسدل والضمير المجرور بعلى عائد على القفة وذيلا بالذال المعجمة مفعول بأسدل والذيل من الثوب طرفه الموالي للأرض ومراده هنا مطلق طرف الثوب مجازا مرسلا من باب استعمال المقيد في المطلق ﴿والمعنى﴾ سر أيها الطالب في الليل الى الرتبة باختفاء واستتار مصاحبا القفة لتجعل فيها ما تأخذه واستر القفة بطرف من ثوبك فان هذا أكمل للطالب وأجمل بذوي المناصب (ولبعضهم ملغزا في القفة)

وذي أذنين لا يقتات قوتا * وجوف للحوائج واحتمال
تسر اليه في الأسواق سرا * فلا يفشيه الا في الرحال

(ثم قال الناظم)

99 ﴿ثم الفنار اصحب وقوم قد أبوا * صحبة ذاك الضوء فارع ما رعوا﴾

ثم للعطف مع الترتيب وهو هنا لفظي فقط والفنار مفعول مقدم باصحب وهو معروف عندنا بهذا الاسم ولم أجد له ذكرا في كتب اللغة بل لم يذكروا مادة ف ن ر أصلا وقد سماه في نفح الطيب بهذا الاسم أيضا اذ بذلك يسمى عندنا أهل المغرب وأهل مصر يسمونه بالفانوس وهو غير عربي أيضا الآن الفانوس هو النمام كما في القاموس قال وكأن فانوس الشمع منه اهـ أي لانه ينم عما في داخله وقوله وقوم قد أبوا الخ الواو للاستئناف أو عاطفة جملة خبرية على جملة انشائية عند من يجيز ذلك وقوم مبتدأ وسوغ الابتداء به ارادة التفصيل كقوله تعالى (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) وقول الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

وقوله قد أبوا قد للتحقيق وأبوا فعل ماض بمعنى امتنعوا والواو ضمير عائد على قوم هو الفاعل وصحبة مفعول أبوا وذاك مضاف اليه صحبة والكاف حرف خطاب المذكر وهو طالب العلم والضوء بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه وقوله فارع الفاء زائدة أو واقعة في جواب شرط محذوف تقديره اذا علمت أن قوما أبوه فارع الخ وارع فعل أمر مبني على حذف آخره وهو الالف وما مفعوله وهي موصولة وصلتها رعوا والواو ضمير عائد على القوم أيضا والعائد من الصلة الى الموصول محذوف تقديره ما رعوه ﴿والمعنى﴾ اذا سرت أيها الطالب ليلا لأخذ الرتبة فاصحب معك الفنار لتهتدي به في ظلمة الليل وتستقيل به العثار، وقوم من الطلبة يأبون مصاحبته، ويختارون مفارقته، اذ هو نمام يدعو للاشتهار فيستوي معه الليل والنهار، وهذا المذهب أوفق بقول الناظم سابقا وسر اليها باختفاء لكن المذهب الأول أسلم من العطب والبلاء وللناس فيما يعشقونه مذاهب، ومن جعل الناس سواء فلم يصادف لحمقه دواء (ولابن الجياب ملغزا في الفنار)

ما اسم اذا حذفت منه فاؤه المنوعة * فانه ابنة الزنا مضافة لأربعة

(وللأديب البارع سيدي مصباح الياصوتي ملغزا فيه أيضا)

ما سائر بالليل ثم ان بدت * شمس النهار اندس تحت حجبه
يحبه الخليل ما جن الدجا * فان مضى الليل سلا عن حبه
حروفه أربعة فان تزل * أولها يبقى الذي في قلبه

(وقد قلت) ملغزا فيه أخاطب بعض الادباء من أصحابنا:

يا أدباء تروقه الأشعار * من خليل له بها إشعار
لكم الفضل أخبروني عن اسم * له في كل محفل أنوار
جنة هو ان ترده انفع * أو تشأه للاحتراق فنار

حب كل الانام منه اصطحابا * وهو غام ماله أسرار
يأنس الانس وهو عند اشتقاق * أكبر فيه وحشة ونفار
أصله معدن رخيص ولكن * قد حكاه فى ختمه الدينار
له من صحة الحروف ثلاث * ثم حرف ذو علة مستعار
هو نعم الخليل يحمى من الهلك * يهدى لنا دجاه نهار
غير ان اسمه اذا ما حذفت الختم * منه استبان وهو بوار
ثم ذاك الختام جا فصل أمر * للذى قد غدا له ابصار
ان تصحف عدا تمام بناه * بان يوم الهجا له آثار
واذا ما صحفته بسوى ذا * كان منه لدى الشتاء دثار
وكذا ان قلبته كان فى الانف * له منه شهرة واشتهار
فاكشف اللغز يا أديب بفكر * ثاقب أذعنت له الافكار
وأجبنى بنظمك العذب عزما * فاقتضاء الجواب فيه اختبار

فأجاب

ياشريفا علت له الأقدار * ومنيفا له علا وفخار
زادكم ربنا ذكاء ونبلا * ما تباهت بنوركم أعصار
أنتمو أصل كل فضل وفخر * أنتمو للكمال فينا نجار
ما برحتم لكل خير محلا * جدكم معدن الهدى المختار
فعليه والآل أزكى صلاة * وسلام شذاهما معطار
جاءنا من لدنك لغز عجيب * حبذا ما أتت به الأطهار
ذاك شئ مربع الشكل يبدو * فى ارتفاع فى كل أرض يدار
وتراه مثمنا عند قوم * تبتغيه كبارنا والصغار
ترخص الشمس قدره حيث لاحت * ماله ان بدت لنا إظهار
وتراه بطول ليل عزيزا * سيما ان يكن أظل السرار
وله من أخى الصبابة قلب * ودموع لدى الظلام غزار
غير ان الخدود منه تراءت * فى صفاء كما ترى الابصار
لم يزل جنة برفع رجيم * لم يخف معه ان تجده عثار
يعلم الناس ان بدا ضوء فجر * تجيا كأنه الغرار
ان ينله من صاحب بعض كسر * ماله ما طال الزمان انجبار
ان تكن حافظا له ذا اعتناء * يعط صفوا وهكذا الأحرار
آخر اللفظ منه فى الشرق سين * قبلها واو زالت الاستار
هاك شرحا للغزكم فى اجتلاء * ما عليه من بعد هذا استتار
ان اصب ما أردتمو فهو فضل * أو يكن غير ذا فلى اعذار
وعليكم تحية ما تجلى * ضوء صبح وفاحت الازهار

(ولمحيي الدين بن تميم حاكيا على لسان الفنار).

يقول لى الفانوس حين أتوابه * وفى قلبه نار من الوجد تسعر

خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنا جسدي لكنني أتستر

(ولبعض الادباء من أصحابنا) وهو المشار اليه قريبا وقد خرج من منزل بعض أخلائه بعد السمر فأرسل معه مليحا يضيء عليه بفنار عوض القمر فأنشأ فيه:

بأبي مليحا أمردا * حمل الفنار ليرشدا ومشى أمامي ليلة * حذرا علي من الردى

يكفي ضياء جماله * فيه لنا نور الهدى مالي وللأضواء اذ * ذاك البها منه بدا

وقد ألبست هذه الابيات حلة الكمال بتشطيرها في أعذب معنى وأحسن منوال وذلك قولي:

(بأبي مليحا أمردا) * بحلا الجمال قد ارتدى

لما غدا بي مشفقا * (حمل الفنار ليرشدا)

(ومشى أمامي ليلة) * كالبدر يحمل فرقدا ٢

يمشي وينظر خلفه * (حذرا علي من الردى)

(يكفي ضياء جماله) * فيه الضليل قد اهتدى

أوما محياه المضي * (فيه لنا نور الهدى)

(مالي وللأضواء اذ) * عاينت ذاك الأغيدا

فالبدر يخفى كلما * (ذاك البها منه بدا)

(ثم قال الناظم)

١٥٥ ﴿والقبقب اتركنه بكل حال * إن السلامة به من المحال﴾

الواو للعطف والقبقب مفعول مقدم باترك والقبقاب بألف بعد القاف الثانية نعل من خشب كما في القاموس ولسان العرب وزاد الثاني بلغة أهل اليمن ولم يذكراهما ٣ ولا شارح القاموس ان فيه لغة بحذف الألف فعلى الناظم مؤاخذة في حذفها وظاهر القاموس انه عربي لكن ذكر الشهاب الخفاجي في ريحانته انه غير عربي بل مولد وانه حدث بعد العصر الاول ونقل ذلك عن الازهري ومقتضاه انه ذكره في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل مع انه لم يذكره فيه ولم يذكره في الصحاح ولا في المصباح ولا في الأساس والله أعلم وقوله اتركنه فعل أمر مبني على فتح آخره لانه مؤكد بالنون الشديدة وبكل متعلق باترك وهو مضاف الى حال وقوله ان بكسر الهمزة لوقوعها أول الكلام ويصح فتحها على حذف لام التعليل أي لان والسلامة اسمها وبه متعلق بالسلامة والباء بمعنى مع على حد قوله تعالى اهبط بسلام أي معه وقوله تعالى قد جاءكم الرسول بالحق أي معه وقوله فسبح بحمد ربك أي معه ومن المحال متعلق بمحذوف خبر ان ﴿والمعنى﴾ ان القبقاب يترك باتفاق عند الذهاب لاخذ الرتبة فان السلامة معه قليلة ولم يرد بالمحال عدم الامكان بل عبر به مبالغة لكن هذا انما هو طريقة لمن لم يعتد المشي به كغالب الطلبة من أهل الجبال والبوادي فلا خلاف بين هؤلاء في مطلوبية تركه وأما من اعتاد المشي به فهو أسلم له في الطين من النعل ومراده بقوله بكل حال انه لم يخالف في تركه أحد كما وقع الخلاف في الفنار هذا الذي يدل عليه قوة كلامه كما أشرنا اليه في بيان المعنى واحتمال غير هذا بعيد من سياقه وقوة كلامه

(ولابن هانئ الأندلسي على لسان القبقاب)

كنت غصنا بين الرياض رطيبا * مائس العطف من غناء الحمام

صرت أحكي عداك في الذل اذ صر * ت مهانا أداس بالأقدام

(ولبعضهم على لسانه أيضا)

٢ نجم معلوم أخفى من البدر بكثير اه مؤلفه

٣ هما توكيد للفاعل الذي هو ألف يذكرا ليسوغ العطف عليه على المشهور اه مؤلفه

خذوا

لايدّعى العاشقون الحب منزلة * الا اذا حملوا للعشق كل أذى

لولم أكن أنقد العشاق فيه لما * أوطأت خدّى أقدام الحسان كذا

(وقد كتبت) لبعض الأصحاب الأدباء بفاس وأنا متولّ خطة قضاء ثغر السويرة ألغزله فى مطلق النعل بقولى

فماشئ يحوطك من هلاك * ويسعى فى انتفاعك طول عمر

ولا يرضى سواك أخا اصطحاب * اذا صاحبته مقدار شهر

وكم لاقى أذاك بغير منّ * عليك وأنت تدعوه لضر

ولكن لست تبلغ منه نفعا * بغير القرض واستحداد شعر

ففكر فيه واسبره تجده * بعاكس ما يحق لخدن كفر

عجيب أمره اذ كان زوجا * وما ينفك لفظه حاف وتر

يصحف لفظه طورا بزوج * وآونة بذى ذنب وأبر

فجاوبنى بكشف اللغز عزما * تنل حمدى وتبلغ فضل شكرى

﴿فأجاب﴾

أبحر معارف ياخير حَبر * أبا العباس معدن كل درّ

أتانى منك يا ابن المجد لغز * تريد جوابه منى بفور

لقد ألغزت فى شئ أكيد * تساوى فيه ذو مال وفقر

منافعه تسامت عن تناه * ولا كزمان أمطار وقرّ

يقى وحلا ويمنع لسع شوك * وللعينين منه النفع يسرى

ثلاثىّ الاصول كما تراه * وذا فى غالب والعرف يجرى

فيصنع من مسوك بعد دبغ * على الأشكال من صُفر وحُمر

فخذه ما عليه من مزيد * جوابا علة الاشكال يبرى

وكن لى عاذرا واصفح وسامح * لما تلفيه فى شعرى ونثرى

فقد نمقته ليلا وانى * لشهد سابق مسلوب فكر

وثم بعد هذا العذر عذر * يوافيكم لتعلم كنه أمرى

عليكم من محبكم سلام * عميم ما شدا بالروض قمرى

وشاقت نازح الاوطان فاس * وضم شتاته المولى بيسر

(ثم قال الناظم)

١٥١ ﴿وقصّر الخطا وطوّل فى عصاك * واضرب اذا آذاك كلب وعصاك﴾

الواو للعطف وقصر فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والخطا بضم الخاء مفعوله وهو جمع خطوة بضم الخاء ويجوز فتحها لكن تجمع حينئذ على خطوات لا غير كما فى المصباح والجملة معطوفة على جملة قوله والقيقب اتركنه الخ وقوله وطوّل الخ الواو للعطف وطوّل فعل أمر وفى عصاك متعلق به والعصا مضافة الى ضمير المخاطب وهى مؤنثة وأصلها عصو فقلبت الواو ألفا لوقوعها اثر فتحة وتثنيتها عصوان وجمعها عصىّ وعصىّ بكسر العين وضمها وكل من الجمعين على فعول الا أن الفاء كسرت فى أحدهما اتباعا لحركة العين وتجمع أيضا على أعص كزمن وأزمن وأعصاء كسبب وأسباب وجملة قصر الخطا معطوفة على ما قبلها وقوله واضرب الواو للعطف واضرب فعل أمر وفاعله مستتر فيه وهو ضمير المخاطب ومفعوله محذوف يدل عليه ما بعده أى واضرب الكلب والجملة معطوفة على ما قبلها واذا ظرف زمان معمول لاضرب

وآذاك فعل ماض والكاف مفعوله مقدّم على الفاعل وهو كلب وعصاك فعل وفاعل مستتر ومفعول والجملة معطوفة على جملة آذاك والجملتان في محل جرّ باضافة اذا اليهما وفي النظم الجناس التام بين عصاك الذي هو اسم ومضاف اليه وعصاك الثاني الذي هو فعل ومفعول وفيه الطباق بين قوله وقصر وقوله وطوّل ﴿والمعنى﴾ اذا ذهبت أيها الطالب لاخذ الرتبة ليلا فقصر الخطا بأن تمشي مشيا متقاربا من غير اسراع وطوّل العصا التي تتكئ عليها واطردبها كلبا أراد إيذاءك ومخالفتك والكلب حيوان معروف وله نحو السبعين اسما ﴿ويحكى﴾ ان ابا العلاء المعرّي دخل على الشريف المرتضى فعثر برجل فقال الرجل من هذا الكلب فقال أبو العلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما فقرّبه الشريف واختبره فوجده علامة وقد ألف السيوطي في ذلك رسالة سماها التبرّي من معرّة المعرّي انظر فنّ اللغة من (سعود المطالع) فقد ذكر تلك الاسماء * والكلب لا سبع ولا بهيمة حتى كأنه من الخلق المركب لانه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس ولو تم له طباع البهيمة ما أكل لحم الحيوان ومن طبعه الوفاء التام ﴿ذكر في روح البيان﴾ أن سليمان عليه السلام أتى بشراب الجنة فقيل له لو شربت هذا لا تموت فتشاور مع حشمه الا القنفذ قالوا بأجمعهم اشرب ثم أرسل الفرس والبازي الى القنفذ يدعوانه فلم يجبهما ثم أرسل اليه الكلب فأجابه فقال له سليمان لم لم تجب الفرس والبازي قال انهما جافيان لان الفرس يعدو بصاحبه والبازي يطيع غير صاحبه كما يطيع صاحبه وأما الكلب فانه ذو وفاء حتى أنه لو طرده صاحبه من الدار يرجع اليه ثانيا فقال له أأشرب هذا الشراب قال لا تشرب لانه يطول عمرك في السجن فالموت في العز خير من العيش في السجن فقال له سليمان أحسنت وأمر باهراقه في البحر فعذب ماء ذلك البحر اهـ ﴿وروى﴾ انه كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقونه فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا واضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر وقال

ومازال يرعى ذمّتي ويحوطني * ويحفظ عرضي والخليل يخون

فواعجبا للخلّ يهتك حرمتي * ويا عجبا للكلب كيف يصون

(وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في هذا المعنى)

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليت أن لا نرى ممن نرى أحدا

ان الكلاب لتهدا في مرابضها * والناس ليس بهاد شرّهم أبدا

(ومن طبعه أيضا) اكرام أهل الوجاهة من الناس ولا ينبحهم وينبح على أهل الرثاثة (ومن طبعه أيضا) التودد والتألف واذا دعي بعد الطرد والضرب رجع واذا لاعبه ربه عضه عضا لا يؤلم مع أن أنيابه لو أنشبها في الحجر نشبت وهو يقبل التأديب والتعليم (ومن طبعه أيضا) الاحتلام والحيض لانثاه (ومن طبعه أيضا) اقتفاء الاثر وشم الرائحة والجيفة أحب اليه من اللحم ويأكل العذرة ويرجع في قيئه ويحرس ربه ويحمي حرمه شاهدا وغائبا ذاكرا وغافلا نائما ويقظانا وهو أيقظ الحيوان في وقت حاجته الى النوم وانما ينام نهارا عند الاستغناء عنه في الحراسة وهو في نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق ﴿فوائد * الاولى﴾ ذكر المقري في نفح الطيب وصاحب روح البيان أن في الكلب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل مؤمن * الاولى الخوف وهو من دأب الصالحين * الثانية انه ليس له موضع يعرف به وذلك من أوصاف المتوكلين * الثالثة انه لا ينام من الليل الا القليل وذلك من أوصاف المحبين * الرابعة انه اذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين * الخامسة انه لا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من أوصاف المريدين * السادسة أنه يرضى من الدنيا باليسير وذلك من شيم القانعين

* السابعة أنه اذا غاب عن مكانه تركه وانصرف وذلك من علامات المتواضعين * الثامنة انه اذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من علامات الخاشعين * التاسعة انه اذا حضر شئ من الاكل ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين * العاشرة انه اذا رحل لا يرحل معه شئ وذلك من علامات المتجردين ﴿ويذكر﴾ عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه دق عليه انسان باب داره فلما خرج قال لا حاجة لي بك وفعل ذلك مرارا عديدة والامام لا يتألم وفي المرة الاخيرة كان الامام لابسا ثوبا أبيض فأراق عليه ذلك الانسان دواة بالمداد عمدا فقال له الشيخ أرشدتني أرشدك الله كنت متحيرا في كيفية صبغ هذا الثوب فأرشدتني الى صبغه أسود فجعل الرجل يقبل يديه ويقول ياسيدي سامحني فقال له أتعدحني على خصال موجودة في الكلب فانك اذا دعوته أجاب واذا طردته ذهب وهو غير عاقل فكيف بالعاقل ﴿الثانية﴾ في صحيح البخاري من رواية أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث أو ماشية وفي رواية الا كلب غنم أو حرث أو صيد وفيه أيضا عن سفيان بن أبي زهير أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اقتنى كلبا لا يغني عنه زرعا ولا ضرعا نقص كل يوم من عمله قيراط وفي رواية مسلم قيراطان والحكم للزائد لانه حفظ مالم يحفظه الآخر أو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بنقص قيراط ثم أخبر ثانيا بنقص قيراطين فروى كل ما سمعه أو ينزل ذلك على حالين فنقص القيراطين باعتبار كثرة الاضرار باتخاذها ونقص الواحد باعتبار قلته وهل ينقص من أجر عمل الماضي أو المستقبل خلاف وفي محل النقصان أيضا خلاف قيل من عمل النهار قيراط ومن عمل الليل آخر وقيل واحد من الفرض والآخر من النفل والمراد بالقيراط قدر معلوم عند الله تعالى والمراد نقص جزء أو جزءين من أجزاء عمله وهل اذا تعددت الكلاب تتعدد القراريط وسبب النقص امتناع الملائكة من دخول البيت الذي هو فيها أو لما يلحق المارين من الاذى أو ذلك عقوبة لمتخذها حيث انتهك حرمة ما نهى الله عنه أو لان بعضها شياطين أو لوقوعها في الاواني عند غفلة صاحبها ﴿قلت﴾ هذه علل كلها صالحة في المقام ولا مانع من التعليل بجميعها اذ العلل لا تتزاحم والله أعلم وفي الصحيح أيضا من قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا أي معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب وفي العهود أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقتني كلبا الا لصيد أو ماشية أو حراسة دار نامن اللصوص أو نحو ذلك من الاغراض الصحيحة وذلك لاسرار يعرفها من كان حاضرا عند صدور العالم من الغيب الى الشهادة وأطلعه الله تعالى على ما انطوى عليه الكلب من الصفات ويعرف ما استند اليه من قال بنجاسته ومن قال بطهارته من الائمة المجتهدين والله تعالى أعلم اه ﴿الثالثة﴾ أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام قاله في سعود المطالع ﴿الرابعة﴾ ذكر القرطبي في تذكرته أن في سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب اذا حمل على الانسان فانه لا يؤذيه باذن الله تعالى وهي يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية نقله في سعود المطالع أيضا وذكروا أن من حمل معه لسان ضبع لم تنبح عليه الكلاب ﴿الخامسة﴾ جميع الكلاب تصير بعد الحساب ترابا الا كلب أصحاب الكهف فانه في الجنة وهو أحد الدواب العشر الدنيوية التي تدخل الجنة ولا تصير ترابا في الآخرة المجموعة في قول بعضهم

براق شفيع الخلق ناقة صالح * وعجل لابراهيم كبش لنجله
وهدهد بلقيس وغلة بعلها * حمار عزير كلب كهف كمثله
وحوت ابن متى ثم باقورة لمن * يبرّ لأم في رخاه ومحله
فهاتيك عشر في الجنان وغيرها * يصير ترابا يوم حشر لكله

لكن في عدّ البراق وكبش اسمعيل من دواب الدنيا مسامحة (ولبعضهم وفيه مغايرة للسابق)

ابياتا لا

أياسائلا خذ نظم ما قد سألته * من الحيوان الذ يكون بجنة
فكبش ذبيح للخليل وفارة * لاهل سبا كلب بكهف لفتية
حمار عـزير ثم ناقة صالح * فصيل لها فاعلم حقيق بغنة
٣ كذا هدهد مع غلة لابن داود * سليمان اذ نادت مخافة حطمة
وبغلة كانت للنبي بحدين * ويعفور كان للنبي بطيبة
وأما سوى هذى فبعد قصاصها * تصير ترابا فانظرن صنع قدرة اهـ

وتطلب النص الصريح فى كل واحد من هذه الآحاد والله أعلم ﴿لطيفة﴾ جاء بعض الشعراء الى المعتصم فقال له من أنت قال شاعر أمدح الكرماء وأذم البخلاء فقال له ماتقول فيّ ان أنا حرمتك وأنا ثامن الخلفاء وقل ولا تسمع أحدا فقال أمنى على نفسى فقال أمنتك فأنشد

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة * ولكن لم يوجد لثامنهم كتب
كما أن أهل الكهف سبع أجلة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب
ولكن تسامى كلبهم عنك رفعة * لانك ذو ذنب وليس له ذنب

﴿تلميح﴾ قال القاضى شمس الدين بن خلكان خرج الحيص بيص ليلة من دار الوزير شرف الدين أبى على الحسن بن طراد فمر فى طريقه بكلبة معها جرو لها أبلق فنبح عليه فاخترط السيف فقتله وترك أمه فبلغ الخبر أبا القاسم هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادى فصنع

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بخزية ألبسته العار فى البلد
أبدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن ببواء عنه فى القود
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت * دم الابلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وكتبها فى رقعة وعلقها فى عنق كلبة ذات أجر صغار وكانت بها من طردها مع أولادها الى حضرة الوزير المذكور كالمستغيثة به فأخذت الرقعة فقرئت على الوزير فضحك هو ومن معه وقوله فى البيت الثالث ببواء بفتح الموحدة وبالمد أى بالمكافئ قال ابن خلكان وهذا تضمين حسن لم أر مثله اهـ والبيتان المضمنان لهما قضية ذكرناها عند قول الناظم سابقا وكن أخا حلم الخ *وقد كتب على بن الجهم مع كلب أهداه

استوص خيرا به فان له * عندى يدا لا أزال أحمدها
يدل ضيفى علىّ فى غسق الـ * ليل اذا النار نام موقدها

﴿ويحكى﴾ أن سيدنا معاوية رضى الله عنه استعمل رجلا من كلب فذكر المجوس عنده يوما فقال الكلبى قبح الله المجوس ولعنهم ينكحون أمهاتهم فوالله لو أعطيت عشرة آلاف درهم مانكحت أمى فلما بلغ ذلك معاوية قال قبحه الله أراه لو زادوه على العشرة آلاف درهم نكح أمه فعزله لذلك وولى مكانه الربيع العامرى فاتفق أن كلبا عدا على كلب فقتله فربطوا الكلب القاتل وحملوه الى العامرى فقتله قودا فقال فى ذلك بعض الشعراء

شهدت بأن الله حق لقاؤه * وان ربيع العامرى رقيع
أقادلنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

الرقيع بالقاف الاحمق *وعلى ذكر هذا الحمق والبله مع عدم الخروج عن الموضوع الذى هو لفظ الكلب

٣ قوله مع غـله لابن د كذا بالاصل ولا يخفى استقامته ولعل الاحسن أن يقال كذا هدهد مع غلة نسبه الخ اهـ مصححه

تذكرت قضية مضحكة ذكرها الامام أبو الفتح النيسابوري رحمه الله قال حدث بعضهم قال دخلت مدينة حمص وكان في فمي درهم لأشتري به غذائي فجئت الى باب الجامع فوجدت شيخا معمما جالسا على كرسي وقد لبس فروة وتقلد سيفا وفي حجره مصحف يقرأ فيه وحوله كلاب رابض قد تمسك بعقوده فسألته هل صلى القوم فقال لي أو أعمى أنت أما تراني قاعدا قلت ومن أنت قال أنا سيدنا أبو خالد امام الجامع وكابي هذا أبو جعفر فقلت له ولم أعددته هنا قال ورد علينا رجل يقرأ السبع الطوال ويشتم أبا بكر الصناديقي وعمر القواريري وعثمان ابن أبي سفيان ومعاوية ابن أبي عفان الذي هو من جملة حملة العرش وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم بنته عائشة في خلافة الحجاج بن يوسف واستولدها الحسن والحسين فقلت ما أعرفك بالانساب قال وما خفي عنك أكثر قلت فهل تقرأ القرآن قال نعم قلت اقرأ علي فقرأ "واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني "لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فهل الكافرين أمهلهم رويدا قال فعند ذلك رفعت يدي وصفعت الشيخ صفعة طارت منها عمامته عن رأسه فصاح بالناس فلببوني وقالوا يا مسكين أهلكت نفسك فحملوني الى المحتسب فاذا به رجل حاف حاسر فقال ما فعل فقالوا صفع امام الجامع فقال يا مسكين أهلكت نفسك فاختر اما سمل عينيك أو قطع يدك أو تدفع نصف درهم قال فصفعت المحتسب وأخرجت الدرهم من فمي وقلت هاك يا سيدي لك نصفه ولامامك نصفه وانصرفت اهـ

وليس اعتقاد المرء ما خط كفه * كما ان حاكي الكفر ليس بكافر

﴿فرع﴾ المعتمد في مذهبنا ان الكلب الانسي يكره أكله وقيل حرام ولم يرو عن مالك القول بالاباحة قال الشيخ داود شيخ التتائي ويؤدب من نسبها لمالك ﴿فرع﴾ المشهور من قول ابن القاسم وروايته عن مالك منع بيع الكلاب وروى عن مالك أيضا الكراهة ورابعها جواز الشراء دون البيع وخامسها الجواز بيعا وشراء ومحل هذه الأقوال كلب الحراسة والماشية فما حكاه صاحب التحفة من الاتفاق على جواز بيعها فيه نظر الا أن يريد اتفاق المتأخرين أو تقوية القول بالجواز حتى حكى عليه الاتفاق وفي كلب الصيد قولان مشهورهما المنع * ثم ان ما ذكره الناظم من اتخاذ العصا عند الذهاب لاخذ الرتبة ليس العرف عند الطلبة اليوم عليه للأمن من الكلاب في وقت الذهاب الى أخذ الرتبة لانهم يذهبون اليها قبيل العشاء أو بعيد صلاتها والكلاب المعدة في الاسواق لا تحمل على أحد ذلك الوقت ولا ينبغي التأخر في المشي اليها حتى تغلق الابواب وتطلق الكلاب لما في ذلك من افزاع أهل الدار بطرق الباب في وقت لا يعهدون ذلك فيه لكن اتخاذ العصا هو من سنن الانبياء قال ابن عباس رضي الله عنهما التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء * وكان سيد الانام عليه الصلاة والسلام يتوكأ عليها وروى عن ميمون بن مهران أنه قال امساك العصا سنة للانبياء وعلامة للمؤمنين وقال الحسن البصري رضي الله عنه للعكاز خصال سنة الانبياء وزينة الصلحاء وسلاح على الاعداء وعون الضعفاء ويهرب من صاحبها الشيطان ويخشع منها الفاجر وتكون لصاحبها قبلة وقوة اذا عيي * وعنه صلى الله عليه وسلم من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عدّ له من الكبر والعجب * وسئل يونس عن قوله عز وجل ولي فيها مآرب أخرى فقال لست أحيط بجميع مآرب موسى لكني أذكر جملة تدخل في باب الحاجة اليها من ذلك انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ويتوكؤ عليها الكبير والسقيم والاقطع والاعرج والخطيب فتنوب للاعرج عن ساق أخرى وللاعمى عن قائد وهي للقصار والدباغ وهي معاد للملة ومحراك للتنور ولدق الجص والسمسم ولخبط الشجر وللشرطي والمكاري وللراعي غنمه وللراكب مركبه وتدق في الحائط وتركزها فتجعلها قبلة وان شئت مظلة وتدخلها في عروة المزود وطرفها في يدك

والثانى فى يد صاحبك وان كان فيها زج كانت عنزة فان زدت شيأ كانت عكازا فان زدت شيأ كانت مطردا وان زدت شيأ كانت رمحا وكانت آية موسى عليه الصلاة والسلام فى عصاه وكانت لا تفارق يد سليمان عليه السلام فى مقاماته حتى سلط الله عليها الارضة وهو ميت فسقط فكانت للجن آية اه (وفى روضة النسرين لابن صعد) عن ابن عباس قال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء وكان للنبى صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها وأمر أصحابه بذلك وبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كان للخليل عليه السلام عصا يتوكأ عليها اه ﴿ويحكى﴾ أن سحبان وفد على معاوية فى وفد من خراسان فلما دخل عليه قال معاوية تكلم فقال انظروا الى عصا قالوا وما تصنع بها وأنت تخاطب أمير المؤمنين قال وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ﴿ويحكى﴾ أن الحكم بن عبدل كان أعرج أحدب هجاء خبيث الهجاء وكان الشعراء يقفون بباب الملوك فلا يؤذن لهم وكان هو يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها فلا تؤخر له حاجة فقال يحيى بن نوفل

عصاكم فى الباب أول داخل * ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية * وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر أمرها * ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

(ولابن سارة فى عصاه وقد كبر سنه)

ولى عصا من طريق الذم أمدحها * بها أقدم فى تأخيرها قدمى
كأنها وهى فى كفى أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمى
كأننى قوس رام وهى لى وتر * أرمى عليها سهام الشيب والهرم

(ولآخر فى خلاف هذا المعنى)

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها * علىّ ولا أنى تحنيت من كبر
ولكننى ألزمت نفسى حملها * لأعلمها ان المقيم على سفر

(وللصاحب بن عباد يهجو بالأبنة وقد أبدع)

هذا ابن متويه له آية * يبتلع الأير وأقصى الخصا
يكفر بالرسل جميعا سوى * موسى بن عمران لأجل العصا

ومثله فى الهجو الفاحش قول أبى الفرج الاصبهانى فى بعض القضاة وقد التمس منه عكازة فلم يعطها اياه

اسمع حديثى تسمع آية عجبا * لا شئ أعجب منه يبهر القصصا
طلبت عكازة للرجل تحملنى * ورمتها عند من يحفى العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصا عصب * ولم أكن خلته يصبو لكل عصا

قد لوّح أبو الفرج الى أبنة القاضى فلذا لم يكن لمفارقة العصا بالراضى * ومنه والشئ بالشئ يذكر قولى فى عزل قاض كان لطمعه لا يشكر وتولية غيره نائبا مكانه وقد اتصف بما يستنكر

رويدكمو يا أهل فاس بليتمو * ببلائه قد حق تطويل مأتم
سئمتم لفرط الجهل منكم قاضيا * كأشعب بالاطماع فى أخذ درهم
فعوّضتمو منه بقاض أتاكمو * بوصف أبى جهل ويحيى بن أكثم

(وفيه أيضا قال بعض أدباء العصر أبياتا تشطرتها ونص الجميع)

(قاض ولايته احدى العظائم اذ) * كانت طبيعته تقضى بتسويل
لما استبانت لنا منه نيابته * (أدت لتغيير أحكام وتعطيل)

(جاء الزمان به على حماقته) * من حمقه قد أتى بكل تهويل
يميل للفحش قولا في سفاهته * (وميله دائما الى الاباطيل)
(مع سوء طبع وجهل واتباع هوى) * وصورة وجهها كوجه قنديل
يهوى لكل خسيس في لياطته * (وأبنة قد أتت بالاكل للفول)
(يكف كفيه عن قبض الفلوس ولا) * له اقتصاد لزهد أو لتكميل
لو كان يقصد زهدا كان أجدر أن * (يصون استه عن ريح السراويل)
(لو أن ايرا غدا في قعر مظلمة) * لقال حكما عليه قم لتقضي لي
ولو تستر خوفا من تلهفه * (لظل يبحث عنه بالقناديل)
(يادودة عمرت في إستها كمنا) * ولم تدع عقله يمي لتعقيل
مابال جحرك لاينفك منفتحا * (ألا لرحمه بهدء أو بتحويل)
(فقد رضعت ايور الست أحصرها) * كوني لفطم رضاع ذات تعجيل
يكفي رضاعك دهرا بعده حجج * (حتى اغتذيت بخرطوم من الفيل)
(أوحية قعر بئر لاتزال بها) * لهوفة ذات تهويل وتعويل
كفى كفاك فقد أفرطت جائرة * (تزداد عرضا كما تزداد في الطول)
(قالت دع القول ان الله سلطني) * عليه أحكم فيهم كم تنكيل
ولم أسلط بتهويس التحوت سوى * (على ذوي الكبر والتجبيح في القيل)

(وقال ابن الأصبغ) يهجو فقيها ذا أبنة وقد أحسن في التكنية عنه وهو من الهجاء في صورة المدح

ابن فلان أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد في درسه
يستحسن البحث على وجهه * ويوجب الفعل على نفسه

وقولي في الأبيات السابقة * بوصفي أبي جهل ويحي بن أكثم * أبو جهل لعنه الله كان يرمى بالأبنة *روي عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه أنه كان يوما يلعب بين يدي أبيه العاصي بن وائل وهو صبي فتخاصم العاصي وأبو جهل فأفحش على العاصي فأعرض عنه فقال له ابنه عمرو ولم لاتجيبه ياأبت فقال وبم أجيبه يابني فقال تقول له

اذا كنت يومك ذا عاجزا * مهينا فأنت غدا أعجز
ولو كنت تعقل ألهاك عن * وعيدك لي مابه تنبز

فطرب العاصي به سرورا وقال أنت ابني حقا وعنى بقوله مابه تنبز ما كان يرمى به أبو جهل من الابنة وروي أنه كانت له خشبة متخذة لذلك قبحه الله وقد قالوا ان هذا الداء لايسلطه الله والعياذ بالله إلا على الجبابرة وانظر حقيقته في تذكرة الانطاكي * وأما يحي بن أكثم بالثاء المثلثة لانه من ذرية أكثم بن صيفي حكيم العرب فكان يحي المذكور رحمه الله تعالى عالما بالفقه بصيرا بالأحكام جامعا لفنون العلم والأدب ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي وقال طلحة بن محمد في حقه انه أحد أعلام الدنيا وترجمته طويلة حفيلة قال في سنا المهتدي ولم يكن فيه مايعاب سوى ما كان يتهم به من فعل كذا المشهور به الشائع عنه والله أعلم بحاله ويعني بما كني عنه محبة الغلمان * حكى أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني أن المأمون لما تواتر عنده مايرمى به القاضي يحي بن أكثم أراد امتحانه واختباره فدعا بمملوك في نهاية الجمال وأخلى مجلسه ودعا بيحي فجلسوا ثلاثتهم فتحدثوا ساعة ثم خرج المأمون كأنه يقضي حاجته وكان

قد أسرّ للغلام انه اذا خرج يقف أمام يحيى ولا ينصرف وكان أسرّ له مع ذلك أن يعبث بيحيى علمًا منه أن يحيى لا يتجاسر على الغلام خوفًا من المأمون فوقف المأمون خلف الستر يتجسس عليهما فلما عبث به قال يحيى (لولا أنتم لكنا مؤمنين) فسمعه المأمون يقول ذلك فتحقق حينئذ ودخل وهو ينشد

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح حالها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

وهذان البيتان لابي حكيمة راشد بن اسحق بن راشد الكاتب اهـ وكان مرّ بي في بعض كتب الادب أن يحيى كان مشاركا في العلوم كلها وكان اذا جالس نحويا باحثه في الفقه فيعجزه أو فقيها يسأله عن النحو ليعجزه وهكذا فاجتمع يوما مع عالم لا يدري في علم الحديث فقال له كعادته أتحفظ شيأ من علم الحديث قال نعم حدثني فلان عن فلان عن علي بن أبي طالب أنه رجم لوطيا فكأنما ألقمه حجرا * وقال ابن بدرون في كمامة الزهر وابن عبد ربه في العقد الفريد حكى انه تنبأ رجل على عهد المأمون فذهب اليه المأمون ليلة والقاضي يحيى بن أكثم وقد غيرا من هيئتهما فدقا داره فخرج حاجبه فقال ما حاجتكما قالا جئنا لنؤمن بالنبي ونسلم على يديه فاستأذن عليهما فأذن لهما فدخلا فجلس المأمون عن يمينه والقاضي يحيى ابن أكثم عن يساره فقال له المأمون أيوحى اليك قال نعم فقال نوما أو يقظة وعلى لسان الملك أو بالالهام فقال كل ذلك يكون وهذا جبريل قد خرج من عندي الساعة فقال المأمون وهل أوحي اليك بشئ قال نعم قال فماذا قال قال أوحى الي أن رجلين يدخلان عليك الساعة فيجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذي يجلس عن يسارك ألوط خلق الله فخرجا من عنده والمأمون يقول أشهد أنه رسول الله (ويحكى) أنه مازح الحسن بن وهب وكان جميلا فغضب فقال يحيى

أيا قمرا جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا

اذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا يا سيدي متنقبا

ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا

فتقتل مسكينا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

وقيل سبب هذه الابيات منه غير هذا (وذكر الخطيب البغدادي) أن المأمون قال ليحيى يوما من الذي يقول

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال يا أمير المؤمنين يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الامة وال من آل عباس

قال فأفحم المأمون وخجل وقال ينبغي أن ينفى ابن أبي نعيم الى السند وهذان البيتان من أبيات انظرها في سنا المهتدي وقال فيه بعد ما نقل جل ما قدمناه قلت وأنا أستغفر الله عز وجل من كتبي كل ما ثلب به عرض هذا الامام الجليل والعالم الكبير وأعتقد براءته من جميع ذلك وانه مكذوب عليه من حساده أو ان صح ولا بد فانما كان يفعل ذلك تظرفا ومزاحا فقد ردّ العلامة عبد الرحمن بن خلدون ذلك كله وبرّأه من جميع ما رمي به وأنكر على من ينقله عنه وشنع وروى نحوه عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وكفى به فقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه ذكر لاحمد بن حنبل ما يرمي الناس به يحيى بن أكثم فقال سبحان الله من يقول هذا وأنكر ذلك انكارا شديدا * وذكر القشيري في رسالته أن أبا عبد الله حسين بن عبد الله بن سعيد قال كان القاضي يحيى بن أكثم صديقا لي فلما مات اشتهيت أن أراه في النوم فأقول له ما فعل الله بك فرأيته ليلة فسألته فقال غفر لي ولكنه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت عليّ في دار الدنيا فقلت رب اني اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن

أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قلت اني لأستحي أن أعذب ذا شيبة في الاسلام بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبي الا أنك خلطت علي في دار الدنيا اه وعاش يحيى الى أيام المتوكل فعزله عن القضاء وأمر بقبض أملاكه فلما وصل الى الربذة قرية من قرى المدينة وبها قبر الصحابي أبي ذر توفي أي يحيى بها يوم الجمعة منتصف ذي الحجة سنة اثنين وأربعين ومائتين رحمه الله اه ونص ابن خلدون بعد أن ذكر ان المؤرخين تواطؤا على أمور وهي مكذوبة ما نصه ومنها ما ذكروه عن القاضي يحيى بن أكثم من شرب الخمر وفعل كذا وكذا وينشدون على لسانه أشعارا وذلك كذب فقد وثق يحيى الامام أحمد بن حنبل واسمعيل القاضي وابن حبان وأخرج له البخاري في غير الصحيح والترمذي في الجامع ونسبوا الى الكذب جميع ما رمي به اه نقله صاحب سنا المهتدي أواخر الكتاب بغير المحل السابق ورُمي رحمه الله أيضا بسرقة الحديث قال الحافظ ابن حجر ولم يقع ذلك له وانما كان يرى الرواية بالاجازة والوجادة اه والحكايات عنه رحمه الله فيما ينسب له وفي غيره كثيرة يكفي هذا القدر هنا تمليحا وتجميما ثم قال الناظم رحمه الله

١٥٢ ﴿ولا تبعْ منها وربَّك اتق * فبيعُها عند الأفاضل اتُّقي﴾

حق هذا البيت التأخير لآخر الباب لان ما بعده مرتبط بما قبله كما لا يخفى قوله ولا تبع الواو للعطف ولا ناهية وتبع مجزوم بها وفاعله ضمير المخاطب ومنها متعلق بتبع والضمير المجرور بمن عائد على الرتبة ومن للتبعيض ويحتمل كونها بيانية وقوله وربك مفعول مقدم باتق وهو فعل أمر مبني على حذف الياء والجملة معترضة بين الجملتين المكتنفتين لها أتى بها تحريضا على التقوى لجميع المنهيات التي منها بيع الرتبة وقوله فبيعها الفاء للتعليل وما بعدها علة للنهي وبيعها مبتدأ مضاف لضمير الرتبة واتقي فعل ماض مبني للمجهول والضمير المستتر فيه عائد على بيعها ومعنى اتقي حذر واجتنب وعند ظرف معمول لقوله اتقي وهو ظرف مكان للحضور المعنوي مثلها في قوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب وعينها مثلثة والاكثر كسرها وعند مضاف للافاضل جمع فاضل ﴿والمعنى﴾ لا تبع أيها الطالب من الرتبة شيأ لأن بيعها مجتنب عند الأفاضل فاتق الله في بيعها ولا تفعله فظاهر كلامه أو صريحه ان بيعها أو بيع بعضها ممنوع وهو كذلك اذا كان معطيها يقصد انتفاع الطالب بعينها بأن يأكلها بحيث انه لو علم انه يبيعها لم يعطها له وهذا هو الغالب من مقاصد الناس والحكم منوط بالغالب وأما اذا علم معطيها بان آخذها يبيعها او ينتفع بثمنها أولا يعلم ذلك لكنه يعرف من حاله انه اذا اطلع عليه لا يكرهه فلا بأس حينئذ ببيعها ومثل بيعها في التفصيل المتقدم أخذ أكثر من رتبة من اناس متعددين مع حصول الكفاية بالواحدة وقد آل الأمر في هذه الأزمنة ببعض الطلبة الى أنهم يأتون من بلادهم فقراء ملتصقين بالتراب فيسعون في تحصيل مرتبات عديدة من أهل البلد وربما يحصل للواحد منهم عشرون رتبة فيرتب من يشتريها منه كل يوم فلا تمر عليهم أيام حتى يستغنوا او يترفهوا او يتجبروا ولا يخفى أن من هذا حاله لم يرد تحصيل العلم بل قصده تحصيل الدنيا بشبكة التصنع بتطلب العلم فهو من البائع للدين بالدنيا وقد رأينا في زماننا من هذا حاله فلم ينفعه الله بالعلم ولا حصل شيأ منه وابتلاه الله في دينه بالخروج عن سنن المهتدين حتى صار يقدح في أشياخه الذين قرأ عليهم ويصرح بأنه أفضل منهم واذا لقيهم في طريق يعرض عنهم اعراض المعجب المختال فعاقبه الله بالذل والصغار نسأل الله الهداية والتوفيق الى أقوم طريق ﴿وقد سئلت﴾ عن حكم بيع خبزة المدرسة المحبسة على طلبة العلم فان الطلبة يبيعونها او ينتفعون بثمنها فهل يسوغ ذلك أم لا والحال أن بعض فقهاء الوقت أفتاهم بحرمة ذلك ﴿فأجبت﴾ بأنه ينظر في لفظ المحبس لذلك فان عبر بالانتفاع فلا شك في جواز البيع وان عبر بالأكل من

كبيع السعير الغدار

البائعين

غير

غير شرط للحصر فيه فينظر حينئذ للمقاصد لا للألفاظ كما قال في العمل ﴿ورُوعي المقصود في الأحباس﴾ لا اللفظ الخ وان حصر في الأكل ومنع البيع أو قامت قرينة من كلامه على ذلك فالظاهر منع البيع حينئذ وربما يشملها قول الناظم ولا تبع الخ ﴿ومن جواب﴾ لسيدي سعيد العقباني مذكور في نوازل الأحباس من المعيار وقد قدمناه بنصه أن الطلبة أن يتصرفوا في المرتب عاشوا أو بعد أن يستحقوه ويدخل في ملكهم اه وغير خفي أن هذا اذا لم ينص المحبس على خصوص الأكل منها دون البيع مثلا والله تعالى أعلم ثم قال الناظم

103 ﴿ثمّ اذا وَصَلْتَ بابَ الدارِ * فانقُرْ كنقْرِ الدِّيكِ ياذا القاري﴾

ثم للعطف مع الترتيب واذا اسم فيه معنى الشرط ووصلت فعل الشرط والتاء ضمير المخاطب فاعل الفعل وباب مفعوله والدار مضاف اليه باب وجملة وصلت باب الدار في محل جر باضافة اذا اليها وقوله فانقر الفاء رابطة الجواب بالشرط والكاف في كنقر اسم بمعنى مثل أو حرف تشبيه متعلقة بمحذوف نعت لمصدر محذوف والتقدير فانقر نقرا كائنا كنقر الديك والتشبيه في الخفة وعدم العنف والديك مضاف اليه نقر وجملة الشرط والجواب معطوفة بثم على قوله سابقا ﴿وسر اليها باختفاء ليلا﴾ الخ والديك معروف وهو ذكر الدجاج ويسمى الانيس ويقال له الزاقية والجمع زواقي من زقى الطير اذا صاح وفي المثل أثقل من الزواقي قال حمزة ان محمد بن قتيبة أو ابن قدامة سأل الفراء عن علة استثقالهم للزواقي حتى ضربوا بها المثل في الثقل فلم يعرفها فقال جليس ان العرب كانت تسمر بالليل فاذا صاحت الديوك تفرقوا فكانوا يستثقلونها لاعلامها بالصبح القاطع للذة السمر فاستحسن الفراء قوله ﴿ومن خصال الديك الحميدة﴾ انه يسوي بين دجاجه ولا يوثر ٣ واحدة على واحدة الا نادرا وأعظم ما فيه من العجائب معرفة الاوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطا لا يكاد يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك وقد أفتى جمع من الشافعية بجواز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات وقد قالوا ان من خواص الديك الأبيض الأفرق أن يحفظ الدار التي هو فيها وزعموا أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض لم يزل ينكب في أهله وماله وفي الحديث الديك الابيض خليلي وفي رواية الديك الابيض صديقي وعدو الشيطان يحرس صاحبه وسبع دور خلفه قال الكمال الدميري واسناده لا يثبت * وما ألطف قول عبد السلام الملقب بديك الجن يرثي ديكا لأبي عمرو عمير بن جعفر كان له عنده مدة فذبحه وعمل عليه دعوة وبهذه الأبيات لقب ديك الجن

دعانا أبو عمرو عميرُ بن جعفر * على لحم ديك دعوة بعد موعد
فقدّم ديكا عدّده رأمد مُلجا * مُبرنس أبيات مؤذّن مسجد
يحدّثنا عن قوم هود وصالح * وأغرب ما لاقاه عمرو بن مرثد
وقال لقد سبحت دهرا مهللا * وأسهرت بالتأذين أعين هجّد
أيذبح بين المسلمين مؤذن * مقيم على دين النبي محمد
فقلت له يا ديك انك صادق * وانك فيما قلت غير مفنّد
ولا ذنب للأضياف أن نالك الردى * فان المنايا للديوك بمرصد

﴿فائدة﴾ ديك الجن هذا واسمه عبد السلام كما علمت هو أحد الشعراء الذين نطقوا بألفاظ في كلامهم فلقبوا بها ﴿ومنهم عائد الكلب﴾ واسمه عبد الله بن مصعب كان واليا على المدينة للرشيد لقب بذلك لقوله

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

﴿ومنهم صريع الغواني﴾ واسمه مسلم بن الوليد الانصاري عصري أبي نواس ولقب بذلك لقوله

٣ بلا همز على الواو وقول الناس في مثل هذا يؤثر بالهمز وتشديد الثاء لحن قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم اه مؤلفه

سأنقاد للذات متبع الهوى * لأمضي هما أو أصيب فتى مثلي
هل العيش الا أن تروح مع الصبا * صريع حميا الكاس والأعين النجل
(وقال القطامي فيه)
صريع غوان راقهن ورقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

﴿ومنهم المتلمس﴾ واسمه جرير بن عبد المسيح ولقب بذلك لقوله
وذاك أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والأزرق المتلمس

وهو صاحب الصحيفة وقضيته معروفة في كتب الأدب ﴿ومنهم الحيص بيص﴾ واسمه سعيد بن محمد ويكنى أبا الفوارس ويعرف بابن الصيفي وسبب تلقيبه بذلك انه رأى الناس يوما في حركة من عجة وأمر شديد فقال ما للناس في حيص بيص فلقب به من يومئذ ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط ﴿ومنهم الممزق﴾ واسمه شاس بن نهار لقب به لقوله لعمرو بن هند
فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما أمزق

قال في العمدة وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتبها يوم حصاره الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ومنهم مسكين الدارمي﴾ واسمه ربيعة من ولد عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله ابن دارم ولقب بمسكين لقوله
أنا مسكين لمن أبصرني * ولمن حاورني جد نطق
(وبقي عليه هذا اللقب حتى قال)
وسميت مسكينا ومابي حاجة * اليهم ولكني الى الله راغب
واني امرؤ لا أسأل الناس مالهم * بشعري ولا تعيي علي المكاسب

﴿ومنهم جران العود﴾ والجران الجلد والعود بالفتح المسن من الابل وكان اتخذ من جلد العود سوطا يضرب به زوجتيه فقال لهما يوما وقد نشزتا عنه
عمدت لعود فالتحيت جرانه * وللكيس خير في الامور وأنجح
خذا حذرا يا جارتي فانني * رأيت جران العود قد كاد يصلح

فلقب به ﴿ومنهم ذو الرمة﴾ بضم الراء فان اسمه غيلان بن عقبة ولقب بذلك لقوله يصف وتدا
وغير موضوح القفا موتود * أشعث باقي رمة التقليد

وقيل لغير هذا ﴿ومنهم النابغة الذبياني﴾ فان اسمه زياد بن عمرو ولقب بالنابغة لقوله
*فقد نبغت لنا منهم شؤن * بخلاف النابغة الجعدي فليس من هذا القبيل لانه انما لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر بعد أن بعن سنة أي ظهوره به ﴿ومنهم ذو العيال﴾ واسمه عروة بن الورد وهو المعروف بعروة الصعاليك أي الفقراء لانه كان يجمعهم وينفق عليهم وسمي بذي العيال لقوله
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

﴿ومنهم الحطيئة﴾ واسمه جرول وسبب تلقيبه بذلك أنه ضرط يوما بحضر الناس فضحكوا منه وقالوا ماهذا فقال حطيئة فلقب بها والحطيئة تصغير حطئة وهي الضرطة ﴿ومنهم طباطبا﴾ وهو كما في القاموس اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي لقب به لانه كان يبدل القاف طاء ولانه أعطي قباء فقال طبا طبا يريد قبا قبا هذا ما وقفت عليه منهم الآن ومن وجد غيرهم فليحفظه وليلحقه بالطرة وينسبه لنفسه فلست مدعيا الاحاطة فقد ذكر العلامة الاديب سيدي علي مصباح في سنا المهتدي

منهم

منهم ماسوى ديك الجن والحطيئة وطباطبا فاستمدوا كثيرهم عليه والله أعلم (وألطف من قول ديك الجن) قول ابن معمعة الحمصي في ديك له يخاطب أميرو قته

يا ابن أقيال وائل والكرام الصيد من تغلب قروم القروم
والأمير الذى عليه أمارا * ت المعالى من حادث وقديم
قد مدحت الأمير بالأمس منثو* را وجئت الغداة بالمنظوم
فاستمع قصتي وفرج بإحسا * نك ما بي من طارقات الهموم
لي ديك حضنته وهو في البيـ * ـضة من منصب كريم الخيم
ثم ربيته كتربية الطفـ * ـل رضيعا وعند حال الفطيم
يأكل الشئ عندما شاء من ما * لي أكل الولي مال اليتيم
هو عندي بصورة الولد البر وفي صورة الصديق الحميم
أبيض اللون أفرق العرف نظما * ربعين كأنها عين ريم
وعلى نحره وشاحان من شذ * ر بديع ولؤلؤ منظوم
رافع راية من الذنب المشـ * ـرق يسعى بها كسعي الظليم
وإذا ما مشى تبختر مشي الـ * ـطرب المنتشي من الخرطوم
وسم الأرض وسم طين كتاب * بخواتيم كاتب مختوم
وله خنجران من قصب السا * ق بز قدركبا لحفظ الحريم
وعليه من ريشه طيلسان * صيغ من صبغة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حـ * ـرص له بالجلال والتعظيم
يتجاوبن بالصياح مشيرا * ت إليه في ذاك بالتسليم
وإذا ما رأيته بين خمس * من دجاجاته كبار الجسوم
قلت ملك يخدمنه فتيات * يتهادين بين زنج وروم
وترى عرفه فتحسبه التا * ج على رأس كسروي كريم
ثاقب العلم بالمواقيت ليلا * ونهارا وحاذق بالنجوم
ويحث الجيران حولى على البر كحث المدير كأس النديم
وله أيها الأمير على الـ * ـعهد في سالف الزمان القديم
انه آمن من الشر عندي * غير يوم المشيئة المحتوم
وقد احتجت أن أضحي في العيـ * ـد به حاجة الأديب العديم
وبناتى يقلن يا أبتانا * أنت في ذاك بين عذر ولوم ٣
وتراهن حوله يتباكيـ * ـن بدمع لفقده مسجوم
وعزيز سؤالك قد يفتديه * فافده سيدي بذبح عظيم
تبق في ذاك سنة لك يبقى * ذكرها ذكر كبش ابراهيم

(ولأبي الفضل الميكالي) وقد اجتمع بحبيب له فلما كان السحر صرخ الديك فقام محبوبه وقال أصبحنا وخرج فقال يهجو الديك

قام بلا عقل ولا دين * يخلط تصفيقا بتأذين
فنبه الأحباب من نومهم * ليخرجوا من غير ما حين
كأنما غص بما حلقه * أغصه الله بسكين

٣ مخففا لوم بالهمز مؤلفه

(وفي بعض طبقات النحويين) في ترجمة الحكيم محمد بن اسمعيل النحوي الكبير قال بات محمد بن يحيى القلفاط عنده ليلة فسمرا صدر ليلتهما ثم ناما بقيتها حتى ابتلج النهار وكانت الشمس عازمة على الطلوع فانتبه القلفاط وقال للحكيم

يا ديك مالك لم تصرخ تنبهنا * لقد أسأت لنا ديك الدجاجات
يا آكلا للأذى يا سالحا عبثا * على الحصير بحيى البهيمات

(فقال الحكيم يجيبه)

لقد صرخت مرارا جمة عددا * قبل الصباح وبعد الصبح تارات
لكن وجدتك رقادا أخا كسل * قليل ذكر لجبار السموات

(ومن النوادر) ما حكى عن سهل بن هرون بن راهويه وكان في خدمة المأمون وكان حكيما فصيحا شاعرا فارسي الاصل شيعي المذهب شديد التعصب على العرب وله مصنفات عديدة في الأدب وغيره وكان الجاحظ يصف براعته وحكمته وشجاعته في كتبه وكان اليه النهاية في البخل وله فيه حكايات عجيبة فمن ذلك ما حكاه دعبل قال كنا عنده يوما فأطلنا القعود حتى كدنا نموت جوعا ثم قال ويحك يا غلام غدنا فأتاه بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأمله فقال أين الرأس يا غلام قال رميت به فقال اني والله أمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ولو لم يكن فيما فعلت الا الطيرة والفأل لكرهته أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصرخ الديك ولولاه ما أريد وفيه عرفه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكليتين ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه وهب أنك ظننت انك لست تأكله أوليس العيال كانوا يأكلونه فان كان قد بلغ من نبلك انك لا تأكله فعندنا من يأكله أوما علمت انه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق انظر لي أين هو فقال الغلام والله لا أدري أين هو ولا أين رميت به فقال رميته في بطنك قاتلك الله (وقد أرسل لي بعض الأدباء من أصحابنا لغزا في الديك وهو)

أيا فاضلا ما زال للنبل منصفا * بكشف عويص ضاق عن كشفه الوسع
أجبنا فما ذو رتبة أحرف اسمه * ثلاث وفيه للورى الخير والنفع
يحث على حفظ الديانة دائما * ولم يأت محرابا ولكن له يدعو
ويخضع للمولى ولم يرساجدا * له الجود والإيثار مع أهله طبع
أخو نخوة لا يرتضي لطعامه * شعيرا ولكن منتهى سؤله الزرع
ويخفض للجاني عليه جناحه * نفور عن المخلوق يحزنه الجمع
اذا ما عكسنا إسمه فهو ظاهر * يدل على شر يحق له الدفع

وكان إرساله لهذا اللغز إثر هفوة صدرت منه في جانبي فلذلك أظهرت له بعض الغلظة في الجواب اذ قلت

أيا شاعرا قد جاء في نظمه يدعو * الى حل لغز راق من لطفه السمع
رويدك فالشعر قد سقطت به على * خبير شتات العلم في ذهنه جمع
واذ كان آل البيت للفضل والنهى * وكل خصال الخير أهلا فلا بدع
فدونك اذ أملت علما من اهله * وذا الفخر حق يقتضيه لنا الشرع
حروف ثلاث في الذي قد نويته * أتى باعتلال بان في قلبه الوضع
واذ جاء نافيه حديث مضعف * خليل رسول الله منه بدا نوع
فقد بان فيه الخير في كل حالة * ولكنه ان مات يعظم به النفع
يبين للعباد وقت عبادة * ولكن لهم في قتله أبدا جشع

ولم يأت مجراباوان جاء غفلة * أصابه فور امنهم والكف والدفع
تسبح للمولى على طول ليله * تمل الكرى لا يستقيم له الصبح
يجود اذا زوجته بحليلة * وان تلقه بالفضل حق له المنع
يحوم على الحب المبدد دائما * ومن أعظم المأمول فى طعمه الزرع
نفور عن الانسان يعلم انه * ينال منه القتل والحتف والقطع
ويخفض للجانى عليه جناحه * اذا ناله من كيده الخنق والصرع
وفى عكسه قد بان فعلك ظاهرا * فكن منصفا فالحمد يتبعه القمع
فهذا جوابى عن سؤال بعثته * تقول لناقد ضاق عن كشفه الوسع
ولولا اشتغالى بالعلوم وجمعها * لجاءك فى أوصافه الجمع والمنع
ولكن هذا النزر جاء بديهة * فبان له فى قلب أهل النهى وقع

وكأن لغزه فيه من وصف الشهاب المنصورى له بقوله

وديك له عين يروق صفاؤها * وصوت رخيم فى الأذان مديد
عليه من الحلى المديح حلة * بتاج نضار ليس فيه عقود
جواد على أحبابه متكرم * يميل الى خفض الجناح ودود
وخطرته دلت على خيلائه * ومهماز ناعند القتال حديد
وفى رأسه عرف وليس بعارف * وفى قلبه كيد وليس بكيد

بعده: ومهمازه

وقول الناظم ياذا القارى تكميل للبيت فيا حرف نداء وذا اسم اشارة منادى والقارى بدل من ذا أو عطف بيان عليه وأصله القارئ بالهمز فأبدل ياء من جنس حركة ما قبله وهذا الابدال على نوعين قياسى وذلك فيما اذا كان الهمز مسكنا وشاذ وذلك فيما اذا كان محركا فان كان الابدال فى النظم قبل الوقف على القارئ فالابدال شاذ والا فقياسى وهو الأقرب حيث ان اللفظ وقع آخر البيت وهو محل الوقف ﴿والمعنى﴾ اذا وصلت أيها الطالب لباب الدار التى تأخذ منها الرتبة فانقرها نقرا خفيفا لطيفا كنقر الديك ولا تقرعها بعنف لان ذلك يفزع أهل الدار مع ما فيه من منافاة السكينة والوقار ثم قال الناظم

١٠٤ ﴿وقل بصوت خاشع ذليل * طالبكم جاء الى المأكول﴾

الواو للعطف وقل فعل أمر فاعله ضمير المخاطب وبصوت متعلق به وخاشع نعت لصوت وذليل نعت له أيضا واسناد الذلة والخشوع للصوت مجازى لان الخاشع والذليل حقيقة هو صاحبه والجملة معطوفة على قوله فى البيت قبله فانقر وقوله طالبكم مبتدأ ومضاف اليه وجاء فعل ماض فاعله ضمير مستتر عائد على طالب والى المأكول متعلق بجاء والجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدا وجملة المبتدا والخبر فى محل نصب محكية بقل ﴿والمعنى﴾ اذا وصلت أيها الطالب الى باب الدار ونقرت نقرا خفيفا فقل بخشوع وذلة طالبكم جاء الى المأكول أو نحو وهذا من القول المعلم بالجائى كقولك الفقيه أو الطالب أو ما جرت به العادة منك فى ذلك والمراد بالخشوع والذلة لازمهما وهو خفض الصوت بالكلام وعدم رفعه ثم قال الناظم

١٠٥ ﴿ثمت لا تنتظر لمن بها أتى * وغض طرفك وكن مثبتا﴾

ثم للعطف والترتيب اللفظى والتاء اللاحقة لها لتأنيث اللفظ وهى مفتوحة وقد تسكن بقلة ولا ناهية وتنتظر مضارع مجزوم بها ولمن متعلق بتنتظر ومن موصولة وأتى صلتها والضمير فى أتى عائد على من وبها متعلق بأتى والضمير المجرور بالباء عائد على الرتبة والجملة معطوفة بثم على الجملة قبلها وقد سلك الناظم هنا

طريق الصواب في عطفه بها جملة على جملة وقوله وغض الخ الواو للعطف وغض فعل أمر من غض طرفه يغضه من باب قتل أي كفه وطرفك أي بصرك مفعول بغض وهو مضاف لكاف المخاطب وفي القاموس الطرف العين لا يجمع لانه في الاصل مصدر أو اسم جامع للبصر لا يثنى ولا يجمع وقيل أطراف اه قال العلامة ابن الطيب على قوله لا يجمع قلت ظاهره بل صريحه انه لا يجوز جمعه وليس كذلك بل مرادهم أنه لا يجمع وجوبا كما في حاشية البغدادي على شرح بانت سعاد وبعد خروجه عن المصدرية وصيرورته اسما من الاسماء لا يعتبر حكم المصدرية فيه لاسيما ولم يقصد به الوصف بل جعله اسما كما هو ظاهر اه (ولبعضهم ملغزا في العين)

ورافعة بلا نصب جناحا * تفوق الطائرات ولا تطير
اذا ما مسها الجراط مأنت * وتألم أن يلامسها الحرير

والجملة من قوله وغض معطوفة على الجملة قبلها وقوله وكن مستثبتا جملة كن واسمها وخبرها معطوفة على ماقبلها والسين والتاء في مستثبتا زائدتان للتأكيد أو هما للطلب أي اطلب من نفسك الثبات وجاهدها عليه ﴿والمعنى﴾ لا تنظر أيها الطالب ان خرج لك بالرتبة في باب الدار من أمة أو امرأة وكف طرفك عن النظر اليه وكن ثابت القلب لا يغوينك الشيطان فكف الطرف عن المحرمات واجب قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) وفي الحديث العينان تزنيان زناهما النظر رواه مسلم وغيره *وروى الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا عن الله عز وجل قال النظر سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتي أبدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه *وروى الامام أحمد مرفوعا ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه قال البيهقي والمراد أن يقع بصره على المرأة من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا الا أنه يقصد النظر اليها أولا *وروى الاصبهاني مرفوعا كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله *وفي رواية للطبراني مرفوعا ثلاثة لا ترى أعينهم النار فذكر منهم وعين كفت عن محارم الله *ووقع الإجماع على ان النظر أعظم الجوارح آفة على القلب وأسرع الامور في خراب الدين والدنيا ومن كلام الحكماء من أرسل طرفه اقتنص حتفه، ومن كثرت لحظاته، دامت حسراته، ولبعضهم وهما من أبيات الحماسة

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ولهذين البيتين حكاية ظريفة حكى الاصمعي قال كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون جاءت جاءت فنظرت فاذا جارية وردت الماء ما رأى الراؤن مثلها فلما رأت الحاح الناس اليها أرسلت برقعها كأنه غمامة غطت شمسا فقلت لها لم تمنعين الناس من النظر الى هذا الوجه الحسن فقالت: وكنت اذا أرسلت الخ فنظر اليها اعرابي فقال أنا والله ممن ولى صبره وأنشد:

أوحشية العينين أين لك الأهل * أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
وأية أرض أخرجتك فانني * أراك من الفردوس أنشأك الأصل
أم البدر أنشاك المنير فان يكن * لبدر الدجا نسل فأنت له نسل
حسنت فأما الوجه منك فمشرق * وعينان كحلاوان زينها الكحل
فخبرني ما طعمت وما الذي * شربت ومن أين استقر بك الرحل
فان علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل

﴿رجع﴾ وللإمام الشافعي رضي الله عنه

خذوا بدمي ان مت كل خريدة * مريضة جفن العين والطرف فاتر

لقد ما يا ناظري بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد

أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(ولآخر)

نظر العيون الى العيون هو الذي * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا

فمن ثبت فؤاده عند المحرمات، وكف طرفه عن المحظورات، فهو الشجاع حقيقة كما قيل

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته * يوم الزحام ونار الحرب تشتعل

بل الذي غض طرفا أو ثنى قدما * عن الحرام ذاك الفارس البطل

(وقال رجل للجنيد) بم أستعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه اه ولا يخفى ان النهي في قول الناظم لا تنظر للتحريم قطعا حيث قصد بالنظر لذة فان لم تقصد فلا يحرم ولو لغير ضرورة قيل مطلقا وهو ظاهر كلام ابن محرز وجعله الشيخ علي الأجهوري المشهور من المذهب ونقله المواق عن أبي عمر وقيل مالم يكن بالعينين كحل وباليدين خاتم أوسوار حكاه ابن العربي في الأحكام ونقله ابن غازي في تكميل التقييد لكن ظاهر الرسالة المنع مطلقا قصدت لذة أم لا الا لعذر من شهادة على المرأة ونحوها كالخاطب والطبيب فيجوز ولو كان في العورة بالنسبة الى الطبيب لا الى الخاطب على المشهور المعروف، وأجاز داود نظر الخاطب الى جميع بدن المخطوبة ومال اليه ابن بطال لكن رده عياض كما نقله الابي في شرح مسلم والله أعلم ثم قال الناظم

106 ﴿وارجع كما جئت أخا احتقار * بل ذا سكينة وذا وقار﴾

الواو للعطف وارجع فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والكاف في كما اسم بمعنى مثل وهي نعت لمصدر محذوف أي ارجع رجوعا مثل الخ وما مصدرية وجئت فعل وفاعل والفعل مسبوك بما المصدرية وأخا أي صاحب منصوب على الحال من فاعل ارجع واحتقارا أي ذلة مضاف اليه أخا وبل حرف عطف واضراب وذا بمعنى صاحب معطوف على أخا وسكينة مضاف اليه ذا وذا وقار معطوف على قوله ذا سكينة ولما كان مراده بالاحتقار غير معناه اللغوي الذي هو الذلة والمهانة أضرب عنه الى المراد الذي هو السكينة والوقار ﴿والمعنى﴾ اذا أخذت أيها الطالب الرتبة فارجع رجوعا مثل مجيئك بسكينة ووقار ثم قال

107 ﴿وهكذا يكون دأبا عملك * على الدوام لا يخيب أملك﴾

الواو للاستئناف وها حرف تنبيه والكاف حرف جر وتشبيه وذا اسم اشارة لما تقدم من قوله *وسر اليها باحتفاء ليلا* الى ما هنا والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر يكون مقدم عليها و يكون مضارع كان الناقصة وعملك اسمها ودأبا أي عادة وشأنا منصوب على الحال من عملك ويحتمل أن يكون قوله دأبا خبر يكون وكذا متعلق بمحذوف حال من عملك والاول أقرب وعلى الدوام متعلق بيكون وفي قوله على الدوام زيادة فائدة على قوله دأبا لان الدأب العادة وهي تتقرر بالتكرر ولا يلزم من ذلك الملازمة على الدوام وقوله لا يخيب أملك جملة خبرية لفظا طلبية معنى كمل بها البيت فلا نافية ويخيب مضارع مرفوع وأملك أي قصدك فاعل يخيب وكاف الخطاب مضاف اليها أمل ﴿والمعنى﴾ لتكن أيها الطالب هذه الآداب التي ذكرت لك في أخذ الرتبة دأبك وعادتك على الدوام ولا تتخلف عنها على ممر الشهور والأعوام ونرجو الله أن لا يخيب آمالنا وآمالك وأن يصلح حالنا وحالك فانه أكرم كريم وأرحم رحيم

﴿باب آداب كيفية القراءة﴾

تقدم اعراب نظير هذه الترجمة وكيفية الشئ صفته وصورته وياؤها مشددة لانها ياء النسب الى كيف

والكيفية لفظ مولد كما في شفاء الغليل للشهاب الخفاجي وحواشي القاموس لابن الطيب والقراءة مصدر قرأ أي هذا باب نذكر فيه آداب كيفية قراءة الطالب العلم على الأشياخ ﴿تنبيه﴾ لا ينبغي للطالب أن يستنكف من القراءة على أقرانه اذا حصلوا على العلم قبله فإن مقصوده هو التحصيل من أي شخص كان فاذا صار يتكبر على الأقران ويختبر لقراءته الكبار لمجرد كبر سنهم فان هذا لا يحصل على مراد وان طال منه الكد والاجتهاد وفي القراءة في المبدا على الصغار في السن فائدة لا توجد في غيرهم غالبا وهي القدرة على مباحثتهم وتكرار السؤال عليهم بخلاف الكبار فانه ربما يمنع الطالب من ذلك معهم هيبتهم وعلو منصبهم وهذا مشاهد بالعيان فارأينا من يتحاشى عن القراءة على الأقران الا وباء بالمنع والحرمان ﴿وفي المنن الكبرى للعارف بالله الشعراني﴾ ومما من الله تعالى به علي طيب نفسي بالقراءة على أحد من أقراني واظهاري أنني من طلبته بين أصحابي ظاهرا وباطنا وقد عد العارفون ذلك من أكبر علامات صحة رياضة النفس وانقيادها للخير والرعوناتها ولا أعرف الآن لهذا الخلق فاعلا الا القليل لانه آخر ما يخرج من نفوس الصديقين ، ومن هنا صار غالب الطلبة يرى نفسه أعلم من شيخه وربما قال ان شيخنا هذا هل ما بقي يؤخذ عنه علم فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين اهـ ﴿وفي الإحياء للإمام الغزالي رضي الله عنه﴾ ومن تكبر المتعلم على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار مفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان فلذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع اهـ المراد منه * وفي الحلية أن علي بن الحسين رضي الله عنه كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس اليه يعني للاخذ عنه فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه قال العلم يتبع حيث كان وممن كان ثم قال الناظم

108 ﴿نصابك المقروء فانظر واجتهد * وافهم وان تركت ذا لم تستفد﴾

نصابك مفعول مقدم بانظر والكاف ضمير المخاطب مضاف اليه ما قبله والنصاب يطلق لغة على معان منها نصاب المال أي قدره الذي اذا وصل اليه وجب فيه الزكاة ومنه والله أعلم أخذ نصاب القراءة لانه قدر ما يقرأ في اليوم من العلم المقروء فهو استعارة تصريحية شبه القدر من العلم بالقدر من المال بجامع النفاسة والشرف في كل ثم أطلقنا اسم المشبه به على المشبه أو يقال هو مجاز مرسل من استعمال النصاب الموضوع للقدر من المال في مطلق القدر من كل شئ ثم في القدر من العلم وعلى كلا الاحتمالين فقد صار حقيقة عرفية فلا يحتاج لقرينة وقوله المقروء نعت لنصاب وقوله فانظر فعل أمر والفاء الداخلة عليه زائدة واجتهد معطوف على انظر ومتعلقه محذوف أي واجتهد في النظر وقوله وافهم معطوف أيضا على انظر وقوله وان تركت الخ الواو للعطف وان حرف شرط وتركت فعل الشرط وفاعله وذا اسم اشارة مفعوله والاشارة لمعنى قوله انظر واجتهد وافهم وقوله لم تستفد جملة في محل جزم جواب الشرط وجملة الشرط والجواب معطوفة على الجملة قبلها ﴿والمعنى﴾ انظر أيها الطالب في نصابك الذي أردت أن تقرأه واجتهد في ذلك وافهم ما نظرت منه وان تركت النظر والاجتهاد فيه والفهم له لم تحصل على فائدة وأتى بقوله افهم بعد قوله انظر اشارة الى انه لا عبرة بالحفظ دون الفهم لأن من يحفظ ولا يفهم ما يحفظ كمثل الحمار يحمل أسفارا وانظر ما أتى لنا عند قوله * ولست أعني حفظك العبارة * والغالب ان من يغلب عليه الحفظ يقل منه الفهم والعكس بالعكس وقل من يتساوى فيه الأمران والعبرة بالفهم لا بالحفظ المجرد

عن

عن الفهم ﴿واعلم﴾ ان أجود الاوقات للمطالعة والفهم هو الليل وقد قيل أجود الاوقات للحفظ الاسحار ثم وسط النهار ثم بالغداة وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع وهذا مالم يشغله الجوع والا فالمطلوب التفرغ من الشواغل والبعد عنها ولهذا كان الحفظ في الغرف والخلوات أحسن منه في شوارع الطرق وبحضرة النبات والمياه وسائر الملهيات والحكماء يمدحون الليل والاشتغال فيه قال بعضهم لابنه يابني اجعل نظرك في العلم ليلا فان القلب في الصدر كالطير ينتشر بالنهار ويعود الى وكره في الليل فهو في الليل ساكن ما ألقيت اليه من شئ وعاه وقال بعضهم في الليل تجم الأذهان وتنقطع الأشغال ويصح النظر وتؤلف الحكمة وتدر الخواطر ويتسع مجال القلب والليل أخرى في مذهب الفكر وأخفى لعمل البر وأعون على صدقة السر وأصح لتلاوة الذكر وأرباب الامر يختارون الليل على النهار لرياضة النفوس وسياسة التقدير في دفع الملم وامضاء المهم وانشاء الكتب ونظم الشعر وتصحيح المعاني واظهار الحجج واصابة غرض الكلام وتقريبه للافهام اه ثم قال الناظم

١٠٩ ﴿وراجع النظر فيه ثانيا * وثالثا تبلغ مكانا عاليا﴾

الواو للعطف وراجع فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والنظر مفعوله وفيه متعلق براجع والضمير المجرور بفي عائد على النصاب المقروء وثانيا منصوب على الحال من النظر أو نعت لمصدر محذوف معمول للنظر أي راجع النظر فيه نظرا ثانيا وثالثا معطوف على ثانيا وقوله تبلغ مضارع مجزوم في جواب الامر ومكانا مفعوله وعاليا أي رفيعا نعت لمكانا ﴿والمعنى﴾ ردد أيها الطالب نظرك ثانيا وثالثا في نصابك الذي تريد أن تقرأه فبذلك تبلغ منزلة رفيعة من الفوز بالحفظ والفهم لأن الشئ مهما تكرر تقرر وبالحفظ الناشئ عن المراجعة يسهل الفهم بعون الله وليس المراد بقوله ثانيا وثالثا خصوص هذا العدد بل المراد كرره حتى يرسخ في ذهنك فان رسخ بمرة واحدة فلا تحتاج الى غيرها فرب شخص لا يحفظ الا مع الترديد مرات عديدة ورب آخر يحفظ بمجرد سماع أول مرة كما يحكى عن الخليفة أبي جعفر المنصور أنه كان يحفظ الشعر وان طال بسماعه أول مرة وله مملوك يحفظه بسماعه مرتين وجارية تحفظه بسماعه ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى كان يلقب بالدوانيقي لأنه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا قصده شاعر بقصيدة يقول له ان كانت محفوظة عندي فلا نعطيك عليها جائزة والا أعطيناك عليها زنة ماهي مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة ولو كانت ألف بيت ويقول للشاعر اسمعها مني وينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرؤها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التي خلف الستارة تحفظها أيضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها فيذهب سعي الشاعر باطلا وكان الاصمعي من جلساء الخليفة وندمائه فنظم أبياتا صعبة ذات ألفاظ غريبة وحشية وكتبها على قطعة من عمود رخام ولفها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته في صفة اعرابي غريب وضرب له لثاما ولم يظهر منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال اني امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة فقال ياأخا العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا أعطيناك زنة ماهي مكتوبة عليه فأنشدها الاصمعي انظرها ان شئت في إعلام الناس تركناها لثقلها على اللسان والسمع فلم يحفظها الامير لغرابتها فضلا عن المملوك والجارية فقال له ياأخا العرب هات الذي هي مكتوبة فيه فقال ياأمير المؤمنين اني لم أجد ورقا فكتبتها في قطعة عمود رخام كان عندي من عهد أبي فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه أعطاه وزنها ذهبا فلما أخذه وانصرف قال الامير يغلب على ظني ان هذا الاصمعي فأحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعي فتعجب منه ومن صنيعه فقال ياأمير

المؤمنين ان الشعراء فقراء وأصحاب عيال وأنت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك والجارية فاذا أعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم فلا بأس ومثل هذا كثير ممن رزقه الله سرعة الحفظ كالامام ابن الحداد روي أن خزانة من الكتب أحرقت فأملى من حفظه جميع ما فيها من مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه وأصول وكمحمد بن سيناء فقد لامه انسان على عدم حفظه للقرآن فحفظه كله في ليلة واحدة الا الفاتحة والمعوذتين كان يحفظها وأمثال هؤلاء كثير ثم قال الناظم

115 ﴿حتى اذا وقت القراءة قرب * حسّن وضوءك وخذ تلك الكتب﴾

حتى حرف ابتداء على مذهب الجمهور فيها حيث دخلت على اذا وقال الاخفش وغيره انها حينئذ جارة وما بعدها في موضع جر بها ومشى عليه ابن مالك لكن رده ابن هشام في المغني وصوب مذهب الجمهور واذا اسم مضمن معنى الشرطية ووقت فاعل بفعل محذوف يفسره قرب المذكور لان اذا خاصة بالدخول على الجمل الفعلية خلافا للاخفش في اجازته دخولها على المبتدا فهو من باب الاشتغال اذ الاشتغال كما يقع في المنصوب يقع في المرفوع كما في توضيح ابن هشام والقراءة مضاف اليه وقت وقرب فعل ماض مفسر للمحذوف وقوله حسن فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب ووضوءك بضم الواو اسم للفعل هو مفعول حسن وأما الوَضوء بالفتح فهو الماء المتوضأ به وكاف الخطاب مضاف اليه وضوء والجملة جواب اذا الشرطية على حذف الفاء للضرورة لكن الفاء هنا لازمة لكون الجواب طلبا ويحتمل أن تكون اذا ظرف زمان خالية عن معنى الشرطية معمولا لقوله حسن على حد قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وقوله واذا أصابهم البغي هم ينتصرون فاذا في الآيتين معمولة للفعل الواقع خبر الضمير وهذا الاحتمال أولى وأقرب ومعنى تحسين الوضوء إسباغه واتقانه وا كماله وقوله وخذ الواو للعطف وخذ فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب وتلك مفعوله والكتب جمع كتاب بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه والجملة معطوفة على الجملة قبلها ﴿والمعنى﴾ اذا قرب وقت القراءة أسبغ أيها الطالب الوضوء ان لم تكن متوضئا وخذ معك كتب القراءة وسر الى المسجد الى آخر ما يأتي وانما طلب بالوضوء لانه قاصد الى المسجد فيطالب بتحية المسجد وأيضا من آداب العلم أن يحضر في مجلسه على وضوء على انه يطلب من المرء دائما أن يكون على وضوء وان أحدث بادر اليه فان الوضوء سلاح المؤمن على الشيطان روى الطبراني مرفوعا (حافظوا على الوضوء وتحفظوا من الارض فانها أمكم وانها ليس أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة به) وروى ابن خزيمة في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بلال بم سبقتني الى الجنة انى دخلت البارحة الى الجنة فسمعت خشخشتك أمامي فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط الا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط الا توضأت عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا بلغت. ومعنى خشخشتك أمامي أى رأيتك مطرقا بين يدى كالمطرقين بين يدى ملوك الدنيا نقله في العهود عن ابن عربى قدس سره في (الفتوحات المكية) وفي العهود أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحافظ على دوام الوضوء وعلى تجديده لنكون مستعدين لقبول الواردات الالهية فان صدقته تعالى على عباده لا تنقطع لا ليلا ولا نهارا ومن كشف الله عن بصيرته وجد نفسه جالسا بين يدى الله عز وجل على الدوام وهذا أمر يتأكد فعله على أكابر الأولياء والصالحين لان معظم الواردات الالهية في العلوم الظاهرة والباطنة تنزل عليهم وقد أهمل ذلك كثير منهم اهـ وفي بعض الاحاديث القدسية يقول الله تعالى من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعاني فلم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف ثم قال الناظم

١١١ ﴿وسر الى المسجد واركع ركعتين * واجلس تجاه الشيخ ثاني الركبتين﴾

الواو للعطف وسر فعل أمر من سار اذا مشى ليلا والمراد هنا مطلق المشي من باب استعمال المقيد في المطلق وفاعل سر ضمير المخاطب والى المسجد متعلق به والمسجد في الاصل محل السجود ثم خص بالمحل الخاص واركع معطوف بالواو على سر من عطف الجمل وركعتين تثنية ركعة مفعول مطلق واجلس معطوف على اركع وتجاه محركة تاؤه بالحركات الثلاث ظرف مكان بمعنى مقابل وجهه وهو مضاف الى الشيخ وثاني منصوب على الحال بفتحة مقدرة على الياء منع من ظهورها السكون العارض لاجراء المنصوب مجرى المرفوع والمجرور لانه على لغة من يجري المنقوص في حالة النصب مجرى مرفوعه ومجروره وذلك لغة بعض العرب قال العلامة الأشموني (تنبيه) من العرب من يسكن الياء في النصب أيضا قال الشاعر ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

قال أبو العباس المبرد وهو من أحسن ضرورات الشعر لانه حمل حالة النصب على حالتي الرفع والجر اه فظاهر كلام الأشموني أن ذلك لغة تجوز في السعة وظاهر كلام المبرد الذي نقله ان ذلك ضرورة والاصح جوازه في السعة كما قال الصبان بدليل قراءة جعفر الصادق من أوسط ماتطعمون أهاليكم بسكون الياء اه وعلى هذا قول صاحب البردة * لما دعا الله داعينا الطاعته * وذلك كثير في شعر العرب ﴿فان قلت﴾ وعلى انه ضرورة فهل يجوز لغير العربي السليقي استعماله كما فعل ناظمنا ﴿قلنا﴾ يجوز ذلك قال ابن جني في الخصائص سألت أبا علي هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أولا فقال كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك لنا أن نقيس على شعرهم فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا وما حظرته عليهم حظرته علينا واذا كان كذلك فما كان من أحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا وما كان من أقبحها عندهم فليكن من أقبحها عندنا وما بين ذلك بين ذلك اه نقله الاسيوطي في الاشباه والنظائر والركبتين تثنية ركبة مضاف اليه ماقبله والجمل الثلاث المعطوفة في هذا البيت كالجملة المعطوفة في البيت قبله كل منها متأخر في الوجود الخارجي عما قبله فلا يبعد كون الواو العاطفة فيها بمعنى ثم على مذهب ثعلب وقطرب وجماعة من النحويين في ان الواو تفيد الترتيب كثم محتجين بقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها وقوله جل ذكره وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ويحتمل أن يكون المراد من الواو مطلق الجمع الا أن الترتيب في الخارج اتفاقي لم يقصد من الواو ﴿والمعنى﴾ ثم بعد ان تتوضأ وتأخذ معك كتب القراءة سر الى المسجد الذي تقرأ فيه وصل ركعتين أي بقصد تحية المسجد لانها مندوب مؤكد والكثير من الطلبة لا يبالون بهذا المندوب فتجدهم يدخلون المسجد ويجلسون وهذا من قلة الادب مع الله تعالى ومع بيته اذ تحية المسجد انما شرعت للتفرقة بين المسجد وغيره من البقاع وتتأدى بالفرض كما في المختصر كما تتأدى أيضا بالسنة والرغيبة بالاحرى من الفرض ومحل مطلوبية تحية المسجد بغير الفرض حيث كان الوقت وقت جواز ايقاع النافلة كما صرح بذلك فيما يأتي في آداب الاقراء بقوله واركعا * ان كان في وقت يجوز فاسمعا * والا فيكفي عنها سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر أربع مرات . وهل يكفي هذا الذكر أيضا عنها وقت حل النافلة وهو المأخوذ من كلام الغزالي والتفجروتي في تنبيه الغافل والحطاب في شرح المختصر أم لا وهو ظاهر كلام الزرقاني ومال العلامة البناني الى الاول ثم اذا صليت الركعتين فاجلس مقابل الشيخ حيث أمكن ثانيا ركبتيك في جلوسك لأن من آداب طالب العلم في مجالس الدرس أن لا يجلس وراء الشيخ ولا منحرفا عنه جدا لئلا يحوجه الى الالتفات اليه عند التفهيم كما استنبط ذلك العلماء من حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان

والاحسان قال الراوى فأسند ركبتيه الى ركبتيه الخ وأيضا قضت الحكمة بأن فى مقابلة الشيخ سرعة الفهم لما يخرج من فيه قال أبو على اليوسى ومن أغرب ما شاهدته فى هذا انى كنت أيام البداية أجلس فى حلقة شيخنا أبى بكر التطافى رحمه الله ناحية جنبه الأيسر وهم يقرؤن الخلاصة وكنت أفهم بعضا من كلامه وأشياء لا أفهمها حتى بلغنا نحو النصف فاتفق لبعض من كان بين يديه أن خرج من البلد فجلست فى موضعه بين يدى الشيخ فكنت من ذلك اليوم كل ما يخرج من فى الشيخ يدخل فى قلبى كالشمس المنيرة ولا يفوتنى شئ وقضيت العجب من ذلك اه كما ان من الآداب أيضا جلوسه ثانى الركبتين كما قال الناظم الا أن يطول به الحال فلا بأس بالتحول الى جلسة أخرى لا تؤذن بعدم الاحترام كالتربع لا الاتكاء قال بعضهم كنت عند شريك فجاءه بعض أولاد المهدى فاستند الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه وأقبل علينا ثم عاد فعاد لمثل ذلك فقال له أتستخف بأولاد الخلفاء فقال شريك لا ولكن العلم أجل عند الله أن أضعه فجثا على ركبتيه فقال شريك رضى الله عنه هكذا يطلب العلم اه ❊وقال العلماء ان من الأدب أن يجلس التلميذ بين يدى شيخه جلوس الصبى أمام المؤدب مقابله ان أمكن قريبا منه ان أمن من مضايقة الشيخ ومزاحمته والا فليتوسط مع تحريه عن أن يمس الشيخ أو ثيابه أو ما يجلس عليه ولا يبعد عنه جدا حتى لا ينتفع به ففى القرب منه سر لا يوجد مع البعد عنه ﴿تنبيه﴾ المسجد انما بنى أصالة للصلاة لا لتعليم العلم وتعلمه ويجوز ذلك تبعا أفى الزرقانى عند قول خليل فى إحياء الموات وجاز بمسجد سكنى رجل تجرد للعبادة مانصه فلا يمنع من أراد قراءة علم بمسجد ان لم يضيق على المصلين لوضعه للصلاة أصالة لا ان بنى للتدريس فقط اه وفى نوازل الجامع من المعيار من فتوى لابن عبد السلام مانصه وأفتى ابن لبابة وأصحابه بعدم منع المتحلقين فى المسجد للخوض فى العلم وضربه افعل الأئمة ومالك · ابن سهل الطلاق غير صحيح انما ذلك لمن يوثق بعلمه ودينه وقصر كلامه على ما يعلمه فى غير أوقات الصلوات حتى لا يضر بالمصلى · ابن عرفة وهذا التقييد صحيح لانعقاد الاجماع على عدم قبول الفتيا من مجهول الحال حتى يشتهر بالعلم والدين اه وقال الحافظ ابن حجر على قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابى الذى بال فى المسجد ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول ولا القذر انما هى لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن مانصه وظاهره الحصر فى الثلاثة لكن الاجماع على ان مفهوم الحصر منه غير معمول به ولا ريب أن فعل غير المذكورات وما فى معناها فيه خلاف الأولى اه فالخوض فى العلم هو من معنى الثلاثة فليس فعله فيه خلاف الأولى غير أن هذا المقصود تبعا وهو والتدريس فى المسجد أولى من التدريس فى المدرسة أو بيت العالم مثلا لأن المراد من التدريس كما هو مقرر هو التبيين للأمة وارشاد الضال وتعليمه ودلالته على الخيرات وذلك موجود فى المسجد أكثر من المدرسة والبيت ضرورة كما فى المدخل قال لأن المسجد يجمع الناس رفيعهم ووضيعهم عالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فانه محجر ولو أبيح فلا يبلغ اباحة المسجد وكذلك المدرسة لا يقصدها جمهور الناس كقصدهم المسجد سيما والسلف الصالح لم تكن لهم مدارس بل كان المسجد هو محل افادتهم واستفادتهم ففى التدريس فى المسجد صورة الاقتداء بهم فى الظاهر وان كان غيره يجوز وكفى لنا أسوة بهم اه بالمعنى ثم قال الناظم

١١٢ ﴿واجمع ذهينك ودع كل كسل ❊ وعن عويصة المسائل فسل﴾

الواو للعطف ويجرى فيها ما جرى فى العواطف قبلها واجمع فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب وذهينك مفعوله وهو تصغير ذهن وهو العقل وصغره لمجرد الوزن والجملة معطوفة على ماقبلها وقوله ودع الواو للعطف ودع فعل أمر بمعنى اترك وفاعله ضمير المخاطب وكل مفعوله وكسل مضاف اليه كل والكسل التثاقل عن الامر والجملة معطوفة على ماقبلها وقوله وعن الخ الواو حرف عطف وعن حرف جر

لعلها: أن أضيعه

وعويصة مجرور بها والمسائل جمع مسئلة مضاف اليه عويصة من اضافة الصفة للموصوف أى المسائل العويصة وهى التى يصعب استخراج معناها والجار والمجرور متعلق بقوله سل والفاء فى قوله فسل زائدة وسل فعل أمر من سال يسال بتخفيف الهمزة لغة فى سأل بتحقيقها وقرئ بالوجهين قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) أى عن عذاب واقع وقوله تعالى (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) ومفعول سل محذوف أى سل الشيخ وجملة قوله عن عويصة المسائل فسل معطوفة بالواو على ماقبلها أيضا ﴿والمعنى﴾ ثم اذا جلست أيها الطالب بين يدى الشيخ فاجمع عقلك عليه واعقل مايقوله ولا تشغل ذهنك حينئذ بغير مايلقيه اليك قال تعالى (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابل العلم ثم لاتعينه القدرة الالهية على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستلقى كل ماألقى اليه بحسن الاصغاء واترك أيها الطالب الكسل فانه عائق عن المراد وقد قيل تناكح العجز والكسل فتناسل منهما الحرمان ، ثم اذا عرضت لك عويصة من عويصات المسائل فابحث عنها وسل شيخك عما خفى عنك منها والمراد بالعويصة هنا مالا تفهمه سواء كان فى نفسه عويصا أم لا لان مالا تفهمه هو عويصة بالنسبة اليك ففى الحديث (العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر فيه أربعة السائل والمعلم والمستمع والمحب لهم) رواه أبو نعيم فى الحلية باسناد ضعيف عن سيدنا على رضى الله عنه * ويروى أن رجلا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أصابه جرح ثم احتلم فأمر بالاغتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء الجهل السؤال * وقال ابن مسعود رضى الله عنه زيادة العلم الانفاق ودرك العلم السؤال فتعلم ماجهلت واعمل بما علمت * وقال سفيان الثورى رحمه الله حياة العلم السؤال والعمل وموته بتركهما * وقال الشيخ عبد الرحمن الصقلى رحمه الله الشكوى كلها مذمومة الا الثلاث طالب علم يشكو الى عالم داء فهمه ومريد يشكو الى شيخه داء قلبه وعليل يشكو الى طبيب داء بدنه * وقيل لابن عباس بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤل وقلب عقول وقيل للاصمعى رحمه الله بم نلت هذا العلم قال بكثرة سؤالى وتلقى الكلمة الشرود * ودعا معاوية دغفلا النسابة فسأله فوجده حافظا فقال له يادغفل بم حفظت هذا قال بقلب عقول ولسان سؤل * وعن سيدنا على رضى الله عنه خمس احفظوهن لو ركبتم الابل لانضيتموها قبل أن تصيبوهن لايخاف عبد الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لايعلم ولا يستحى عالم ان لم يعلم أن يقول الله أعلم والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (ودخل) رجل على عبد الله بن المبارك وعنده جماعة من أهل الحديث يسألونه فاستحيا الرجل أن يسأل فكتب عبد الله بطاقة ورمى بها اليه فاذا فيها

ان تلبثت عن سؤالك عبد الله ترجع غدا بخفى حنين
فاعتت الشيخ بالسؤال تجده * سلسا يلتقيك بالراحتين
واذا لم تصح صياح الثكالى * قمت عنه وأنت صفر اليدين

(ولأبى عثمان التجيبى)

شفاء داء العى حسن السؤال * فاسأل تنل علما وقل لاتبال
واطلب فالاستحياء والكبر من * موانع العلم فما إن ينال

(ولبعضهم)

اذا كنت فى بلد جاهلا * وللعلم ملتمسا فاسأل
فان السؤال شفاء العمى * كما قيل فى المثل الاول

(ولآخر)

لا يذهبنّ بك التفريط منتظرا * طول الأناة ولا يطمح بك العجل
فقد يزيد السؤال المرء تجربة * ويستريح الى الأخبار من يسل

(ولآخر)

ألا خبروني أيها الناس انما * سألتُ ومن يسأل عن العلم يعلم
سؤال امرئ لم يعقل العلم صدره * وما السائل الواعي الأحاديث كالعمي

(ولآخر)

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها * ولا البصير كأعمى ماله بصر
واستخبر الناس عما أنت جاهله * اذا عميت فقد يجلو العمى الخبر

(ولآخر)

وقد يقتل الجهل السؤال ويشتفي * اذا عاين الأمر المهم المعاين
وفي البحث قدما والسؤال الذي العمى * شفاء وأشفى منهما من يعاين

(ولآخر)

والعلم يشفي اذا استشفى الجهول به * وبالدواء قديما يحسم الداء

(ولآخر)

اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي * يسائل من يدري فكيف اذا تدري

(ولآخر)

وسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في علم بفقه يمهر
وتدبر العلم الذي تعنى به * لا خير في علم بغير تدبر

(ولآخر وهو بشار بن برد)

شفاء العمى طول السؤال وانما * دوام العمى طول السكوت على الجهل
فكن سائلا عما عناك فانما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

(ثم قال الناظم)

113 ﴿ولتسألنه بلطف وأدب * دون تعنت بلفظ منتخب﴾

الواو للعطف واللام الداخلة على الفعل لام الامر وتسألن مضارع مجزوم بها محلا وهو مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الشديدة وفاعل الفعل ضمير المخاطب والهاء ضمير المفعول عائدة على الشيخ المقدر مفعولا لقوله في البيت قبله فسل وقوله بلطف متعلق بتسألنه والباء للمصاحبة بمعنى مع واللطف ضد العنف وأدب معطوف على لطف . ودون من الظروف اللازمة للاضافة وقد يقطع عنها لفظا فقط نحو سافرت مع القوم ودون أي ودون القوم وأصل استعمال دون كونه ظرف مكان أدنى من مكان المضاف اليه نحو جلست دون زيد ثم توسع فيه باستعماله في الرتبة المفضولة تشبيها للمفعول بالمحسوس كزيد دون عمرو أي في الفضل أو الشرف أو العلم أو المال أو نحو ذلك ثم توسع فيه باستعماله في مطلق تجاوز شيء الى شيء نحو قابل زيدا بالاكرام دون الاهانة وعلى هذا الاخير قول الناظم دون تعنت والتعنت بتاءين مثناتين طلب الزلة وقوله بلفظ بدل من قوله بلطف وأدب ومنتخب أي مختار نعت للفظ ﴿والمعنى﴾ اذا سألت أيها الطالب الشيخ عن عويصة المسائل كما أمرتك فليكن سؤالك سؤال مسترشد لا سؤال متعنت مع أدب ولطافة في كلامك معه عند السؤال فبذلك تحظى عنده وتستخرج

العلم

العلم منه وقد اشتهر قولهم حسن السؤال نصف العلم قاله ابن المنير وهو غير حديث خلافا لمن وهم قاله بعض المحققين وقد ذكره العلامة الطرابلسي في كتابه بلوغ أقصى المرام حديثا قال أخرج الطبراني في مكارم الاخلاق والبيهقي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم اه والله أعلم * وقال أبو المواهب التونسي كن في الطلب، كثير الأدب، حلو المقال، حسن الفعال * وقال ذو النون المصري في حسن سؤال الصادقين مفاتيح قلوب العارفين؛ وأما ان كان السؤال على وجه التعنت والتعجيز فلا يرجى السائل الفتح والفلاح والواجب على العالم حينئذ كتمان علمه عنه والاعراض عن سؤاله وعقابه بما يمكنه كما فعل نبي الله ادريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما جاءه ابليس على صورة متعلم وفي يده قشرة بيضة فوجده يخيط فقال له يا نبي الله آلله قادر على أن يدخل الدنيا في هذه القشرة فقال له الله قادر على أن يدخل الدنيا في سم هذه الابرة ونخس بها عينه ففقأها فعاقبه على تعنته بفقء عينه وكتم عنه العلم حيث لم يفصل له الجواب بأن يقول له ذلك ممكن بأن يصغر الله الدنيا حتى تصير قدر البيضة فيدخلها فيها أو يكبر القشرة حتى تسع الدنيا وأما ابقاء القشرة على حالها والدنيا على حالها فغير ممكن وقدرته تعالى لا تتعلق الا بالممكنات (قال ابن الاثير) السؤال في كتاب الله والحديث نوعان أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس الحاجة اليه فهو مباح أو مندوب أو مأمور به، والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت فهو مكروه ومنهي عنه فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فانما هو ردع وزجر للسائل وان وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ اه ونقل المواق في سنن المهتدين عن الشيخ أن السائل عن العلم لا يخلو عن أحد أربعة أوجه إما مسترشد واجب على العالم دلالته وعلامة ذلك في السائل قبوله وتسليمه وإما مستفهم واجب على العالم هدايته وعلامة ذلك في السائل بحثه بالرفق وطلب الدليل بالوقار، وإما متخبر واجب على العالم الاعراض عنه ٣ والتنزه عن الجدال والخصومة معه، وإما مفتون بالدعوى مستدرج بالرؤية لحاله واجب على العالم الصمت عنه اه ومن اللطف في السؤال أن لا يرفع صوته به على الشيخ قال ابن عطية في تفسيره عند قوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم) الآية كره العلماء رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم اه ومن الآداب في السؤال أن لا يكثر على الشيخ حتى يضجره فقد قال سيدنا علي رضي الله عنه ان من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض الى آخر وصية له نقلها الغزالي في الإحياء وفي فصل آداب اللغوي من المزهر للحافظ السيوطي ما نصه وليرفق بمن يأخذ عنه ولا يكثر عليه ولا يطول بحيث يضجر وفي أمالي ثعلب أنه قال حين آذوه بكثرة المسائل قال أبو عمرو لو أمكنت الناس من نفسي ما تركوا لي طوبة أي آجرة اه كلام السيوطي ثم قال الناظم

١١٤ *بعد تمامه لتقرير المقال * عسى تنال منه من غير سؤال*

بعد هنا ظرف زمان معمول لقوله سابقا ولتسأله وهو وان كان فيه تضمين لكنه من أنواع التضمين الخفيف السائغ كما هو مقرر في فن القوافي ولك أن تجعل الظرف متعلقا بمحذوف تقديره وليكن سؤالك بعد وبعد مضاف الى تمام وتمام اسم مصدر لأتم الرباعي المتعدي كما في شرح القاموس وهو أيضا مصدر تم الثلاثي اللازم الا أن المتعدي هو المراد هنا لذكر المفعول وهو تقرير واللام الجارة له زائدة مقوية للعامل لضعفه بكونه فرعا في العمل عن الفعل ولا يصح جعل تمام مصدر تم اللازم وجعل اللام في لتقرير معدية لأن المعنى ليس على ذلك بدليل صحة حذف هذه اللام فيقول بعد تمامه تقرير المقال وحرف التعدي لا يستقيم المعنى مع حذفه والمقال مصدر لقال وعسى فعل مطلقا على الأصح

٣ انظر ما وجه الاعراض عنه مع انه قد يكون ممن لا يعلم اه مصحح

لا حرف مطلقا ولا اذا اتصل بها الضمير المنصوب خلافا لمدعي ذلك وهي فعل ماض وضعا وان لم تستعمل فيه لانها في كلام الخالق للرجاء المجرد عن الزمان وفي كلامه تعالى للعلم المجرد عنه فهما معنيان مجازيان بدون معنى حقيقي انظر حواشي الصبان على الاشموني ولا يتصرف على الصحيح بل يلزم لفظ الماضي وهو فعل ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر كقولك عسى زيد أن يقوم ويندر كون خبرها غير مضارع كقولهم عسى الغوير أبؤسا كما يندر كونه مضارعا بدون أن كقولك عسى زيد يقوم وقد يستغنى بأن والفعل المضارع عن الاسم والخبر كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وهل هو حينئذ لازال على نقصانه وأن والمضارع سدا مسد معموليها وهو المعتمد عند ابن مالك أو هو تام يكتفي بالفاعل وهو المصدر المنسبك من أن والفعل وهو مذهب جمهور النحويين خلاف فهي على كلا القولين لا خبر لها وانما الخلاف في كونها تامة أو ناقصة هذا ان لم يكن بعد أن والمضارع اسم ظاهر فان كان بعدهما اسم ظاهر كقولك عسى أن يقوم زيد فذهب الشلوبين الى أنه يجب أن يكون الاسم الظاهر مرفوعا بيقوم وأن ويقوم فاعل عسى وهي تامة لا خبر لها وذهب المبرد والسيرافي والفارسي الى تجويز ذلك وتجويز وجه آخر وهو أن يكون الاسم الظاهر مرفوعا بعسى وهو اسم لها وأن والمضارع في موضع نصب خبر لها متقدم على الاسم وفاعل المضارع ضمير يعود على الاسم الظاهر وجاز عوده عليه متأخر التقدمه في النية فان لم تدخل ان على المضارع في هذه الحالة أعني حالة كون الاسم الظاهر بعد المضارع نحو عسى يقوم زيد فيتعين كون الاسم الظاهر مرفوعا بعسى لعدم ما يصلح لرفوعيته غيره ان لم يجعل الفعل على تقدير ان كما حققه المحقق الصبان خلافا لبعضهم وان كانت عسى مسبوقة بما يعود عليه الضمير منها او كان الضمير بعدها مسندا للغائب نحو زيد عسى أن يقوم فلك أن تجعل في عسى ضميرا عائدا على الاسم السابق هو اسمها وأن يقوم خبرها ولك أن تجردها من الضمير وتجعل ان والفعل فاعلا بها او يجب الإضمار في نحو زيد عسى يقوم بتجريد الفعل من ان لعدم صلاحية دخول الفعل على الفعل ومنه قول الشاعر

سَلُوه برفق هَل جنيتُ جناية؟ ✻ فإن قال اني فاسألوه عَسَى يعفو ٣

ففي عسى ضمير يعود على المسؤل وجملة يعفو خبر ✻ بقي ما اذا كان المضارع بعدها مجردا من ان وهو مسند لضمير المتكلم أو المخاطب كما في قول الناظم عسي تنال وقولك مثلا عسى أقوم فهو تركيب عربي من غير شك لوقوعه في كلامهم وقوعا لا يمترى فيه وقد بحثت كل البحث في المغني وشراحه وحواشيه وشراح الخلاصة وحواشيها وغير ذلك من كتب النحو فلم أقف على مَن تكلم على هذا التركيب ولهذا بسطت الكلام في عَسَى لتكون على بال مما تعلق به الغرض هنا من أحوالها ✻ ولك في توجيه هذا التركيب وجوه ﴿الاول﴾ أن يجعل في عسى ضمير شأن هو اسمها والجملة بعدها خبرها على حد ما قاله في المغني فيما حكاه ثعلب من قولهم عسى زيد قائم برفعهما وعلى هذا الوجه فهي ناقصة ﴿الثاني﴾ أن تجعل المضارع بعدها على تقدير أن ثم حذفت وارتفع الفعل وذلك قياسي كما يشعر به كلام ابن مالك في الخلاصة حيث جعل السماعي هو حذف أن وابقاء نصبها في المضارع وهو ظاهر كلامه في التسهيل أيضا وعلى هذا الوجه فهي تامة ﴿الثالث﴾ أن تجعل المضارع منصوبا بأن المحذوفة وبقي عملها بعد الحذف بناء على قول الكوفيين ومن وافقهم من ان حذف أن وابقاء عملها قياسي وان كان ابن مالك في الخلاصة وشرح الكافية ذهب الى أنه سماعي وذكر في التسهيل الخلاف والله أعلم ومفعول تنال في كلام الناظم محذوف لدلالة المقام عليه أي عسى تنال منه ما تريد أن تسأل عنه وفي بعض نسخ الناظم عسى ينال بالياء التحتية وبناء الفعل للمجهول وعليها فلك أن تجعل في عسى ضميرا يعود على المسؤل

ي اني جنيت ففيه جواز
ذف خبر ان اذا دل عليه
يل اه مؤلفه

عنه المأخوذ من الكلام السابق هو اسمها والجملة بعدها خبرها أو تجعل في عسى ضمير الشأن هو اسمها وجملة تنال خبرها ومن غير جار ومجرور متعلق بتنال وسؤال مضاف اليه غير ﴿والمعنى﴾ اذا أردت أيها الطالب أن تسأل الشيخ عن شيء فليكن ذلك بعد أن يتم التقرير اذ ربما يكون في آخر التقرير ما يكفيك مؤنة السؤال ، ويدفع عنك شبهة الإشكال ، ففي (المدخل) مانصه فصــــل وينبغي له أي للعالم اذا أخذ يتكلم في الدرس فأوردت عليه المسائل والاعتراضات والتنظيرات أن لا يجيب أحدا عن مسئلة وليمض فيما هو بسبيله ويسكت من أورد عليه برفق أو يأمر من يسكته لأن الإيراد اذ ذاك يخلط المجلس ولا يحصل بسببه كبير فائدة فيبين هو المسئلة بنفسه ويوجهها ويستدل لها ويورد عليها ويعترض عليها ثم يجيب عن ذلك كله بما تحصل عنده من أقوال العلماء في ذلك ثم ينظرها بما يشبهها من المسائل وما يقرب منها ثم يفرع عليها ما يحتمل من التفريع بعد حله أولا للفظ الكتاب وتبيينه حتى يبين صورة مسئلة الكتاب لجميع من حضر الصغير والكبير لأن حل لفظ الكتاب مطلوب للجميع للصغير والكبير ممن يحفظ الكتاب وممن لا يحفظه وهو أقل فائدة حضور مجالس العلم وما يقع عليها بعد ذلك من الكلام فذلك الذي تختلف أحوال الناس في فهمه فمنهم من يحصل الجميع ومنهم من يحصل البعض على قدر ما رزق الله تعالى لكل واحد من الفهم فيكون في أول مرة يسير سير الضعيف للحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام سيروا بسير أضعفكم فاذا تحصل للضعيف مقصوده وهو حل لفظ الكتاب حينئذ يرجع في البيان الى ما هو أقوى منه ثم يتدرج بعد ذلك قليلا قليلا الى أعلى ما عنده ، والتأدب وحسن السمت والوقار مستصحب معه في ذلك كله فاذا فرغ ما عنده من العلم في ذلك والبيان فليعط اذ ذاك سكتة ويعلم من حضره ممن يريد الكلام فمن كان عنده شيء فليورده الآن فاذا كان بقي شيء أوردوه اذ ذاك فيتنبه الشيخ اليه فيتكلم فيه والغالب أنه لا يبقى اذ ذاك لأحد ما يقول لأن كل ما يريد القائل أن يقول اذا سكت لآخر المجلس يجد الشيخ قد أورده وتكلم عليه وبينه إلا أن يكون شيء شذ عنه فيستدرك عليه اذ ذاك فاذا فرغ من جواب ما أورد عليه وبيانه فليقرأ القارئ اذ ذاك ثم يمشي على ما تقدم ذكره فاذا فعل ذلك تبينت المسائل لكل الحاضرين وانتفعوا وقد يقطعون الكتاب في الزمن اليسير بخلاف ما لو ان بقي يجيب كل من سأله في أول الاقراء اذ لكل واحد إيراد وسؤال وغرض فقد لا يتخلص من جواب البعض الا وقد طال المجلس وثقل على الحاضرين ولم تحصل بعد فائدة فاذا سكتوا الى أن يفرغ كلام الشيخ انتفع الجميع وقل أن يبقى بعد ذلك اشكال أو سؤال لأن الشيخ هو المقصود بهذا المجلس وهو القائم بوظيفته فقد نظر اليه وحصل ما لم يحصل غيره اهـ وأيضا في السؤال أثناء التقرير اعراض عما يوجه اليه من جملة الحاضرين فلا ينبغي أن يجاب عن سؤاله اذ ذاك ففي كتاب العلم من صحيح البخاري باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ثم ساق حديث أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال فاذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة ثم قال الناظم

115 ﴿واستعطفنه إذا ما أعرضا * عنك لأمر شغل قد عرضا﴾

الواو للعطف واستعطف فعل أمر مبني على فتح آخره لاتصاله بنون التوكيد الشديدة والسين والتاء للطلب والفاعل ضمير المخاطب والضمير البارز مفعول استعطف يعود على الشيخ والجملة معطوفة على الجملة قبلها واذا اسم مضمن معنى الشرط معمول لجوابه المحذوف وما زائدة وأعرض فعل ماض والضمير

المستتر فيه عائد على الشيخ وعنك متعلق به يقال أعرض عنه اذا لم يبال به وجملة أعرض عنك في محل جرّ باضافة إذا اليها وجواب اذا محذوف لدلالة استعطفنه عليه، ولأمر متعلق بأعرض على أنه علة له ومشغل نعت لأمر وهو اسم فاعل من أشغل الرباعي وارتكبه خليل في المختصر إذا قال ويشغل عن فرض. وفي نسخة من النظم شاغل وهي اللغة الفصحى قال تعالى (شغلتنا أموالنا) ويحكى أن بعض الوزراء غاب عن أميره يوما فسأله عن سبب غيبته فقال له ياسيدي أشغلني عنك كذا وكذا فقال له الأمير من يقول أشغلنا لا يتولى أشغالنا فعزله قال بعضهم ولعل هذا الأمير كان أنف من خدمة هذا الوزير فجعل هذه العثرة مسوغا لتنحيته والا فأشغل لغة لا تعدّ من زلته اه (قلت) ويحتمل أن عزله لم يكن لارتكاب هذه اللغة القليلة بل لفلتة في المقال جليلة وهي أنه أقرّ على نفسه بان عنده ما يشغله عن خدمة الأمير مع ما في التصريح بقوله أشغلني عنك كذا من سوء الأدب الموقع في العطب الكبير فلو قال حبست عن التشرف بهذه الخدمة بما منعني من السعي معه مراعاة الحرمة، لسلم من العذل، وأمن من العزل والله أعلم وقول الناظم قد عرضا جملة في محل جرّ نعت ثان لأمر والضمير في عرض يعود على الامر هو الرابط بين الصفة والموصوف (والمعنى) اطلب أيها الطالب عطف خاطر شيخك عليك اذا رأيته عرض له أمر شاغل أوجب الإعراض عنك كالحاحك عليه في السؤال أو فلتة وقعت منك معه فلا تلاججه وتحاججه فان ذلك يعود عليك بالحرمان، قال أبو عمر ابن عبد البرّ في قضية سؤال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ ثلاث مرّات وهو لا يجيبه حتى قال عمر ثكلتك أمّك عمر الخ ما نصه قلما أغضب عالم الا حرمت فائدته اه وقال بعض العارفين من العلماء وليتلطف التلميذ في ادخال السرور على قلب الشيخ وفي استعطافه وفي مصالحته ان جفا أو غضب ولينسب الذنب الى نفسه وليبالغ في الاعتذار والتوبة ولينسب كل نقيصة الى نفسه وكل فضيلة الى شيخه ولا يجادل ولا يمارى وليتحمل بحسن التحمل ما تجده النفس هنالك من الذل والهوان، رجاء ما يعقبه من العز والرفعة، ولبعضهم

تصبر على مرّ الجفا من معلّم * فإن رسوم العلم في نفراته

فمن لم يذق ذلّ التعلم ساعة * تجرّع كأس الجهل طول حياته اه

وقد تقرر أن العز لا يدرك بالعز والراحة لا تدرك بالراحة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا* وقد كنت قلت قطعة زجرية لبعض تلامذتي وقد ظهرت منه أنفة عن زجره وتغليظ القول له فيما يعود عليه بالنفع قد احتوى بعض مقاصدها على معنى قول الناظم واستعطفنه اذا ما أعرضا* الخ وهي قولي

وشيخك الحق من أفادك * ولسبيل الرّشد نصحا قادك

وعالج الفهم السقيم منك * ودفع الجهل الملمّ عنك

فان رأيته أوانا قلقا * فكن لما يسخطه مستبقا

وان بدا اليك يوما بعبوس * فانظر تجد قد ناله منك بؤس

كم مرّة أقلقته بجهل * لكل واضح صريح سهل

فبالغ المجهود في التوضيح * اذ لم تكن تفهم بالتلويح

ثم تقول بعد ذا لم أفهم * وللذي أبديته لم ألهم

فيكشف المعقول بالمحسوس * ويردف التمثيل بالملموس

حتى ترى المسئلة المهمّة * ليس لها يقال مدلهمّة

فان ظفرت يا أخي بناصح * عن كل ما أمّلت منه فاصح

فاخدمه طول العمر باجتهاد * وكن لأمره ذا اعتماد
اياك أن تحقره فتنسى * ما نلته من علمه وتخسا
كما أتى عن سادة قد حازوا * تعظيم من علمهم ففازوا
أليس قد أصلح منك روحا * باقية لا تخش أن تروحا
ففضله عليك لا تنساه * واشكر لما فضله أسداه

(ثم قال الناظم)

116 ﴿واصحب دواتك وقيد ما شرد * هذا الذي عن المشايخ اطرد﴾

الواو للعطف واصحب فعل أمر من صحبه يصحبه من باب سمع وفاعله ضمير المخاطب العائد على طالب العلم ودواتك مفعول به مضاف لضمير المخاطب والدواة معروفة من آلات الكتبة وأصلها دوية على وزن فعلة فأعلت لام الكلمة وهي الياء بقلبها ألفا لوقوعها إثر فتحة وانما أعلت اللام لأن الطرف محل التغيير ولم تعل عين الكلمة أيضا وهي الواو مع توفر شرط الإعلال فيها لوجود الألف بعدها ولو أعلوها لحذف أحد الساكنين وهو مجحف بالكلمة وكل واو لزم اعلالها اذا وقع بعدها ألف لم يعلوها كنزوان وكروان لما علمت والدواة مشتقة من الدواء لانها تصلح أمر الكاتب وقيل من دوى يدوى دويا اذا أصابه الداء قال الشاعر

أما الدواة فأدوى حملها جسدى * وحرّف الخط تحريف من القلم

وتجمع على دَوَيات كحصاة وحصيات وفتاة وفتيات وعلى دَوى كنواة ونوى وقناة وقنى وعلى دُوى بالضم للدال والكسر للواو وأصله دووى كفعول فقلبت الواو الثانية ياء لاجتماعها مع الياء وسكونها وقلبت ضمة الواو الاولى كسرة لمجانسة الياء فصار دوِيى فأدغمت الياء الاولى فى الثانية فصار دوى قال الشاعر

عرفت الديار كرقم الدّوى * حبره الكاتب الحميرى

ويقال للدواة محبرة بفتح الميم لا بكسرها خلافا للجوهرى لانها محل للحبر والحبر بالكسر هو المداد ولا يجوز فتحها فيه وأما الحبر الذى هو العالم فهو بالفتح والكسر معا قال ابن المرحل

والعالم الحَبر وقيل الحِبر * وهو فصيح والمداد حِبر

ويقال لصوفة الدواة قبل جعلها فى المداد ثوهة بضم الموحدة وبعد جعلها فيه ليقة والجمع ليق كديمة وديم ويقال ألقت الدواة فهى مليقة بفتح الميم وألقتها فهى ملاقة ويقال أمهت الدواة وموهتها أى جعلت فيها ماء وجملة قوله واصحب دواتك معطوفة على جملة قوله وسر الى المسجد فيما تقدم وقيد فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب وما اسم موصول مفعوله وشرد أى نفر وذهب فعل ماض صلة الموصول وضمير شرد عائد على الموصول وجملة قيد ماشرد معطوفة على جملة قوله اصحب دواتك ومراده بقوله قيد ماشرد قيد من أول مرة ما عسى أن يشرد لا ماشرد بالفعل اذ هو لا يقيد الا بسماعه مرة ثانية وقوله هذا الذى الخ ها للتنبيه وذا اسم اشارة مبتدأ والاشارة عائدة الى ماذكر من صحبة الدواة وتقييد الشارد والذى خبر المبتدا واطرد صلة الذى ومعنى اطرد تتابع ذكره وعن المشايخ متعلق باطرد والمشايخ بالياء وهمزه لحن وهو أحد جموع شيخ على ما فى القاموس وقد تقدمت مستوفاة عند قول الناظم

* كثر جهلهم وساؤا الادبا * على الشيوخ، وأنكر ابن دريد وجود مشايخ فى كلام العرب جمعا للشيخ وقال القزاز فى الجامع لا أصل له فى كلام العرب، وقال الزمخشرى المشايخ ليست جمعا للشيخ وتصلح أن تكون جمع الجمع وفى حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى أثناء سورة المائدة قيل مشايخ جمع شيخ لا على القياس والتحقيق انه جمع مشيخة كمأسدة اه نقله شارح القاموس ﴿والمعنى﴾ اذا اردت أيها

المحبرة الدواة بفتح الميم الخ

الطالب المسير الى مجلس القراءة تخذ معك الدواة وقيد ما قد يشرد عن ذهنك ولا يرسخ فان ذلك دأب المشايخ المتقدمين كما نقل ذلك عنهم مطردا ففي البخاري باب كتابة العلم ثم ذكر قوله عليه الصلاة والسلام اكتبوا لأبي شاه، وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي شكا له سوء الحفظ استعن عليه بيمينك وفي الحديث أيضا قيدوا العلم بالكتابة ذكر هذين الحديثين الشيخ علي الأجهوري في حاشية الرسالة وروى بعضهم الثاني منهما موقوفا على عمر وابن عباس رضي الله عنهم وعقده سحنون بقوله

العلم صيد والكتابة قيده * قيد صيودك بالحبال الموثقة

ومن الحماقة أن تصيد حمامة * وتتركها بين الاوانس مطلقة

هكذا ذكر البيتين الحطاب في حواشيه على الرسالة ونسبهما لسحنون وكذا رويتهما عن جماعة من الاشياخ والادباء وكذلك وجدتهما بخطوط قديمة جدا، ولا يخفى ان الشطر الاخير غير متزن وكل من رويتهما عنه يذكر أنه سمعه كذلك وقد جرت محاورة فيه بين أدباء الوقت مع اتفاقهم على أنه هكذا روي فلا نهذا لم أصلحه، وروي عن هلال بن يسار رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه شيأ من العلم والحكمة فقلت يا رسول الله أعد ما قلت لهم فقال لي هل معك محبرة فقلت ما معي محبرة فقال يا هلال لا تفارق المحبرة فان الخير فيها وفي أهلها الى يوم القيامة، وقال الزهري اذا سمعت أدبا فاكتبه ولو في حائط وروي عن عاصم بن يوسف أنه اشترى قلما بدينار ليكتب ما سمع في الحال خوف نسيانه وكان لبعض النحويين تلميذ يكتب كل ما سمع من شيخه فقال له يوما

أنت شبيه الحفظة * تكتب لفظ اللفظة

فقال له تلميذه وهذا مما يكتب أيضا فكتبه، ويروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة، ومن الحكم قولهم ما حفظ فر وما كتب قر ومن الشائع بين الناس ينسى الراس ولا ينسى الكراس وقال بعضهم متاع التاجر في كيسه ومتاع العالم في كراريسه ولبعضهم

إن الذي يروي ولكنه * يحفظ ما يروى ولا يكتب

كصخرة تنبع أمواهها * تسقي الأراضي وهي لا تشرب

(وقال الآخر)

ارقم برأس القلم * ما تلتقي من حكم

فالعلم صيد فاعلم * والخط قيد فارقم

(ولآخر)

اذا كنت طالب علم فلا * تكونن يوما بلا محبرة

فلابد أن تلتقي بعض ما * تود لنفسك أن تسطره

(ولآخر)

قيد تفد حكم الأنام * وانثر النثار مع النظام

واحفظ تقل ماشئته * إن الكلام من الكلام

(ولآخر)

كل سر جاوز الإثنين شاع * كل علم ليس في القرطاس ضاع

(ولآخر)

أيها الطالب علما * أنت حماد بن زيد

تخذ العلم بحلم * ثم قيده بقيد

وحماد بن زيد هو من حفاظ الحديث أي أأنت مثله حتى تعتمد على الحفظ وتترك التقييد وللإمام أبي حنيفة

عباد الله أوصيكم ونفسي * بتعليق وتكرار ودرس

فان الأمر كل الأمر هذا * وما يسوى سواه نصف فلس

ولآخر

مهمونا القول الشعر لعنه كسمنة كانلال ابن الخطار (السعتقرة)

يعلم لم نقل شعرا

(ولآخر)

لا يدرك العلم الأكل مشتغل * بالعلم همته القرطاس والقلم

وقد قيل الدواة أنفع الادوات والحبر أجدى من التبر ولذا أقسم الله بها في قوله عز وجل (ن والقلم) على ما روي عن مجاهد أن النون الدواة وهو من أسمائها ولا يعارض ما أسلفناه من طلب تقييد العلم وكتابته قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم لا تكتبوا عني شيأ غير القرآن لأن النهي خاص بوقت نزوله خوف لبسه بغيره والنهي متقدم والإذن ناسخ عند أمن اللبس ثم انعقد الإجماع على الجواز بل على الوجوب خوف ضياع العلم لكثرة النسيان والله أعلم ولابن الجياب ملغزا في الدواة وأجاد

وما أنثى بها رعي الرعايا * وامضاء القضايا والمنايا

وتقصدها بنوها من رضاع * اذا انبعثوا لإبرام القضايا

لها اسم ان أزلت النقط منه * فعذ بالله من شر البلايا

وان أبدلت آخره بهمز * فقد أبرأت نازلة الشكايا

وان أبدلت أوله بنون * أتيت ببعض أرزاق المطايا

فأوضح ما رمزناه بفكر * سديد القصد مهد للخفايا

وللأديب البارع سيدي مصباح اليالصوتي ملغزا فيها وفي أقلامها ومن ديوانه نقلت بخطه

ومملوكة تسقي بنيها لبانها * فان هم رووا وانا موا عهد بجنبها

بنون هم في الشرق والغرب حكم * ولا يمحون الأم ماء لشربها

فأصبح منها القلب أسود مظلما * وعن طعنها لا يفترون وضربها

وليس لهم جرم عليها فانما * لربهم ثم خدم ولربها

(ولآخر ملغزا فيها أيضا)

وزنجية لم تلدها الإناث * وفي جوفها من سواها ولد

ولبدر الدين بن الدماميني ملغزا فيها أيضا يخاطب بعض قضاة وقته بقوله

كتبت وأعذاري اليك تقرر * ونظمي بها يا كاتب السر يجهر

أتتك بأبيات المعاني فرضتها * وحكت حبير اللفظ وهو محرر

وحليت أهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فعليك الآن يعقد خنصر

وما أنت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يحبر

فما كلمة أفديك دام اعتلالها * وفيها دواء ان عراها تغير

ويحفظها ذو السر وهي التي وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر

وما مستها الأوجادت بنفسها * وصحف ترى المقصود بالنقش يظهر ٣

وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر

كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر

مؤنثة كم ذكرتنا بلونها * عهود الصبا والشيء بالشيء يذكر

وكم قد أرانا ريقها من مسلسل * يلذ به في الذوق ورد ومصدر

وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فسادت لها الجهال بالعي تحصر

مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لا شك أحمر

ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها موردا لا يكدر

٣ أي صحف نفسها بأن تجعل موضع الفاء قافا فيصير نقسا وهو المراد اهـ مؤلفه

لقد أحكمت والنسخ ما زال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وما هي الأذات مترتبة غدت * وكم ذي غنى عن قصدها ليس يفتر
وليس نراها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فأنعم بحل اللغز يا خير منعم * فأنت به والله أجدى وأجدر
فلا زالت الأقلام تسعى لشكركم * على رأسها طول المدى لا تقصر

﴿فأجابه بقوله﴾

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يحبر
تحرر معنى حسنه نسج وحده * فيا حبذا الاسكندري المحرر
تشق على الأفهام شقة شأوها * فكم من بليغ عن نداها يقصر
أتت سهلة الألفاظ ممنوعة الذرى * حماها من العلماء لا يتسور
تشير الى الحبلى التي عز وضعها * فأحشاؤها فيها الأجنة تقبر
ينامون لا تغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشي ويعثر
وأما اذا اعتموا السواد فكلهم * خطيب له فوق الأنامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة * وعما رآه في المنام يعبر
تطاول سمر الخط أنى تشامخت * سموا ومع هذا على الطول تقصر
وكل بني الآداب تلقى بيوتهم * تقام بها بين الأنام وتعمر
فأكرم بما قد ولدته وأنشأت * وربت ويكفيها بذلك مفخر
نجية وجهي ان جلست ووجها * تجاهي وجاهي عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأنى استقالت فهي في ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم * لذي النقص مثلي فهو حظ موفر
بمدحكم الأقلام يضحك سنها * بحق وأفواه الدواة تقطر

ولابن شكرة يشكر بعض أصدقائه وقد أهدى له دواة

أخ مزجت بروحي روحه وجرى * منه مجرى دمي في الجسم أفديه
أهدى الي دواة لو كتبت بها * دهري أياديه لم تنفد أياديه

وقد كان مكتوبا على دواة الأمير أبي عنان المريني كما في أزهار الرياض وغيرها

أنا دواة فارس * أبو عنان المعتمد
حلفت من يكتب بي * بالواحد الفرد الصمد
أن لا عدمت مدة * بقطع رزق لأحد

قال المقري في أزهار الرياض وقد رأيت هذه الأيام دواة وهي في غاية ما يكون من الاتقان والصنعة والتذهيب وفيها مكتوب البيتان الأخيران وهي عند بعض أصحابنا الكتاب بالحضرة الفاسية حاطها الله وأظنها هي الدواة التي كانت لأبي عنان والله أعلم اهـ ﴿قلت﴾ وقد كنت استعرت يوما دواة من طالب وسيم فبعد قضاء الوطر منها أنشأت هذين البيتين وكتبتهما عليها وهما

أنا دواة شادن * ماله في الحسن نظير
عشاقه في نصب * كادت قلوبهم تطير

ثم انه ليس المراد من التقييد مجرد التسطير في الأوراق بل المقصود الأهم حفظ ما فيها أو فهمه والرجوع اليه يوما ان غاب عن الخاطر شيء مما فيها ولقد أحسن القائل

عليك بالحفظ دون الجمع فى الكتب * فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها * والفأر يخرقها واللص يسرقها

ولابى حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى الغرناطى

تكتب العلم وتلقى فى سفط * ثم لا تحفظ لا تفلح قط
انما يفلح من يحفظه * بعد فهم وتوق من غلط

(وله أيضا)

العلم فى القلب ليس العلم فى الكتب * فلا تكن مغرما باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كى تفوز به * فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

وللامام الشافعى رضى الله عنه

علمى معى أينما يممت ينفعنى * جوفى وعاء له لا جوف صندوق
ان كنت فى البيت كان العلم فيه معى * أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

ولابى عثمان التجيبى

من لم يكن علمه فى صدره نشبت * يداه عند السؤالات التى ترد
العلم ما أنت فى الحمام تحضره * وما سوى ذلك التكليف والكمد

(ولآخر)

اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع
أتحضر بالجهل فى مجلس * وعلمك فى البيت مستودع ؟

(ولآخر)

أضحى الفقيه لجمع الكتب مغتبطا * لا بارك الله فى البيت الذى جمعه
وظل يحمل أسفاراً فقلت له * أنت الحمار الذى فى سورة الجمعة

(ولآخر)

استودع العلم قرطاسا فضيعه * فبئس مستودع العلم القراطيس

(وفى المثل) خير العلم ما حوضر به ويقال حرف فى قلبك خير من ألف فى كتبك ويقال أيضا حفظ سطرين خير من حمل وقرين ومذاكرة اثنين خير من هذين لكن محل هذا فيما مضى من الأزمان والدهور حيث كان العلم فى الصدور، وأما فى هذه الأزمان وقبلها بكثير، فقد ذهب العلم من صدور الرجال ولم يبق سوى النزر اليسير، وقد قيل قبل هذا الزمان بكثير فقيه زماننا من يعرف مظان المسائل وقال القلشانى فى أول الهبة من شرحه على الرسالة ما نصه حكى لنا عن أبى عمرو الإشبيلى أنه قال لا يبقى مع الحافظ آخر عمره الا معرفة مواضع المسائل وما هى الا منزلة كبيرة لمن كان بهذه المنزلة فى العلم ولم يكن كاذ كر عن بعض من اتسم بالفتوى انه طلب باب الحضانة فى طلاق السنة فلم يزل يقلب ورقة ورقة حتى لآخره فلم يجد شيأ فرمى بالكتاب فى محراب مسجده وهذا هو الموجود فى وقتنا اه المراد منه وفى القانون لابى على اليوسى بعد كلام ما نصه وصار العلم كله فى الدفاتر الا قليلا وصار العالم هو ذو الملكة فى تحقيق ما فيها والخبرة بمظان ما يراجع منها، وأضحت الكتب آلة لاصحاب العلم اه ثم قال الناظم

117 * وان سكت لحيا أو كبر * تبق على جهلك طول العمر *

الاولى أن لو ذكر هذا البيت عقب قوله بعد كماله لتقرير المقال * عسى تنال منه من غير سؤال لارتباطه به وبما قبله قوله وان سكت الواو للاستئناف وان حرف شرط وسكت فعل الشرط فى محل جزم

والفاعل هو تاء المخاطب المدغم فيها التاء التى هى لام الفعل والحيا جار ومجرور متعلق بسكت واللام الجارة تعليلية والحياء لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به فهو من خصائص الانسان كما نصوا عليه وهو مفاد هذا التعريف وشرعاً خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنه التقصير فى حق من له حق ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير والحياء هو الواسطة بين الوقاحة التى هى الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا والمعنى اللغوى هو المراد فى كلام الناظم وهو ممدود ولا يقصر الا ضرورة كما فى كلام الناظم ولم يسمع من العرب مقصورا فقصره اختيارا خطأ ففى القاموس الحياء بالمد التوبة والحشمة ثم قال والفرج من ذوات الخف والظلف والسباع وقد يقصر اهـ فقوله وقد يقصر راجع للمعنى الثانى كما لا يخفى على ان الأزهرى قال ان القصر فى الثانى خطأ أيضا ولا يجوز الا فى الضرورة لانه مأخوذ من المعنى الاول ولا ستفحاش التصريح باسم الفرج الموضوع له سمى بالحياء الذى هو الحشمة نقله شارح القاموس ﴿قلت﴾ وبهذا يعلم أن ما قاله الحفنى فى حواشيه على شرح ابن حجر على الهمزية من أن الحياء بمعنى الحشمة يقصر يعنى اختيارا يحتاج لشاهد نثرى من كلام العرب ﴿ذكر عن بعض العلماء أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فقال يا رسول الله أنت قلت الحيا أى بالقصر من الإيمان فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا فلما استيقظ بقى متحيرا لكون الحديث فى الصحيح ثم رآه ثانيا وثالثا وهو يعيد السؤال ويذكر الحيا بالقصر فقص رؤياه على أهل البصيرة من العلماء فقال له انه لم يقل الحيا بالقصر وانما قال الحياء بالمد فرآه بعد ذلك وسأله ونطق بالحياء ممدودا فقال له نعم قلت ذلك ﴿فائدة﴾ الحياء بالمعنى السابق محال فى حق البارئ تعالى فاذا وصف به البارئ جل وعلا كقوله تعالى (لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه . وقوله عليه الصلاة والسلام إن الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للمعنى السابق للقاعدة التى ذكرها الفخر الرازى وغيره وهى انه اذا وصف البارئ تعالى بوصف يستحيل حمله على حقيقته حمل على لازمه وغايته وتحتمل الآية السابقة خاصة وجها آخر وهو أن يكون مجيء الحياء فيها للمشاكلة وهو أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ولو تقديرا لأن الكفرة قالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فنزلت الآية قاله الخطيب فى تفسيره ﴿تنبيه﴾ قال الفاكهانى فى شرح الأربعين النووية أصل الحياء غريزى فى الطبيعة والفطرة ومنه مكتسب وهذا المكتسب هو الذى جعله الشرع من الايمان وهو الذى يكلف به وأما الغريزى فلا يكلف به اذ ليس ذلك من كسبنا ولا فى وسعنا ولن يكلف الله نفسا الا وسعها غير أن هذا الغريزى يحمل على المكتسب ويعين عليه اهـ وقول الناظم أو كبرا والتنويع وهى عاطفة وكبر معطوف على حيا والكبر بالكسر التكبر وهو اظهار العظمة والاعتلاء وقوله تبق مضارع مجزوم بحذف الالف لانه جواب الشرط وفاعله ضمير المخاطب وعلى جهلك متعلق بتبق والجهل عدم العلم وقد تقدم الكلام عليه فى قول الناظم كثر جهلهم وطول مصدر طال يطول من الطول ضد القصر وهو منصوب على الظرفية لنيابته عن ظرف الزمان والاصل مدة طول عمرك ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ونيابة المصدر عن ظرف الزمان كثيرة مقيسة بخلاف نيابته عن ظرف المكان والعمر الحياة وهو بضم العين وفتحها مع سكون الميم فيهما ويصحان معا فى النظم وبضم العين والميم أيضا ولا تصح فى النظم محافظة على القافية ﴿والمعنى﴾ اذا لم تسأل أيها الطالب عما خفى عليك من المسائل بأن منعك من ذلك الحياء أو الكبر فانك تبقى على جهلك مدة حياتك ففى صحيح البخارى موقوفا على مجاهد رضى الله عنه لا يتعلم العلم مستحى ولا متكبر ولما قال صلى الله عليه وسلم

والحيا مقصوراً من أسماء المطر

من

من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة وقالت عائشة ومن كان له فرط من أمتك قال صلى الله عليه وسلم ومن كان له فرط يا موفقة قال العلماء أي يا موفقة لاستكشاف المسائل العلمية والدينية وفيه تحريض لها على السؤال عن العلم ولهذا زادت من السؤال وقالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال أنا فرط لأمتي وقال سيدنا عمر رضي الله عنه من رق وجهه رق علمه وقال أيضا لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم العلم لتماري به ولا ترائي به ولا تباهي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة ولا رضى بجهالة وقالت عائشة رضي الله عنها نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله تعالى وقالت أم سليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة غسل اذا احتلمت وقال الخليل بن أحمد الجهل منزلة بين الحياء والأنفة وقالوا من رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال وقال الحسن من استتر بالحياء عن الطلب لبس للجهل سربالا فاقطعوا سرابيل الحياء فان من رق وجهه رق علمه * فعلى طالب العلم أن يخلع عنه جلباب الحياء والكبر في التعلم ويرمي بنفسه في غمرات الطلب فلا يستحيي ولا يأنف أن يسئل عما لا يعلم ويستفهم عما لا يفهم ولا أن يقول لم أفهم فإن الوجه اذا لم يحمر في مثل هذا لم يبيض أبدا ولا بد أن يكون ذلك بأدب وتلطف وحسن تأن كما تقدم فان الحياء لا يأتي الا بخير وانما طلب زواله لحاجة التفقه مخافة البقاء في غمرات الجهل ولا بد من الاقتصار على قدر الحاجة ومالم يكن منه بد والمحافظة على الحياء فيما وراء ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم فيما وصفه الواصفون أشد حياء من العذراء في خدرها ومع ذلك متى احتاج لأمر لا بد منه لم يعقه الحياء عن الحق فقال للرجل المقر بالزنا أنكتها لا يكني لتوقف الحدود على مثل هذا وأمر بذلك فقال من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا وقال علي كرم الله وجهه كنت رجلا مذاء فاستحييت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته فأمرت المقداد أن يسأل الى آخر الحديث فالطالب متى أمكنه أن يستفيد العلم مع المحافظة على الحياء كان أولى مع أن الحياء المطلوب هو الحياء عن الفحش ومالا ينبغي كالتقدم للكلام مع عدم الأهلية وأما الحياء عن مجرد الكلام وما يحتاج اليه كدأب النساء فلا فضيلة له قاله أبو علي في القانون؛ وقد استثنى العلماء من أحاديث الحض على الحياء الحياء في طلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقالوا ان ذلك خور وضعف لا حياء وقد أشار أبو علي بكلامه المنقول آنفا الى انه لا ينبغي الخروج بعدم الحياء في التعلم الى حال مفرطة في ذلك فاذا أمكن التوصل للمراد مع الحياء فلا داعي لإلقاء جلبابه، والتعري من جميل ثيابه، اذ إزالته انما هي وسيلة فاذا حصل المقصد بدون تلك الوسيلة وجب المحافظة على أصل الحياء الذي هو في الأصل خير كله واذا احتاج الطالب في التعلم الى ازالة الحياء فلا يفرط حتى يخرج عن الحد فذلك مذموم غير محمود كما روى أن بعضهم وافى البصرة نحو شعبة يسمع منه ويكثر فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة الى منزله فحمله الشره على أن سأل عن منزل شعبة فأرشد اليه فوجد الباب مفتوحا فدخل من غير استئذان فوجد شعبة جالسا على البالوعة يبول فقال السلام عليكم رجل غريب قدمت من بلدة بعيدة لتحدثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم شعبة ذلك فقال يا هذا دخلت منزلي بغير اذني وتكلمني على مثل هذا الحال فقال اني خشيت الفوت فقال تأخر عني حتى أصلح من شأني فلم يفعل واستمر في الإلحاح وشعبة يخاطبه وذكره في يده يستبرئ فلما أكثر قال اكتب حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي ابن حراش عن أبي مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت ثم قال والله لا أحدثك بعد هذا الحديث ولا حدثت قوما تكون فيهم اهـ فلا حيف ولا شطط، وخير الامور الوسط،

عليك بأوساط الامور فانها * نجاة فلا تركب ذلولا ولا صعبا

ومن الحياء المذموم المأمور باجتنابه فى اكتساب العلوم استحياء الانسان أن يتعلم فى كبره حيث فاته ذلك فى صغره، وحيث كان العلم فضيلة مرغوبة فأجدر بها فى ذوى السن العالى أن تكون لهم مطلوبة ولأن يكون الشيخ سائلا خير له من أن يكون جاهلا فقد رأى بعض الحكماء شيخا يحب أن ينظر فى العلم ومنعه الحياء فقال له أتستحيي أن تكون فى آخر عمرك أفضل مما كنت فى أوله (ولبعضهم)

اذا لم يكن مر السنين مترجما * عن الفضل فى الانسان تحسبه طفلا
فما تنفع الأعوام حين تعدها * ولم تستفد فيهن علما ولا فضلا

ومن الحياء أيضا المانع من الاستفادة الابتداء بأواخر العلوم وفنونها الصعاب كى لا يساوى الأحداث والصغار فى التعلم والطلاب وذلك كله من خدع النفس والشيطان ومن اغتر بذلك فهو بالمكان الأتم من الخذلان وهذا من أسرار فضل التعلم فى الصغر زيادة على ما تقدم من انه كالنقش فى الحجر والله المرجو فى الحفظ والتوفيق ﴿تتميم فى بقية آداب تتعلق بمجلس القراءة﴾ (منها) أن من سبق لموضع فى مجلس الدرس يوم الفتح فهو له ففى مختصر الشيخ خليل وقضي للسابق كمسجد قال الزرقانى الا أن يعتاد غير السابق الجلوس بالمحل الذى جلس به السابق لتعليم علم كتدريس أو افتاء فانه أحق به من غيره اذا عرف به قاله مالك ثم قال الزرقانى والظاهر أن اختصاصه به فى الوقت الذى اعتاد فيه ماذكر فقط لا بوقت غيره بدله أو أزيد منه ولا ماغاب عنه غيبة انقطاع ولا ما اعتاده والده ابن ناجى ومواضع الطلبة عندنا بتونس يقضى لهم بها اهـ كلام ابن ناجى وبه انتهى كلام الزرقانى وفى مختصر الافاردة وقضي للسابق بمجالس التدريس كحزب بوقف وحوزه بالبيات فى الإبتداء حمق * ومنها أن لا يجلس أحد فى مجلس أحد مالم يكن باذن الشيخ أو لسبب ظاهر يعذر به كأن يغيب صاحب المحل فاذا عاد استحق موضعه مالم تكن غيبته عن ترك لذلك النصاب وانتقال لدرس آخر (ومنها) أنه لا ينبغى الجهر بالمذاكرة فى المجلس لأنه دليل على المراآة بالعلم ففى مختصر الافاردة أيضا وانما يجهر بالمناظرة قبل مجيء الفقيه جاهل أو مراء (ومنها) أن من تأخر مجيئه لا يتخطى رقاب الجالسين للوصول لمحله الا ان أذن الشيخ له فى ذلك أو كان له مجلس معلوم مع الشيخ أو يدعوه الشيخ أو يعلم انه يؤثر ذلك أو الحاضرون لمصلحة فيه من مزيد بحث مع الشيخ أو فضيلة من علم أو صلاح أو سن والاولى لمثله أن لا يتأخر ما أمكنه حتى يحتاج لتخطى الرقاب قال فى المختصر المذكور أيضا ولا يتخطى الرقاب متأخر المجيء بغير اذن الشيخ وقال ذو النون المصرى اياك أن تطلب العلم بالجهل قيل كيف يطلب العلم بالجهل قال اذا قصدت العالم فى غير وقته وتخطيت الرقاب وتركت فى طلبه حرمة الشيوخ ولم تستعمل فيه السكينة والوقار وأدب النفس فذلك طلب العلم بالجهل (ومنها) الاحتراز من الالتفات يمينا أو شمالا أو فوق أو تحت عن الشيخ ولا سيما عند كلامه معه ولا يضرب بكميه ولا يحسر عن ذراعيه ولا يعبث بيديه أو رجليه ولا ينظر الى أهل المجلس عند ما يصدر منه بحث أو فلج ٣ فى مباحثة الشيخ تبجحا به أو يرى ما يقولون فيه فان مثل هذا مفتون فى نفسه ممقوت عند الله وعند الشيخ الا من عصمه الله ولا يشبك أصابعه ولا يعبث بلحيته ولا يستند بحضرة الشيخ الى حائط أو وسادة أو على يده الى وراء ولا يولى الشيخ جنبه أو ظهره ولا يشير بيده حال البحث ولا يكثر الكلام لغير حاجة ولا التنحنح ولا يبصق ولا يتنخم ما أمكنه فان غلبه ذلك أخذه فى ثوبه من غير صوت وحكه وليخفض الصوت عند العطاس جهده وليسد فاه عند التثاؤب (ومنها) أنه اذا حضر مجلس الدرس أن يسلم على جميع الحاضرين عموما ويخص الشيخ بمزيد تحية واكرام (ومنها) أنه لا ينبغى للطالب أن ينتقل من محل جلوسه المعتاد له فقد يكون فى الانتقال حيرة فى الفهم

٣ الفلج الظفر والفوز كما فى القاموس

باذن الله تعالى (ومنها) أنه ينبغي له أيضا أن يحترم أهل المجلس ويتأدب معهم فان ذلك من احترام الشيخ والعلم فلا يسيء الى أحد منهم بانتهاره أوشتمه أو اجتذابه أو الجلوس بين يديه أوفوقه أو استناد عليه بمرفقه أو رأسه أونحو ذلك الا أن يكون بينه وبينه شيء من ذلك محتملا ولا يعارضه عند سؤاله للشيخ أو بحثه معه بجواب ولا بحث ولا سؤال آخر للشيخ ينسى سؤاله ولا يفرّق بين متصاحبين أو متعاونين الا باذنهما وليوقرأ كابر أهل المجلس وأفاضله أكثر (ومنها) أنه ينبغي لاهل المجلس أن يرحبوا بالوارد ويفسحوا له ويكرموه بما ينبغي لمثله وينبغي للوارد اذا فسح له أن يضم جناحيه ولا يضيق على الناس فقد قيل اثنان ظالمان رجل وسع له في مكان ضيق فجلس متربعا ورجل أهديت له نصيحة فاتخذها ذنبا ومتى أساء أحد من أهل المجلس أدبا أو أساء الى غيره فالشيخ أولى أن يؤدبه أو يزجره أو يصلح ذات البين أو من يقدّمه الشيخ لذلك وان أساء أحد الى الشيخ فعلى الجماعة القيام بزجره والانتصار للشيخ ووفاء بحقه وهذا من حق الشيخ على التلميذ في الانتصار له بالحق حاضرا كان أو غائبا حيا كان أو ميتا (ومنها) أن لا يشتغل الطالب عند تقرير الشيخ بالنظر في الكتاب بل يضع الكتاب أو الكراسة في حجره لا في الارض فاذا فرغ الشيخ من التقرير وأمر القارئ بالقراءة أخذ الطالب حينئذ ينظر في الكتاب (ومنها) أن يفتتح القارئ الذي يقرأ للطلبة الكتاب على الشيخ بالتعوّذ والبسملة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الحول والقوّة والترضي على الشيخ مؤلف الكتاب وينبغي للشيخ أن يعلم الطلبة ذلك لانه من الآداب الاكيدة (ومنها) أن يحذر الطالب من التثاقل والتكاسل عند تطويل مجالس الدرس يوما من الايام لغرض عرض * ومنها أن لا يقوم من مجالس الدرس الالضرورة فادحة فقد قيل

أخلّ بالعلم وأزرى به * من قام في الدرس لاصحابه

وليتحفظ التلميذ من مواجهة الشيخ بصورة الرد كأن يقول له الشيخ أنت قلت كذا أو مرادك كذا أو خطر في فهمك كذا فيقول التلميذ ما خطر لي هذا ولا قلت هذا بل ان كان خطأ فيقول اني تائب وأستغفر الله وان كان صوابا فليحمد الله وليقل له ذلك من بركتكم فقد قالوا ان خطأ الشيخ أنفع من صواب التلميذ (ومنها) أن يقبل الطلبة يد الشيخ عند انفضاض مجالس القراءة قال في مختصر الافادة وقبلوا يده عند ختم الكتاب انتهى ومراده ختم الدرس والنص[٣] لا خصوص ختم الكتاب وانما عبر بالكتاب ليكون في كلامه براعة الاختتام اذ هذه آخر جملة من المختصر المذكور وتقبيل اليد أمر مشروع فقد عقد أبو داود في سننه لذلك بابا فقال باب ماجاء في قبلة اليد عن زراع رضي الله عنه وكان في وفد عبد القيس قال فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله وفيه أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال دنونا يعني من النبي صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده اه وفي سنن البيهقي أن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت أحدا كان أشبه كلاما وحديثا من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اذا دخلت رحب بها وقام اليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها رحبت وقامت فأخذت بيده وقبلتها اه وقد نص بعض الشافعية على أن تقبيل يد الزاهد والصالح أو العالم أو الشريف أونحوهم من كل من قام به فضل وشرف ديني أمر مستحب ذكره النووي في الاذكار وان كان ذلك للغنى والجاه والرياسة الدنيوية كره وبعضهم عبر بالحرمة وعن بعضهم أنه يجوز تقبيل يد الحاكم العادل والعالم العامل وقد صرّح كثير بندب ذلك وصح أن أبا عبيدة قبل يد عمر رضي الله عنهما * ويروى أن ابن عباس أمسك الركاب لزيد بن ثابت فقال له ما هذا يا ابن عباس فقال هكذا أمرنا با كرام علمائنا فطأطأ على يد ابن عباس فقبلها وفي رواية على رأسه وقال هكذا أمرنا بتعظيم أهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق عمل الناس على جواز تقبيل يد من يجوز التواضع

٣ قوله والنص هذه الا ضمن تخريجة بهامش الاصل ساقط منها بعض حروفها والموجود الى النص أقرب فأثبتناه ماهو الظاهر منه و كان بعيد المعنى فليحرر مصححه

له ونقل التفجروتى فى تنبيه الغافل كلام النووى فى الجواز وأقره وكره بعضهم تقبيل اليد ونحوها وهو مذهب مالك رحمه الله كما فى جامع المعيار وفى الرسالة كره مالك تقبيل اليد وأنكر ما روى من ذلك اهـ لانه ورد فى حديث حسن أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن حنى الظهر فى السلام وعن التزام الغير وتقبيله وأمر بمصافحته اهـ ومن وصية لبعض العارفين لاصحابه واياكم أن تمكنوا اخوانكم من تقبيل أيديكم وأرجلكم بعد ختام المجلس فان فى ذلك قيام النفس اهـ وكان سيدى على الخواص رضى الله عنه من أشد الناس نفرة ممن يقبل يده ويقول تقبيل اليد انما يكون لمن كان على قدم الاستقامة ليلا ونهارا وكان اذا قبل أحد من المسلمين يده أو ركبته كاد أن يذوب من الخجل نقله العارف الشعرانى فى المنن ثم قال وقد رأيت من يمد يده للناس ليقبلوها وذلك من السذاجة أو التكبر اهـ ﴿قلت﴾ وكذلك رأيت فى زماننا بعض من ينتمى للعلم يفعل ذلك مع الطلبة والعوام وصار بسببه ممقوتا فى أعين الناس مذموما فى الالسنة حتى صار ملقبا بابن يمد يده للناس ليقبلوها ووقعت منه فى ذلك قضايا عجيبة نعوذ بالله من الخروج عن سنن الشرع ﴿قلت﴾ وانظر انكار مالك وروده مع ما فى الصحيح من قضية وفد عبد القيس التى قدمناها والله أعلم ولله در الشهاب الخفاجى اذ يقول

قبل يد الخيرة أهل التقى * ولا تخف طعن أعاديهم

ريحانة الرحمن عباده * وشمها لثم أياديهم

هذه بعض آداب التلميذ مع شيخه فى مجلس القراءة وكل ذلك منصوص لعلمائنا رضى الله عنهم وستأتى الآداب العامة ان شاء الله تعالى فى باب آداب التلميذ مع الشيخ

﴿باب آداب كيفية الإقراء﴾

تقدم اعراب الترجمة غير مرة وكيفية الشئ صفته وحاله والمراد بالاقراء التدريس وهو مصدر أقرأ الرباعى وسيأتى الكلام على حقيقة الاقراء عند تعرض الناظم لها وقد نسب الناظم فى الترجمة الآداب للاقراء الذى هو المصدر ونسبها فى آخر الباب للمدرس اذ قال فيما يأتى فهذه آداب ذى التدريس لان الاقراء وصف للمدرس ففى كلامه هنا تجوز يبينه ما يأتى أى هذا باب يتكلم فيه على آداب هى صفة المدرس فى تدريسه ﴿واعلم﴾ أن الاقراء هو من نشر العلم وغير خفى أن نشره من جملة المعالم الاسلامية العامة كجهاد العدو وتجهيز الموتى وذلك كله واجب كفاية فمن ظن غيره قام بنشر العلم فقد سقط عنه الوجوب على كلا القولين من خطاب الجميع بفرض الكفاية أو البعض فقط ومن لم يظن ذلك فقد تعلق به الوجوب وقد تقدم فضل نشر العلم وهل الافضل التدريس أو التأليف قد اختلفت أحوال الناس فى ذلك فمن العلماء من استغرق زمانه فى التدريس فقل تصنيفه ومنهم بعكس ذلك كالحافظ السيوطى فانه لم يكن يدرس بل كان مقبلا على التأليف وقد ظهرت تآليفه وانتشرت على كثرتها ونفع الله بها وكذلك الشيخ بهرام كان أولا يدرس ويؤلف فلما شرح مختصر الشيخ خليل دعا الطلبة للقراءة به فقالوا والله لا نقرأ كتابك ولا كتاب شيخك فترك التدريس واشتغل بتأليف كتابه الشامل فى علم الفقه كما ذكر ذلك أبو على اليوسى فى بعض أجوبته وكل من التدريس والتصنيف منفعة أما التدريس فنفعه حاضر ينتشر به العلم فى الآفاق وأما التصنيف فنفع مدخر يوجد عند الحاجة اليه قال القاضى عياض والمناوى على حديث مسلم وغيره عن أبى هريرة اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ما نصه الانتفاع بالعلم يكون بالتدريس والتصنيف قال السبكى والثانى أقوى لطول بقائه على ممر الازمان اهـ وقال العلامة أبو العباس الهلالى فى نور البصر ثم التعليم كما قال العلماء يكون بالمشافهة وبالتأليف والتدوين فكل من فهم مسئلة من التأليف

مؤلفه معلمه اياها ومن هنا ظهر أن التعليم بالتأليف أكثر منه بالمشافهة لان فى التأليف ما فيها وزيادة ما يحصل بالكتاب لبقائه وانقطاعها ولله در سيدى عبد الواحد بن عاشر اذ يقول

لله فى صنعه من خلقه عجب * كادت حقائق فى الوجود تنقلب
كلم بعين ترى لا الاذن تسمعها * خطابها حاضر وأهلها ذهبوا

وقد يكون التعليم بالكتاب أولى من التعليم بالخطاب اذا كان المؤلف قلمه أفصح من لسانه ومطالعة كتبه أيسر من مراجعته لشدة خلقه أو بعد مكانه حسا أو معنى أو تقدم زمانه اه قال أبو على اليوسى وينبغى للعالم أن يراعى حال الوقت فان اتفق وجود طلبة العلم النجباء فليشتغل بهم ويودع الحكمة صدورهم والا فليودع علمه بطون الأوراق ولا يبقى بطالا وان كان متوسطا فالتوسط وهو الاخذ من كل قسم بطرف وقد يكون شئ من العلم ان لم يجمع ضاع فلا غنى فيه عن التصنيف كما أنه قد يكون شئ مغمورا غامضا فمنه ما صنف فيه فالتصنيف فيه تكلف وألسنة العلماء أيضا قد تختلف فقد يكون منهم من لسانه فى الكتب مثله فى الدرس ومنهم من يكون لسانه فى الكتب أفهم وقد يكون من هو بالعكس فقد كان الشيخ سعد الدين التفتازانى اذا اجتمع به السيد الجرجانى فى المجالس ارتفع عليه السيد فصاحة وبيانا فلما صنف خرج لسان السعد أفصح وأنصح فالعالم فى هذا أيضا يراعى حال الوقت وحال نفسه قياما بالنصح واتساما بالانصاف ﴿ثم اعلم﴾ أن التأليف والتدوين لا يكون من نشر العلم ويحصل الثواب المرتب عليه الا اذا كانت فيه فائدة والا فهو تخسير للكاغد وتضييع للوقت كما قاله ابن عرفة ونقله عنه الأبى فى شرح مسلم قالوا واذا لم يكن فى التأليف واحد أو أكثر من أمور سبعة فلا فائدة فيه وهى شئ لم يسبق اليه يخترع أو ناقص يتمم أو مستغلق يبين أو طويل يختصر دون اخلال بمعانيه أو متفرق يجمع أو مختلط يرتب أو خطأ يصلح ونظمها العلامة أبو العباس الهلالى بقوله

فى سبعة حصروا مقاصد العقلا * من التآليف فاحفظها تنل أملا
أبدع تمام بيان لاختصارك فى * جمع ورتب وأصلح يا أخى العملا

كما أنه لا يحصل الثواب على تدريس العلم وتعليمه الا ان كانت فى المدرس أهلية لذلك فيحرم على الشخص أن ينتصب للتدريس حتى يكون أهلا له محققا للفن الذى يريد الخوض فيه مع ذكاء النفس وقوة الرأى قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقال النبى صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور فاذا صح ادراك الشخص وكان حضوره فى مجالس أشياخه لا يزيده فائدة على ما عنده جاز تصدره للتدريس والتعليم قال الأبى على حديث مسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث الحديث ما نصه كان شيخنا ابن عرفة يقول اذا لم يكن فى مجالس التدريس التقاط فائدة من الشيخ فلا فائدة فى حضور مجالسه بل الاولى لمن حصلت له معرفة بالاصطلاح والقدرة على فهم ما فى الكتب أن ينقطع بنفسه ويلازم النظر ونظم فى ذلك أبياتا هى قوله

اذا لم يكن فى مجلس الدرس نكتة * بتقرير ايضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو حل مقفل * أو اشكال أبدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد * ولا تتركن فالترك أقبح خلة

اه من شرحه لمسلم ونقل بعضهم عنه انه أجاب شيخه ابن عرفة عن الابيات المذكورة بقوله

يمينا بمن أولاك أرفع رتبة * وزان بك الدنيا بأكمل زينة
لمجلسك الاعلى كفيل بكلها * على حين ما عنها المجالس ولت
فأبقاك من رقاك للخلق رحمة * وللدين سيفا قاطعا كل فتنة

قال وانى لصادق فى يمينى فقد كنت أكتب عنه كل يوم نحو الورقتين مما ليس فى الكتب أصلا اهـ ومن تمام الاهلية أن يحسن صنعة التدريس وكيفية الإملاء والتقرير والتحرير والتنقير فرب محصل لفن ولا يحسن هذه الصنعة فيقع فى تخليط وتشتيت فمن كانت فيه الاهلية المذكورة جاز انتصابه للتدريس والتعليم والفتوى من غير احتياج الى إذن أشياخه أو اجازتهم ففى أول نوازل الجامع من المعيار مانصه ٭وسئل القاضى أبو عثمان بن سعيد العقبانى عن أخذ الأجرة على تعليم العلم وهل يفتقر المعلم فى تعليم العلم الى اذن شيخه أم لا وعلى الافتقار فهل يكفى فى ذلك مجرد القول أو لا بد من كتب الاجازة والاشهاد أو لا (فأجاب) كره مالك فى المدونة الإجارة على تعليم العلم وقيل بالمنع وقيل بالاباحة حسبما اختلف فى بيع كتبه ومذهب المدونة مقدم فى النقل لئلا يضيع العلم لضعف أرزاق العلماء فان منعوا الإجارة شغلهم طلب المعيشة عن التعليم ، وأما توقف التعليم على كتب الاجازة فلم يقله أحد وانما هو كالفتيا لا تتوقف على اجازة بل من عرف منه العلم والدين جاز أن يعلم ويفتى والمتعلم اذا رأى الشيخ منصوبا للتعليم والفتيا والناس يعظمونه جاز له أن يأخذ عنه وان كان متمكنا من السؤال عنه فليسأل فان أخبره انه عالم دين جاز له أن يسأله وهل يكفى فى ذلك خبر الواحد قولان ، واذا علم الشيخ أنه أهل لذلك دينا وعلما وجب عليه وجوب عين أو وجوب كفاية على حسب اختلاف المواضع على ماعرف فى ذلك وان علم من نفسه انه قاصر عن ذلك لم يحل له التعرض له ومن كان أهلا لذلك ومنعه بعض أشياخه لم يحل له مطاوعة ذلك الشيخ ومن كان قاصرا وأجازه الشيخ ذلك لم يحل له مطاوعته وتجب عليه مخالفته وانما تطلب الاجازة وتنفع فى رواية الأخبار والانشاآت المتواترة وغيرها وأما العلم فلم يقل أحد بافتقار الفتيا والتعليم لإذن ، نعم لايحل لأحد أن يأخذ مسئلة علم الا عن من عرف علمه ودينه وطريق معرفته ماقدمناه اهـ جواب العقبانى وقال السيوطى فى الاتقان الاجازة من الشيخ غير شرط فى جواز التصدى للاقراء والافادة فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك وان لم يجزه أحد وعلى ذلك السلف الاولون فى كل علم وفى الاقراء والافتاء خلافا لما يتوهمه الاغبياء من اعتقاد كونها شرطا وانما اصطلح الناس على الاجازة لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالبا من يريد الاخذ عنه من المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط فجعلت الاجازة كالشهادة من الشيخ المجيز بالأهلية اهـ قال العلامة الطرنباطى فى كتابه بلوغ أقصى المرام قلت وقد يشير الى مستندها فى الجملة قوله صلى الله عليه وسلم استقرئوا القرآن من أبي وابن مسعود وغيرهما فدل على من فيه الأهلية وهى شهادة منه عليه الصلاة والسلام لهم وتلك فائدتها والله أعلم اهـ ﴿قلت﴾ وأما فى زماننا هذا فقد تصدر للتدريس من لا يحسنه بل من لم يتقدم له تعلم أصلا تجاسرا على المراتب من غير أهلية وذلك من البدع المجمع على تحريمها المؤدية الى اندثار العلم وأهله واغترار العوام بالصورة الظاهرة فيعتقدون الباطل حقا وهذا من المنكر العظيم الذى يترتب عليه من المفاسد الدينية والدنيوية مالا يحيط به قلم ولا لسان بل هذا الداء العضال فشا قبل هذا الزمن بكثير فقد قال الهلالى فى نور البصر قال البرزلى لقد درست طرق العلم فى هذا الزمان وانعكست الحقائق وعدل بالمناصب الشرعية عمن يستحقها الى من لا يستحقها اما بجاه عنده واما بكونها لأبيه ونحوه فتولاها بالإرث وقد ذكر بعض شراح الرسالة أن من البدع المجمع على تحريمها تقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشرعية بالتوارث لمن لا يصلح لها اهـ باختصار وبعضه بالمعنى ثم قال وفى مثل هذا أنشد أبو حيان

بلينا بقوم صدروا فى المجالس ٭ لاقراء علم ضل عنهم فوائده
لقد أخر التصدير عن مستحقه ٭ وقدم غمر جامد الفكر خامده

الوقت من وسائل الاستغلال [illegible] عن الاستعمار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وسوف

وسوف يلاقى مَن سَعى فى جلوسهم * من الله عقبىَ مَا أَكَنّت عقائده

عَلَى لاعقلَه فيهم هَواه أما دَرَى * بأن هَوَى الإنسان للنار قائده

وهذا ونحوه يبين لك حال طلبة هذا الزمان فى البوادى والقُرى فإن أكثرهم من هذا القبيل المجمع على تحريم تصدّيه لافادة الأحكام الشرعية وقد ألقَوا بأيديهم الى التهلكة وتصدّروا للحكم والفتيا وكتب الوثائق، ومنهم مَن لايحسن مسئلة واحدة نسأل الله العافية ثم قال الهلالى ورأيت قوما لايحسنون مسئلة واحدة فى فنّ من الفنون وتسموا بالعلماء بمجرّد جرأتهم على الأحكام فانا لله وانا اليه راجعون اه لكن فى زماننا هذا قد تفاقم الأمر واتسع الخرق على الراقع من غير نكير، ممن له القدرة على التغيير، فلا حول ولا قوّة الا بالله العلىّ العظيم، وياحبذا لو ينَصّب الأمير نصره الله وأيده، وسدّد أمره وأرشده عالمين دينين منصفين لاختبار مَن أراد التصدّى للتدريس حسما لمادة التجرؤ والتلبيس، ولا ينتصب أحد لهذا الامر الا بعد الاختبار، والعلم ببلوغه درجة الاعتبار، فاذا تحققت فيه الأهلية فى فنّ من الفنون أذن له فيه، ولا يتقدّم على غيره الا بعد العلم بانه ذو معرفة واتقان لما يقتفيه، فبهذا يُمحى ماظهر فى هذا الوقت من المفاسد، من تصدّى الجهال للتعليم بعقل فاتر ورأى كاسد، من غير أن يتقدّم له كبير تعلم، ولا معرفة للفرق بين التفهيم والتفهم، بل بمجرّد عِظَم الهامة، وتكبير العمامة، وارخاء الرداء على الوجه كأنه عروس، والتصنع فى المشية والتكلف فى الملبوس ﴿وقد سئل﴾ حافظ المذهب وزعيمه أبو الوليد بن رشد هل تصح المناظرة فى الموطأ ولم يسمعه على أحد ولا عنده كتاب يصححه وكيف لو ناظر فيه بكتاب صحيح لم يروه هل يجوز أم لا (فأجاب) لايجوز ان لم يعنَ بالعلم ولا سمعه ولا رَواه الجلوس لتعليمه الموطأ ولا غيره من الامّهات ولو كانت مشهورة ولو قرأها وتفقه على الشيوخ فيها أو حملها اجازة فقط جاز أن يُعلم مَا عنده من الشيوخ من معانيها وأن يقرأها اذا صحح كتابه على رواية شيخه والله أعلم ﴿وقد سئل أيضا﴾ عن أهل البادية يكون عندهم طالب يقرأ القرآن ولا عنده شيء من الفقه الا أنه ينظر فى الكتب ويفتى منها الناس بما يعتقده أنه يفهمه منها فى أمور الوضوء والصلاة والصيام ويرى أن تعليمهم ذلك أولى من أن يتركهم على جهلهم لأنهم ان لم يعلمهم ذلك بقوا على حالهم وجهلهم ولا يسألون غيره ومع ذلك لايجدون مَن يسألون فهل يجب عليه أن يعلمهم ذلك مع انه لم يقرأ قط على شيخ أو يحرم عليه ذلك أو هو مندوب فى حقه ويؤجر على ذلك بيّنوا لنا مأجورين (فأجاب) الذى يفتى الناسَ بما يرَى فى الكتب من غير أن يقرأ على الشيخ لايحل له نص على ذلك الفقهاء وسواء وجد غيره أم لا اه ﴿وقد سئل﴾ أبو العباس القباب حسبما فى جامع المعيار عن الرجل يكون بين قوم جهال بأمور الشريعة من الصلاة وغيرها وهو يُحسن أن يقرأ هل يجوز أن يعلمهم مايحتاجون اليه من كتب الفقه كالرسالة والجلَّاب وغيرهما وهو لم يقرأ شيأ من ذلك على شيخ أم لا (فأجاب) تعليم الناس من الرسالة والجلاب ونحوهما لمن لم يقرأ على أحد لا ينبغى اه أى لايجوز ومَن تصدّر للتدريس من غير استحقاق فقد جمع بين التعدّى على المرتبة والجهل باستحقاقها والتدليس على الناس والتلبيس على منصب العلم وأكل المرتّبات من غير استحقاق لانها انما تجرى على العلماء لا المتعاطين للتدريس من غير علم ومعرفة بما تصدّر واله وقد نص الجزولى على أن مَن دُفع اليه مال لكونه صالحا أو عالما أو فقيرا ولم تكن فيه تلك الخطة حرُم أخذه نقله العلامة بنانى فى حواشى الزرقانى عند قول المصنف فى باب الكتابة فان لم يقصدوا الصدقة رجعوا بالفضلة وفى نوازل العَلمى من جواب للشيخ الامام سيدى محمد بن يوسف السنوسى رحمه الله مانصه اذا كان من أعطى شيأ على ظنّ حالة فيه وفيه خلافها فجميع ماأخذه سحت اه وفى التصدّر قبل الاوان المعاقبة بالحرمان كما قال الشبلى كما نسبه له بعضهم

رحم الله المؤلف لو عاش الى اليوم لرأى الجهلة يتولون الوزارات ورئاسة الجامعات والفروع ودار الحديث ... [illegible] ... دار الحديث الأكبر

أو القاضي أبو الطيب الطبري كما في شعب البيهقي مَن تصدّر قبلَ أوانه فقد تصدّى لهَوانه وقال أبو حنيفة مَن طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذل ما بقي ، وقال شعيب بن حرث من رضي أن يكون ذنبا أبى الله أن يجعله الا رأسا ولاحمد بن علي الفالي بالفاء نسبة الى فالة قرية من كُوَر الأهواز

تصدّر للتدريس كل مُهَوّس * بليد تسمّى بالفقيه المدرس
فحقّ لأهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس:
(لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس)

(ولابن خالَوَيه الشافعي)

اذا لم يكن صدرُ المجالس سيدا * فلا خير فيمن صدّرته المجالسُ
وكم قائل مالي رأيتُك راجلا * فقلت له من أجل انك فارس

نسبهما اليه صاحب اليتيمة ونقله ابن خلكان ونسبهما صاحب زهر الأكم لعبد الله بن همام بقولهما مع بيتين قبلهما في الحارس اسم رجل كان على شرط الكوفة من قبل الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهما

أقلي علي اللوم يا ابنة مالك * وذمّي زمانا ساد فيه الحارس
فساع من السلطان يسعى عليهم * ومحترس في مثله وهو حارس

اذا لم يكن الخ وهذا أصح والله أعلم (رجع) وللإمام البوصيري

قل للذين تكلفوا زي التقى * وتخيروا للدرس ألفَ مجلّد
لاتحسبوا كحل الجفون بحيلة * ان المها لم تكتحل بالإثمد

(ولبعضهم)

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن في الصدر قبلَ الكمال
فان تصدّرت بلا آلة * صيرت ذاك الصف صف المقال

وللفقيه منصور اليمني الشافعي الضرير ذكرهما عنه له البيهقي في الشعب وغيره

الكلب أحسن عشرة * وهو النهاية في الخساسه
ممن ينازع في الريا * سة قبل إبان الرياسه

وقد أجاد ابن رشيق في هجو مدرس ان لم يكن تحاملا منه عليه

لك تدريس ولكن * عين تدريسك لام

(قال الناظم رحمه الله تعالى)

١١٨ (وان ترد معرفة الإقراء * فاصغ لما قلت بالاستقراء)

الواو للاستئناف وان حرف شرط وترد مضارع مجزوم به وفاعله ضمير المخاطب ومعرفة مفعوله والاقراء مضاف اليه معرفة على حذف مضاف أي معرفة آداب الاقراء بدليل الترجمة ولانه لم يقتصر في الباب على حقيقة الاقراء بل ذكر الآداب المتعلقة به وكيفيته وحقيقته وقوله فاصغ الفاء رابطة للجواب بالشرط واصغ فعل أمر من صَغِيَ يَصغَى كرَضِي يرضى صغيا وصغى أي مَالَ واستمع كما في القاموس ويقال أصغى رباعيا كما فيه أيضا ولا يقبل النظم هنا الا اللغة الأولى وجعله رباعيا ووصلت الهمزة للضرورة تكلف لا داعي اليه ولما متعلق باصغ وقلت صلة ما والعائد محذوف أي لما قلته وعبر بالماضي في قوله قلت مع أنه حين قوله هذا البيت لم يقل ما يأتي تنزيلا للمستقبل منزلة الماضي لتحقق وقوعه على حد قوله تعالى أتى أمر الله وقوى رجاء الناظم حتى نزل ذلك منزلة الواقع وبالاستقراء أي التتبع

متعلق باصغ والباء بمعنى مع أى اصغ مع الاستقراء ولا تصغ للبعض دون البعض فيفوتك بعض الآداب ويحتمل أن يكون بالاستقراء متعلقا بقلت أي اصغ لما قلته مع الاستقراء للآداب المطلوبة من المدرس والاول أولى لان الناظم لم يستقرئ الآداب كلها في هذا الباب كما سنبينه ﴿والمعنى﴾ اذا أردت أيها المدرّس أن تعرف آداب الاقراء فاصغ لما أقوله مع الاستقراء ثم أخذ يذكر ما وعد به فقال:

119 ﴿انظُرْ نِصَابَكَ إلى أن يَحْصُلاَ * تفصيلُهُ بالفِكرِ منكَ مُجْمَلاَ﴾

انظر فعل أمر فاعله ضمير المخاطب ونصابك مفعوله وتقدم وجه تسمية القدر المقروء نصابا عند قول الناظم نصابك المقروء الخ والكاف ضمير المخاطب مضاف اليه ماقبله وقوله انظر نصابك بدل من قوله فاصغ والى حرف جرّ للغاية وأن حرف نصب مصدرى ويحصلا مضارع منصوب به والالف للاطلاق وتفصيله فاعل يحصلا وهو مضاف الى الضمير العائد على النصاب وأن المصدرية سابكة المضارع بمصدر مجرور بالى التى للغاية أى الى حصول تفصيله الخ والإغياء يدل على تكرار النظر وبالفكر متعلق بيحصل، وعرفوا الفكر بأنه حركة النفس فى المعقولات فإن تحركت فى المحسوسات فهو تخييل ويطلق الفكر على العقل نفسه مجازا كما هنا من باب اطلاق الحالّ وارادة المحل ومنك متعلق بمحذوف حال من الفكر أو نعت له ومجملا بمعنى جميعا منصوب على الحال من تفصيله وليس المراد بالإجمال فى كلامه ضدّ التفصيل كما قد يوهمه ذكر التفصيل قبله لما يلزم عليه من التناقض فى المعنى ففى كلامه التوهيم وهو من المحسنات البديعية ومنه قوله تعالى (والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) فان ذكر النجم عقب الشمس والقمر يوهم أن المراد بالنجم أحد النجوم مع أن المراد النبت الذى لا ساق له ﴿والمعنى﴾ انظر أيها المدرّس نصابك الذى أردت أن تقرأه نظرا بعد نظر حتى تحصل جملته فى ذهنك مفصلة وليس تكرار النظر مقصودا لذاته بل المقصود منه تحصيل النصاب تحصيلا تاما وقد تكون فى العالم جودة ذهن لا يحتاج معها الى تكرار النظر بل بأوّل نظر يهتدى للمراد ويحصل على المقصود بل ربما يستغنى المحصل الممارس عن المطالعة فى اقراء الكتب المتداولة من العلوم السهلة كالنحو وبعض كتب المعقول وقد شاهدنا من بعض أشياخنا المتمهرين فى الإدراك الحصلين فى العلوم على المشاركة والتحقيق انه لا يحتاج فى اقراء خلاصة ابن مالك وأشباهها من الكتب المتداولة فى النحو الى مطالعة أصلا نعم ربما يراجع فى بعض الأحيان بعض اشكالات واردة عليه فى مجالس الإقراء بعد أن يجيب عنها بما يظهر له لينظر هل وافق رأيه رأى غيره فيها أم لا، وكذلك بعض كتب المعقول كنظم السلّم للأخضرى وذلك لكثرة الممارسة فى الفنّ وطول الإقراء فيه بل هذا يحصل للمدرّس فى أوّل تدريسه بالنسبة الى اقراء الجرّومية وشبهها كما لا ينكره محصل متقن والله الهادى (ثم قال الناظم)

120 ﴿بحيثُ لا يبقى بهِ من سَطْرِ * الا وقد حَوَاه لوحُ الفِكرِ﴾

الباء حرف جرّ للملابسة أى الالصاق فلا يرد أن النحويين لم يذكروا الملابسة فى معانى الباء الأربعة عشر المشهورة المشار اليها بقول بعضهم:

تعدَّ، لُصوقا، واستعِن، بتسبُّب * وبدِّل، صِحابا، قابلوك، بالاستعلا
وزِدْ، بعضَهم، إن جاوزَ، الظرف، غايةً * يميناً، تحزْ للبا معانيها كلّا

وحيث مجرورة بالباء وهى ظرف مكان ولا تستعمل ظرف زمان على مذهب الجمهور خلافا للأخفش والمراد بها هنا الحالة فقد خرجت فى مثل هذا التركيب عن أصلها من وجهين * الاوّل تجوز بها عن معناها الاصلى الذى هو الظرفية المكانية الى الحالة تشبيها لها بالمكان * الثانى أنهم أدخلوا عليها الباء

مع أنها لا تخرج عن النصب محلاً على الظرفية الا الى الجر عن اعتماداً على قول بعض النحاة بتصرفها قليلاً على أن العلامة يس ذكر في حواشي التصريح ان ظرفيتها غالبة لا لازمة وذكر لخروجها عن الظرفية شواهد لكن الذي في المغني وشروحه وحواشيه انها لا تخرج عن النصب على الظرفية الا للجر عن وجرّها بغير ها نادر والشواهد التي ساقها الشيخ يس كلها تقبل الظرفية المكانية فانظره لكن التجوز بها الى مثل هذا التركيب الذي في النظم شائع في كلامهم فليس بلحن والجار والمجرور في قوله بحيث متعلق بقوله يحصلا في البيت قبله وقوله لا يبقى الخ لا نافية ويبقى مضارع مرفوع وبه متعلق به والباء بمعنى في والضمير المجرور بها عائد على النصاب وسطر فاعل يبقى مرفوع بضمة مقدرة في الراء منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لمن الزائدة في الفاعل واغا زادها للدلالة على تأكيد النفي في قوله لا يبقى وجملة لا يبقى الخ في محل جر باضافة حيث اليها والا لابطال النفي السابق والواو الداخلة على قد واو الحال وقد للتحقيق وحواه أي جمعه فعل ماض والضمير البارز عائد على السطر ولوح فاعل حوى وهو مضاف الى الفكر أي العقل واضافة لوح الى الفكر من اضافة المشبه به للمشبه أي الفكر الذي هو كاللوح في أن كلا منهما محل لرسوخ العلم وثبوته ﴿والمعنى﴾ انظر أيها المدرس نصابك الى ان يحصل في ذهنك مفصلا حصولا ملابسا لحالة لا يبقى معها سطر من النصاب الا وقد جمعه فكرك وأحاط به (ثم قال الناظم)

١٢١ ﴿ولستُ أعني حِفظَكَ العِبارَهْ * بَلِ المعَاني إفهمِ الإشارَهْ﴾

الواو للإستئناف ولست فعل ماض ناقص وضمير المتكلم اسمها وأعني مضارع عنى كرمي أي قصد وفاعل أعني ضمير المتكلم وحفظك مفعول بأعني وهو مصدر مضاف الى فاعله وهو الكاف والحفظ تأكد المعقول واستحكامه في العقل ويطلق الحفظ تارة على القوة التي بها يثبت ما يؤدي اليه الفهم وتارة لضبط الشيء في النفس وتارة لاستعمال تلك القوة ويناقضه النسيان والعبارة أي اللفظ مفعول المصدر والعبارة بكسر العين وحكي في المحكم فتحها مأخوذة من العبور وهو الانتقال لأن الانسان لا يمكنه أن يتكلم بها الا اذا انتقل من حرف الى حرف آخر وأيضا كأنه بسبب تلك العبارة ينتقل المعنى من ذهن المعبّر الى ذهن السامع أشار له الفخر الرازي أوائل تفسيره وجملة أعني الخ في محل نصب خبر ليس وبل حرف عطف للإضراب والمعاني معطوف على العبارة وقوله افهم الاشارة جملة من فعل وفاعل ومفعول كمل بها البيت ﴿والمعنى﴾ لست أقصد بالنظر في النصاب وتحصيله في الفكر مجرد حفظ ألفاظه بل مرادي فهم معانيه وتحصيلها بحيث تعبر عنها بأي عبارة شئت فانه لا عبرة بالحفظ دون الفهم اذ من هذا شأنه تجده يحفظ ألفاظ الكتاب الذي يقرؤه ثم يسردها في مجلس الدرس سرداً وربما لا يدري معناها كما قيل يقولون أقوالاً ولا يعرفونها * ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا وأنشد السهيلي في الروض

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا * مثل الجمال عليها يحمل الوَدَعُ
لا الوَدْعُ ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمال بحمل الوَدْعِ تنتفعُ

(وفي الخبر) همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الدراية وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا للعلم وعاة ولا تكونوا له رواة فقد يَروي مَن لا يدري ويَدري مَن لا يَروي اه وقال الروياني في البحر على قوله صلى الله عليه وسلم فرب مبلغ أوعى من سامع وفي الخبر بيان ان الفقه هو الاستنباط والادراك لمعاني الكلام اه أي لا مجرد الحفظ والنقل فاذا ولع الانسان بالحفظ فاته تصور المعاني فكان كالحمار يحمل أسفاراً وأما من يتصور المعاني فتجده يعبر عنها بعبارات مختلفة تؤدي المعنى المراد ثم يطبق ألفاظ الكتاب على

معنى الحفظ

ماقرر من المعانى وهذا نفس أهل التحقيق وبالله التوفيق (ثم قال الناظم)

122 ﴿وزد أموراً لم تكن فى الشرح * بل قد أتتك من سماء الفتح﴾

الانسب تأخير هذا البيت وجعله عقب قوله * وما يناسب المقام يذكر * البيت لان قوله وزد أمورا الخ مما يتعلق بالمقرئ فى حالة الاقراء والكلام الآن فيما قبل ذلك وهو حال المطالعة والنظر وقد يقال ان هذا منه أيضا بحمله على زيادة ذلك فى هامش الكتاب الذى يطالعه ليمليه على الطلبة عند الاقراء أو باستحضاره من جملة ما يستحضره عند المطالعة ليمليه عند الاقراء والله أعلم قوله وزد الواو للاستئناف وزد فعل أمر فاعله ضمير المخاطب وأمورا جمع أمر مفعوله ولم تكن جازم ومجزوم والضمير فى تكن هو اسمها عائد على أمور وفى الشرح متعلق بمحذوف خبرها والجملة معطوفة على قوله سابقا انظر نصا بك وبل حرف إضراب للإنتقال وهى ابتدائية وليست عاطفة على الصحيح لان ما بعدها هنا جملة والعاطفة لا تعطف الجمل وذهب بعضهم الى انها تعطف الجمل وعليه فهى هنا عاطفة وقد حرف تحقيق وأتتك فعل ماض فاعله ضمير فيه مستتر عائد على أمور وكاف الخطاب مفعوله ومن سماء متعلق بأتتك وسماء مضاف الى الفتح وهو مصدر فَتَحَ الله عليه اذا ألهمه والسماء يذكر ويؤنث وقال ابن السِّيد السماء التى تظل الأرض مؤنثة فى قول جمهور النحويين وقد زعم بعضهم انها تذكر واحتج بقوله تعالى (السماء منفطر به) وهذا عندنا انما جاء على وجه النسب أى ذات انفطار كما قالوا امرأة عاشق وعاقر أى ذات عشق وعقر ويحتمل أن تذكيرها على معنى السقف لقوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) اه وجمعها أسمية وسماوات على غير قياس لانه اسم جنس خالٍ من علامات التأنيث وهمزتها مبدلة من واو لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة وهى كل ما علاك ولذلك قيل لسقف البيت سماء قال ابن اللَّبَّانة شاعر المعتمد بن عباد مشير الذلك

وقد يُسمَّى سماءً كلُّ مرتفع * وانما الفضل حيث الشمسُ والقمرُ

وفى قوله سماء الفتح استعارة تصريحية شبه العلم المفتوح به بالسماء بجامع الرفعة والشرف فى كل ثم حذف المشبه واقتصر على المشبه به والقرينة اضافة السماء الى الفتح ويحتمل أن يكون من اضافة المشبه به للمشبه أى من الفتح الذى هو كالسماء والجامع بينهما هو ما تقدم ﴿والمعنى﴾ زد أيها المدرس على ما فى الشرح الذى تقرؤه أموراً فتح الله عليك بها لم تعثر عليها الغيرك كبحث ألهمت اليه أو جواب سقطت عليه أو غير ذلك لكن بشرط الفكرة الوقادة، وجزالة الرأى والاجادة * وينبغى أن يقول المدرس فى نحو هذا قلت أو أقول أو ظهر لى أو نحو هذا مما يؤذن انه من مخترعاته لوجوه: منها التحدث بنعم الله تعالى ومنها ظهور باعه فى العلم فيغتبط فيه وذلك سبب للانتفاع به الذى هو المقصود، ومنها عرض ذلك على أفهام الحاضرين فيسلموه أو يردوه فيظهر الحق ويعتمد وقد يعرض ما يوجب اخفاء ذلك كالخوف من الرياء والعجب أو العلم بأن الحاضرين يوجهون سهام البحث اليه حسدا أو ظنا ان العقول قصرت عن ابداء الابحاث والانظار أو غير هذا من العوارض، وقد جرت العادة النفسانية بعدم تسليم ما حَدَث وان بلغ الغاية فى الفضل والشرف والانقياد لما قدم وان كان من التكلف والسَّرَف كما قال الأديب الفاضل ابن شَرَف

أُولع الناسُ بامتداح القديم * وبذم الحديث غيرِ الذميم
ليس إلا لأنهمْ حَسَدُوا الحيّ * ومالوا الى العظامِ الرميمِ

(ولآخر)

والمرء مادام حياً يُستهان به * ويعظُم الرزءُ فيه حين يُفتقد

(ولآخر)

ترى الفتى ينكر فضل الفتى * لؤماً وخبثاً فاذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة * يكتبها عنه بماء الذهب

ومن أمثالهم معاصرك محاصرك ولآخر

قل لمن لا يرى المعاصر شيأ * ويرى للأوائل التقديما
إن ذاك القديم كان حديثا * وسيبقى هذا الحديث قديما

هذا مع ما كثر في هذا العصر من أن العالم لا يعد نفسه من العالمين حتى يكون من المنتقدين المعترضين وكأنهم تدينوا بالمثل المشهور مغني الحي لا يطرب؛ وان كان ينطق بالحق ويعرب، ولهذا شق فعل ابن رشيق حين أورد عليه بعض القسيسين أن العجز عن معارضة الكلام لا يدل على انه كلام الله لأن الحريري قال في بيتيه

سم سمة تحمد آثارها * واشكر لمن أسدى ولو سمسمة
والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتني السؤدد والمكرمة

إنهما أمنا أن يعززا بثالث وتداولهما الأدباء فما زادوا عليهما قال ابن رشيق فجعلت أفرق بين القرآن وكلام الحريري وهو يقدح في الفرق ففتح الله في الحال بثالث فقلت على ان الناس لم يغفلوا عن البيتين بل زادوا بيتا لا أذكر قائله ولم أنسبه لنفسي لئلا يزدريه فأنشدته:

والمهر مهر الحور وهو التقى * بادر به الكبرة والهرمة

فانقطع القسيس اه ذكره في جامع المعيار وقد شاهدنا هذا المعنى كثيرا من أنفسنا ومن غيرنا فهما سمع الشخص بحث أو اعتراض أو جواب من أحد دون نسبه لنفسه الا وتجده يبحث عن القادح في ذلك واذا ذكره موهما انه لغيره تذعن له النفس ولا تفتش على القوادح فيه * ومن هذا المعنى ما حكى الحسن بن يحيى الكاتب عن اسحق الموصلي قال أنشدت الاصمعي شعراً لي على انه لشاعر قديم وهو

هل الى نظرة اليك سبيل * يرو منها الصدا ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندي * وكثير من المحب القليل

فقال هذا والله الديباج الخسرواني فقلت انه ابن ليلته فقال لا جرم ان أثر التوليد فيه فقلت لا جرم ان أثر الحسد فيك اه * واعلم * انه لا يقصر الصواب على المتقدم على زمانه الا جاهل عاجز قد منع بينه وبين مدارك الرجال أحصن حاجز وقد قال أبو العباس المبرد في كامله وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق اه وقال جمال الدين بن مالك في كتابه تسهيل الفوائد واذا كانت العلوم منحاً الهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستغرب أن يدخر لبعض المتأخرين ما خفي فهمه عن المتقدمين اه ولأبي العلاء المعري

واني وان كنت الأخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الأوائل

وللحريري في السابعة والاربعين من مقاماته

إن يكن الإسكندري قبلي * فالطل قد يبدو أمام الوبل * والفضل للوابل لا للطل

ولابن عمار

أنا ابن عمار لا أخفى على أحد * الا على جاهل بالشمس والقمر
ان كان أخرني دهري فلا عجب * فوائد الكتب يستلحقن بالطرر

(وأما قول القائل)

لم يدع من مضى * للذي قد غبر فضل علم سوى * أخذه بالأثر

ومثله كثير نظما ونثرا فهو في علم الديانات أو الاحكام التي لم تتغير أسبابها وكلامنا أولا في توضيح ما أصله

المتقدمون وتفصيل ما أجملوه وجمع ما فرقوه وبيان حكم ما حدث سببه ومثاره فيظهر بحدوث السبب أحكامه وأسراره فلا تدافع ولا تناقض وقد شنع في كشف الظنون على من يقول ما ترك الاول للآخر قال تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) وقال أبو العباس المرسي في قوله تعالى ما ننسخ من آية الآية ما نذهب بولي أو عالم الا ونأت بخير منه أو مثله ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير اهـ والله أعلم (ثم قال الناظم)

123 ﴿واخرجْ على أكملِ حالٍ واركَعا * إن كانَ في وقتٍ يجوزُ فاسمَعا﴾

الواو للعطف واخرج فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب وعلى أكمل حال متعلق باخرج وأكمل مضاف الى حال من اضافة الصفة للموصوف أي على حال أكمل ومتعلق اخرج محذوف تقديره الى المسجد والجملة معطوفة على الجملة في البيت قبله واركعا معطوف على اخرج من عطف الجمل والفعل مبني على فتح آخره لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المبدلة ألفا في الوقف وان حرف شرط وكان فعل الشرط وفي كان ضمير يعود على الخروج المفهوم من لفظ اخرج وفي وقت متعلق بكان ويجوز فعل مضارع وفيه ضمير يعود على الركوع المفهوم من اركع هو الفاعل به وجملة يجوز في محل النعت لوقت والعائد من الجملة الواقعة صفة على الموصوف محذوف أي في وقت يجوز فيه الركوع وجواب ان محذوف لدلالة ما سبق عليه أي ان كان الخروج في وقت يجوز فيه الركوع فاركع ويحتمل أن يكون الضمير في كان عائدا على الركوع المفهوم من لفظ اركع لا على الخروج المفهوم من لفظ اخرج ﴿فان قلت﴾ يلزم عليه اتحاد الشرط والجواب اذ يصير التقدير ان كان الركوع في وقت يجوز فاركع وقد تقرر انه لا بد من مغايرة الجواب للشرط فلا يقال من أطاع الله أطاع الله وانما يقال من أطاع الله نجا ﴿قلت﴾ محل الاتحاد الذي هو مناط المنع اذا لم يفد الجواب فائدة زائدة على الشرط كما في المثال السابق وكما في قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله الى آخر الحديث ولهذا احتيج في الحديث الى الجواب عنه بما هو مذكور في الحافظ وغيره وأما في كلام الناظم فقد أفاد الجواب فائدة لم يفدها الشرط وذلك طلب الركوع والاحتمال الاول أقرب وان لزم عليه اختلاف معاد الضميرين والله أعلم وقول الناظم فاسمعا الفاء زائدة واسمعا فعل أمر مبني على فتح آخره لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المبدلة ألفا في الوقف وفاعله ضمير المخاطب والجملة كمل بها البيت ﴿والمعنى﴾ اخرج أيها المدرس الى المسجد على أكمل حال وكماله هو ما أمر به قبل هذا من المطالعة للنصاب حتى يحصل في الفكر الخ ومن الوضوء اللازم شرعا لقوله واركعا وقد صرح به فيما مر من آداب القراءة اذ قال حسن وضوءك ثم اذا دخلت المسجد فاركع تحية المسجد ان كان ذلك في وقت يجوز فيه الركوع والا فينوب عن الركوع الذكر السابق راجع ما قدمناه عند قوله واركع ركعتين * ومن حسن الحال أيضا أن يخرج من منزله ذاكرا خاشعا متطهرا من الحدث والخبث لابسا أرفع ثيابه مما يليق نوعه بمثله في زمانه وبلده قاصدا بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة لا رياء ونخرا ولا سرفا ويختلف الحال باليسار والوقت ولا بد أيضا أن يختلف بالقصد والحال فمن الناس من يغلب عليه حال العلو والمعرفة فينبسط ومن يغلب عليه حال الخوف والورع فينقبض ويتقشف والكل على هدى من الله قاله أبو علي اليوسي في القانون * ومن حسن الحال أيضا أن يخرج ذاكرا قائلا بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله بسم الله على نفسي ومالي وديني اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم ثبت جناني وأدر الحق على لساني ونحو هذا من الاذكار اللائقة ثم لا يزال كذلك حتى يصل للمسجد فاذا دخل صلى تحية المسجد على ما مر ثم يقوم لمحل الدرس ويسلم على الحاضرين فيه ويجلس مستقبلا كما قال الناظم

﴿قلت﴾ وقد يشهد لصاحب المختصر والعلامة بنانى ماقى الأبى عن اللخمى بعد أن ساق عن المازرى حكاية الاتفاق على المنع فى الصحراء ونصه قلت الاتفاق على المنع فى الصحراء عبر عنه الامام بالمنع كما ترى وعبر عنه أبو عمر وابن رشد بلا يجوز وألزم اللخمى على تعليل المنع فيها بحرمة المصلين جواز ذلك اذا أسدل بينهما وبينهم ثوبا اه منه بلفظه وقد يقال ان هذا تخريج من اللخمى وهو لا يقاوم الظواهر المتكاثرة وبهذا ردّ العلامة الرهونى على الشيخ بنانى فى استدلاله بكلام ابن رشد الصريح فى الجواز فى الصحراء مع الساتر بأنه انما هو تخريج فقط على مافيه من القوادح والله أعلم أنظر الرهونى فقد أطال فى المسئلة وحصل تحصيلا بديعا ونصه فتحصل مما سبق كله ان الاستقبال والاستدبار فى المدائن والقرى فى المراحيض مع الالجاء اليها والساتر جائز اتفاقا عند اللخمى وغيره وفى الفيافى من غير ساتر ممنوع اتفاقا وفى المراحيض مع ساتر لضرورة جائز على مذهب المدوّنة وهو الراجح ممنوع على قول مالك فى المجموعة والمختصر واختاره اللخمى وفى الفضاء الذى بين البيوت مع ساتر ودونه ومراحيض السطوح بساتر ودونه خلاف والراجح على ماقاله الحطاب الجواز فى الجميع واختار اللخمى المنع وفى الصحارى والفيافى مع الساتر رجح الحطاب أيضا الجواز ورجح مصطفى المنع وهو الظاهر المؤيد بالنقول التى قدّمناها وهو اختيار اللخمى ومقابله تخريج فقط مبحوث فيه بما قدّمناه فشدّ يدك على هذا التحصيل والله تعالى أعلم اه ﴿قلت﴾ وقد استثنى القفال من الشافعية فى فتاويه من القول بالحرمة فى الصحراء مالو كانت الريح تهب عن يمين القبلة أو شمالها فانهما لا يحرمان للضرورة نقله القسطلانى فى شرح البخارى وهذا جار على قواعد مذهبنا من أن الضرورات فى مثل هذا تبيح المحظورات فالظاهر تقييد المنع عندنا أيضا به كما لا يخفى والله أعلم (ثم قال الناظم)

125 ﴿وحسّن القصد باخلاص العمل * لربنا سبحانه عزّ وجل﴾

الواو للعطف وحسّن فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والقصد مفعوله وهو مصدر قصد يقصد من باب ضرب والجملة معطوفة على جملة استقبل القبلة فى البيت قبله وباخلاص متعلق بحسّن والباء السببية وهو مضاف الى العمل وحقيقة الإخلاص هى أن يكون الباعث على العمل مجرّد التقرّب الى الله تعالى لا لأمر آخر وعرّف بتعاريف عديدة غير هذا انظر الإحياء قال العلامة الشيخ مرتضى فى شرحها وسبب اختلافهم فى تعريفه اما بالنظر الى اختلاف مقاماتهم وأحوالهم واما بالنظر الى اختلاف أقوال السائلين واما بالنظر الى تنوّع درجات الإخلاص اه ولربنا متعلق باخلاص لأنّه مصدر أخلص ورب مضاف لضمير المتكلم ومعه غيره وقوله سبحانه مصدر بمعنى التسبيح مضاف للضمير العائد على ربنا وهذا المصدر بدل من التلفظ بفعله وهو أسبح ومعناه براءة لله من كل سوء قاله ابن اياز والصواب كما حققه الرضيّ ونقله الشيخ يس والعلامة الشيخ الطيب فى حواشيهما على التصريح وغيرهما وسلّموه ان سبحان غير علم جنس خلافا لابن هشام فى التوضيح فى قوله انه علم جنس لأن العلم لا يضاف والغالب فى سبحان هو الاضافة وقد يقطع عنها وينوّن كما فى قوله

سبحانه ثم سبحانا نعوذ به * وقبلنا سبح الجودىّ والجمد

ويدل أيضا على عدم علميته دخول أل عليه كما فى قوله سبحانك اللهم دون السبحان والحاصل أنه لا دليل يسلم على علميته قال بعض المحققين وقد يبحث فى جعل اضافته دليلا على عدم علميته بأن العلم قد يضاف ٢ بعد قصد تنكيره وأجاب بان اضافة الأعلام قليلة وهذا ملازم للاضافة فى غالب أحواله وذلك دليل على عدم علميته وهو التحقيق والله أعلم وقوله عز وجل معنى عز قوى وغلب وامتنع فلا يغلبه شئ ومعنى جل عظم وارتفع وهاتان الجملتان أعنى عز وجل مختصتان به تعالى عند اجتماعهما فلا يقال

٢ كقول الشاعر
علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم
اه مؤلفه

﴿واستقبل القبلة فهو أفضل * عند الجلوس هكذا قد نقلوا﴾

الواو للعطف واستقبل فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والقبلة بكسر القاف مفعوله وهي في الاصل الجهة ثم خصت في عرف الشرع بالمكان المقابل المتوجه اليه عند قصد الصلاة وهو المراد هنا والجملة معطوفة على ما قبلها وقوله فهو أفضل جملة من مبتدا وخبر وقعت موقع التعليل للامر بالاستقبال فالفاء على هذا تعليلية والضمير المبتدا عائد على الاستقبال المفهوم من قوله استقبل ومتعلق اسم التفضيل محذوف أي الاستقبال أفضل من غيره وعند ظرف مضاف للجلوس وهو متعلق اما بقوله استقبل أو بافضل وأل في الجلوس اما للعهد أي الجلوس المعهود وهو الجلوس للاقراء وهذا هو الاقرب من حيث السياق أو للاستغراق أي كل جلوس وهذا أولى من حيث انه يفيد أن كل جلوس يطلب فيه الاستقبال ما لم يكن لبول أو نحوه كما يأتي وقوله هكذا قد نقلوا ها للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم اشارة لما تقدم من استقبال القبلة عند الجلوس وقد حرف تحقيق ونقلوا فعل وفاعل والضمير الفاعل الذي هو واو الجمع عائد على العلماء ﴿والمعنى﴾ ثم اذا أردت أيها المدرس أن تجلس للتدريس فاستقبل القبلة لان الاستقبال عند كل جلوس أفضل من عدم الاستقبال كما نقل ذلك العلماء أي عن النبي صلى الله عليه وسلم روى الطبراني باسناد حسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ سيدا وسيد المجالس قبال القبلة وفي رواية للطبراني أيضا باسناد ضعيف عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشرف المجالس ما استقبل به القبلة قال الحافظ وفي الباب أحاديث أخر لا تخلو عن مقال وقوله في الحديث المجالس يحتمل بقاؤها على حقيقتها أي نفس المجالس فيكون المعنى ان المكان الذي يجلس فيه للقبلة أشرف من غيره ويحتمل وهو الظاهر أن يكون المعنى أشرف الجلسات جمع جلسة بمعنى الهيئة أي هيئة الجلوس للقبلة أشرف وهل هذه الافضلية عامة في كل جلوس وهو الظاهر أو في الجلوس للتعبد خاصة احتمالان وعلى الأول اقتصر الاكثر من شراح الحديث قال العلامة الحفني فينبغي للانسان التحري في جلوسه للقبلة ولو لغير ذكر ونحوه فانه سنة وفيه خاصية وهي انها تورث البصر قوة ان تيسر ذلك بخلاف من جلس في حلقة وعظ أو طلب علم فانه وان كان مستدبر القبلة ربما يثاب أكثر من جلوسه مستقبل القبلة لمحافظته على ما يصلح قلبه اهـ وفي العهود أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل جلوسنا دائما للقبلة عملا بعموم قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره أي نحو الكعبة اللهم الا أن يكون أحدنا جالسا في حلقة فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا من حيث ان المؤمن مرآة المؤمن ولا يخفى ان توجه العبد لأخيه في غير صلاة أفضل من توجهه للقبلة فان لم نجد من نستقبله من المسلمين نستقبل القبلة لانها تليه في المرتبة والله عليم حكيم اهـ ويستثنى أيضا من الجلسات جلوس المرء لبول أو غائط أو وطء فان المطلوب حينئذ عدم الاستقبال ففي حديث البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا وفي رواية مسلم ولا يستدبرها ببول أو غائط ومثلهما الوطء لرواية الموطا لا تستقبلوا القبلة بفروجكم وحاصل مذهبنا في ذلك اما اتفاقا أو على الراجح المعتمد انه يجوز الاستقبال والاستدبار في الجلوس لقضاء الحاجة أو الوطء في منزل أو سطح مع ساتر أم لا الا في الفضاء فيمتنع مطلقا أي بساتر أم لا اتفاقا على ما حققه مُصطفى وأيده الرهوني خلافا لما مشى عليه خليل في المختصر اذ حكى قولين في الفضاء مع الساتر وان سلمه الحطاب ورجح منهما الجواز وأيده الشيخ بناني بنقول فقد ردها العلامة الرهوني وانتصر لمصطفى في حكاية الاتفاق على المنع بالفضاء مع الساتر أم لا وان محل القولين اللذين حكاهما في المختصر في المدن والقرى مع الساتر لا في الفضاء معه

مثلا محمد عز وجل وان كان صلى الله عليه وسلم عزيزا جليلا والجمل الثلاث وهي سبحانه عز وجل خبريات
لفظا انشائيات معنى اذ المراد انشاء الثناء عليه تعالى بمضمونها ﴿ والمعنى ﴾ اذا أردت أيها العالم الجلوس في
مجلس الدرس فحسن قصدك ونيتك باخلاص عملك وتدريسك لله سبحانه ولا يكن مرادك بذلك
التوصل لمرتبة أو رياسة أو جاه ففي الاحياء للإمام الغزالي رضي الله عنه ما نصه الوظيفة الثانية أي
من وظائف المعلم أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم أجرا
ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يُعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت
المنة لازمة لهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي
يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده
منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر
إلا من الله تعالى كما قال عز وجل قل لا أسئلكم عليه أجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب
النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه
ونعله بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الراس ومثله هو
الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر
كيف انتهى أمر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه
والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة
السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم
له في كل تأييده وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجته ومسخرا بين يديه في أوطاره فان
قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم
لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى
الأمراض حتى ترى ضروب الاغترارات اه وفي الاحياء أيضا في مبحث الإخلاص بعد ما ذكر ان
غالب الأعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لله وهو فيها مغرور ما نصه وأشد الخلق تعرضا لهذه
الفتنة العلماء فان الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد
والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه
الرسول صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح
بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه من
هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله
تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب
عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك
لفوات الثواب محمود ولا يدري المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الامر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه
في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي أبي بكر رضي الله عنه للامامة
أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذو دين أن لو كان ذلك لكان مذموما لأن انقياده للحق
وتسليمه الامر الى من هو أصلح منه أعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب
الجزيل بل فرح عمر رضي الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون
بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه
بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس

سهلة القياد فى الوعد بامتثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك
لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانهما فمعرفة حقيقة الاخلاص
والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى إلا عبادك
منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر
اه ﴿قوات﴾ ومن علامات عدم الاخلاص فى تعليم العلم أن يغضب المعلم على من ذهب من تلامذته الى
غيره ويتأثر بذلك وينشط باقبال الطلبة على مجلسه وعمارته بهم وينعكس حاله بعكس ذلك نسأل الله
التوبة من جميع الذنوب والتوفيق للعمل المحبوب * وفى العهود سمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله
يقول من علامات اخلاص المعلم للعلم أن لا يلتفت الى اعتراف الناس بتعليمه أو كفرانهم به وكل من تكدر
ممن تركه من طلبته وقرأ على غيره فما شم للاخلاص رائحة وهو مراء بعلمه اه وعبارة الامام النووى فى
كتاب التبيان وفى شرح المهذب اعلم ان من أهمّ ما يؤمر به المعلم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه اذا قرأ على
غيره قال وهذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم وهو من الدلائل الصريحة على عدم
ارادتهم بالتعليم وجه الله الكريم انتهى كلام العهود نعم اذا كان غضبه لذلك لا لحظ نفسه بل شفقة على
التلميذ حيث لم يهتد لنفعه به وكان ذلك مطابقا للواقع بان كان لا ينتفع من غيره لعدم علمه أو قلته أو عدم
معرفته بصناعة التدريس أو الخوف عليه من الحرمان بسوء الادب فى انتقاله عنه وقد حصل له النفع
منه فلا بأس ان خلصت النية وحسنت الطوية وسيأتى لنا أن انتقال التلميذ عن شيخه الذى فتح الله عليه
لملازمته من سوء الأدب المفضى للحرمان والعياذ بالله انظر ما يأتى عند قوله فى باب آداب التلميذ مع الشيخ
* وكن مطيعا والتمس رضاه * الخ وفى المدخل مانصه وينبغى له أى للعالم اذا قعد فى مجلس الدرس أن
يخلص نيته لله تعالى اذ تعلم أحكام ربه وتعليمها لعله يدخل فى عموم ماورد عنه عليه الصلاة والسلام من صلى
الفريضة ثم قعد يعلم الناس الخير نودى فى السموات عظيما أو كما قال عليه السلام وينفى عنه الشوائب
ما استطاع جهده وهذا الذى يلزمه لانه الذى يقدر عليه وأما ما يقع فى قلبه فليس هو مكلفا بأن لا يقع انما
عليه اذا وقع أن يدفعه عن نفسه ويبغضه لأن تكليف أن لا يقع مما لا يطاق وقد رفعه الله والحمد لله عن هذه
الامّة فلا يقعد لأن يرأس به على غيره أو يقال فلان مدرّس أو مفيد أو يبحث أو نبيه أو حاذق أو صاحب
فهم مع انه قلّ أن يقع هذا اليوم لكثرة تغالبهم فى الشخص فاذا رأوا أحدا يتكلم فى مسئلة على ما ينبغى قالوا
عنه مجتهد هذا الشافعى الصغير هذا مالك الصغير وانساغ له ذلك وموّهت عليه نفسه وحسب انه كما قالوا
فيكون مثله اذ ذاك كما قالوا مثل نائم يرى فى نومه ما يسرّه ويعجبه فيفرح به ويخيل له انه حق ثم ينتبه فلا
يجد شيأ من ذلك وكذلك حال هذا سواء لما أن تكلم الناس بما تكلموا به حسب نفسه اذ ذاك كما قالوا
وهذا ضرب من الحلم فلو تيقظ من هذه السِنة والغفلة التى وقع فيها أو نظر الى ما ميز الله به مالكا والشافعى
وغيرهما من العلماء المتقدّمين من الفهم العظيم والتقوى المتينة لتلاشى علمه اذ ذاك وفهمه وتقواه ويجد
نفسه كما قال أسد بن الفرات رحمه الله لما ان رأى بعض العلماء بجامع مصر وهو يقول قال مالك كذا وهو
خطأ أو ذهب مالك لكذا وهو وهم والصواب كذا فقال ما أرى هذا الا مثل رجل جاء الى البحر فرأى
أمواجه وعجيجه فجاء الى جانبه فبال بولة وقال هذا بحر آخر اه فكذلك هذا يجد نفسه سواء أو أعظم فاذا
تيقظ من سنة غفلته لكثرة ما يجد عند من تقدّمه من الفضائل تلاشى ما يجد فى نفسه من التقصير
والجمود وارتكاب ما لا ينبغى فى علمه وتصرّفه اه وليحذر المدرّس أمورا لا يكاد ينجو منها أحد وهى
تدل على عدم الاخلاص فى التعليم لوجه الفرد الصمد قد ذكرها العلامة المحقق ابن زكرى فى صدر
شرحه للفريدة وأقرّ على نفسه بها فى ضمن شوائب عديدة لئلا تفتح عليه نفسه باب التأويل فى

تحسينها وعسى أن يتعظ بذلك أحد ممن يقف على كشفها وتبيينها قال فمن ذلك انى أتكلف للتدريس استعارة كتب ومطالعة ما فيها الأطرّز بذكره المجلس فاذا فرغت من ذلك طرحتها الغبرة لا أرفعها بيدى فضلا عن أن أوجه النظر فيها بالاعتناء والاهتمام ومن ذلك أنى أفرغ نفائس الاوقات، وأصرف الفكر فيما يتعلق بغوامض المشكلات، مما لا تنبنى عليه فائدة اعتقادية ولا عملية سوى ان من يحرر الكلام فيه يوصف باستقامة الأنظار، وسلامة الأفهام، ومن ذلك انى أقدم الاشتغال بما ذكر على المهمات الدينية سوى الفرائض الخمس التى صارت بتكررها عادة بل وربما استعملت الفكر عندها فى استنباط التعاليل واستخراج التوجيهات التى ليس لها مرضاة من أمرت بمناجاته المنام، ومن ذلك انى مع كونى لا أبالى بما يفوتنى فى جنب ذلك من أعمال البر لو فاتنى معه شئ من العوائد والشهوات التى بها أنا مقيد لقامت قيامتى وعظمت حيرتى وتركت تلك الاشغال التى كان لى بها ولوع والتزام ومن ذلك انى أعرض نفسى بذلك التدريس لايجاب شئ على كانت ذمتى سالمة من التكليف به وفى ذلك من المخاطرة والتغرير ما لا يقتحمه الا ضعفاء الاحلام فإن بث العلم انما يجب على المحصلين له وأنا لم أحصل فنا منه وانما أحصل ما أريد ذكره فى المجلس تحصيلا معروضا لكثير من الكلام ثم أتبجح به على من هو أجهل منى وأروم الرد على كبراء المتقدمين وأنسب لنفسى بالتصريح والتلويح ما ظهر لى من سقيم الأفهام، وان تبين لى فهم دقيق، واعتقدت انه من نفائس التحقيق، تعاظمت نفسى وأرتنى ان الناس بخس واحق ولم يعرف قدرى أكثر الأنام، ومن ذلك انى اذا قرأت مسائل الفقه وقرأت فى أبواب المعاملات ما حرره الأئمة الأعلام، ثم احتجت لشئ منها بعد انصرافى من المجلس لم أحافظ على غالب تلك الأحكام، فأتوثب على الدنيا بما يمكننى من غير مبالاة واحتشام، حتى كأن المكلف بذلك غيرى وانى لم أخاطب الا بتعليم الصناعات للطلبة وذكر الوعظ للعوام، وكذا غير المعاملات أقرر مثلا كلام الناس فى السواك وآداب قضاء الحاجة والأكل والشرب واللباس وغير ذلك ثم أقوم غير محافظ على العمل بها ولا على تعهدها واستدامة علمها حتى انى اذا سئلت عنها بعد ذلك بأيام لم أجد ما أجيب به فى غالبها لان تعلمها لم يكن بقصد العمل حتى يحصل له الثبات والدوام ومن ذلك انى اذا أقبل لمجلسى أحد من أهل الرياسة والجاه أو من له قدم فى تعاطى العلم أبذل المجهود فى تحسين التقرير وأود أنى طالعت أضعاف ما طالعته لتحصل لى عنده المنزلة والإعظام، وان أعرض عنى أو قل أهل مجلسى نقصت قوتى وجمدت قريحتى لاستشعارى السقوط والاهتضام، فاعتبروا معاشر الطلبة واختبروا نفوسكم فى هذه المواطن وأمثالها وانظروا ما أبعدنا من الإخلاص وكم بيننا وبين من قرأ العلم امتثالا لامر ربه واستقام، وتيقنوا أن الموت نازل عن قريب ولا ينفعنا ما نكتسبه من الوجاهة ولا ما نجمعه من الحطام، فالتدارك التدارك بطلب العلم النافع الذى تحصل معه خشية الله ومراقبته فى الإقدام والإحجام، ويتوصل به الى اطلاع على عيوب النفس المعين على التخليص من ربقة الرضا عنها الذى هو أصل كل خطيئة وشر وحزن واغتمام، ويعرف المرء به حاله وما هو عليه فينجو بذلك من الغلط واعتقاد الكمال الذى لا تنتظم معه التوبة ولا يرى عنده عتب ولا ملام، واذا عرف المرء حال نفسه بعثه ذلك على مدافعة الخواطر الفاسدة والتحرز عن توطين النفس عليها فيقرأ العلم وان خاف العجب مستغفرا منه وهذا مقصودنا من سوق جملة الكلام اه كلام ابن زكرى وهو شئ يعلمه كل منصف من نفسه، ولا ينكره فيه وفى أبناء جنسه نعوذ بالله من شر النفس والشيطان، ونستعينه على ما يوصلنا لغاية الرضا والرضوان، وقد ورد فى الحث على الاخلاص فى جميع الأعمال لله عز وجل آيات وأحاديث كثيرة، قال تعالى فى كتابه الحكيم وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال ألا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا

بالله وأخلصوا دينهم لله الآية وقال عز من قائل فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وسلم أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة: رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك، ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك، ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك، قال أبو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة فدخل راوي هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه أن تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال علي كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزك منه القليل * وفي الاسرائيليات ان عابدا كان عبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي فقال لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الأرض وقعد على صدره فقال له ابليس أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير لا شيء لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك، وتواسي جيرانك، وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس مكانها أخرى ولا يضرهم قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيأ فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال له الى أين قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك عليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك

الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق لقوله تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ اذلا يتخلص العبد من الشيطان الا بالإخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يانفس أخلصي تخلصي، وكلام الناس في الإخلاص كثير شهير مسطور في الدواوين المقصودة به ونقنا الله لحقيقة الإخلاص، وجعلنا من أهل العناية والاختصاص، آمين (ثم قال الناظم)

126 ﴿واطلب من الله الإعانة على * مارمته فذاك شأن الفضلا﴾

الواو للعطف واطلب فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب العائد على المدرّس ومن الله متعلق باطلب والاعانة مفعول باطلب وأصلها اعوان لانها مصدر افعل نقلت حركة الواو للساكن قبلها فوقعت الواو ساكنة إثر فتحة فوجب قلبها ألفا فاجتمع ألفان الاولى وهي المنقلبة عن عين الكلمة وهي الواو في الاصل والثانية وهي ألف الافعال فحذفت الثانية وعوّضت منها التاء فصار اعانة وهذا بعينه هو تصريف إجازة وقوله على ما متعلق باطلب وما موصولة واقعة على التدريس ورمته أي قصدته صلتها والعائد من الصلة الى الموصول الهاء في رمته والجملة معطوفة على الجمل قبلها وقوله فذاك الفاء زائدة أو تعليلية وذاك اشارة لطلب الإعانة وهو مبتدأ والكاف المتصلة بذا حرف خطاب وشأن أي عادة خبر ذا وشأن مضاف للفضلا وأصله الفضلاء وقصره للقافية وهو جمع فاضل والتحقيق فيما قصر ضرورة أو اختيارا فيما يقصر اختيارا انه معرب بحركة مقدرة على الألف لا بالحركة التي كانت ظاهرة على الهمزة كما حققه العلامة ابن عبد السلام الفاسي في شرح لامية الأفعال ﴿والمعنى﴾ اذا جلست أيها المدرّس للقراءة مخلصا نيتك كما أمرتك سابقا فاطلب من الله أوّل جلوسك الاعانة على ما أنت بصدده من التعليم أي بأن تقول مثلا اللهم انا نسألك الاعانة أو بك أستعين يا الله أو نحو هذا لأن ذلك شأن الفضلاء من العلماء في استعانتهم بمولاهم واعتمادهم عليه فيما خوّلهم مولاهم ففي الحكم ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك كما مر وتقدم ٣ أيضا قول القائل *اذا لم يعنك الله فيما تريده* الخ وقول الآخر *اذا كان عون الله للمرء ناصرا* الخ (ثم قال الناظم)

٣ عند قول الناظم في الخطبة ثم الاله ربنا سبحانه أسأله التوفيق والإعانة اهـ مؤلفه

127 ﴿وابدأ بسم الله والصلاة * على النبي صاحب الآيات﴾

الواو للعطف وابدأ فعل أمر فاعله ضمير المخاطب الذي هو المدرّس وبسم الله بباءين الاولى حرف جرّ داخلة على قوله بسم الله وهو مجرور بها محكي وليس هو أي مدخول الباء الاولى أعني بسم الله جارا ومجرورا حتى يلزم دخول حرف الجرّ على مثله وقوله والصلاة معطوف على بسم الله وفي الكلام حذف معطوف على الصلاة أي والصلاة والسلام لأن إفراد الصلاة عن السلام وعكسه مكروه وقيل لا كراهة انظر الفائدة الثالثة عشر من تأليفنا (مجلى الأسرار والحقائق، فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق) وانظر أيضا ما يأتي لنا آخر هذا الشرح وعلى النبي متعلق بالصلاة لانه اسم مصدر لصلى والنبيّ بتشديد الياء من غير همز وهي لغته صلى الله عليه وسلم انظر ولا بد التنبيه الاوّل في الفائدة السابعة من تأليفنا مجلي الاسرار الذي أشرنا اليه آنفا وهو أي النبيّ بالتشديد بلا همز مأخوذ من نبا ينبو اذا ارتفع وعلا لانه مرفوع الرتبة على غيره فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل أو بالهمزة مأخوذ من النبأ وهو الخبر لانه مخبَر بفتح الباء أي أخبره جبريل عن الله تعالى فهو فعيل بمعنى مفعول أو مخبِر بكسر الباء أي مخبر الخلق بدين الله تعالى فهو بمعنى فاعل وهو انسان أوحي اليه بشرع أمر بتبليغه أم لا والرسول أخص منه مطلقا اذ هو انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه وقيل غير هذا والخلاف في المسئلة

عشرة

شهير وقوله صاحب نعت للنبي وهو مضاف للآيات جمع آية والمراد بها المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وجملة قوله وابدأ الخ معطوفة على الجمل قبلها ﴿والمعنى﴾ اذا جلست أيها المدرس في مجلس الاقراء فابدأ قبل الشروع ببسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الظاهرة، ومراد الناظم ببسم الله البسملة كلها لا خصوص بسم الله منها بدليل اتيانه بصدرها محكيا لأن القراءة من المواضع التي تكمل فيها البسملة قال الفاكهاني بعد ان ذكر انها لا تكمل في الذبح قال بخلاف التسمية عند الأكل والشرب والوضوء والقراءة ونحو ذلك فانه يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله خاصة أجزأه اه لكن ظاهر المدونة انها لا تكمل في الوضوء وهو الذي لابن ناجي وأبي الحسن وغيرهما والله أعلم، وانما طلب المدرس بالبدء ببسم الله تعالى في أول مجلسه لقوله عليه الصلاة والسلام (كل أمر ذي بال) الحديث المشهور وطلب أيضا البدء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لما في بعض روايات الحديث المذكور كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله ثم بالصلاة علي فهو أقطع أو كما قال صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يقدم على التسمية وما بعدها الاستعاذة من الشيطان الرجيم وبعد البسملة والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يترضى على الصحابة الذين نقلوا الينا العلم الذي نقرؤه ثم يتبرأ من الحول والقوة وكل هذا منصوص للعلماء، ففي المدخل فصل فإذا شرع العالم في أخذ الدرس وقرأ القارئ فيحتاج اذ ذاك أن تكون عليه السكينة والوقار فيخشع قلبه وتخشع جوارحه لهذا المقام الذي أقيم فيه وهو انه يبين عن الله تعالى أحكامه ولعل بركة ما يحصل له هو من ذلك أن ينتفع به جلساؤه فيتأدبوا بأدبه ويتأسوا به، ألا ترى الى ما روي عن محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة حين دخل على مالك في أصحابه من أهل العراق يريدون سماع الحديث قال فدخلت فوجدت أصحابه قعودا بين يديه كأنهم على رؤسهم الطير فقلت سلام عليكم فلم يرد علي أحد منهم سلاما الا مالكا فانه رد السلام فقلت ما بالكم أفي الصلاة أنتم فرمقوني بأطراف أعينهم ولم يتكلموا في قصة يطول ذكرها والمقصود منها أن مالكا كان عنده التعظيم للمقام الذي أقيم فيه فسرى ذلك لطلبته وكذلك سنة الله أبدا في خلقه أن من قرأ على شخص لا بد وأن يسرق طباعه وطريقه واصطلاحه، فإن لم تكن كلها كان بعضها فاذا كان كذلك فينبغي للعالم أن يأخذ نفسه أولا بالأدب فيما ذكر فيجمع همته وخاطره عند قراءة القارئ فاذا فرغ القارئ استفتح هو الإقراء فيستعيذ اذ ذاك من الشيطان الرجيم لكي يكفى شره في مجلسه ذلك ثم يسمي الله تعالى لكي يعتزله الشيطان لأن كل شيء سمي الله تعالى عليه في ابتدائه عزل عنه الشيطان وحرم عليه حضوره ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لتحصل البركة في مجلسه لأن البركة معه عليه السلام حيث ذكر وحيث كان، ثم يترضى عن أصحابه لتكمل بذلك البركة في مجلسه لأنهم الأصل الذين أسسوا ما جلس اليه ثم يجعل الحول والقوة لله تعالى ويتعرى من حوله وقوته بقوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يقولها ثلاث مرات وان قدر أن يكون سبعا كان أحسن كذلك كان المحققون من العلماء يفعلون ذلك ثم يسند أمره الى الله تعالى ويتوكل عليه في تسديده وتوفيقه ويفتقر في ذلك ويضطر اليه ﴿أمن يجيب المضطر اذا دعاه﴾ ويتعرى اذ ذاك من فهمه وذهنه ومطالعته وبحثه وانه الآن كأنه لا يعرف شيئا فإن فتح الله عليه بشيء اذ ذاك كان من الله فضلا منه وكرما لا لأجل ما تقدم من محاولة المطالعة والدرس والتفهم ثم يستجير به من عثرات اللسان ونزغات الشيطان ومن الخطإ والزلل اه المراد منه وفي القانون ولا بد أن يسمي الله تعالى بعد التعوذ به من الشيطان الرجيم ويحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ويترضى عن أئمة المسلمين ومشايخه ويدعو للجميع وللواقف ان كان في مدرسة جزاء على فعله اه وقال العلامة أبو العباس الهلالي في شرح

خطبة المختصر انى كنت أتعوّذ فى ابتداء مجالس العلم وأحض طلبة العلم عليه وان كان أهل مغربنا فيما شاهدناه لا يبتدؤن بها بل يقتصرون على البسملة، وقد شاهدت من لقيته من علماء المشرق يبتدؤن بالتعوّذ وهو أصوب فقد سئل العلامة الصالح سيدى أبو العباس أحمد بن زاغو التلمسانى هل يطلب التعوّذ فى ابتداء قراءة العلم قال نعم لأنه اذا طلب فى القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالعلم أحرى اهـ ثم نقل كلام المدخل المتقدّم مختصرا ثم قال وقدم التعوّذ على البسملة لانه من درء المفاسد وهو مقدم على جلب المصالح اهـ {قلت} وقوله وان كان أهل مغربنا فيما شاهدناه الخ لعل ذلك فى بلدهم أو فى ذلك الوقت والا فالذى رأيناه من أشياخنا وغيرهم ممن أدركنا أنهم يبتدؤن بها قبل البسملة وقال الفخر الرازى أوائل تفسيره خلال كلام أما العلم فما أشدّ الحاجة فى تحصيله الى الاستعاذة بالله وفى الاحتراز عن حصول ضدّه الى الاستعاذة بالله ثم استدل على ذلك بوجوه انظره هذا وفى ذيل الطبقات الكبرى للشعرانى رضى الله عنه قال كان جلال الدين الاسيوطى رضى الله عنه يقول ينبغى للمدرّس أن يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك وسورة الإخلاص والمعوّذتين والفاتحة كلما يريد أن يدرّس وينقل ذلك عن علم الدين صالح البلقينى رحمه الله اهـ كلام الشعرانى {قلت} ولم يجر عندنا عرف بذلك ففى القانون ومنها أى من آداب المدرّس أن يفتتح بقراءة شئ من القرآن تبركا وتيمنا على ما جرت به عادتهم وهى غير جارية فى بلادنا المغربية فى الفنون فان كان فى مدرسة شرط فيها ذلك اتبع شرط الواقف اهـ (ثم قال الناظم)

---

128 {وَصَوتَكَ ارفَعْهُ بقدْرِ النفعِ * بحيثُ يبلُغ لأقصَى الجَمعِ}

الواو للعطف وصوتك مفعول بفعل محذوف يفسره ارفع وهو مضاف الى كاف المخاطب وارفع فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والهاء مفعوله عائدة على الصوت ويصح كون صوتك مبتدا والجملة بعده خبر والمختار الاوّل والجملة معطوفة على ما قبلها وبقدر متعلق بارفع والباء بمعنى على كقوله تعالى (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) الآية وقول الشاعر

أرَبٌّ يبولُ الثُّعلبانُ برأسِهِ * لقد ذَلَّ مَن بالت عليه الثعالبُ

والاستعلاء فى كلام الناظم معنوى وقدر مضاف الى النفع وبحيث متعلق بالنفع لانه مصدر وقد تقدّم ما يتعلق بادخال الباء على حيث عند قول الناظم بحيث لا يبقى به من سطر ويبلغ فعل مضارع وفاعله ضمير عائد على الصوت ولأقصى أى أبعد متعلق بيبلغ وأقصى مضاف الى الجمع أى الجماعة وجملة يبلغ الخ فى محل جرّ باضافة حيث اليها وقوله بحيث الخ بيان لقدر النفع {والمعنى} ارفع صوتك أيها المدرّس بقدر ما ينتفع به من هو فى أبعد الجمع الحاضرين فى درسك ولا ترفع صوتك زيادة على ذلك فانه مكروه قال الشيخ خليل فى باب إحياء الموات عطفا على ما ذكره فعله فى المسجد ورفع صوت كرفعه بعلم اهـ فدخل فى قوله ورفع صوت رفعه مطلقا ولو بعلم أو قرآن وقوله كرفعه بعلم أى بغير مسجد لدخول رفعه فى المسجد فى قوله ورفع صوت كما علمت والمراد بالرفع ما زاد على قدر اسماع المخاطب كما قاله الزرقانى نقلا عن الأبى وقال الزرقانى أيضا فى باب سجود التلاوة عند قول خليل عطفا على ما يكره وجهوّر به المسجد ما نصه لا يقال نص أهل العلم على جواز أخذ العلم بالمسجد وفعلوه لانا نقول ذلك مقيد بعدم رفع الصوت ولذا قال مالك منكرا لرفع الصوت بالعلم علم ورفع صوت وكانوا يجلسون مجالس العلم كأخى السر ومجالس العلم على سبيل الاتباع ليس فيها رفع الصوت فان وجد فيها رفع صوت منع وأخرج من فعل ذلك قاله فى المدخل اهـ {قلت} لعل مراده بقوله منع الكراهة اذ قد يعبر به عنها ليوافق كلام خليل اذ رفع الصوت فى المسجد بغير علم مكروه فقط كما فى لفظ خليل السابق فرفعه بالعلم

أى فوق الحاجة كذلك أو أخف كما لا يخفى وفى شرح النووى على صحيح مسلم قال القاضى قال مالك وجماعة من العلماء يكره رفع الصوت فى المسجد بالعلم وغيره وأجاز أبو حنيفة ومحمد بن مسلمة من أصحاب مالك رفع الصوت فيه بالعلم والخصومة وغير ذلك مما يحتاج اليه الناس لانه مجمعهم ولا بد لهم منه انتهى كلام النووى ومال أبو على بن رحال فى شرح المختصر فى باب إحياء الموات عند النص السابق الى جواز رفع الصوت بالعلم مطلقا فانظره ﴿قلت﴾ وهو مذهب البخارى قال فى كتاب العلم من صحيحه باب ذكر العلم والفتيا فى المسجد ثم ساق دليل الجواز قال الحافظ ابن حجر أشار بهذه الترجمة الى الرد على من توقف فيه لما يقع فى المباحثة من رفع الأصوات فنبه على الجواز اه وقال القسطلانى باب جواز ذكر العلم والفتيا فى المسجد وان أدت المباحثة فى ذلك الى رفع الصوت وقال البخارى أيضا فى الكتاب المذكور باب من رفع صوته بالعلم ثم ساق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا وبهذا الحديث استدل محمد بن مسلمة على اباحة رفع الصوت فى المسجد بالعلم وقال الشيخ محمد حجازى الذى ينبغى هو عدم الكراهة بدليل هذا الحديث وبدليل خطبة الجمعة والأذان والإقامة والتلبية والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والتكبير فى العيد اه ﴿قلت﴾ قد يرد هذا الاستدلال أما نداؤه صلى الله عليه وسلم بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار الخ فيقال ان ذلك لإسماع الحاضرين وتقدم أن رفع الصوت لذلك مباح، ومن هذا القبيل خطبة الجمعة والأذان والإقامة وأما التلبية فالمقصود منها اظهار شعيرة الحج فلذلك طلب فيها الجهر، وكذلك تكبير العيد وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فهى من الذكر الذى يكره رفع الصوت به فى المسجد على مذهب الامام مالك فلا يقوم دليلا علينا والله أعلم وفى القانون ومنها أى من آداب المدرس أن يرفع صوته بقدر استماع السامعين ولا يزيد ولا يقصر اه ﴿قلت﴾ وظاهر كلام من نقل الخلاف عن الأئمة فى اباحة رفع الصوت بالعلم أو كراهته ان ذلك ولو لإسماع المخاطب وينبغى تقييد الكراهة عند من قال بها بالزيادة على الحاجة من إسماع المخاطب كما مر عن الأبى والله أعلم ﴿لطيفة﴾ تدل على طلب رفع الصوت لاسماع البعيد دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسئلة فأجابه عنها فلم يسمعه فقال له زدنى فى السماع فقال له الأعمش ما ذلك لك قال فبينى وبينك رجل من المسلمين نخرجا على الطريق فمر بهما شريك القاضى فقال له الأعمش انى حدثت هذا بحديث فلم يسمع فسألنى أن أزيده فى السماع لانه ثقيل السمع وزعم أن ذلك واجب له فأبيت فقال له شريك عليك أن تزيده لأنك تقدر أن تزيد فى صوتك ولا يقدر هو أن يزيد فى سمعه (ثم قال الناظم)

لقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعا ... ودون الجهر ...)

129 ﴿ورتل التعبير فى التصوير * وكرر المشكل فى التقرير﴾

الواو للعطف ورتل فعل أمر من الترتيل وهو التمهل فى القراءة من غير عجلة والتعبير مفعول رتل وهو مصدر عبر عن المراد اذا أبانه وأظهره وفى التصوير متعلق برتل وفى للظرفية المجازية والتصوير مصدر صور المسئلة اذا ذكر صورتها وجملة رتل معطوفة على ما قبلها وكذلك جملة وكرر الخ وهو فعل أمر من كرر الشئ تكريرا وتكرارا بفتح التاء فى الاول وفتحها وكسرها فى الثانى اذا أعاده مرات والاعادة للمرة الواحدة وفى شرح القاموس إن التكرار بالفتح مصدر وبالكسر اسم مصدر والمشكل بصيغة اسم الفاعل مفعول كرر وهو على حذف الموصوف أى المعنى المشكل وفى التقرير متعلق بكرر وفى للظرفية المجازية أيضا والتقرير مصدر قرر عنده الكلام والخبر حتى استقر عنده وفهمه ﴿والمعنى﴾ رتل أيها المدرس كلامك وبينه ولا تعجل فيه عند تصويرك للمسئلة التى تقرؤها وكرر ما كان مشكلا

من المسائل حتى يفهم فإن المقصود من الإقراء هو تفهيم الحاضرين ورُبّ مسئلة تفهم من أوّل الامر لسهولتها ورب أخرى لا تفهم الا بعد تكريرها وبيانها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرّر الكلمة ثلاثا لتُعقل عنه ففى صحيح البخارى باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ثم ساق حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه وإذا أتى على قوم فسلّم عليهم سلم عليهم ثلاثا قال الحافظ نقلا عن ابن المنيّر نبه البخارى بهذه الترجمة على الرد على من كره اعادة الحديث وأنكر على الطالب الاستعادة وعدّه من البلادة قال والحق بان هذا يختلف باختلاف القرائح فلا عيب على المستفيد الذى لا يحفظ من مرّة اذا استعاد ولا عذر للمفيد اذا لم يعد بل الاعادة عليه آكد من الابتداء لأن الشروع ملزم ونقل الحافظ أيضا عن ابن التين ان الثلاث غاية ما يقع به الإعذار والبيان اهـ وفى القانون ويترسل أى المدرّس مقتصداً من غير عجلة ولا طيش ولا سرعة تخلّ ولا بطء يملّ ويفصل كلامه ويقف ويعيد عند الحاجة ويراعى فى العبارة حال الحاضرين فإن المبتدى يخل به الإيجاز والمنتهى يضرّه الإطناب وكثرة التكرار اهـ وينبغى اذا كان ما أراد أن يلقيه مهما عظيما أن يستحضر عقولهم ويشوّقهم ويستنصتهم ليقبلوا عليه بكليتهم ويستشعروا عظم ما يخبرهم به ألا ترى الى قول المعلم الاكبر الناصح الأبرّ صلى الله عليه وسلم أي يوم هذا قال الراوى فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس يوم النحر قلنا بلى الى أن قال ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا الحديث وقد أمر صلى الله عليه وسلم سيدنا جابرا أن يستنصت الناس فى حجة الوداع فقال لهم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (ثم قال الناظم)

130 ﴿وقَبلَ أن تَشرَعَ مَهِّد تَوطِيَةْ * تُزيلُ عن شمس العقول تَغطِيَةْ﴾

الواو للعطف وقبل ظرف زمان معمول لقوله مَهّد وأن تشرع جملة من الفعل المضارع وناصبه فى تأويل مفرد مضاف اليه الظرف أى قبل شروعك مهد ومهد فعل أمر فاعله ضمير المخاطب العائد على المدرّس ومعنى مهد وطئ يقال مهدت الامر أى وطأته وتوطية بتخفيف الياء على وزن تفعلة مصدر وَطّأ بابدال الهمز ألفا للتخفيف بمعنى هيأ وسَهّل وقوله تزيل مضارع أزال الرباعى والضمير فيه عائد على توطية وعن شمس العقول متعلق بتزيل وتغطية بتخفيف الياء مصدر غطى أى ستر والمراد هنا الاسم أى الغطاء وهى مفعول تزيل وجملة تزيل الخ فى محل نصب نعت لتوطية وفى الكلام استعارة تصريحية أعنى فى قوله شمس شبه قوّة الادراك القائمة بالعقول بالشمس بجامع الانتفاع والاهتداء بكل ثم اقتصر على المشبه به فكانت تصريحية وقرينتها اضافة الشمس الى العقول ولفظ التغطية ترشيح ويحتمل أن تكون الاستعارة فى لفظ التغطية وهى تصريحية أيضا بأن يقال شبه الجهل بالتغطية أى الغطاء بجامع ان كلا حاجب ومانع ثم اقتصر على المشبه به والقرينة سياق الكلام فانه ظاهر فى المجاز واضافة شمس الى العقول على هذا من اضافة المشبه به للمشبه ويحتمل أن يكون فى الكلام استعارة بالكناية وتخييل شبه العقول بالسماء تشبيها مضمرا فى النفس بجامع ان كلا محل لظهور الانوار فالسماء الحقيقية محل لطلوع الانوار الحسية والعقول محل لطلوع أنوار العلوم ثم حذف ما سوى المشبه وذكر الشمس تخييل وذكر التغطية ترشيح ﴿والمعنى﴾ وطئ أيها المدرّس قبل الشروع فيما تقرئه توطية تزيل عن نور عقول الطلبة غطاء الجهل وكيفية التوطية أن تذكر وجه الارتباط بين الكلام المتقدم لك تقريره فى النصاب قبل وبين الكلام الذى تريد أن تقرأه فى نصاب يومك اذ بذلك يعلم موضوع الكلامين ويسهل الفهم على الطالب بمعرفته مناسبة هذا الكلام للسابق وفى القانون لابى على اليوسى ومتى احتاج شئ من ذلك أى من بيان الكلام الى توطئة

ومقدمة يستعان بها على الفهم أو التصديق تعين البدء بها بحسن بيان واختصار اهـ المراد منه (ثم قال الناظم)

١٣١ ﴿واعمد الى المتن وحل مقفله * واشرح غريبه وبين مشكله﴾

الواو للعطف واعمد فعل أمر من عمد كقصد وزنا ومعنى وتصريفا ثم كونه يتعدى بنفسه وباللام وبالى كما فى شرح القاموس يقال عمده وعمد له وعمد اليه ويقال عمد من باب فرح وهى لغية ٣ وقوله الى المتن متعلق باعمد والمراد بالمتن المصنف الذى يقرأ واطلاق المتن عليه مجاز كما للزمخشرى فى الأساس ﴿قلت﴾ وكأنه مأخوذ من متن الشئ الذى هو صلبه لأن المصنف الذى يشرح أو يحشى عليه مشبه بالصلب فان كان هو العمدة والاصل الذى يدور عليه غيره ثم صار اطلاق المتن على متن الكتب حقيقة عرفية ثم بعد كتبى هذا وجدت هذا المأخذ منصوصا فى شفاء الغليل للخفاجى ويأتى نصه عند قول الناظم * ولتقتصر على كلام المتن * وقوله وحل فعل أمر من حله يحله من باب قتل أى فتحه ومقفله بصيغة اسم المفعول من أقفل الباب اذا سدها بالقفل هو مفعول حل والضمير فى مقفله عائد على المتن وفى الكلام استعارة تصريحية أعنى فى لفظ مقفل شبه المسائل الصعبة من المتن ببيت مقفل بابه بجامع عسر التوصل الى كل ثم حذف المشبه واقتصر على المشبه به فكانت تصريحية وقرينتها اضافة مقفل الى ضمير المتن وحل ترشيح وقوله واشرح فعل أمر من شرح اذا بين ووضح وغريبه مفعوله والضمير للمتن أيضا والغريب خلاف المعروف الواضح وقوله وبين فعل أمر من بين يبين اذا فسر وأظهر ومشكله مفعول بين وهو بصيغة اسم الفاعل من أشكل الرباعى بمعنى خفى واستتر والضمير فى مشكله للمتن أيضا والجمل الاربعة معطوفة على ما قبلها فتبين من هذا ان المراد بالمقفل هو المعنى المشكل الغير الواضح فالمقفل والمشكل بمعنى واحد وانما كرره الناظم تأكيدا وتفننا وأما الغرابة فهى متعلقة بالألفاظ لا بالمعانى وقد يقال ان المقفل هو غير الواضح كان معنى أو لفظا والمشكل هو غير الواضح من المعانى خاصة والغريب هو غير الواضح من الألفاظ فقط فيكون قوله واشرح غريبه وبين مشكله تفصيلا لقوله وحل مقفله وهذا هو الظاهر لصحته معنى مع سلامته من التكرار والله أعلم ﴿والمعنى﴾ اقصد أيها المدرس الى المتن الذى تقرؤه وافتح ما خفى من معانيه بتبيينك مشكلها واشرح الالفاظ الغريبة منه بأن تبدلها بالواضحة عند المخاطب وقد أشار الناظم فى هذا البيت وما بعده الى حقيقة الإقراء وقد عرفها ابن عرفة بقوله حقيقة الاقراء تصحيح المتن وحل المشكل وايضاح المقفل وزيادة على هذا ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها قال أبو على اليوسى وأبو العباس الهلالى ويندرج فيما ذكر من تصحيح المتن وحل المشكل التنبيه على النقص والحشو وتوجيه ما يحتاج الى التوجيه وعزو غريب النقل وهذا كله فى حق المبتدى وأما غيره فيعامل بما يليق به وقد قال صلى الله عليه وسلم حدثوا الناس بما يعرفون أخرجه البخارى عن على موقوفا وبعضهم يرفعه لكن اسناد الرفع واه بل قيل بوضعه فالمدرس كالطبيب يعطى الدواء للمريض بحسب طبيعته ومزاجه والا كان افساده أكثر من اصلاحه * ولابى العباس الهلالى ناظما كلام ابن عرفة السابق وما ألحق به :

تقرير متن وبيان مشكل * تتميم ما نقص الإقراء اجعل
وزائد ضرره أكثر من * نفع به فهو بالترك قمن
قلت وذا بنسبة للمبتدى * أما سواه فبقدره زد
عزوا ومبنى وفروعا ناسبت * ايرادا ابحاث عن الفهم أبت

ثم ان ما ذكره الناظم تبعا لابن عرفة من ان بيان المشكل من تمام صناعة التدريس هو كذلك وقد

٣ ذكرها الزرقانى فى شرح المواهب وشيخنا كنون رحمه الله فى باب الوضوء من تعليقه على الموطأ ولم أجدها فيما وقفت عليه من كتب اللغة والله أعلم اهـ مؤلفه

بحث ابن عرفة كما فى سَنَن المهتدين فى وجوب حل" المشكل فى التدريس ونصه وكذا الشيخ مع التلميذ والتلميذ مع الشيخ كلاهما لا تكون همته الا فى اصلاح متن وتكميل نقص وتبيين ما أشكل قاله بعضهم وأنا أقول تبيين ما أشكل ليس بمتعين على المقلد انما المطلوب اصلاح المتن وتصوير النص وتكميل النقص أما تبيين ما أشكل ونقل الخلاف فان قلتَ أنتَ مهم" فأقول انه ليس بأهم" والاولى لكل ذى عزم وحزم أن يبتدئ فى العلم بالأهم" فالأهم" اه كلام المواق ﴿قلت﴾ موضوع كلام المواق هذا فى الإشكالات والمعارضات الحاصلة بين أصول أدلة المذاهب بدليل قوله ليس بمتعين على المقلد وأما الإشكالات والمعارضات التى تعرض فى كلام المتن أو ما يتعلق به وهى موضوع كلام الناظم تبعا لابن عرفة فتعين حَلها والجواب عنها اذ ذلك من تتمة صناعة التدريس على ان حل" الإشكالات والمعارضات بين أدلة المذاهب هو مُهم" فى نفسه أكيد كما أقرّ به المواق نفسُه وذلك من التبحر فى العلوم الشرعية المطلوب من الشخص ما أمكنه والله الموفق ﴿واعلم﴾ أن الإشكال والغرابة هما من أسباب عدم فهم الكلام فلهذا أمر الناظم فى هذا البيت والأبيات بعده بالبيان التام اذ كل كلام لم يفهم معناه فذلك لأحد أمور ثلاثة إما العلة فى الكلام أو علة فى المعنى أو علة فى السامع، فأما علة الكلام فهى اما القصور اللفظ عن المعنى لعدم حُسن التأدية من المتكلم أو بلادة فيه واما لزيادة اللفظ عن المعنى لهذر المتكلم أو سوء ظنه بفهم السامع وهذان ليسا عامين واما وضع يقصده المتكلم وهو عام وخاص، فالعام ما اصطلح عليه العلماء ويسمى عرفا كالجوهر والعَرَض عند المتكلمين، والخاص ما يصطلح عليه الواحد فى كلامه ويسمى فى النثر رمزا وفى الشعر لغزاً واما علة المعنى فهى كون المعنى متوقفا فهمه على تقديم مقدمة يفهم بها المقصد أو كون المعنى مقدمة لغيره يحتاج فهمه الى تكميله بالمقصد أو كون المعنى نظريا يحتاج لتأمّل واستدلال وأما علة السامع فهى إما ذاتية أو طارئة فالذاتية كبلادته وعدم وصول عقله للمعنى والطارئة كضَجَر وتشويش عرض بعروض سببه أما البلادة فيمكن دفعها بالدأب والحرص وصرف الهمة الى المراد، وأما الضجر والتشويش فيندفعان أيضا فالضجر يدفع باستراحة وتجميم النفس والتشويش بانتظار زواله بزوال أسبابه اه بالمعنى وزيادة بيان من (التحفة العليا، فى آداب الدين والدنيا) للإمام الماوردي (ثم قال الناظم)

132 ﴿وإن تكن ضمائر تعدّدت ＊ به فرُدّها لما له أتت﴾

الواو للإستئناف وان حرف شرط وتكن فعل الشرط مجزوم بان وضمائر جمع ضمير اسم تكن والضمير فى الاصطلاح هو ما دل على حضور أو تكلم أو غيبة وهو فعيل من الضمور وهو الهزال لأن حروف الضمير قليلة ولا يرد نحو نحن مما فيه كثرة الحروف لتغليب غيره عليه ويقال للضمير أيضا مضمر مفعل من الإضمار وهو الإخفاء ولا يرد البارز فانه غير خفى لتغليب المستتر عليه والكوفيون يسمون الضمير كناية ومكنيا أي مكنيا به لأنه كناية عن معاده ومكنيا به عنه وقول الناظم تعدّدت الخ فعل ماض وتاء تأنيث ساكنة والضمير فيه عائد على الضمائر والجملة فى محل نصب خبر تكن وبه متعلق بتعدّدت والضمير المجرور بالباء عائد على المتن المذكور فى البيت قبل والباء بمعنى فى والفاء فى قوله فردّها رابطة للجواب بالشرط وردّ فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والهاء مفعوله وهى عائدة على الضمائر ولما متعلق بردّ وأتت فعل ماض وتاء تأنيث ساكنة والضمير فيه عائد على الضمائر أيضا وله متعلق بأتت والضمير المجرور باللام عائد على ما هو الرابط بين الصلة والموصول ﴿والمعنى﴾ ان تكن فى المتن ضمائر متعدّدة فردّ أيها المدرّس كل واحد منها لمعاده أى لأن ذلك أوّل وسيلة للفهم وأعظم سبب للإدراك والعلم وعلى ذكر الضمير تذكرت قول بعضهم:

وقائلةٍ صف بعض ما أنت مضمر * فقلت لها يا ذي أيوصف مضمر
على أن حالى في الحقيقة مخبر * سل الحال ان الحال جاء يفسر

(وقول الآخر)

أضمرتُ في القلب هوى شادنٍ * مشتغلٍ بالنحو لا ينصف
وصفتُ ما أضمرتُ يوماله * فقال لي المضمر لا يوصف

(ثم قال الناظم)

133 ﴿ولتثنِ عطفك إلى الإعراب * فانه الآلة للصواب﴾

الواو للعطف عطفت هذه الجملة على ما قبلها واللام لام الأمر وتثن فعل مضارع مجزوم بها والتاء الاولى مثناة لانها تاء المضارعة والثانية مثلثة لانها لام الكلمة من ثنى عطفه يثنيه اذا رده وعطفك مفعول الفعل والكاف كاف المخاطب مضاف اليها عطف والعِطف بالكسر الجانب ففى الصحاح عِطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركيه يقال ثنى عني فلان عطفه أعرض عني وثناه الى أقبل علي والى الاعراب متعلق بتثن والإعراب بكسر الهمزة لغة مصدر أعرب اذا أبان وأظهر أو نقل أو حسن أو غير أو أزال عَرَبَ الشيء بفتحتين وهو فساده أو تكلم بالعربية أو أعطى العُرْبون بفتحتين أو بضم فسكون ويقال عربان بضم فاسكان وبابدال العين همزة في الثلاثة ففيه ست لغات أو وُلد له ولد عربي اللون أو تكلم بالفحش أو لم يلحن في الكلام أو صار له خيل عِراب أو تحبب الى غيره ومنه العَرُوبة المتحببة الى زوجها وأما في الاصطلاح ففيه مذهبان: أحدهما انه لفظي واختاره ابن مالك ونسبه للمحققين وعرفه في التسهيل بقوله ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف، ثانيهما انه معنوي والحركة دليل عليه واختاره الأعلم وكثيرون وهو ظاهر مذهب سيبويه وعرّفوه بانه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا والمذهب الاوّل أقرب الى الصواب ودلائله مبسوطة في محالها ولا ينبنى على هذا الخلاف فائدة ترجع الى المعنى بل الى اللفظ فقط وذلك ان قولك مثلا جاء زيد هل يقال زيد مرفوع بالضمة نفسها وهو مقتضى المذهب الاوّل أو هو مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مقتضى المذهب الثاني والأنسب من المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي على انه لفظي هو الابانة لأن الحركة أو الحرف أو ما ناب عن أحدهما يبين ما يقتضيه العامل، والأنسب على انه معنوي التغيير ﴿فان قلت﴾ يعلم من تعريف الإعراب على كلا المذهبين أن الإعراب في اصطلاح المعربين صار يطلق على ما هو أخص منه عند النحويين اذ هو عند النحويين على المذهب الاوّل نفس الحركة أو الحرف أو ما ناب عن أحدهما وعلى الثاني تغيير مقدر في الكلمة علامته الحركة أو السكون أو ما ناب عن أحدهما فليس البحث على كلا المذهبين الا عن حالة آخر الكلمة هل هو مرفوع أو منصوب أو مخفوض أو مجزوم وأما المعربون فيقصدون بالإعراب بيان الكلمة من كونها اسما أو فعلا أو حرفا والاسم هل هو مبتدأ أو خبر أو فاعل أو مفعول أو حال أو تمييز أو غير ذلك وهل هو مبني أو معرب وهل هو مصروف أو ممنوع من الصرف الى غير هذا والفعل هل هو ماض أو مضارع أو أمر والمضارع إما مرفوع أو منصوب أو مجزوم وهل معرب أو مبني والحرف هل هو عامل الجر أو النصب أو الجزم كما يبحثون أيضا عن الكلمة من حيث الرفع والنصب والخفض والجزم فصار الاعراب في اصطلاح المعربين أخص لانه زاد بأمور ﴿قلت﴾ ليس الامر كذلك بل الاعراب في اصطلاح النحويين هو بعينه المراد عند المعربين وأما كون المعربين يبحثون عن الكلمة هل هي اسم أو فعل أو حرف والاسم هل مبتدأ أو خبر مثلا والفعل هل هو ماض الى آخر أحواله المذكورة والحرف كذلك وهذه الامور كلها زائدة على البحث عن

حالة آخر الكلمة فذلك كله لتوقف معرفة آخر الكلمة في التركيب على ذلك كله اذ لا يعرف حال آخر الكلمة من رفع أو نصب مثلا الا بعد معرفة العامل المقتضي للإعراب ما هو فكل ما يفسره المعربون في إعرابهم فهو من وسائل الإعراب في اصطلاح النحويين نعم هناك أمور يبينها المعربون وهي قطعا زائدة على مسمى الإعراب في اصطلاح النحويين كقولهم مفعول له أو معه أو فيه أو لاجله فان النحوي انما يبحث عن إعراب المفعول ليتوصل به الى كونه منصوبا والمفاعيل كلها منصوبة وكذلك كون الحال جامدة أو مشتقة لازمة أو منتقلة وكذلك كون التمييز محولا عن الفاعل أو المفعول الى غير هذا من الامور التي لا يتغير آخر الكلمة باختلافها فانه قطعا زائد على الاعراب عند النحويين فاما أن يقال بالاخصية المذكورة في السؤال واما أن تمنع ويقال بالتوافق وان تلك الامور الزائدة على الاعراب في اصطلاح النحويين انما تذكر تتميما للفائدة وبيانا للاقسام وهذا أولى من القول باحداث اصطلاح آخر ثم ظهر وجه آخر أقرب من هذا وهو أن يقال إن الإعراب في اصطلاح المعربين يراد به أحد معاني الإعراب لغة وهو البيان فمعنى أعرب لي هذا التركيب بين لي حاله بيانا خاصا والله أعلم فقول الناظم ولتثن عطفك الى الإعراب على حذف مضاف أي الى بيان الإعراب اذ الإعراب هو ما جيء به لبيان الخ على المذهب الاول أو تغيير أواخر الكلم على المذهب الثاني والمدرس لا يثني عطفه الى ذلك بل الى بيانه وقوله فانه الآلة الفاء للتعليل وإن حرف توكيد ونصب والضمير العائد على الاعراب هو اسمها والآلة خبرها وللصواب متعلق بالآلة لان لفظ الآلة وان كان اسما جامدا الا أنه مؤول بالمشتق لأنه في معنى المبلغ والموصل ﴿والمعنى﴾ ارجع أيها المدرس بعد تقريرك لمعنى المتن وحله الى بيان إعرابه لان الاعراب هو الموصل الى الصواب ولبعضهم من معنى كلام الناظم

سفينة العلم هي الإعراب * تاركه ليس له صواب

وفي نسخ من الناظم فانه الآلة للضراب بالضاد الساقطة بعد هاء أو مقصوده بالضراب معاطاة العلوم شبهها بالضراب أي المضاربة للاحتياج في كل الى إعمال حذر وتيقظ وقد أفاد الناظم ان الإعراب للمتن يكون بعد بيان معناه وحل مشكله وهذا الذي يفعله جل المدرسين وبعضهم يقدم الاعراب أولا لانه يقرب المعاني للأفهام وهو أولى وأقرب للتعليم وهو مختاري وفعلي وقد يقال ان الناظم غير صريح في الوجه الاول لان الواو لا ترتب على الصحيح ثم ان ظاهر اطلاق الناظم أن المدرس يعرب المتن أي متن كان والذي عليه عمل المدرسين أنهم لا يعربون المتن الا اذا كان في فن العربية للمناسبة بين الإعراب والفن المقروء وأما اذا كان المتن المقروء في غير النحو من العلوم فلا يعربون منه الا المشكل الخفي الذي يتوقف فهم المعنى على إعرابه وذلك نادر ولا يصح أن يكون هذا مراد الناظم حتى يكون كلامه عاما لان قوله بعد * وبين الفاعل والمفعولا * الابيات يأباه لان بيان ذلك لا يتوقف عليه فهم معاني التراكيب المشكلة والله أعلم (ثم قال الناظم)

134 ﴿وبيّن الفاعلَ والمفعولا * والحالَ والتمييزَ والموصولا﴾

هذا وما بعده تفصيل لقوله الاعراب فلو أتى بالفاء هنا كان أنسب فقوله وبين الواو للعطف وبين فعل أمر والفاعل ضمير المخاطب والفاعل مفعوله والمفعولا معطوف عليه وكذلك قوله الحال والتمييز والموصولا والالف في قوله المفعولا والموصولا ألف الاطلاق ﴿والمعنى﴾ اعرب أيها المدرس كلام المتن ببيان كل واحد من هذه الامور على حدته والكلام على حقائق هذه الأمور المذكورة في النظم معلوم في محله والنظم غير مقصود لذلك فشرحه بجلب كلام النحويين تشدق لا يناسب وشمل قوله المفعولا المفاعيل الخمسة وهي المفعول المطلق والمفعول به والمفعول له والمفعول معه وأما المفعول فيه الذي هو الظرف

فسياتي.

فسيأتي ذكره في كلامه بالخصوص وقوله والموصولا أي وصلته والعائد عليه لأن الصلة والعائد لازمان للموصول (وما ألطف قول بعضهم)

قالت وقد حاولت نيل وصالها * من غير شيء لا تجوز المسألة
بالله قل لي أين نحوك يا فتى * أرأيت موصولا يجيء بلا صلة؟

(وقول الآخر)

واني الذي أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذي

(ولبعضهم)

لما مرضت أرسلت * لي صلة وعائدة
جارية وسكرا * للأكل والمشاهدة
لعلمها أني فتى * أهوى النسا والمائدة

(ولله زهير)

يقولون لي أنت الذي سار ذكره * فمن صادر يثني عليك ووارد
هبوني كما قد تزعمون أنا الذي * فأين صلاتي منكم وعوائدي

وكتب شرف الدين محمد بن عنين وهو مريض الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل بهذين البيتين

انظر اليّ بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فجاءه الملك يعوده ومعه ثلاثمائة دينار وقال له أنت الذي وأنا العائد وهذه الصلة * وفي معنى هذا ما حكي أن بعض الطلبة مرض فأراد بعض الرؤساء أن يعوده فحسده بعض الناس وحقّره وأمره ومنعوه من الوصول اليه فبلغ المريض ذلك فكتب اليه:

ياسيدا ايضاح احسانه * ليس بمحتاج الى تكملة
قد فاتني العائد منكم عسى * أن تجبروا ما فاتني بالصلة

وما ألطف قول بعضهم موجها بذكر الفاعل والمفعول

ومتصف بالنحو أعرب حسنه * فأدرك إشكالا غدا عنه مسؤلا
سقامي فعل لازم وصدوده * له فاعل لم صيّر القلب مفعولا

وقول ابن الساعاتي موجها بذكر الفاعل والتمييز مع ما فيه من اللف والنشر المرتب

أيا قمرا من حسن صورته لنا * وظل عذاريه الضحى والأصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقول ابن تيمور موجها بذكر التمييز وان تبدى وفحش

ومليح تعلم النحو يلقى * مشكلات منه بلفظ وجيز
ما تميزت وجهه قط إلا * قام أيري نصبا على التمييز

(ثم قال الناظم)

١٣٥ والنعت والعاطف والمعطوفا * عليه والممنوع والمصروفا

هذه كلها معطوفات على مفعول قوله بين في البيت قبله والمراد بالعاطف حرف العطف واسناد العطف اليه مجاز من اسناد الشيء الى آلته لأن العاطف حقيقة هو المتكلم، وقوله عليه متعلق بالمعطوف ويلزم من وجود المعطوف عليه وجود المعطوف فيبين أيضا وقوله والممنوع أي من الصرف بدليل

قوله والمصروفا والصرف هو التنوين (والمعنى) بين أيها المدرس في اعرابك للمتن هذه الامور اذا وقعت فيه وعلى ذكر العاطف والمعطوف تذكرت قول سيدى سعيد الحميرى

سألت الذى أهوى وكنت أسيره * وقصدى أخذ الفال يقتل أم يعفو
فقالت وكان النحو يقرؤه فا * نصابك من أبوابه قال لي العطف
لئن كان لفظ العطف بالفال صادقا * فقلبي عليه قبل أن يعطف الوقف

ومن التوجيه بذكر الصرف لعدم المانع منه قول ابن غنين في وال عزل

فلا تغضبن إذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

(ومن ألطف التوجيه أيضا بالصرف وعدمه) ما حكي أنه كان بالعراق غلامان اسم أحدهما عمرو واسم الآخر أحمد فعزل عمرو عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه أى أعطاه فقال بعض الشعراء فى ذلك

أيا عمرو استعدّ لغير هذا * فأحمد في الولاية مطمئن
وكل منكما كفء كريم * ومنع الصرف فيه كما نظن
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

(ثم قال الناظم)

136 (والجمعَ والمفردَ والمثنّى * والظرفَ والمضافَ والمستثنى)

هذه كلها معطوفة على ما قبلها معمولة لقوله بيّن والمراد بالجمع المجموع فهو من اطلاق المصدر وارادة اسم المفعول والجمع اما جمع تصحيح لمذكر أو لمؤنث أو تكسير لمذكر أو لمؤنث أيضا ومراده بالجمع ما يشمل اسم الجمع واسم الجنس لأن ذلك فى معنى الجمع بدليل مقابلته بالمفرد والمثنى وشمل الظرف ظرف المكان والزمان، وقوله والمضاف أى مع المضاف اليه لأن الإضافة من الأمور النسبية لا بد فيها من مضاف ومضاف اليه، وقوله والمستثنى أى الإسم المستثنى ويلزمه أداة الاستثناء فهذه الأمور كلها مطلوب بيانها فى الاعراب ومن أحسن التوجيه بذكر المضاف وحذف التنوين منه قول ابن سهل

وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

(وقول الآخر)

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفة
فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافة

وقول الآخر موجها بحذف نون الجمع من المضاف

أزال الله عنكم كل آفة * وسدّ عليكم سبل المخافة
ولا زالت نوائبكم جميعا * كنون الجمع فى حال الاضافة

وبذكر المستثنى والشئ بالشئ يذكر تذكرت ما حكى عن خالد بن صفوان أنه وقف بباب سليمان بن على فاتق بغلة كانت بالموضع واقفة فقيل له انها ما ركضت أحدا قط فقال أخاف أن أكون المستثنى فيقال غير خالد (ثم قال الناظم)

137 (وكلَّ ذي حركةٍ أو ذي سكونْ * عاملَه بيِّنهُ كيفما يكون)

الواو للعطف وكل مبتدأ وهو مضاف الى ذى وذى مضاف الى حركة وأو للعطف وهى للتنويع وذى سكون معطوف بها على ذى حركة والحركات ثلاث الضمة والفتحة والكسرة والسكون هو عدم الحركة فى آخر الكلمة والمراد بالحركة ما يشمل الاصل والنائب وكذلك السكون وقوله عامله بالنصب على

المختار مفعول بفعل محذوف يفسره قوله بين والضمير المفعول بيين عائد على عامل وجملة عامله بينه خبرا المبتدا بناء على جواز الاخبار بالانشاء وهو الصحيح الذى حققه السعد فى المطول والمختصر وصوّبه المحقق عبد الحكيم متعقبا اعتراض السيد عليه لكنه قليل بالنسبة الى وقوع الاخبار بالخبر وعلى مقابل الصحيح يقدر قول محذوف هو الخبر أى وكل ذى حركة مقول فيه بينه ويصح رفع عامله على انه مبتدأ ثان والجملة خبر الاوّل لكنه ضعيف لما يلزم عليه من الاخبار بالانشاء وهو قليل بل قيل بمنعه كما علمت ويصح أن يكون قول الناظم كل بالنصب وهو منصوب على الاشتغال وقوله عامله بدل منه بدل اشتمال ﴿فان قلت﴾ من شروط الاشتغال أن يكون الاسم المشتغل عنه واحدا لا متعددا كما قرر فى محله ﴿قلت﴾ محل ذلك حيث كان التعدد حقيقيا بلا تبعية نحو قولك زيدا درهما أعطيته اياه فانه محل المنع على ان الاخفش يجيزه وأما حيث كان التعدد لفظيا فقط بان كان تابعا للاوّل كالبدل والعطف فيجوز كما صرح به الرضى فى البدل والصبان فى العطف غاية الامر أن الرضى قال تجعل العامل المقدر متعديا وذلك ممكن هنا فى كلام الناظم فيقال لابس كل ذى حركة أو سكون بين عامله والله أعلم وقول الناظم كيفما يكون اعلم ان كيف اسم وضع فى كلام العرب للدلالة على الحالة وهى فى كلامهم على وجهين: أحدهما أن تكون شرطية تقتضى شرطا وجوابا لا تجزم واحدا منهما على الصحيح خلافا للكوفيين لأنها خالفت أدوات الشرط بوجوب اتفاق شرطها مع جوابها لفظا ومعنى، وقد تلحقها ما فيقال كيفما تجلس أجلس برفع الفعلين ثانيهما وهو الغالب أن تكون للاستفهام اما حقيقيا نحو كيف زيد أصحيح أو سقيم أو غيره نحو كيف تكفرون بالله فانه خرج مخرج التعجب وتقع فى هذا الوجه الثانى خبرا قبل كلام غير تام نحو كيف أنت وكيف كنت وحالا قبل الكلام التام نحو كيف جاء زيد قاله فى المغنى ﴿قلت﴾ وظاهره انها لا تكون لغير هذين الوجهين وأقر كلامه الدمامينى والشمنى والأمير، والظاهر ان لها وجها ثالثا وهو كونها منصوبة على الحالية التى هى أصل وضعها من غير اشرابها معنى الشرطية ولا الاستفهامية ومنه قول الناظم كيفما يكون فان كيف فى محل نصب على الحال وما زائدة ويكون مضارع من كان التامة والضمير فيه عائد على العامل هو الفاعل بها ومن هذا الوجه أيضا قوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء وقوله جل وعلا فيبسطه فى السماء كيف يشاء فانها ليست شرطية فى الآيتين كما قاله ابن هشام نفسه فى المغنى رادا على من قال انها شرطية والجواب فيهما محذوف والتقدير يصوركم فى الارحام كيف يشاء يصوركم فيبسطه فى السماء كيف يشاء يبسطه ووجه الردّ بان كيف الشرطية لا بد من مماثلة شرطها لجوابها فى اللفظ والمعنى سواء كان جوابها محذوفا أو مذكورا كما هو ظاهر اطلاقهم وعلى هذا التقدير فى الآيتين لا تماثل ﴿ولا يقال﴾ ان هذا الوجه الثالث مذكور فى ابن هشام اذ قال وتقع أى فى الوجه الثانى خبرا قبل ما لا يستغنى وحالا قبل ما يستغنى الخ ﴿لانا نقول﴾ موضوع كلامه فى الوجه الثانى الذى هو وقوع كيف للاستفهام فهى تنصب على الحال مع كونها استفهامية كما فى كلام المغنى ومع كونها غير استفهامية كما فى الآيتين وكلام الناظم اذ المعنى ليس على الاستفهام فى ذلك * والحاصل ان صاحب المغنى سلب عن كيف فى الآيتين معنى الشرطية ولم يثبت لها الاستفهامية فربما يشعر بان لها وجها ثالثا وان كانت قاعدته هو التصريح بالوجوه المستعملة وأجاب العلامة الشمنى فى شرح المغنى عن البحث الوارد على شرطية كيف فى الآيتين بأنا لا نقدر الجواب فعلا مثل الذى قبلها وانما نقدره فعلا مضارعا من المشيئة متعلقا بالحدث الذى قبلها والتقدير كيف يشاء الامور يشاء تصويركم أى لا فرق بين المشيئتين الا بالتعلق فصدق ان شرطها مماثل لجوابها وان جوابها محذوف لدلالة ما قبلها الا ان ما قبلها فعل اختيارى والافعال الاختيارية لها دلالة على المشيئة واستلزام لها

جواز الإخبار بالانشاء وهو الصحيح

ما يقال في (كيفما)

وكثيراما تطلق وتراد منها كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة أى أردتم القيام اليها وكقولك اذا ذهبت الى الجمعة فاغتسل أى اذا أردت الذهاب اليها اهـ كلام الشمنى بلفظه وعليه فيصح فى كلام الناظم أيضا الشرطية ويكون التقدير كيفما يكون هو أى العامل يكون بيانه فيتماثل الشرط والجواب وانما يختلفان باعتبار متعلقهما الذى هو الفاعل غير أنه تكلف بعيد كما لا يخفى وقد ذكر أبو البقاء فى الآية الاولى احتمالات ثلاثة كلها ترجع الى الحالية المجردة عن الاستفهام والشرط والله أعلم ﴿والمعنى﴾ بين أيها المدرس عامل كل محرك أو مسكن كيفما كان ذلك العامل كان عاملا بالاصالة أو بالحمل على الفعل كان حرفا أو فعلا أو اسما أو اسم فعل * وما ألطف قول ابن سهل موجها بذكر العوامل النحوية

رفعت عوامله وأحسب رتبتى * بنيت على كسر فلن تتغيرا

(ثم قال الناظم)

138 ﴿وان يقع تأخير أو تقديم * به المراد ليس يستقيم﴾

139 ﴿فكل عامل بمعموله صل * على الترتب بلا فصل يخل﴾

الواو للاستئناف وان شرط ويقع فعل الشرط وتأخير فاعل به أو للعطف وهى بمعنى الواو وتقديم معطوف على تأخير وهو من عطف أحد المتلازمين على الآخر اذ يلزم من التقديم لشئ على آخر تأخير الآخر عن ذلك الشئ المقدم فتعلق تأخير وتقديم محذوف يدل عليه آخر الكلام أى تقديم للمعمول وتأخير للعامل وبه متعلق بيستقيم والباء بمعنى مع على حد قوله تعالى وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والضمير المجرور عائد على التقديم والتأخير وأفرد الضمير على ارادة ما ذكر ﴿لا يقال﴾ ان العطف بأو وهى لاحد الشيئين أو الأشياء والأحد مفرد فعليه يعود الضمير ﴿لانا نقول﴾ محل ذلك حيث تكون أو للابهام كما حققه الأبدى ونقله فى المغنى لا ان كانت للتنويع أو بمعنى الواو والافتلزم معهما المطابقة وأو هنا لا يصح كونها للابهام كما لا يخفى وفى الكلام حذف جار ومجرور يدل عليه المعنى أى ليس المراد يستقيم معه بسهولة لأن تقديم المعمول على العامل يستقيم معه المراد لكن ليس فى ابتداء الامر وقوله المراد مبتدأ وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير فيها عائد على المراد ويستقيم مضارع والضمير العائد على المراد هو الفاعل به والجملة خبر ليس وجملة ليس يستقيم خبر المبتدأ وقوله فكل الخ الفاء رابطة للجواب بالشرط وكل مفعول مقدم بصل وعامل مضاف اليه كل وبمعموله متعلق بصل والضمير المضاف اليه معمول عائد على عامل وعلى الترتب متعلق بصل وبلا فصل متعلق أيضا بصل وهو توكيد له فى المعنى لأن معنى الوصل هو عدم الفصل ويخل مضارع أخل الرباعى والضمير فيه عائد على فصل والجملة نعت لفصل وجملة قوله كل عامل الى آخر البيت فى محل جزم جواب الشرط ﴿والمعنى﴾ اذا كان فى المتن الذى تقرؤه تقديم لمعمول وتأخير لعامل لا يستقيم المعنى بسهولة مع ابقائهما على حالهما فقدم المؤخر وأخر المقدم واجعل المعمول بعد عامله من غير فصل يخل بتأدية المعنى المراد وهذا الذى أمر به الناظم فى هذين البيتين هو المعروف فى صناعة التدريس بسبك الكلام فى تقديره على أصله من غير تقديم متأخر ولا تأخير متقدم (ثم قال الناظم)

140 ﴿والظاهر اجعل موضع الضمير * فى سبك ذاك اللفظ فى التقدير﴾

فى غالب النسخ فالظاهر بالفاء وفى نسخة والظاهر بالواو وهى أنسب اذ ليس هذا مفرعا على ما قبله كما هو ظاهر فقوله والظاهر الواو للعطف والظاهر مفعول مقدم باجعل وموضع ظرف مكان معمول لاجعل وهو مضاف للضمير وقدمر تعريف الضمير ووجه تسميته بذلك عند قول الناظم فى هذا الباب

وان تكن ضمائر تعددت الخ وفى سبك متعلق باجعل والسبك فى الاصل التخليص من الخبث يقال سبكت الذهب والفضة خلصتهما مما فيهما من الخبث ثم استعير لتخليص الكلام من تعقيده وقوله الذى مضاف اليه سبك واللفظ بدل أو عطف بيان عليه وقوله فى التقدير اما بدل مطابق من قوله فى السبك ان جعلنا تقدير الكلام هو سبكه وفى على بابها واما أن تجعل فى بمعنى مع على حد قوله تعالى ادخلوا فى أمم أى مع أمم وهى متعلقة بسبك ان جعلنا التقدير مغايرا للسبك بأن يجعل السبك هو جعل الظاهر مكان الضمير والتقدير هو تقديم ما أخر والاصل فيه التقديم وتأخير ما قدم وحقه التأخير وجملة قوله والظاهر اجعل الخ معطوفة على جملة الشرط والجواب فى البيتين قبل هذا لا على الجواب فقط لان هذا ليس جزاء للشرط كما لا يخفى ﴿والمعنى﴾ اذا أردت أيها المدرس سبك الكلام وتقديره فاجعل الظاهر موضع الضمير فى كلام المتن فان ذلك أسهل فى فهم المراد على المبتدى ثم قال الناظم

١٤١ ﴿حتى ترى معنى الكلام اتضحا * وصار مثل الشمس فى وقت الضحى﴾

حتى حرف للغاية بمعنى الى وهى تنصب المضارع بأن مضمرة بعدها لا بنفسها خلافا للكوفيين لأن حتى قد ثبت أنها تخفض الاسماء وما يعمل فى الأسماء لا يعمل فى الأفعال وكذا العكس قاله فى المغنى لكن هذا انما يرد على غير الكسائى من الكوفيين وأما هو فحتى عنده غير خافضة بنفسها بل يقدر بعدها حرف الجر فتقدير حتى مطلع الفجر عنده حتى تنتهى الى مطلع الفجر نعم هو تكلف بعيد مع ما فيه من حذف حرف وابقاء عمله فى غير ما عهد قاله العلامة الأمير ثم ان المضارع الذى بعد حتى لا ينصب الا اذا كان مستقبلا ثم ان كان استقباله بالنظر الى زمن التكلم فالنصب واجب نحو لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وان كان استقباله بالنسبة الى ما قبلها خاصة فالوجهان نحو وزلزلوا حتى يقول الرسول فان قولهم انما هو مستقبل بالنظر الى زمن الزلزال لا بالنظر الى زمن قص ذلك علينا قاله فى المغنى أيضا وكلام الناظم هنا من قبيل الوجه الاول فالنصب واجب بأن المقدرة وهى والفعل فى تأويل مصدر مخفوض بحتى أى الى رؤية معنى الكلام متضحا والمغيا بحتى مأخوذ من قوة الكلام السابق ومعنى مفعول بترى وهو مضاف للكلام وجملة اتضحا أى تبين وانكشف فى محل نصب مفعول ثان بترى على أنها علمية لا بصرية وهو الظاهر لأن معنى الكلام لا يبصر بالعين بل يعلم بالعقل والضمير فى اتضحا يعود على معنى الكلام وصار معطوف على اتضحا والضمير فيه العائد على معنى الكلام أيضا هو اسمها ومثل خبرها والشمس مضاف اليه مثل وفى وقت متعلق بمحذوف حال من الشمس لما علم ان الجمل وشبهها من الظروف والمجرورات اذا وقعت بعد المعارف أعربت أحوالا كما هنا وبعد النكرات تعرب أوصافا والضحى مضاف اليه وقت من اضافة الأعم الى الأخص وهو جمع ضحوة كقرية وقرى والضحوة امتداد النهار كالضحاء بالفتح والمد فهى اسم معنى ثم استعملت الضحى استعمال المفرد وسمى بها الوقت الخاص وهو وقت ارتفاع الشمس الى وسط السماء ﴿والمعنى﴾ بالغ أيها المدرس فى سبك كلام المتن بتقديم ما أصله التقديم وتأخير ما أصله التأخير واجعل الظاهر مكان الضمير الى أن ترى معنى الكلام متضحا وظاهرا ظهور الشمس فى وسط النهار حيث لا غيم يحجبها عن الأبصار فان المدرس اذا كان اعتناؤه بحل ألفاظ المتن وتبيينها بعبارات واضحة وتصريحات لائحة قرب الفهم للطالب وسهل عليه ما هو له طالب ثم قال الناظم

١٤٢ ﴿وشيع المنطوق بالمفهوم * وقرب البعيد للفهوم﴾

الواو للعطف وشيع فعل أمر بمعنى اتبع يقال شيعت رمضان بست من شوال أى أتبعته بها وفى نسخة

والتبع بلام الامر والفعل المضارع من أتبع الرباعي وهو معنى النسخة الاولى كما علمت وفي نسخة أخرى وشفع من شفعت الشيء شفعا من باب نفع ضممته الى الفرد ويقال شفع بالتشديد وهو المراد هنا أي ضم المفهوم للمنطوق والمنطوق مفعول بشفّع وبالمفهوم متعلق بشفّع والمنطوق مادل عليه اللفظ في محل النطق، والمفهوم مادل عليه اللفظ لا في محل النطق، وجملة وشفع الخ معطوفة على الجمل قبلها وقوله وقرّب الواو للعطف وقرّب فعل أمر والبعيد مفعوله وللفهوم جمع فهم بمعنى العقل متعلق بقرّب واللام على بابها او بقدر لبعيد متعلق محذوف أي قرّب للفهوم البعيد منها ويحتمل تعلقه بالبعيد على ان اللام بمعنى من كقوله

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم * ونحن لكم يوم القيامة أفضل

ولا تجعل اللام بمعنى عن وان كان بعد يتعدى بعن أيضا لأن اللام لا ترد بمعنى عن الامع القول كما في شرح الفريدة وغيرها نحو قوله تعالى وقالت أولاهم لأخراهم أي عن أخراهم وقوله تعالى ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا أي عنهم وقوله

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

أي قلن عن وجهها ولا قول في كلام الناظم وعلى هذا الاحتمال يقدر لقوله قرب متعلق أي قرب للافهام البعيد منها وجملة قوله وقرب الخ معطوفة أيضا على ماقبلها ﴿والمعنى﴾ اذا بينت أيها المدرّس منطوق كلام المتن فأتبعه بالمفهوم وقرّب الى العقول ما بعد عنها بأن تبالغ في توضيح عبارة المتن وتبيين ماخفي منها ولو بعبارة عامّية، أو تمثيل بالمحسوسات البادية، اذ المقصود الأهمّ هو تحصيل النفع لكل فريق، بما يمكن من أيّ وجه أو طريق، فان تحسين العبارة، وتبيين الإشارة، مما يقرّب البعيد الى الأفهام، ويكشف عن سماء القلوب سحاب الإفهام كما قيل

زّدت فصاحته ودقة ذهنه * وحش الكلام أوانسا بخطابه

كالنحل ترعى المرّ من نبت الربا * فيصير شهدا في طريق رضابه

(ثم قال الناظم)

143 ﴿ثم إذا احتجت الى التصريف * فجئ به للبسط والتعريف﴾

ثم للعطف والترتيب اللفظي واذا اسم مضمن معنى الشرط واحتجت فعل وفاعل والى التصريف متعلق باحتجت والتصريف لغة اعمال الشيء في غير وجه كأن يصرفه عن وجه الى وجه ويأتي معناه في الاصطلاح ان شاء الله وقوله فجئ الفاء رابطة للجواب بالشرط وجئ فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب وبه متعلق بجئ والضمير المجرور بالباء عائد على التصريف وللبسط أي البيان متعلق أيضا بجئ واللام للتعليل والتعريف مصدر عرف معطوف على البسط وجملة جئ به للبسط والتعريف جواب اذا لا محل له من الاعراب وكذلك جملة الشرط لان الشرط غير جازم وجملة الشرط والجواب معطوفة بثم على جملة قوله سابقا * ولتثن عطفك الى الإعراب ﴿والمعنى﴾ اذا احتجت أيها المدرّس في كلام المتن الى علم التصريف فجئ به وصرّف الكلمات اللاتي دخلها موجب التصريف لأجل أن تبسط بذلك كلام المتن وتعرفه للسامعين واذا في كلام الناظم تفيد التحقق اذ لا يخلو كلام عربي عن مبحث التصريف (قال) علامة اليمن، ونجم الزمن، نشوان بن سعيد الحميري في مقدّمة كتابه شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: وصحيح التأليف ومجب التصنيف للأمان من التصحيف مانصه واعلم أن كل ماوضع في هذه اللغة العربية من تصنيف فهو مفتقر الى علم التصريف اه منه وفي قول الناظم فجئ به للبسط والتعريف تلميح لمنظومة الشيخ المكودي المسماة بالبسط والتعريف في علم التصريف لكن الانسب لو قال فجئ له بالبسط والتعريف كما لا يخفى لتتم له التورية ﴿فائدة﴾ نذكر فيها

مبادى علم التصريف لتعرض الناظم له هنا وتوفية بما وعدنا به فيما مر عند ذكر الناظم لعلم التصريف باب ما يبتدأ به من العلوم وان ذكرها هنا على غير الوجه الذى ذكرت عليه العلوم هنالك * أما حدّ علم التصريف بانفراده فهو علم بأصول يعرف بها أحوال بنية الكلام باعتبارهيآت تعرض لها من الحركات والسكنات وتقديم بعض الحروف وتأخيرها وعرّفه العِزّى بأنه تحويل الأصل الواحد وهو المصدر الى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل الا بها اه وذلك كتحويل المصدر الى فعل ماض ومضارع ونحوهما لتحصيل معان مقصودة من تلك الامثلة وعرّفه فى كشف الظنون بأنه علم يبحث فيه عن الأعراض الذاتية لمفردات كلام العرب من حيث صورُها وهيآتها كالاعلال والإدغام وقال صاحب كتاب شمس العلوم إثر مامرّ عنه آنفا ومعنى التصريف أن تُصرّف من الكلمة الواحدة حروفا وأسماء وأفعالا كما تصرف العنان يمينا وشمالا وتدخل على حروفها الأصول حروفا زائدة يكون بدخول كل حرف من تلك الزوائد معنى وفائدة وقد مثّل النحويون أمثلة تُعرف بها أصول الحروف وزوائدها فقالوا افْعَلْ مثال للحروف الأصلية فما وازن فاء فعل أو عينه أو لامَه من الحروف فى كل كلمة فهو حرف أصلى ومالم يوازنها فهو حرف زائد مثال ذلك قتل وضرب وقطع حروفها كلها أصول على وزن فَعَل فاذا أدخلت عليه الزوائد قلت يقطع مثاله يفعل الياء فيه زائدة دخلت لمعنى الاستقبال واسم الفاعل قاطع مثاله فاعل فالألف زائدة واسم المفعول مقطوع مثاله مفعول فالميم والواو زائدتان وكذلك أقطع مثاله أفعل وقطع مثاله فعل وقاطع مثاله فاعل واقتطع مثاله افتعل واستقطع مثاله استفعل وتقطع مثاله تفعل وتقاطعوا مثاله تفاعلوا فالقاف والطاء والعين فى ذلك كله أصول وسائر هذه الحروف زائدة دخلت على الاصول لمعنى وفائدة اه المراد من كلامه * وأما موضوعه فهو الكلمات العربية من حيث عُروضُ الهيآت المذكورة لها * وأما واضعه فهو معاذ بن مسلم الهراء شيخ الكسائى توفى سنة سبع وثمانين ومائة بعد ان عمّر كثيرا ومات أولاد أولاده وهو باق قاله الحافظ السيوطى فى أولياته وقد طعن فى مائة وخمسين سنة وفيه قال الشاعر

ان معاذ بنَ مُسلم رجل * ليس بقينا لعمره أمَدُ
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدّهـرُ وأثوابُ عمُره جُدُدُ
قل لمعاذ اذا مررتَ به * قد ضجّ من طول عمُرك الأبدُ
يا بكر حوّاء كم تعيشُ وكم * تسحب ذيل الحياة يا لُبَدُ
قد أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الوتد
تَسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصُّداعُ والرَّمَدُ
مصحّحا كالظليم ترفل فى * برديك مثل الجبين يتقدُ
صحبتَ نوحا ورُضتَ بغلة ذى الـ * ـقرنين شيخا لولدك الولَدُ
ماقصر الجـدّ يا معاذُ ولا * زُحزِح عنك الثراء والعُدد
فاشخَص ودعنا فإن غايتك الـ * ـموتُ وان شدّ ركنَك الجَلَد

﴿وأوّل﴾ من أفرد علم التصريف وميزه من النحو بالتبويب والتصنيف أبو عثمان المازنى كذا ذكره فى كتاب تقسيم العلوم قاله السيوطى فى أولياته أيضا ومثله فى كشف الظنون * وأما اسمه فالتصريف والصرف * وأما استمداده فمن كلام العرب * وأما حكمه فالوجوب الكفائى أو الندب * وأما مسائله فهى قضاياه التى يطلب نسبة محمولاتها لموضوعاتها بالبرهان على وجه اجمالى وأما فضيلته فعلى قدر شرف فائدته وستأتى * وأما نسبته من العلوم فانه كلى بالنسبة اليها لتوقف التصرف فيها على الوجه الاكمل على معرفته * وأما فائدته فهى الاحتراز عن الخطأ فى اللسان والتمكن فى الفصاحة والله أعلم (ثم

قال الناظم ١٦٤ ﴿وما يناسب المقام يذكر * تبحرا في العلم فهو أشكر﴾

الواو عاطفة وما مبتدأ موصولة ويناسب فعل مضارع ضميره عائد على ما هو الرابط بين الصلة والموصول والمقام مفعوله وجملة يذكر في محل رفع خبر ما والضمير في يذكر عائد على ما أيضا هو الرابط بين الجملة الواقعة خبرا بالمبتدا وتبحرا منصوب على المفعول لأجله يقال تبحر في العلم اذا صار فيه كالبحر في الاتساع وقوله في العلم متعلق بتبحرا وقوله فهو الفاء تعليلية أو زائدة لتزيين اللفظ وهو مبتدا عائد على ذكر ما يناسب المقام أو على التبحر في العلم وأشكر خبر هو واسم التفضيل على بابه أي أكثر شكرا من عدم ذكر ما يناسب المقام أو من عدم التبحر وجملة قوله وما يناسب المقام الخ معطوفة على جملة الشرط والجواب في البيت قبله ﴿والمعنى﴾ اذ كر أيها المدرس في نصابك الاستطرادات المناسبة للمقام من جميع الفنون طلبا للتبحر في العلوم فان ذلك أكثر شكرا من الله ومن الخلق بتحصيل الثواب الجزيل * وفي ذكر الاستطرادات والمسائل المناسبة للمقام فوائد منها التبحر في العلوم كما قال الناظم ومنها تشحيذ الذهن بالانتقال من شئ الى غيره

وما شفا النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

* ومنها رسوخ تلك الفائدة المستطردة في الذهن أكثر مما لو أخذت من مظانها وهذا أمر محسوس يعلمه الطالب من نفسه فكم من مسئلة من أي فن من الفنون يأخذها الطالب من نصابها ومحلها وبعد أيام قد ينساها بخلاف الفائدة المستطردة في غير فنها فان الغالب رسوخها في الذهن الى غير هذا من الفوائد لكن لا ينبغي أن يكثر من الخروج عن الموضوع فان ذلك مفوت للغرض الاكيد من الفن والله أعلم ثم قال الناظم

165 ﴿وهذب الألفاظ واضرب المثل * وجنب الحشو ودع عنك الملل﴾

الواو عاطفة وهذب بشد الذال المعجمة فعل أمر من هذب الشئ يهذبه اذا أنقاه وخلصه وأصلحه ويقال هذبه بالتخفيف أيضا من باب ضرب وفاعل هذب ضمير المخاطب وهو المدرس والالفاظ جمع لفظ مفعوله والجملة معطوفة على ما قبلها واضرب المثل جملة من فعل وفاعل ومفعول معطوفة على ما قبلها أيضا والمثل بالتحريك يطلق على ثلاثة أضرب * الأول الشبه يقال هذا مثل ذلك أي شبهه ويقال أيضا هو مثله بكسر فسكون والمثل بهذا المعنى أحد ألفاظ أربعة سمع فيها فعل وفعل الثاني منها شبه وشبه الثالث بدل وبدل الرابع نكل ونكل فمثل الشئ ومثله وشبهه وشبهه ما يماثله ويشابهه قدرا وصفة وبدل الشئ وبدله غيره ورجل نكل ونكل الذي ينكل به أعداؤه وفعيل لغة في ثلاثة من هذه الأربعة يقال هذا مثيله وشبيهه وبديله ولا يقال نكيله قاله الميداني في مجمع الأمثال * الضرب الثاني الصفة قال الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون أي صفتها وقال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى أي لهم الصفة الذميمة وله تعالى الصفات العلى وهو في القرآن كثير وهو المراد في كلام الناظم ويقال في هذا المعنى أيضا مثال ولا يقال فيه مثل بكسر فسكون لقصد الفرق بينه وبين الضرب الاول وقد عرف بعضهم هذا النوع الثاني بقوله هو الصفة العجيبة يوردها البليغ على سبيل التشبيه لارادة التقريب للأفهام * الضرب الثالث القول السائر المشبه مضربه بمورده وعلى هذا شاع اسم المثل اذا أطلق ولهم في تعريفه عبارات * منها ما قلناه من انه القول السائر الخ وهذا التعريف للمبرد وقال ابن السكيت المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره وقال بعضهم سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول المثل وما اليه

مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب قال ابراهيم النظام تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة اهـ وخلاصة القول فيه انه قول يرد أولا لسبب خاص ثم يتعدّاه الى أشباهه فيستعمل فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهها بالمورد الاول وقال أبو علي اليوسي في صدر كتابه زهر الأكم وتلخيص القول في هذا المقام يعني الاطلاق الثالث للمثل ان المثل هو قول يرد أولا لسبب خاص ثم يتعدّاه الى أشباهه فيستعمل فيها شائعا على وجه تشبيهها بالمورد الاول غير ان الاستعمال على وجهين * أحدهما أن يكون على وجه التشبيه الصريح سواء صرّح بالاداة نحو قولهم كمجير أم عامر أو لم يصرّح كقولهم تركته ترك الظبي ظلّه وهو كثير * الثاني أن لا يكون على وجه التشبيه الصريح كقولهم الصيف ضيّعت اللبن وهو أكثر من الاول فهذا في مورده لا تشبيه فيه ولكن يستعمل في مضاربه على وجه تشبيهها بمورده من غير تصريح بالتشبيه بل على ان يستعار اللفظ المستعمل في المورد الاول للشيء الشبيه بذلك ويسمى هذا عند الأدباء استعارة تمثيلية والتمثيل على سبيل الاستعارة، وهي أحد قسمي الاستعارة التصريحية التي هي ان تشبه شيأ بشيء ثم تنقل لفظ المشبّه به وتطلقه على المشبّه لأجل هذا التشبيه اطلاقا كأنه وضع له من غير تصريح بالتشبيه ولا بالمشبه به على وجه يشعر بالتشبيه غير ان لفظ المشبه به قد يكون مفردا كالأسد الذي تنقله من السبع الموضوع هو له أوّلا الى الرجل الشبيه به في الجرأة وقد يكون مركبا كلفظ الصيف ضيعت اللبن الذي تنقله من هيئة من ضيّع اللبن في الصيف الى هيئة من ضيّع حاجة من الحاج وهي الاستعارة في التركيب والتمثيل على سبيل الاستعارة وقد سمعت وجه تقريرها وعرفت سبب عدم تغييرها اذ كما ان المفرد اذا نقل على سبيل الاستعارة لا سبيل الى تغييره كذلك المركّب اهـ باختصار وتغيير والله أعلم والكتب المؤلفة في أمثال العرب كثيرة جدّا أفيدها وأجمعها كتاب مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني فقد احتوى كما قال في أوّله على ستة آلاف مَثَل ونيف (وللشهاب المنصوري ملغزا في المثل)

وما ظريف والناس تضربه * ولم يجد حال ضربهم ألما

لا لثم في خدّه ولا فمه * لكنّه عند قلبه لثما

وقول الناظم وجنب الحشو جملة من فعل وفاعل ومفعول معطوفة على ماقبلها والحشو من الكلام مالا معنى له أصلا أو ماله معنى مستفاد من كلام آخر يغني عنه وقوله ودع عنك الملل جملة معطوفة على ماقبلها أيضا ومعنى دَع اترك ومضارعه يَدَع ولا ماضي له وقد تقدم الكلام عليه مع أشباهه عند قول الناظم في باب آداب النساخة . والمحو دَع * والمعنى * هذّب أيها المدرّس ألفاظك وخلّصها ومثّل لما تقوله بالمثل لأن بالمثال، يتضح المقال قال ابن المقفع اذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث اهـ وجنّب أيضا أيها المدرّس مالا معنى له من الكلام في عبارتك واترك الملل والسآمة وأقبل على الإقراء بقوّة نفس ونشاط (ثم قال الناظم)

146 * وحرّر النقلَ واياك الغلَط * فصحّة العزو سبيل مشترط *

الواو للعطف وحرّر فعل أمر فاعله ضمير المخاطب وهو المدرّس والنقل مفعوله والنقل بمعنى المنقول والجملة معطوفة على الجمل قبلها واياك ضمير منصوب على التحذير وأصله احذر تلاقي نفسك والغلط ثم حذف الفعل وفاعله ثم المضاف الاول وأنيب عنه الثاني فانتصب ثم الثاني وأنيب عنه الثالث فانتصب فاياك بدل من اللفظ بالفعل لانه لما كثر في كلام العرب التحذير بها أنابوها عنه فعمل النصب في المفعول وهو الغلط فاياك على هذا اسم نائب عن فعل الامر فيكون فيه ضمير مستتر وجوبا ففيه استتار ضمير في ضمير وجوبا وقد ألغز فيه أبو العباس الهلالي بقوله :

يا أيها المُبَرَّزُ المُبْرِزِ * لما اختفى والجامعُ المحرز
ما مضمرٌ يرفعه مضمرٌ * مستتر فيه ولا يبرز؟
إياكَ أن يخفى عليك وقد * أبان خَبْئَه لك الملغز

وقد ألح عليّ بعض الطلبة من تلامذتنا في الجواب على هذا اللغز فأجبتُ بقولي:

لله ما أبديتَ يا عالما * من فكرة وقادةٍ تُعجز
إياكَ في التحذير فيها انجلى * وصحّ ما فيه لنا تُلغِز
اذ أصلها افعل ومنه أنت * عوضه خشية تُحرز
فقد حوت ضميرَ رفعٍ له * مستترا فيه ولا يبرز
وأنت أبرزتَ لنا خَبْأه * في ثالث الأبيات يا مُلغِز

وقوله فصحة الفاء زائدة لتزيين اللفظ وصحة مبتدا والعزو مضاف اليه صحة والعزو مصدر عَزَى يَعزو اذا نَسَب وسبيل أى طريق خبر صحة ومشترط نعت لسبيل واسناد الاشتراط الى السبيل مجاز والمشترط حقيقة هو سلوك السبيل لا السبيل نفسه ﴿والمعنى﴾ تحرّ أيها المدرّس في النقل واحذر الغلط فيه ولا تنسبه لغير قائله أو ناقله فصحة نسبة الأقوال لأربابها طريق مشترط سلوكه عند العلماء (ثم قال الناظم)

147 ﴿ولتقتصِرْ على كلام المتنِ * ولا تُطِل جِدًّا فليس يُغنى﴾

الواو للعطف واللام لام الأمر وتقتصرْ مضارع مجزوم بلام الامر وفاعله ضمير المخاطب وهو المدرّس وعلى كلام متعلق بالفعل والمتن مضاف اليه ما قبله والمتن من الكتب معروف وهو الأصل الذى يشرح أو يحشّى وهو مجاز ففى شرح القاموس للشيخ مرتضى مما استدركه على صاحب القاموس ما نصه ومن المجاز وهو فى متن الكتاب وحواشيه ومتون الكتب اهـ وأصله للزمخشرى فى الأساس وفى شفاء الغليل للشهاب الخفاجى ما نصه والمتن فى الكتاب الأصل الذى الكتب أصول المسائل ويقابله الشرح وهذا لم يَرِدْ عن العرب وانما هو مما نقله العرف تشبيها له بالظهر فى القوة والاعتماد اهـ ﴿وقلت﴾ ويحتمل أن يكون مأخوذا من المتن بمعنى ما صَلُبَ من الأرض وارتفع بجامع الصلابة فى كل لان متن الكتب يكون صلبا مرتفعا يحتاج الى شرح وبيان والاوّل أقرب والله أعلم وجملة ولتقتصر الخ معطوفة على الجمل قبلها وقوله ولا تطل الخ الواو للعطف ولا ناهية وتُطل مضارع مجزوم بها من أطال فى الكلام يطيل اذا أكثر فيه وفاعل تطل ضمير المخاطَب وجِدًّا بكسر الجيم مصدر جدّ فى الشئ يجدّ ويجدّ من باب ضَرَبَ وقَتَل اذا اجتهد فيه وأكثر منه وهو نعت لمصدر محذوف منصوب على المفعولية المطلقة بقوله تطل والتقدير ولا تطل إطالة جدّا ولا يضرّ تخالف النعت مع المنعوت بالتذكير والتأنيث لأن المصدر اذا وقع وصفا يلزم تذكيره وافراده أو يجعل الموصوف المحذوف اسم مصدر وهو الطول ويؤيده اعادة الضميرين مذكّرين فى قوله فليس يغنى وعلى الاوّل فالضميران فى ليس يغنى عائدان على الطول اللازم للإطالة أو على ما ذكر ويصح كون جدّا منصوبا على نزع الخافض أى لا تطل بالجدّ ﴿لا يقال﴾ ان النصب على نزع الخافض موقوف على السماع ﴿لانا نقول﴾ توقفه على السماع انما هو من حيث النوع لا الشخص بمعنى انه اذا سمع حذف الباء مثلا ونصب المجرور بها فانه يطرد ذلك فى الباء وهكذا فى غيرها من الحروف نعم اذا لم يسمع فى نوع حرف من الحروف فلا يقاس على نوع آخر سمع وقد سمع من العرب حذف الباء الجارة وانتصاب المجرور بها وبهذا يجاب عن استعمال العلماء له فى كلامهم كثيرا وهذا أولى مما قاله بعضهم من انه لما شاع صار كالقياسى والله أعلم على أن بعضهم يجيز حذف الجار قياسا ورجحه

بعضهم كما في حاشية الصبان على الاشموني أول الحال عند قول الناظم مستكملين الشرفا ويصح كونه أعني جدا منصوبا على الحال من الفاعل في تطل على ان المصدر بمعنى اسم الفاعل أو من مصدر طال الثلاثي وهو طول اللازم للإطالة المأخوذة من تطل لانه يلزم من الاطالة التي هي مصدر الفعل المتعدي الطول الذي هو مصدر اللازم والتقدير ولا تطل حالة كون الطول جدا وهذا الوجه انما يصح على مذهب المبرد وبعض النحويين القائلين ان مجيء الحال مصدرا قياسي بشرط أن يكون المصدر الواقع حالا نوعيا وهذا الشرط موجود في كلام الناظم وان كان الصحيح هو ان مجيء الحال مصدرا سماعي مع كثرته وقوله فليس الفاء للتعليل أو زائدة لتزيين اللفظ والضمير فيها العائد على الطول جدا أو على ما ذكر على ما يناسب الاحتمالات السابقة هو اسم ليس وجملة يغني بمعنى ينفع خبرها ويجري في ضميره ما جرى في ضمير ليس وجملة قوله ولا تطل جدا الخ معطوفة على ماقبلها ﴿والمعنى﴾ اقتصر أيها المدرس على كلام المتن أي على شرحه وما يتعلق به مما هو ضروري أو مناسب مناسبة تامة ولا تطل طولا كثيرا فوق ذلك فليس الطول الكثير بمفيد. قال العلامة الطرنباطي في تأليفه بلوغ أقصى المرام ومن آداب المدرس أن لا يكثر من حكاية الاقوال والنقول الغريبة ان لم يكن في السامعين من يطيق ذلك أو يكون الا انه يمل من سماع ذلك فيضيع عليه ذكر ذلك وتتعب نفسه من غير فائدة فقد قيل رب كلام كاليواقيت، كسد في بعض المواقيت اه وقد عرف بعضهم التدريس بقوله هو حل المتن منطوقا ومفهوما وما زاد على ذلك فضول اه أي زيادة على الاهم الذي هو حقيقة التدريس وقد يقتضي المقام الزيادة كما مر في قوله وما يناسب المقام يذكر ثم انه لا تناقض بين هذا الذي مر وبين قوله هنا ولتقتصر الخ لأن المراد بالطول جدا المنهي عنه ما زاد على ما يناسب المقام أو يقال هذا مع المبتدئين وما تقدم بالنسبة للمحصلين كما يدل لهذا تعقيب هذا البيت بقوله

١٤٨ ﴿وخاطب الناس على قدر العقول * فليس شأو المبتدي شأو الفحول﴾

الواو للعطف وخاطب فعل أمر فاعله ضمير المخاطب العائد على المدرس والناس مفعوله وهو كما في القاموس وغيره جمع انس وهو جمع عزيز وقيل اسم جمع لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو انسان وعليه صاحب المصباح وأصل ناس اناس خفف بحذف الهمز ثم أدخلت عليه أل وهو يطلق على الإنس والجن كما في القاموس والمصباح وغيرهما ونقله الرازي في تفسير سورة الناس عن بعضهم ثم ضعفه وبعده من اللغة قال لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم والانسان انسانا لظهوره من الايناس وهو الابصار اه ﴿قلت﴾ وكأن الخلاف في ذلك تابع للخلاف في اشتقاق الناس فان كان اشتقاقه من ناس ينوس اذا تحرك دخل فيه الجن وان كان من الإنس كان الجن غير داخل والأظهر اشتقاقه من الإنس لا من النوس والا لزم ان كل متحرك انسان فيدخل الملائكة والنبات والله أعلم ونقل شارح القاموس عن سيبويه أنهم جعلوا أل في الناس عوضا عن الهمزة المحذوفة في اناس الذي هو أصله لكن قال الجوهري في الصحاح ولم يجعلوا الألف واللام عوضا عن الهمزة المحذوفة لأنه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه في قول الشاعر إن المنايا يطلعـ * ـن على الأناس الآمنينا

وبعد هذا البيت فيدعهم شتى وقد * كانوا جميعا وافرينا

﴿قلت﴾ وهذا يرد كلام سيبويه السابق وقد يقال انه قد يجمع بين العوض والمعوض منه على وجه الشذوذ في الشعر على حد ما قالوا في نحو يا اللهم فان الميم عوض من حرف النداء فالاصل أن لا يجمع بينهما لكن قد ورد الجمع شذوذا في الشعر كما قال في الخلاصة وشذ يا اللهم في قريض ومنه قول الراجز

اني اذا ما حدث ألما * أقول يا اللهم يا اللهما

وعليه فلا يرد البيت الذى عند الجوهرى على سيبويه ومثل ماقاله سيبويه لابى على" ويرد عليهما أمر آخر وهوورود الناس منكرا فيقال ناس ولو كانت أل عوضا عن الهمزة ماخلا عن العوض والمعوض منه والله أعلم وقوله على قدر العقول متعلق بمحذوف حال من مفعول مطلق محذوف معمول لخاطب والتقدير وخاطب الناس خطابا كائنا على قدْر الخ وقدْر الشئ مَبلَغه وفتح الدال لغة كما فى المصباح لكن الوزن هنا لا يقبل الا لغة السكون وهو المعروف الجارى على الالسنة والعقول جمع عقل وهو فى الاصل مصدر عَقَل الشئ يعقله من باب ضرب اذا تدبره ومن باب تَعب لغة ثم أطلق المصدر من باب ضرب على الحِجا واللُّبّ ولهذا قال بعض الناس العقل غريزة يتهيأ بها الانسان الى فهم الخطاب نقله فى المصباح وهذا التعريف مبنى على انه عَرَض * وقد اختلف الناس فى العقل اختلافا واسعا من وجوه شتى هل له حقيقة تدرك أم لا وعلى الاول فهل هو جَوهر أو عَرَض وهل محله الرأس أو القلب وهل العقول متفاوتة أو متساوية وقد مرّ آنفا تعريفه على انه عَرَض وعلى انه جوهر فأحسنُ مَاعرف به قول بعضهم هو جوهر لطيف تُدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات خلقه الله فى الدماغ وجَعَل نُوره فى القلب وفى القاموس ٣ الحق انه نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ اه ولاجل ان كماله عند البلوغ ألزم الانسان التكاليف عنده كما قال بعضهم

العقل نور فى الفؤاد مستقر * وذاك من سرّ الاله المقتدر
يقذف فى القلب كزند النار * عند اجتنان الخلق فى القرار
ثمت لا يزال بعد ينمو * لحدثات دهره ويسمو
ومنتهاه عند الاحتلام * من أجل ذا يلزم بالاحكام
وليس من قد جرّب الامورا * كمن غدا بجهله مغمورا

والجمهور على ان كماله عند الاربعين ولذلك بعث الرسل فى هذا السنّ ﴿قلت﴾ والظاهر من الخلاف فى ان له حقيقة تعرف أم لا هو الاوّل اذ لم يقم دليل واضح على عدم معرفته على الوجه الاجمالى فان قصد القائل بعرفته أنه لا تعرف حقيقته معرفة بالكنه والحقيقة فسلم ويكون الخلاف غير حقيقى والظاهر من الخلاف فى انه عرض أو جوهر هو الاوّل اذ المعروف فى الجوهر انه ما يرى ويقوم بنفسه ولا جرم ان العقل ليس كذلك اذ ليس جزئيا جوهريا حسيا من أجزاء الانسان واستدلوا له أيضا بأن الجواهر تثبت لها الصفات ولا تكون صفة لغيرها ولا يشتق منها لغيرها اسم والعقل بخلاف ذلك كله فتبين انه عرض وقيل ان العقل غير جوهر ولا عرض بناء على اثبات المجردات واليه ذهب الغزالى وجمع من الصوفية والظاهر من الخلاف فى ان محله القلب أو الدماغ ان المحل الاصلى له هو الدماغ ونوره فى القلب كما يؤخذ من التعريف المتقدّم بأنه جوهر لطيف خلقه الله فى الدماغ وربما يحس الانسان بذلك من نفسه عند ادراكه للمدركات وقال المازرى فى شرح التلقين أكثر الفقهاء وأقل الفلاسفة على انه فى الدماغ محتجين بانه اذا صاحب الدماغ آفة فسد العقل وبطلت العلوم والانظار والفكر وأحوال النفس وأجيبوا بأن استقامة الدماغ لعلها شرط والشئ قد يفسد لفساد محله وقد يفسد لفساد شرطه ومع الاحتمال فلا جزم بل النصوص واردة بأن ذلك فى القلب كقوله تعالى أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أولئك كتب فى قلوبهم الايمان أفمن شرح الله صدره للاسلام ولم يذكر الدماغ قط فى هذه المواضع فدل على ان محل العقل القلب لا الدماغ وجعل الله تعالى فى جارى عادته استقامة حال الدماغ شرطا فى حصول أحوال العقل والقلب على وجه الاستقامة

الظاهر أن تعريف
احب القاموس مبنى
ى انه جوهر وهو ظاهر
نيعنا ثم وجدت الشيخ
طيب بن كيران ذهب فى
نيعه عليه أيضا لكن
ترضه من حشاه من
ض أجلة أشياخنا بان
ريف صاحب القاموس
ى انه عرض وتأمله والله
لم اه مؤلفه

اهـ وقال القطب الكبير سيدي ابراهيم الدسوقي كما في ترجمته من لواقح الانوار الصحيح من قول العلماء ان العقل في القلب لحديث ان في الجسد مضغة الخ ولكن اذا فكرت في كنه العقل وجدت الرأس يدبر أمر الدنيا ووجدت القلب يدبر أمر الآخرة فمن جاهد نفسه شاهد ومن رقد تباعد اهـ والظاهر من الخلاف في أن العقول متفاوتة أو متساوية أن ذلك يختلف باختلاف نوع العقل اذ هو بهذا الاعتبار نوعان * الاول العقل الغريزي المشترك بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأتى بها ادراك المعقولات فهذا لا يقبل الزيد ولا النقص وبهذا النوع أناط الشارع التكاليف بالاحكام وأجرى القلم على صاحبه حين حصوله اما بالسن أو الاحتلام كما هو مقرر * الثاني العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وممارسة المعلومات والمدركات وباعتبار هذا النوع يقال الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثرفهما وأرجح معرفة فيكون الخلاف في أنه يزيد وينقص أم لا غير حقيقي والله أعلم وهذا النوع الثاني هو المراد في كلام الناظم اذ قال * وخاطب الناس على قدر العقول * الخ فانه مشعر بالتفاوت * وقسم بعضهم العقل باعتبار آخر على جهة العموم من غير تقييد بكونه في خصوص الانسان الى ثلاث مراتب (الاولى) عقل التمييز يشترك فيه الحيوان كله حتى غير الناطق كالنحلة والفرخ بل هو أقوى فيه ابتداء اذ يميز ما يضره وما ينفعه أول خروجه من بطن أمه والانسان لا يهتدي إثر الخروج الا لمص الثدي ثم يزيد الى أن يصل اقسام السر وتمييز سائر الحيوانات لا يزيد أو يزيد يسيرا (المرتبة الثانية) عقل التكليف ولا يحصل غالبا الا عند سن البلوغ وهو الذي يفرق به بين الواجبات العقلية والعادية والشرعية والجائزات كذلك والممتنعات كذلك (المرتبة الثالثة) عقل التشريف وهو التهيؤ لفيضان العلوم والاسرار من لدن حكيم خبير اهـ * قلت * وباختلاف الاعتبارات والواردات تزيد مراتبه كما لا يخفى والعقل عند الصوفية هو الاشتغال بما هو أولى في كل وقت حتى لا يكتب عليك كاتب الشمال شيأ أبدا حتى قال الشافعية كما في آداب الدين والدنيا للامام الماوردي ان من أوصى بمال للعقلاء فانه يصرف للصوفية الزاهدين في الدنيا لانهم انقادوا للعمل ولم يغتروا بالأمل * وقسم بعض الحكماء العقل بقيد كونه في الآدمي الى مراتب أربع لكل منها اسم يتميز به (الاول) العقل الهيولاني وهو أن يكون قوة محضة استعدادية ليس معها شيء من الادراك بالفعل وهو للاطفال (الثاني) العقل بالملكة وهو حين حصول ادراك الضروريات والاستعداد للنظريات (الثالث) العقل بالفعل وهو حصول ملكة استنباط النظريات من الضروريات (الرابع) العقل المستفاد وهو أن تكون العلوم النظرية متمثلة حاضرة لا تغيب فان أريد جميعها فهو أمر يجوزه العقل اذ لا مانع من أن يكون الله تعالى خص به بعض النفوس الزكية من نفوس أنبيائه أو من شاء من عباده والا فهو أغرب من غريب ذكر هذا التقسيم أبو القاسم سيدي سعيد العميري في فهرسته * واعلم * أن عقل التكليف والتشريف هو من أعظم النعم التي خص الله بها الانسان عن سائر الحيوانات وقد أثنى الله تعالى على ذوي العقول الكاملة وبشرهم فقال وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وهو دليل على ما سواه من الخيرات والمكارم ففي التحبير للامام القشيري روى أن جبريل جاء الى آدم بالعقل والدين والحياء فقال اختر واحدا فاختار العقل فقال جبريل للدين والحياء اختار العقل فاذهبا فأنتما فقالا انما أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان وفي حديث رزين عن ابن مسعود لما خلق الله العقل قال أقبل فأقبل فقال أدبر فأدبر فقال ما خلقت خلقا أحب الي منك ولا أركبك الا في أحب الخلق الي وهذا الحديث موضوع كما ذكره الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة بألفاظ مختلفة وحكم على جميعها بالوضع ونص على وضعه أيضا الامام أحمد وابن تيمية والزركشي وابن حجر الهيتمي

العقل الغريزي والعقل التجريبي

وهذا غير حاصل لأن معناه العصمة

كل

في شرح الهمزية وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وحكم بوضعه أيضا العارف بالله سيدي عبد العزيز الدباغ لما سأله عنه تلميذه أبو العباس أحمد بن مبارك فقال له انه لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم اهـ وفي الحديث أيضا ما قسم الله لعباده خيرا من العقل وقد قالوا لا يكون الدين الا حيث يكون العقل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لكل شئ دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفاجر (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) * وروي عن أنس بن مالك أنه قال أثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال كيف كان عقله فقالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من حسنته ان من فضله فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله نثني عليه بالعبادة وأوصاف الخير وتسأل عن عقله فقال ان الاحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر وانما تقرب الناس على قدر عقولهم * وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس أعقل الناس * وقال صلى الله عليه وسلم العقل حيث كان ألوف مألوف * وقال سيدنا عمر رضي الله عنه أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروءته خلقه * وفي التنوير لابن عطاء الله العقل أفضل ما من الله به على عباده فانه سبحانه لما أشرك جميع الموجودات في نعمتي الايجاد والامداد كما قد يفهم من قوله ورحمتي وسعت كل شئ ميز النبات والحيوان بالنمو فظهرت القدرة فيهما ظهورا أجلى من ظهورها في غير النامي من الكائنات ولما شارك النبات الحيوان في النمو أفرد الحيوان بالحياة فكان ظهور القدرة والرحمة فيه أجلى ثم ميز الآدمي عن سائر الحيوانات بالعقل الذي فضله به وبوفوره تتم مصالح الدارين اهـ وفي المعنى لابي الطيب المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

(ولآخر)

ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان فقدا * ففقده للحياة أليق به

(ولآخر)

يزين الفتى في الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله * وان كرمت أعراقه ومناسبه
يعيش الفتى في الناس بالعقل انه * على العقل يجري علمه وتجاربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله * وليس من الأشياء شئ يقاربه
اذا كمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه ومآربه

وما أحسن جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان فقال ما خير ما أعطى الرجل فقال العقل فقال فان لم يكن قال أخ شفيق يستشيره قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره قال فان لم يكن قال خلق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة تريحه وتريح منه (وقال أبو الرشيد الرازي) دخلت بغداد ولم أعرف بها أحدا ولم أعلم ما أعمل في أمري فرأيت شيخا عليه أثر الديانة وزي الصلاح فسلمت عليه وقلت يا سيدي أنا رجل غريب وقد وصلت الآن الى هذه البلدة ولا أعرف بها أحدا وقد ضاق صدري اذ لم أجد بها معرفة من بلدي يهديني الى سلوك طريق الارتفاق فلما سمع كلامي لم يزدني على ان أنشدني هذين البيتين اذا كنت ذا عقل فلا تخش غربة * فما عاقل في بلدة بغريب

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في أهله بحسيب

ثم تركني ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت أن العقل هاد مرشد ومشير مسعد فاهتديت بنوره الوقاد فرزقني الله كل مرام ومراد وقال بعضهم من استرشد الى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ

منهاج الصواب والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة ويبصر به الفضل من الضلالة ولو صوّر العقل لأظلمت معه الشمس ولو صوّر الجهل لأضاء معه الليل وما شيء أحسن من عقل زانه أدب ومن علم زانه ورع والكلام في مدح العقل وبيان شرفه كثير شهير في دواوين الأدب وغيرها وقد اختلف كما في النخبة العليا في آداب الدين والدنيا للإمام الماوردي فيما اذا تناهى العقل المكتسب في الحدة والدهاء فهل يكون فضيلة أم لا قيل لا لأن الفضائل هيآت متوسطة بين الفضائل الناقصة والمتناهية في الكمال لقوله عليه الصلاة والسلام خير الامور أوساطها ولان نقص العقل حمق والزيادة فيه تفضي الى الدهاء والمكر وقد أمر عمر أبا موسى الاشعري رضي الله عنهما أن يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد يا أمير المؤمنين أعن موجدة أم عن خيانة فقال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك ولهذا قال خليل في وصف القاضي ولا زائد في الدهاء وقيل افراط العقل مضرّ بالجدّ وقد يكفيك من عقلك ما يدلك على رشدك وقليل يكفي خير من كثير يطغي وقيل ان زيادة العقل لا علاه درجة فضيلة وصححه الماوردي في كتابه المذكور قال لان زيادته زيادة علم بالامور ولان الزيادة في الشيء انما تكون نقصا في نحو الشجاعة لانها تصير بالزيادة عن الحدّ تهوّرا والسخاء يصير بالزيادة تبذيرا ثم قال والدهاة كزياد وأشباهه بعضهم يسميهم عقلاء وبعضهم لا يسميهم عقلاء وبعضهم لا يسميهم بذلك حتى يكونوا أخيارا ويسميهم ذوي روية وفكر اهـ وقول الناظم فليس الخ الفاء تعليلية بمعنى اذ وليس فعل ماض ناقص وشأو هو اسمها والمراد بالشأو هنا الغاية وله معان أخرى غير مناسبة للمقام والمبتدي في الاصل اسم فاعل من ابتدى في الشيء اذا شرع فيه وفي اصطلاح التعلم والتعليم هو من أخذ مبادي العلم ويقابله المنتهي وهو من حصل من العلم ما يهتدي به الى باقيه وبينهما المتوسط وهو من حصل المبادي ولم يبلغ درجة المنتهي والظاهر ان مراد الناظم بقوله الفحول ما يشمل المتوسط والمنتهي وقوله شأو الفحول خبر ليس والفحول جمع فحل وهو في الاصل الذكر من كل حيوان ويطلق على المهرة من الشعراء والعلماء وذوي العقول الكاملة مجازا لغويا وهذا هو المراد هنا والمعنى خاطب أيها المدرّس الطلبة الحاضرين في درسك خطابا على قدر عقولهم فالمبتدي يخاطب بعبارة بينة واضحة من مبادي العلوم وغيره يخاطب على حسب ما يقتضيه حاله ويقبله عقله اذ ليس غاية المبتدي هي غاية المتوسط والمنتهي ثم اذا خاطب المبتدي على قدر عقله فلا ينبغي أن يذكر له أن وراء ذلك تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي الذي يلقى له ويشوّش عليه قلبه ويوهمه البخل عنه اذ كل أحد يظن أنه أهل لكل علم دقيق قال في الاحياء وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ولا تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوّش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلي وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض بالعوام في دقائق العلوم بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح على العوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص اهـ وأصل كلام الناظم قول سيدنا علي رضي الله عنه حدّثوا الناس بما يعرفون رواه البخاري في صحيحه موقوفا وترجم له بقوله باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ثم ساقه عن سيدنا علي وبعضهم يرفعه لكن سند الرفع واه بل قال بعضهم انه موضوع وفي حديث ذكره في الاحياء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن

معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة رواه مسلم ورواه ابن عساكر عن ابن عباس وساقه السيوطى فى الجامع على أنه حديث قال المناوى لان العقول لا تحتمل الا قدر طاقتها فاذا زيد عليها ما لا تحتمله استحال الحال من الصلاح الى الفساد اهـ وقيل للجنيد يسألك الرجلان فتجيب هذا بخلاف هذا فقال الجواب على قدر السائل قال عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم اهـ وفى القانون لابى على اليوسى رحمه الله ثم ان سنح له أى للمدرس بحث فى الكلام أو ورد عليه بحث فليشتغل به ان كانت عقول الحاضرين تبلغه والا أعرض عنه حتى يكون مع أهله ويكون كل ذلك بعبارة توافق عقول أهل المجلس لأن حقهم أوجب وحدثونا عن الاستاذ أبى على الشلوبين أنه دخل حضرة مراكش حرسها الله فوجد الشيخ الجزولى النحوى رحم الله الجميع يدرس فى مسجده علم العربية فلما قعد بين يديه فاذا بين يديه حلقة من المبتدئين وهو يخاطبهم على قدر أفهامهم فألقى عليه سؤالا فأجابه بجواب متوسط على قدرهم، ثم ارتفعوا وجاءت حلقة أخرى للنجباء الشادين فكان يلقى حينئذ الاسئلة فيجيبه بغاية التحقيق والتدقيق قال أبو على اليوسى وليحذر المدرس أن يقفز على البحث والايراد قبل شرح الكلام أو يتسارع الى رد مذهب أو شبهة أو بحث أو سؤال قبل تقريره ومتى احتاج الكلام افرادا أو تركيبا أو البحث فيه أو الجواب الى دليل أو شاهد أو مثال فلا بد من الاتيان به فى محله على قدر الحاجة من غير اخلال بما يكون به التصحيح والتبيين ولا إغراب يحير أفكار الحاضرين حتى يكون كلام المدرس بحيث لو سطر كان تصنيفا حسن الرصف مقبولا وهذا أيضا مع وجود الاهلية فى الطلبة والا فقد لا يبلغ الطالب لقصوره الى فهم العبارة المحكمة فلا بد من التنزل الى عبارة أوضح بألفاظ متداولة وتراكيب تليق بحاله ولا عيب فى ذلك حيث كان المقصود الافهام وذلك انما هو حيث يتفق أن يبتلى الكبير بتعليم الصغير والا فالاشبه الجنس بالجنس فان المبتدى يشق عليه ادراك اشارات الفحول والفحل يشق عليه التنزل الى مقاصد الصبيان وقد قال أبو العباس ابن البنا فى نحو هذا

قصدت الى الوجازة فى كلامى * لعلمى بالصواب فى الاختصار
ولم أحذر فهوما دون فهمى * ولكن خفت إزراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأنى * وشأن البسط تعليم الصغار

﴿فان قيل﴾ أكثر من يتقدم للتدريس قبل الكمال لا يحسن الصنعة بل ولا يحقق ما يقول ولا ما ينقل فربما أخذ عنه وصار ما يفسده أكثر مما يصلح فيكون حقا على المبتدى التقدم الى الأخذ عن الفحول ولهذا يقال فى العرف من سبقك الى القراءة فاسبقه الى الشيخ ويقال فى مثل ذلك ضربة بالفاس خير من عشرة بالقدوم ﴿قلنا﴾ قد يكون ذلك وهو متعين فى باب الاخذ والرواية والاستفتاء لا فى باب التعلم والتدرب فى الطلب ولا بد من الفرق بين هذين الأمرين فان صاحب الرواية ناقل فلا بد له من تحرى أهل الثبت فيما يسمع والمستفتى طالب عمل فلا بد له من تحرى أمثل أهل الوقت ليقلده فى النازلة وأما المتعلم فهو طالب صنعة ينبغى إرهاق خاطره لاقتناص الفهوم وارتياض جواد فكره للركض فى ميدان العلوم فلا يضره خطأ يصدر فى الوقت ولا تخليط فانه سيصلح بعد ومراده انما هو تغذية وتنمية فكرته وذلك حاصل بالمدارك مطلقا واذا تعاطى ذلك مع أمثاله حصل الغرض ثم تكون التصفية والتهذيب بعد بملاقاة المحققين وهذا انما هو فى أرباب الفهوم المتأهلين للعلم وأما البليد الجامد فحسبه ما يسمعه فليطلبه صحيحا مبينا ولكل مقام مقال اهـ وفى المنن للعارف بالله الشعرانى رضى الله عنه خلال كلام مانصه فان أجوبته صلى الله عليه وسلم كانت تختلف باختلاف السائلين ومقامهم والا فأين ما يجب

أبو موسى

كذا فى النسخة التى بيدى من القانون وهو غير متزن فليحرر اهـ مؤلفه

به السيد أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مما يجيب به آحاد الناس من الاعراب وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بأن يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعدادهم كما يشهد لذلك قوله للجارية التي أراد سيدها عتقها عن الكفارة وشكوا في اسلامها أين الله فقالت في السماء وأشارت الى انه في السماء وان كان ظاهر حالها انها قصدت التحيز للحق المنزه تبارك وتعالى عنه وفي القرآن العظيم وهو الله في السموات وفي الارض فوافقت الجارية بعض ما أشار اليه القرآن وان كان المعنى الحق في ذلك الاشارة الى انه تعالى لا يتحيز أي فكما هو في السماء كذلك هو في الارض على حد سواء قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد أي فكما يطلبه العبد في جهة العلو كذلك ينبغي أن يطلبه في جهة السفل فالسفل للحق تعالى كالعلو من حيث المكانة لا المكان لأن كل جهة طلب الحق منها فهي عروج وان كانت في السفليات فافهم فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية المستحيلة في حق الله تعالى الا لعلمه بقصور عقلها عن التنزيه المحض عن مثل ذلك فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن يتنزل لعقلها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول لكن لما أقرها صلى الله عليه وسلم على قولها انه في السماء بانت حكمته صلى الله عليه وسلم وقوة علمه علمنا أنه ليس في قوة هذه الجارية أن تعقل خالقها الأعلى قدر ما تصورته في نفسها فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن سألها بهذه العبارة السابقة ولذلك قال انها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله تعالى في السماء دون قوله انها عالمة لأن العلم هو معرفة المعلوم على ما هو عليه وتعالى الله عن التحيز في جهة الفوق دون السفل (ورأيت) في بعض الكتب ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر على شخص يعمل البراذع وهو يقول في سجوده يارب لو علمت أين حمارك الذي تركبه لعملت له برذعة ورصعتها بالجواهر فحركه المسيح وقال ويحك أولله تعالى حمار فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام دع الرجل فانه مجدني بقدر وسعه اه كلام المنن وقصة عيسى عليه السلام مع الرجل البراذعي ذكرها أيضا أبو نعيم في الحلية وذكرها أيضا الماوردي في كتابه آداب الدين والدنيا عن عطاء عن مجاهد بوجه يقرب من هذا قال كان في بني اسرائيل رجل له حمار فقال يارب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري هذا فهم به نبي ذلك الزمان فأوحى الله اليه انما أثيب كل انسان على قدر عقله اه وفي الاحياء للغزالي رضي الله عنه من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ولا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونخاطبهم على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره ان هنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة اه وقال بعضهم من البدع التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه فانه من باب وضع الحكمة في غير موضعها فسامعها اما أن يفهمها على غير وجهها وهو الغالب وذلك فتنة تؤدي الى التكذيب بالحق أو العمل بالباطل واما أن لا يفهم منها شيأ وهو أسلم ولكن المحدث لم يعط الحكمة حقها من الصون بل صار في التحديث بها كالعابث بنعمة الله ثم إن ألقاها لمن لا يعقلها في معرض الانتفاع بها بعد تعقلها كان من باب التكليف بما لا يطاق وقد جاء النهي عن ذلك فخرج أبو داود حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الاغلوطات قالوا وهي صعاب المسائل أو شرار المسائل وخرج كثير بن مرة الحضرمي أنه قال ان عليك في علمك حقا كما أن عليك في مالك حقا لا تحدث بالعلم غير أهله فتأثم ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك

انتهى (ثم قال الناظم رحمه الله)

149 ﴿وإن يكن في المتن سبقُ القلم * هَبْهُ بدا كالنار في رأس علم﴾
150 ﴿فمهّد العذرَ لذاك الطِّرْفِ * وعن أذاه كن غضيضَ الطَّرْفِ﴾

الواو للاستئناف أو عاطفة جملة الشرط والجواب على ما قبلها وان حرف شرط ويكن مضارع كان التامة مجزوم بان وفي المتن متعلق بيكن وتقدّم ما يتعلق بلفظ المتن عند قول الناظم ولتقتصر على كلام المتن وسبق فاعل يكن والقلم متعلق بسبق واللام بمعنى من على حدّ قول الشاعر

لنا الفضلُ في الدنيا وأنفك راغم * ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ

وقولهم سمعت له صُراخا واللام هي أحد معاني من السبعة عشر المشار اليها بقولي في نظمي لمعاني حروف الجرّ

بعّض وبيّن وابتدئ في الأمكنة * بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة
وزيد في نفي وشبهه فجرّ * نكرة كما لباغٍ من مفرّ
كذاك للبدل والظرفية * وهكذا التعليل والتعلية
ثم تجاوزا بلا امتراء * كذاك قد تأتي للانتهاء
والفصل أيضا وكذا الموافقة * للباء أو عند فكن موافقه
وزد بمعنى رُبّ ثم الغاية * وقسما فكن أخا عناية

وقوله هَبه بدا الخ هَب من أفعال القلوب ينصب مفعولين وهو لازم لصيغة الأمر ومعناه ظن والضمير البارز مفعوله الأوّل عائد على سبق القلم وجملة بدا من الفعل والفاعل المستتر فيه عائد على سبق القلم في محل نصب مفعول ثان لهب وكالنار متعلق بمحذوف حال من الفاعل في بدا لما تقرر أن الجمل وما في حكمها من الجار والمجرور ومن الظروف اذا وقع شيء منها بعد المعارف المحضة أعرب حالا وبعد النكرات المحضة أوصافا وبعد النكرة غير المحضة يجوز اعرابه بالوجهين وقد وقع الجار والمجرور هنا بعد معرفة محضة وهي الضمير وان كان مَعاده منكرا على مذهب الجمهور من أن الضمير معرفة مطلقا ولو عاد على نكرة خلافا لمن قال بتنكيره حينئذ وقوله في رأس علم جار ومجرور متعلق أيضا بمحذوف حال من النار أو صفة له لأن النار هنا معرّف بأل الجنسية اذ ليس المراد نارا معينة والمعرف بأل الجنسية معرفة لفظا نكرة معنى فلم يتمحض لأحد الجانبين وقدمنا آنفا جواز الوجهين فيما وقع بعد هذا النوع من جملة أو ما في حكمها والعَلَم بالتحريك الجبَل وقوله فمهد الفاء رابطة للجواب بالشرط ومهد فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والعذر مفعوله ولذاك متعلق بمهد والطرف بكسر الطاء بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه وهو الكريم العتيق من الخيل كما في القاموس قال الراغب وهو الذي يطرف أي ينظر اليه كثيرا من شدّة حسنه فهو فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبوح ونفض بمعنى منفوض وباعتبار كون الشيء ينظر اليه كثيرا لشدّة حسنه يقال له قيد النواظر أي لشدّة حسنه حتى كأن النواظر ثابتة عليه وأطلق الناظم هنا الطرف الموضوع للفرس العتيق على العالم صاحب المتن المقرو ففيه استعارة تصريحية شبه العالم بالفرس الجيد بجامع مطلق السبق والنفاسة في كل ثم حذف المشبه واقتصر على المشبه به فكانت تصريحية والقرينة سياق الكلام ودلالة المقام ومعنى مهد العذر له اقبله منه ففي المصباح ومهدت له العذر قبلته والمعنى سهل له العذر والتمسه له واطلبه يقال مهدت الامر أي سهلته ووطأته كما في المصباح أيضا والاوّل أقرب هنا للتصريح بلفظ العذر في النظم والثاني أظهر من جهة المعنى المراد وقوله وعن أذاه الخ الواو للعطف وعن أذاه جار ومجرور متعلق بغضيض والضمير يعود على الطِّرف وكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب وغضيض خبرها وهو

صفة مشبهة أو صيغة مبالغة من غض الطرف بغضه اذا صرفه وخفضه والطرف بفتح الطاء العين وأصله أن يطرف الانسان أجفانه أى يحركها ثم سميت العين بفعلها الذى يكون عنها كما قالوا الاذن تسمع وانما السمع فعلها والطرف لا يجمع لأنه فى الأصل مصدر فلا يثنى ولا يجمع وقيل أطراف كما فى القاموس وفى قول الناظم كالنار فى رأس علم تلميح للمثل المشهور وهو قولهم أشهر من نار على علم

﴿وقد قلت﴾ ملغزا فى الجبل أخاطب بعض الإخوان الأذكياء جعلنا الله وإياه من خواص عباده الاصفياء

أيا أديبا نبيله * بان بقول وعمل ما اسم خفيف لفظه * إذ كان فى وزن فعل
لكن مسماه به * تضرب فى الثقل المثل اذا بدا مبتهجا * لابسا أبدع الحلل
يكسب من بهجته * أنمى انتعاش للقل وإن تصحف لفظه * يأتك ما فى من حمل
وقد يصحف بما * ينبئ عن معنى الخلل وكم على أفراده * وجه البسيطة اشتمل
مدح بعضها النبى المصطفى وقد عدل سماه ربى وتدا * فى خير ذكر قد نزل
بينه كى تكون من * أنبل خبر قد كمل

﴿فأجاب﴾ كان الله له ولنا ولبلغنا ومن دعا لنا بخير أمله

أيا سميا فضله * بدا كنار فى جبل أبديت لغزا حسنه * لاح كشمس فى زحل
فقد فضضت ختمه * فيما ضربت من مثل أبقاك ربى سالما * ترفل فى أسنى الحلل
بجاه خير الرسل من * فقنا به كل الملل

﴿والمعنى﴾ وان يوجد فى المتن الذى تقرؤه ومثله فى ذلك الشرح والحاشية سبق قلم أى غلط ولو كان ذلك الغلط ظاهرا ظهور النار فوق الجبل فالتمس لذلك العالم عذرا على ذلك الغلط وغض طرفك عن اذايته * وكيفية الاعتذار عن الغلط أن تعلم الحاضرين بأن الغلط لا يحط من منصب العلماء وان كل جواد يكبو وكل صارم ينبو وانما يعرف بالكمال الربذ والجلال والجمال وتنشدهم قول الشاعر

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وان السلامة من الخطأ رأسا ليست من وصف البشر حاشى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وراجع ما قدمناه صدر شرحنا هذا من الاعتذار عما قد يقع فيه من الخطأ أو الخلل مما يدل على انه لا يخلو مؤلف من الهفوات ولا ينجو مصنف من العثرات ثم المحقق من العلماء هو من يكون صوابه أكثر من خطئه وانما عبر الناظم عن الخطأ الواقع من المؤلف بسبق القلم تعليما للأدب فان الغلط الواضح لا ينبغى أن ينسب للفحول من العلماء سيما اذا كان مثله لا يصدر الا عن غفلة بسبق القلم معها الى تسطير ما لم يقصد ومراد الناظم بغض الطرف عن الاذاية الكف عنها فعبر عن الكف بغض الطرف لأن كف الأذى لازم عن غض الطرف فعبر بالملزوم وأراد لازمه وهذا الذى بيناه فى كيفية الاعتذار هو المناسب لظاهر قوله

١٥١ ﴿وردّه بالرفق والتلطف * دون تعنّت ولا تعسّف﴾

حيث عطف ردّه بالواو على جواب الشرط فيكون المقام مقام ردّ واعتراض لكن يطلب ابتداء العذر عن الغلط بما هو بيانه وقد يقال ان معنى تمهيد العذر التماس الجواب عن الغلط وتصحيح كلام المتن حيث يمكن ذلك ولو بتأويل وعليه فلا ردّ ولا اعتراض فيصير معنى البيت السابق حينئذ اذا وجد فى المتن سبق قلم وغلط فالتمس عذرا رافعه ولو بتأويل قريب لا يبعد عن المقاصد ومواقع الكلام وقد قالوا اذا أمكن الاعتذار فهو أولى من الاعتراض وقالوا من كثر علمه قلّ اعتراضه وفى مقنع المحتاج لابن

عرضون قال الولي الصالح سيدي محمد بن محمد بن علي بن عمر بن محمد الزواوي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به بمنه وكرمه في كتابه الاسلوب الغريب في التعلق بالحبيب ويا أخي فإياك والاعتراض فانه من الامراض والتمضمض بالاعراض لاجل الاغراض وقل أن يكون لله الاعتراض ولذلك قال الشاطبي في كتابه المسمى بالافادات والانشادات لما توفي شيخنا الاستاذ الكبير العلم الخطير أبو عبد الله الفخار سألت الله أن يرينيه في المنام فيوصيني بوصية أنتفع بها في الحالة التي أنا فيها من طلب العلم فلما غمت في ثلاث الليالي رأيت كأني أدخل عليه في داره التي يسكن بها فقلت له يا سيدي أوصني فقال لي لا تعترض على أحد اهـ نقله المحقق ابن زكري في شرح الفريدة وان لم يكن الاعتذار المذكور رفع الغلط بالرفق الخ وعلى هذا الاحتمال فالواو في قوله ورده بمعنى أو وعلى كلا الاحتمالين فقوله ورده معطوف على جواب الشرط قبله والضمير عائد على سبق القلم وبالرفق متعلق برد والباء بمعنى مع والرفق ضد العنف والتلطف معطوف على الرفق وهو من عطف التفسير ودون في الاصل ظرف مكان أدنى من مكان المضاف اليه ثم توسع فيه كما مر باستعماله في مطلق تجاوز شيء الى شيء ومنه ما هنا ودون مضاف الى تعنت والتعنت بتاءين مثناتين هو طلب الزلة وقوله ولا تعسف الواو عاطفة ولا مؤكدة للنفي في دون وتعسف معطوف على تعنت والتعسف الاخذ على غير الطريق ﴿والمعنى﴾ رد أيها المدرس الخطأ الواقع فيما تقرؤه برفق ولطافة من غير أن تقصد بالاعتراض مذلة المعترض عليه ومن غير أن تخرج في الاعتراض عن طريق الادب قال العلامة ابن زكري في شرح الفريدة ومما يتأكد توصية الطالب عليه التحرز في مقام الاعتراض وبيان الصواب من الخطأ فان الغالب فيه على أهل النفوس مجاوزة الحد وعدم الاقتصار على القدر المبين للحق فلا تغتر بما يقع من ذلك في كلام الائمة المقتدى بهم فان لهم غرضا صحيحا مع الاقتصار على القدر الكافي وتصفح كلامهم يفيد ذلك ومن هنا قال الأبي في معنى ما يذكر في تعريف الرواة ما يقع كثيرا في كلام بعض الشيوخ في رده على غيره بقوله قصر في كلامه أو في كلامه قصور أو ضعف وشيخنا رحمه الله تعالى يعني ابن عرفة كثيرا ما يقع له ذلك ويستخفه ويراه من نحو تعريف الرواة قال لان المقول فيه ذلك نصب نفسه لبيان أمر فلم يف به اهـ ﴿قلت﴾ وهذا اذا قصد بيان الحق من غير أن يكون هنالك غرض في تنقيص القائل باظهار خطئه وقل ما يتفق ذلك فالحذر الحذر من خدع النفس ونفسي أحق بهذه الوصية * اياك أعني واسمعي ياجاره * اهـ كلام ابن زكري وقد تترتب على عدم حفظ الادب في مقام الاعتراض أو في الاعتراض من أصله مفاسد عديدة *منها انكسار خاطر المعترض عليه وتألم قلبه ان لو كان حيا وبلغه ذلك وموت المقول فيه ذلك لا يبيحه بل يؤكد اجتنابه في حقه * ومنها ان تنقيص أفعال المرء تنقيص له نفسه في الحقيقة وتنقيص المسلم حرام شديد الحرمة *ومنها أن الاعتراض مبني عن قلة علم المعترض عليه أو ضعف فهمه أو قلة تنبهه أو عدم التمكن من التعبير عن المقاصد أو نحو ذلك مما يكره المرء أن ينسب له أو يوصف به *ومنها ما يدخل في نفس المعترض من الدسائس الشيطانية من عجب ورياء وظن زيادة علمه على المعترض عليه فيظن أنه خير من غيره ولا يسلم من ذلك في مثل هذا الموطن الا من له قدم ثابت في المعرفة فلا ينبغي لأمثالنا الواقفين مع نفوسهم المقيدين بحظوظهم الاقتداء بمن صدر منه ذلك من الاكابر فانهم على نفوسهم بصيرة * ومنها احتمال ان ما ظنه خطأ هو الصواب وان توهم الخطأ انما جاء من فهمه السقيم كما قيل

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

فالحاصل أنه يجب أن لا يهجم على الاعتراض من أول روية بل بعد التأمل التام واستيعاب وجوه الكلام ثم ان تبين وجه الاعتراض بينه بلطف وأدب وكمال تعظيم ويسند بعد ذلك العلم الى الملك العليم

وانما الاعمال بالنيات والله يجازى على الطويات وفقنا الله لطريق الرشاد وألهمنا الحق والسداد

(ثم قال الناظم)

152 ﴿وإن يكنْ للنظم فيكَ ملَكه * وذهنُكَ الوقادُ حقا مَلَكه﴾

153 ﴿فاجمع لهم شملَ الذي تفرّقا * من المسائل بلفظٍ مُنتقى﴾

الواو للاستئناف أو للعطف على ماضى من الجمل وان حرف شرط ويكن فعل الشرط مجزوم وهو من كان التامّة وفيك متعلق بيكن وملكة أي قدرة فاعل بها وللنظم متعلق بملكة لتأويلها بالاقتدار واللام الجارة بمعنى على كقوله تعالى (ويخرّون للأذقان) أي عليها وهى أحد معاني اللام الاحدى والعشرين المجموعة فى قولى فى نظم معانى حروف الجرّ

والّلام للملك وشبهه وفى * تعديةٍ أيضا وتعليلٍ قُفِى

وزيدَ ثم الانتها بها ازكُنْ * كذا لتقوية عاملٍ يهُن

كذاك للقسم والتعجّب * وللصيرورة كذا للنسب

ثم بمعنى بعد واستعلاء * كذاك للتبيين والإنهاء (1)

كذا بمعنى فى ومع وعند من * وعن وللتمليك فاعن يا فطِن

وقوله وذهنك الخ الواو واو الحال وذهنك مبتدأ مضاف الى ضمير المخاطب والوقاد نعت له وهو صيغة مبالغة من وقدت النار وقدا من باب وعد اشتدّت نارها وأوقدتها أنا ايقادا وملكه فعل ماض فاعله ضمير مستتر عائد على الذهن والضمير البارز عائد على النظم ولا يخفى ما فى البيت من الجناس وحقا نعت لمفعول مطلق معمول لقوله ملكه أي ملكه ملكا حقا وجملة ملكه حقا فى موضع رفع خبر ذهن وجملة المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال من النظم أو من ضمير المخاطب المجرور بفى وفى قوله ذهنك الوقاد استعارة بالكناية وتخييل شبه الذهن بالنار بجامع الاحتياج التام الى كل ثم اقتصر على المشبه والوقاد تخييل إما باق على حقيقته أو مستعار لحدة الذهن، وقوله فاجمع الخ الفاء رابطة بين الشرط والجواب واجمع فعل أمر فاعله ضمير المخاطب ولهم متعلق باجمع والضمير المجرور باللام عائد على الطلبة المأخوذين من سياق الكلام وشمل مفعول باجمع وشمل القوم مجتمع أمرهم وعددهم يقال الشمل بالسكون والشمل بالتحريك كما ذكره شارح القاموس عن بعضهم وأنشد عليه

قد يجعل الله بعد العسر ميسرة * ويجمع الله بعد الفرقة الشملا

وقوله وقد ينعش الله الفتى بعد عثرة * وقد يجمع الله الشتيت من الشمَل ٢

ولا يصلح فى كلام الناظم الا السكون لأجل الوزن وأطلق الشمل هنا على عدد المسائل مجازا مرسلا علاقته الاطلاق والتقييد اذ هو حقيقة عدد الناس خاصة ثم أطلق على مطلق العدد ثم على عدد المسائل فهو مجاز بمرتبتين أو نقل من معناه الحقيقى الى مطلق العدد ومنه عدد المسائل فيكون مجازا بمرتبة واحدة ويحتمل أن يكون فى كلام الناظم مجاز بالاستعارة التصريحية بأن يكون شبه المسائل بشمل القوم بجامع الكثرة فى كل ثم استعار ما هو خاص بالمشبه به للمشبه واقتصر عليه فكانت تصريحية وقرينتها اضافة اللفظ المستعار الى اسم الموصول الواقع على المسائل، ويحتمل أن تكون الاستعارة بالكناية بأن يكون شبه المسائل بالقوم بجامع الكثرة أيضا ثم حذف المشبه به واقتصر على المشبه وهو الذى ولفظ شمل تخييل والله أعلم والذى مضاف اليه شمل وتفرقا صلة الذى والضمير فيه هو العائد من الصلة للموصول ومن المسائل متعلق بمحذوف حال من الذى فهو بيان لما وقع عليه الموصول والمسائل بالهمز جمع مسئلة يقال سألته سؤالا ومسئلة فمسئلة مصدر ميمى ويقال تعلمت مسئلة بمعنى مسؤلا

(1) أي التبليغ اهـ مؤلفه

٢ بفتح الميم وسكون الميم لان القصيدة مقيدة الروى اهـ مؤلفه

فاستعير المصدر للمفعول مجازا كما في الاساس للزمخشري وقوله بلفظ متعلق باجمع ومنتقى أي مختار نعت للفظ ﴿والمعنى﴾ اذا كانت فيك أيها المدرّس قدرة على النظم وكان لك ذهن ذكي مالك النظم واقتدر عليه اقتدارا حقا فاجمع للطلبة ما تفرق من المسائل بنظم بديع مختار أي لأن النظم أوعب لجمع المسائل وأقرب للحفظ سيما اذا كان بأوجز لفظ وفي قوله حقا مالكه مع قوله بلفظ منتقى اشارة الى أنه لا ينبغي الترامي على النظم من غير معرفة قواعده وأوزانه كما يشاهد ممن يحب أن يدرك الشئ في غير إبانه من غير السجية التي هي ملاك الأمر في نظم الشعر، ولا ذوق يفرق به بين الهذيان وحلال السحر فاذا قيل لهم هذا على غير وزن يقولون انه نظم فقيه متوهمين ان نظم الفقيه لا يشترط فيه الوزن ولعمري ان هذا الجواب نفسه دال على التناقض البين اذ كيف يقولون انه نظم فقيه مع تسليمهم انه غير متزن مع ان حقيقة النظم هو كلام موزون قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية (فان قالوا) ان نظم الفقيه لا يشترط فيه الوزن (قلنا) لم يقل هذا أحد قطعا وعلى فرض المحال من أن بعضهم قاله لا نلقي له سمعا (فان قالوا) قد وقع الاصطلاح على ذلك (قلنا) لم يصطلح أحد عليه والاصطلاح يتوقف على النقل عن أهله ولم ينقل وعلى فرضه والمحال يفرض لينفى فانما يصطلح على ذلك من لا معرفة له بقواعد النظم ومن جهل فنا لا يقبل كلامه فيه فتنبه ولا تكن ممن ينتصر للباطل باللجاج ويتعسف للإستدلال والاحتجاج من اعترف بالعجز عما لا يحسنه فقد استبرأ لدينه وعرضه وسلم من تطرق الألسنة اليه وقرضه (ثم قال الناظم)

154 ﴿وان سئلت فاصغ للسؤال * حتى يقصه على التوالي﴾

الواو استئنافية أو عاطفة هذه الجملة على ما قبلها وسئلت فعل ماض مبني للمفعول وتاء المخاطب هي النائبة عن الفاعل والفاء في قوله فاصغ رابطة للجواب بالشرط واصغ فعل أمر بمعنى اسمع كما مر أول بيت من هذا الباب وفاعل اصغ ضمير المخاطب وللسؤال متعلق باصغ وهو مصدر لسأل وحتى حرف دال على الغاية ناصب للمضارع بعده ويقصه مضارع قص الخبر يقصه من باب قتل اذا ذكره والضمير المستتر في يقصه عائد على السائل المفهوم من سياق الكلام والضمير البارز عائد على السؤال بمعنى المسؤل عنه لا بمعنى المصدر اذ المصدر معنى من المعاني وهو لا يقص فيكون في كلامه استخدام لانه أطلق أوّلا السؤال وأراد به المصدر ثم أعاد عليه الضمير بمعنى اسم المفعول ويحتمل أن يريد بالسؤال أوّلا المسؤل وعليه فلا استخدام والاوّل أحسن لما فيه من التحسين اذ الاستخدام من المحسنات البديعية وقوله على التوالى أي التتابع متعلق بيقصه وعلى بمعنى الباء على حد قوله تعالى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أي بأن لا أقول وقد قرأ بالباء أبيّ بن كعب وتكون الباء التي جعلناها موضعها على للمصاحبة ويحتمل بقاء على في كلام الناظم على أصل معناها من الاستعلاء بجعله استعلاء معنويا على حد قوله * قد استوى بشر على العراق * فيكون مجازا مرسلا من باب اطلاق الملزوم الذى هو الاستعلاء الحسى وارادة لازمه الذى هو الاستعلاء المعنوى الذى هو التمكن والغلبة وفي بعض النسخ حتى يقصه عليك التالى والمراد بالتالى السائل ﴿والمعنى﴾ اذا سئلت أيها المدرّس عن مسئلة فاستمع للسؤال حتى يذكره السائل مع التتابع من غير أن تقطع عليه السؤال بالجواب قبل فهمك السؤال وان جعلت على للاستعلاء يكون المعنى اذا سئلت فاستمع للسؤال حتى يذكره السائل متمكنا من تتابعه وذلك لان عدم الاستعجال بالجواب مطلوب قال في المدخل وينبغي له أي للعالم اذا أوردت عليه المسائل والاعتراضات أن لا يجيب عن ذلك حتى يفرغ صاحب السؤال بكلامه الى آخره أو المعترض باعتراضه الى آخره لان الكلام انما هو بآخره اه وقال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعراني في المنن

الكبرى

الكبرى وبما من الله تبارك وتعالى به علي عدم عجلتي بالجواب في مجالس المذاكرة والمناظرة في العلم بل أصبر حتى يبدي الحاضرون كلهم ما عندهم ثم أتكلم وأصل ذلك عدم محبة الرياسة اذ الطالب لها لا يقدر على التأني أبدا بل من شأنه المبادرة للجواب واعلم يا أخي ان حكم من يتعجل بالجواب حكم من بنى حائطا مستعجلا من غير تمهل فلا بد أنها تنشق وتنهدم ولو على طول بخلاف ما بني على التأني والتمهل اهـ نعم اذا استشعر المدرس من السائل تعنتا أو نحوه فينبغي عدم الاصغاء له بل يزجره ويعنفه كما هو التنبيه عليه وفي القانون لأبي علي اليوسي رحمه الله تعالى ومن سأله أي المدرس استمع له وضيعا كان أو رفيعا اللهم الا أن يستحق تعنيفا التعنت أو نحوه اهـ (ثم قال الناظم)

155 ﴿ثُمَّ أَجِبْ اذا اسْتَحَقَّ لِلْجَوَابْ * أَوْ رُدَّهُ مِنْ خَطَإٍ الى الصَّوَابْ﴾

ثم حرف عطف وترتيب وأجب فعل أمر فاعله ضمير المخاطب ومفعوله محذوف أي السائل والجملة معطوفة على جواب الشرط في البيت قبله واذا اسم مضمن معنى الشرط واستحق فعل ماض وفيه ضمير عائد على السائل هو الفاعل وللجواب في محل المفعول باستحق واللام زائدة وأو حرف عطف للتنويع ورده فعل أمر وفاعله مستتر والضمير البارز العائد على السائل أيضا مفعول برد ومن خطإ متعلق برد والى الصواب كذلك وجملة رده الخ معطوفة على جملة أجب ﴿والمعنى﴾ ثم اذا أصغيت للسؤال وفهمته فأجب السائل اذا كان مستحقا للجواب بأن كان السؤال في موضعه وعلى وجهه وان كان سؤاله نشأ عن غلط وقع له أو عدم فهم للكلام على وجهه فرده من الخطإ الى الصواب ثم ان جواب السؤال ينبغي أن يكون على قدر فهم السائل فيراعي فيه حاله ولا بأس بالزيادة في الجواب على حاجة السائل في السؤال بدليل زيادته صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل في الجواب عن سؤاله له صلى الله عليه وسلم بقوله أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فدله على الإيمان والإسلام ثم قال له ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل بجوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قال معاذ بلى قال صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قال بلى فأخذ صلى الله عليه وسلم بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقال يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم فزاد صلى الله عليه وسلم في الجواب على ما سأل عنه السائل حيث علم ان السائل متعلم مسترشد طالب للعلم وفي آخر كتاب العلم من صحيح البخاري باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله ثم ساق حديث ابن عمر أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يلبس المحرم فقال لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران فان لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين فالسائل سأل عن حالة الاختيار فأجابه صلى الله عليه وسلم عنها وزاده حالة الاضطرار في قوله فان لم يجد النعلين وليست بأجنبية لان حالة السفر تقتضي ذلك ﴿واعلم أن السؤال قسمان﴾ تعليمي وجدلي وحق الثاني مطابقة الجواب من غير زيادة ولا نقص وحق الاول أن يتحرى المجيب الاصوب كالطبيب الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لا واذا كان المسؤل عنه أمرا رشيدا وحكما مؤكدا فينبغي للمعلم أن يفعل مع المتعلم حينئذ شيأ ليكون سببا لتذكره وعدم نسيانه لما يلقى اليه نحو أخذه بأذنه أو عضو من أعضائه ويحركها فان ذلك أدعى لعدم النسيان قال العلماء رضي الله عنهم على حديث عبد الله بن عمر أخذ صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ان في الحديث مس المعلم بعض أعضاء المتعلم عند التعليم

أو الموعوظ عند الوعظ ليعي ما يقال له فيكون أبعد لنسيانه وهذا كقول عبد الله بن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفي بين كفيه وقد يضمه اليه كما فعل جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرأ وذلك لاحضار القلب والتنبيه والتذكير اذ محال عادة أن ينسى من فعل معه ذلك ما يقال معه وهذا لا يفعل في الغالب الا مع من يميل له الفاعل اهـ (ثم قال الناظم)

156 ﴿من غير تعبيس يُرى ولا انتهارْ * بل بطلاقةٍ وبِشرٍ ووقارْ﴾

قوله من غير متعلق بقوله أجب في البيت قبله وتعبيس مضاف اليه غير وهو مصدر عبَّس وجهه بالتشديد للمبالغة ومنه اسم العباس ويقال عَبَس وجهه يعبس عبسا وعبوسا من باب ضرب ومنه اسم عابس وهو لازم على كلتا الحالتين من التخفيف والتشديد ومعناه تكريه الوجه * ولبعضهم على لسان الكاس وقد تناولها من يدساق معبّس ولعل اسمه العباس لتتم له التورية التي هي من أرشق المحسنات البديعية

قد جاءني الكأس تبكي وهو في قلق * فقلت مالك تبكي أيها الكاس
فقال لي كيف لا أبكي وقد وضعوا * لطبـ... لة فيما مجه الناس ١
وجه عبوس بلا عذر ولا سبب * وكيف يصلح للكاسات عباس

وقوله يرى فعل مضارع مرفوع مبني للمفعول والضمير فيه عائد على التعبيس هو النائب عن الفاعل ويرى بصرية لا تحتاج لمفعول ثان وقوله ولا الخ الواو للعطف ولا مؤكدة للنفي في غير وانتهار معطوف على تعبيس وهو مصدر انتهره ينتهره اذا زجره ويقال أيضا نهره ينهره من باب نفع وقوله بل حرف عطف واضراب وبطلاقة معطوف على تعبيس وهو مصدر طلق الوجه بالضم طلاقة اذا ظهر فيه الفرح والبشر فعطف بشر على طلاقة من عطف التفسير ووقار معطوف عليه أيضا والوقار الرزانة والأناة يقال وقر بالضم وقارا مثل جمل جمالا ﴿والمعنى﴾ اذا أردت أيها المدرّس جواب السائل عن سؤاله فأجبه بطلاقة وجه واظهار بشر واستعمال وقار ولا تجبه مع الزجر والتعبيس والتعنيف ففي حديث أبي هريرة كما في الجامع الصغير علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف (ثم قال الناظم)

157 ﴿ليتشجَّع الجبانُ للسُّؤالْ * والعكسُ للحِرمانِ يفضِي في المآلْ﴾

اللام للتعليل لقوله أجب من غير تعبيس الخ ويتشجع مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وهو من الشجاعة التي هي قوة القلب والاستهانة بالشدائد والحروب واسم الفاعل منه شجيع وشجاع بضم الشين في الثاني وبنو عقيل تفتح شينه حملا على نقيضه وهو جبان وبعضهم يكسرها للتخفيف أي لأن الكسر أخف من الضم والجبان بالفتح ضعيف القلب وهو الفاعل بالفعل المضارع وللسؤال متعلق به وقوله والعكس الواو للاستئناف والعكس مبتدأ والمراد به العكس اللغوي وهو المخالف والمراد عكس ما مر من الطلاقة والبشر وهو التعبيس والانتهار وللحرمان متعلق بيفضي ومعنى يفضي يؤول ويبلغ وفي المآل أي في الآخر متعلق بيفضي أيضا ﴿والمعنى﴾ انما أمرتك أيها المدرّس أن تجيب سائلك بطلاقة وجه واظهار البشر والسرور ولأجل أن يقوى قلب ضعيف القلب ويقدر على الإقدام على السؤال عما جهله ليحصل المطلوب من نشر العلم وأما الجواب مع التعبيس في وجه السائل وزجره في غير محل يطلب فيه الزجر فانه يؤول لحرمان الطلبة من العلوم اذ عيابون الشيخ ويخشون زجره فلا يقدمون على السؤال درأ لذلك فيبقون على جهلهم وذلك خلاف المقصود ففي القانون لابي

١ (قوله لطبـ...له الخ) كذا بالأصل ولا يخفى انه ليس فيه استقامة مبنى ولا طلاوة معنى والاحسن أن يقال بدل هذا الشطر "الطلامع في قد مجه الناس" ليحوز وصفي الطلاوة والاستقامة اهـ مصححه

على اليوسي فان كان ما عند التلميذ باطلا فلا ينبغي أن يردّه عليه بصورة التعنيف والتزييف والتجهيل ان كان متعلما لا متعنتا لأن ذلك يخمد قرائح المتعاطين ويكسبهم نفورا وبعدا عن التلبّح في المدارك وهي طريق الجمود والحرمان بل بطلاقة فيقول مثلا كلامك حسن لو سلم من كذا وهكذا يفعل مع المتعاطين فيجرّئهم على الفهم والبحث ويرخي لهم العنان ويصرف أعنتهم بلطف عن الخطأ أو الخطل اهـ وقال بعضهم ومن تعظيم العلم تعظيم التلامذة فلا يعنف العالم المتعلم ولا يحقره ولا يستصغره سيما ان كان مبتدئا لأن ذلك أدعى اليهم وأعطف عليهم وأثبت على الرغبة فيما لديهم * وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال وقّروا من تتعلمون منه ووقّروا من تعلّمونه * وكان يحيى بن يحيى عند ابن القاسم فقال لبعض الطلبة معناه لو جلس أحدكم في ضيعته كان أشبه له من طلب العلم فلما خلا المجلس ليحيى قال يا عبد الله كان اليوم منك الى الرجل شئ أنكرته لو كان لا يأتيكم الا العالم ما أتاكم أحد ولكن يأتي الجاهل فيتعلم ومن لا يحسن فتترفقون به حتى يحسن فقال له ابن القاسم لا أعود لمثلها ان شاء الله * وحكي عن أبي مدين أنه جلس ذات يوم فجاءه طالب يقرأ عليه ولا يحسن فمرّ بحرف فصحفه تصحيفا منكرا فلم يبق أحد من المجلس الا غلبه الضحك الا الشيخ فانه لم يضحك الا أنه احمرّ وجهه وقال ان حضر كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم اهـ (ثم قال الناظم)

158 ﴿ولا تصدّ بحيا أو كبر * عن أن تقول جاهلا لا أدري﴾

الواو للاستئناف أو عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها ولا ناهية وتصدّ فعل مضارع مبني للمجهول وهو من صدّه عن الأمر يصدّه عنه من باب قتل اذا صرف وجهه عنه وفي نسخة تعدّ بفتح التاء والعين وشدّ الدال فهو فعل مضارع من تعدّى الشئ يتعداه اذا جاوزه الى غيره ثم حذفت منه تاء المضارعة على حدّ قوله تعالى (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى) أي تتلهى وهو كثير ولفظ المضارع في هذا كلفظ الماضي صورة اذا كان الفعل معتل الآخر بالألف ولم يكن المضارع مجزوما، وفي ذلك ألغز العلامة الأديب أبو الربيع سيدي سليمان الحوات بقوله:

يا أديبا ماله في * كل فنّ من مضارع
أيّ فعل ليس يدرى * منه ماض من مضارع

وأجابه بعض معاصريه من أعيان بني سوده بقوله:

ما به جئت تباهي * عرفه كالمسك ضائع
والذي يخفى عليه * عمره في اللهو ضائع

وضمير المخاطب العائد على المدرّس هو النائب عن الفاعل وقوله بحيا الباء حرف جرّ وهي للسببية وحيا مجرور بها وفي نسخة لحيا بلام الجرّ التعليلية والحيا مقصور ضرورة كما مرّ تحريره عند قوله وان سكت لحيا أو كبر * وتقدّم هناك أيضا معناه لغة وشرعا وان المعنى اللغوي هو المراد في كلام الناظم وهو المراد هنا أيضا وأو حرف عطف للتنويع وكبر معطوف على حيا والكبر اظهار العظمة والاعتلاء كما مرّ أيضا وعن حرف جرّ للمجاوزة المعنوية وان حرف نصب مصدري وتقول مضارع منصوب بها وفاعله ضمير المخاطب العائد على المدرّس والفعل مسبوك بأن المصدر به والمصدر المنسبك مجرور بعن وجاهلا منصوب على الحال من فاعل تقول ولا أدري جملة في محل نصب معمولة لقوله تقول ﴿والمعنى﴾ لا يردّنك أيها المدرّس الحياء والكبر عن قولك لا أدري جوابا عما سئلت عنه وأنت جاهل به أي لأن ذلك منهي عنه مذموم فاعله شرعا وطبعا فهذا أكرم العالمين وأعلم العالمين لما سئل صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرّها قال لا أدري حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل رب العزة فسأله

فأعلمه أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ولما سأله جبريل عليه السلام عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل أي اشترك السائل والمسؤل في عدم العلم بها * وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم ثلاث كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدري * وقال صلى الله عليه وسلم أربع لو شدت اليهن الرحال لكان قليلا لا يرجو العبد إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه ولا يستحي الجاهل أن يتعلم ولا يستحي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم * وقال سيدنا علي كرم الله وجهه ما أبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول لا أعلم فإن العالم من عرف أن ما يعلم قليل مما لا يعلم * وروى الدارمي والبيهقي عن الشعبي من قوله لا أدري نصف العلم * وعقده العلامة الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الدمشقي بقوله :

أطل صمتا ولا تعجل * بإفتاء تفز فادر
فكل العقل في صمت * ونصف العلم لا أدري

ولأبي عثمان سعيد بن ليون التجيبي في ذلك أيضا

علمت شيئا وغابت عنك أشياء * فانظر وحقق فللعلم إحصاء
العلم قسمان ما تدري وقولك لا * أدري ومن يدعي الإحصاء هذاء

* وفي صحيح البخاري من كلام عبد الله بن مسعود من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ذكر الحافظ ابن حجر في وجه الاستدلال بالآية أن القول فيما لا يعلم قسم من التكلف * وفي صحيح البخاري أيضا باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسئل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا قياس لقوله تعالى (بما أراك الله) * وقال ابن مسعود سئل صلى الله عليه وسلم عن الروح فسكت حتى نزلت الآية ثم ساق حديث جابر رضي الله عنه مرضت فجاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فأتاني وقد أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أقضي في مالي كيف أصنع في مالي قال فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث وقد احتوت ترجمة البخاري على ثلاثة أمور قوله صلى الله عليه وسلم لا أدري وسكوته حتى ينزل عليه الوحي وعدم قوله برأي ولا قياس وليس في الحديث المعلق ولا الموصول إلا دليل سكوته صلى الله عليه وسلم حتى ينزل عليه الوحي وأشار في قوله صلى الله عليه وسلم لا أدري لأحاديث ليست على شرطه كلها تصلح للحجة كما قال الحافظ منها حديث سؤاله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها كما تقدم رواه ابن حبان * وروى الحاكم والدارقطني عن أبي هريرة ما أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا والبخاري يكتفي بالشواهد هكذا كما علم من عادته وأما عدم القول بالرأي والقياس فلم يقصد النفي المطلق بدليل أنه ترجم بعد بابين من الترجمة السابقة بقوله باب من شبه أصلا معلوما ٣ بأصل فبين وإنما أراد بمنع القياس أن بعض الأشياء تكون معضلة لا تعلم إلا من الوحي فلم يتكلم فيها صلى الله عليه وسلم برأي ولا قياس والله أعلم * وفي سنن سعيد بن منصور عن ابن مسعود لا أدري ثلث العلم * وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما من أفتى الناس في كل ما يسألونه فهو مجنون وقال أيضا من أفتى الناس في المشكلات من غير تربص وتأمل فقد عرض نفسه لدخول النار * وقال إمامنا مالك رضي الله عنه في وصيته ليحيى بن يحيى أوصيك بثلاث الأولى أجمع لك فيها علم العلماء والثانية أجمع لك فيها حكمة الحكماء والثالثة أجمع لك فيها طب الأطباء أما التي أجمع لك فيها علم العلماء فإذا سئلت عن شيء لا تدريه فقل لا أدري وأما التي أجمع لك فيها حكمة الحكماء فإذا جلست مع قوم فكن أصمتهم فإن سلموا سلمت معهم وإن أخطؤا سلمت من خطئهم وأما التي أجمع لك فيها طب الأطباء فارفع يدك من الطعام وأنت

٣ (قوله بأصل فبين) كذا بالأصل وليحرر اه مصححه

تشتهيه

تشتيه وقال رضي الله عنه أيضا ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري * وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اذا سأله أهل العراق وكانوا سألوا ابن عمر ليتنا لا نعرف ما تسألون عنه ولأن يعيش الرجل جاهلا خير من أن يقول في هذا الامر بغير علم وسئل ابن عمر عن عشر مسائل فأجاب عن واحدة وسكت عن تسع * وسئل الامام مالك رضي الله عنه عن أربعين مسئلة فأجاب عن أربع وقال في الباقي لا أدري هكذا في المحلي وغيره والذي في مقدمة التمهيد لابن عبد البر أنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين لا أدري وهو الصحيح كما في الكمال دون ما في المحلي وجاءه مرة أخرى رجل من بعض الآفاق سائلا عن شئ فقال لا أدري فقال اني أتيت من بلد بعيد فبأي شئ أرجع الى أهلي فقال اذا رجعت الى أهلك فقل ان مالكا لم يعرفها وقال ذلك مرة أخرى فقام اليه ابنه وكان قد صنف شيأ من العلم فقال كيف تقول لا أدري كأنه يستحي من قولها فأقام حينئذ رضي الله عنه مناديا يعلم الناس أن لا يتبع ابنه ولا يعمل بكتبه * وعن ابن عون قال كنت عند القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أحد الفقهاء السبعة فجاءه رجل فسأله عن شئ فقال لا أدري فقال له رفعت اليك مسيرة شهر ولا أعرف غيرك فقال القاسم لا تنظر لطول لحيتي ولا لاجتماع الناس حولي فوالله لا أحسنه * وقال الامام مالك وغيره جنة العالم لا أدري فتى أخطأها أصيبت مقاتله ونظمه أبو عثمان سعد التجيبي بقوله

جنة العالم لا أد * رى اذا ما احتاج جنة
فاذا ما ترك الجنـ * ـنة بانت فيه جنة
فالزم الجنة تسلم * انما الجنة جنة

(ولآخر)

اذا ما علمت الامر حقا فقل به * واياك والأمر الذي أنت جاهله
ومن كان يهوى أن يرى متصدرا * ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

(ولآخر)

وجنة العالم لا أدري فان * أخطأها أمكن منه الممتحن

* وسئل الشعبي عن مسئلة فقال لا أدري فقيل له بأي شئ تأخذون رزق السلطان فقال لأقول فيما لا أدري لا أدري * وقيل له مرة انا نستحي من كثرة ما تسئل فتقول لا أدري فقال لكن ملائكة الله المقربون لم يستحيوا حين سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم * وقال أبو عبد الله الزعفراني كنت بحضرة أبي العباس ثعلب يوما فسئل عن شئ فقال لا أدري فقيل له أتقول لا أدري واليك تضرب أكباد الابل واليك الرحلة من كل بلد فقال للسائل لو كان لامك بعدد لا أدري بعر لاستغنت * وقال محمد بن حبيب سألت أبا عبد الله محمد بن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسئلة من شعر الطرماح يقول في كلها لا أدري أفأحدس لك برأيي * وسئل بعضهم عن مسئلة وهو فوق الكرسي فقال لا أدري فقيل له ترتفع على هذا المحل وتقول لا أدري فقال انما ارتفعت على قدر جهلي ولو ارتفعت على قدر علمي لبلغت السماء * وقال بعض الحكماء علم المرء بانه لا يعلم أفضل من علمه بأنه يعلم * وقال الكمال بن أبي شريف لا أدري سنة العلماء والانبياء والملائكة وقال ابن عبد البر على قول عروة ما علمت هذا منكرا [1] قول مروان ومن مس الذكر الوضوء ما نصه هذا مع منزلته أي عروة في العلم والفضل دليل على ان الجهل ببعض المعلومات لا يدخل نقيصة على العالم اذا كان عالما بالسنن اذ الاحاطة بجميع المعلومات لا سبيل اليها اه وقال الشيخ أبو علي اليوسي وليس يزيل اسم العلم عن العالم

[1] هو قول مروان اه مؤلفه

تقصيره في الجواب عن مسـئلة سئل عنها أو أكثر بل ولا جهله لذلك رأسا فامثال العالم الامثال التاجر في الخز أو العبيد أو الخيل أو نحو ذلك فلا محالة قد تطلب عنـده حاجة موصوفة أو أكثر فلا توجد عنده ولا يخرجه ذلك عن سماط التجار اهـ ونقول كما قال الجاحظ في أول كتابه البيان والتبيين اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنـة العمل ونعوذ بك من التـكلف لما لا نحسـن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من شرّ السلاطة والهذر كما نعوذ بك من شرّ العيّ والحصر (ثم قال الناظم)

159 ﴿وَمَن تَرَاهُ لاهِيًا فَازْجُرْهُ * وَغَلِّظِ القَوْلَ لَهُ وَاهْجُرْهُ﴾

الواو للاسـتئناف أو حرف عطف لهذه الجملة على ما قبلها ومَن موصول مفعول بفعل محذوف يفسره ازجره المذكور من باب الاشـتغال على ان الفاء في قوله فازجره زائدة وأما على انها واقعـة في جواب من الموصولة لشبهها بالشرط في العموم والابهام فيكون من في محل رفع بالابتداء وجمـلة فازجره هو الخبر ولا يصح الاشتغال حينئذ لأن فاء الجزاء تمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها وتراه فعـل مضارع مرفوع بضمة في الألف وفاعله ضمـير المخاطب يعود على المدرّس والضمـير البارز مفعول بترى وهو العائد من الصلة الى الموصول ولاهيا منصوب على الحال من المفـعول لان الظاهر أن ترى هنا بصرية فلا تحتاج للمفـعول الثاني وان جعلتها علميـة فلاهيا مفعول ثان وهو اسم فاعل من لها يلهو لهوا اذا لعب وازجره فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والضمير البارز عائد على من هو الشاغل للفعل عن العمل في الاسم السابق على احتمـال الاشتغال ولم نجعل من شرطية وفازجره جوابها لان من الشرطية جازمة فحق الفعل بعدها هو الجزم بحذف ألف ترى وقد ثبتت الالف هنا كما ترى فالفعل مرفوع وقوله وغلظ القول جمـلة من فعل وفاعل ومفعول معطوفة على الجملة قبلها وله متعلق بغلظ والضمير المجرور باللام عائد على من وجملة واهجره معطوفة على ما قبلها أيضا وضمير المفعول في اهجره عائد على من أيضا ﴿والمعـنى﴾ ازجر أيها المدرّس من تراه مشتغلا باللعب وقل له الكلام الغليظ وأعرض عنه لئلا يعود لذلك ومثل اللهو النوم في مجلس الدرس أو اظهار التهاون بحرمة العلم أو ارتكاب الخفة والطيش أو الالتفات كثيرا أو بلا حاجة أو غير ذلك مما يصدّه عما هو بصدده ففي القانون لأبي علي اليوسي رحمه الله تعالى ومنها أي من آداب المدرّس أن يصون مجلسـه عن اللغط لغير حاجة وعن الهوس واللدد ويزجر من اشـتغل بذلك وكل من لا ينصف ولا يهتم بالاستفادة والرشد أو يقع له ما لا ينبغي في المجالس كالنوم والتحدث والضحك والاستهزاء بالناس وغير ذلك مما يقع في النظر والجلوس والزيّ والتقدم والتأخر وكذا كل ما يخلّ بالتعـلم اهـ وقد كان شيخنا العلامة أبو عبد الله جنون رحمه الله شديد الزجر والتأديب لمن يرتكب شيأ من هذه الامور وخصوصـا النوم وربمـا طرده من المجلس وأقسم بالله انه لا يزيد في القراءة حرفا الا اذا قام ذلك الشخص من مجلسه وذلك كله من تأديب الشيخ لتلميذه بكل ما يمكن وهو أمر مطلوب مشروع فقد ذكر ابن عرفة عن القـابسي ان على المعلم زجر المتخاذل في حفظه أو صـفة كتابته بالوعيد والتقريـع لا بالشتم نحو يا قرد فان لم يفد فبالضرب بالسوط من واحد الى ثلاثة ضربَ إيلام دون تأثير في العضو فان لم يفد زاد الى عشرة فان ناهز الحلم فلا بأس بالزيادة عليها (ابن عرفة) الصواب اعتبار حال الصبيان فيضرب العشرين وأزيد ومنع الزجر بنحو يا قرد هو الصواب فعل بعضهم ذلك وقد أجازوه للقاضي وقد كان بعض شيوخنا يزجر به في مجالس اقرائه ونقلوه عن بعض شيوخهم وكان يصدر كثيرا من شيخنا ابن الحباب وقليلا من شيخنا ابن عبد السـلام وفائدة ذلك واضحة لمن أنصف لانها تكسب تنبيها للطالب فيما يريد أن يقوله من بحث أو نقل اهـ وفي كتاب العلم من الإحياء أن من وظائف صناعة التعليم وهو من دقائق هذه الصـناعة أن يزجر المعلم المتعلم عن سوء الأخلاق ولكن بطريق التعريض ما أمكـن ولا يصرّح وبطريق الرحمة

لحديث النبي ﷺ النهي عن الضرب فوق عشر الا في حد من حدود الله

لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء. وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته اهـ وقد ذكر الجلال السيوطي في اختصاره لأذكار النووي انه لا بأس بالاغلاظ للولد والخادم والتلميذ بقصد التأديب اهـ (ولا يقال) زجر التلميذ بنحو يا قرد وشبهه من سباب المسلم وسبابه فسوق كما في الحديث الصحيح (لانا نقول) خص العلماء ذلك بغير ما كان للتأديب قال الأبي في اكمال الاكمال على هذا الحديث ويستثنى من السب ما كان للأدب وهو ما أشار اليه النووي بقوله بغير حق اهـ (ثم قال الناظم)

160 ﴿وإن ترى القلوبَ حيناً فاترة * لِكسَلٍ فاقصُصْ عليهم نادرة﴾
161 ﴿ليستْ بأجنبيةٍ في الدرس * تُدني بواسقَ ثمار الأُنس﴾
162 ﴿من مُلَح الأكياس تجلبُ الفرَحْ * وتبسُطُ الروحَ وتقبِضُ الترَحْ﴾
163 ﴿ليحصُلَ النشاطُ للقلوبِ * ويظفَرُوا بغاية المطلوب﴾

الواو للاستئناف أو لعطف جملة الشرط والجواب على الجمل قبلها وان حرف شرط جازم يجزم فعل الشرط بالسكون ان كان صحيح الآخر أو بحذف حرف العلة ان كان معتله كما هنا أو بحذف النون ان اتصل بالفعل واو جمع أو ألف تثنية أو ياء المؤنثة المخاطبة فالجاري على المشهور المعروف هو حذف الالف من ترى لاجل الجازم غير ان الذي في جميع النسخ التي وقفت عليها وهي عدة هو اثبات الالف فالاظهر انه تحريف من الناسخ أو سبق قلم من الناظم وقد يقال ان اثبات الالف مقصود جريا على لغة من يهمل ان الشرطية حملا على لو وقد ذكر ابن مالك هذه اللغة في الكافية والتسهيل وعليها قراءة طلحة فاما ترين بياء المخاطبة ساكنة ٣ ونون الرفع مفتوحة والله أعلم وقوله القلوب مفعول بترى وهو جمع قلب والقلب كما في الصحاح والقاموس وغيرهما هو الفؤاد فهما مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام لفي الفؤاد ويعبر عنه بالصدر كقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالثياب كما في قوله تعالى وثيابك فطهر أي قلبك فطهر الخ على أحد التفاسير وقول الشاعر

*فشككت بالرمح الطويل ثيابه * أي قلبه وقيل القلب أخص من الفؤاد لأن القلب معنى من المعاني متعلق بالفؤاد ويشهد له حديث أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة وصف صلى الله عليه وسلم القلوب بالرقة والافئدة باللين لان القلب أخص من الفؤاد قاله الشيخ مرتضى في شرح الاحياء وبين الواحدي وجه الاخصية بغير هذا فقال وقيل القلب أخص من الفؤاد فهو مضغة في الفؤاد متعلقة بالنياط ومنه الحديث أتاكم أهل اليمن الخ فظاهره أن القلب بالمعنى الاخص ذات ومقتضى ما قال شارح القاموس أنه معنى وقال الغزالي ان القلب يطلق لمعنيين أحدهما الجسم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه الى أن قال وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدرك العارف العالم من الانسان وهو المطالب والمخاطب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسداني وقد تحار أكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات الى آخر كلامه في الاحياء انظره فقد أطال فيه وفيه أقوال غير هذه وبالجملة فهو

٣ أي النون المرفوعة المحل على الفاعلية اهـ مؤلفه

أحد الاعضاء الرئيسية الاربعة وهي عند الاطباء أربعة القلب والكبد والدماغ والانثيان والله أعلم (قال بعضهم) وسمي القلب قلبا لتقلبه وأنشد

ماسمي القلب إلا من تقلبه * والرأي يصرف بالانسان أطوارا

ويوجد لصدر هذا البيت عجز آخر وهو * فاحذر على القلب من قلب وتحويل * وكلا العجزين مناسب للصدر والثاني أكثر مناسبة من حيث اللفظ كما لا يخفى وقال آخر

وما سمي الانسان الا لأنسه * ولا القلب الا أنه يتقلب

(وقال آخر)

كان لي قلب أعيش به * ضاع مني في تقلبه

رب فاردده علي فقد * عيل صبري في تطلبه

وأغث مادام بي رمق * ياغياث المستغيث به

*وورد في الحديث إن القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر، وقيل سمي قلبا لانه خالص ما في البدن وخالص كل شيء قلبه وقيل سمي بذلك لانه وضع في الجسد مقلوبا والقلب لغة صرف الشيء الى عكسه ومنه القلب على هذا القول ويطلق القلب أيضا على العقل كما في القاموس وغيره قال الفراء في قوله تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أي عقل قال وجائز في العربية أن يقول مالك قلب وما قلبك معك يقول ما عقلك معك وأين ذهب قلبك أي عقلك اه وهذا الاطلاق هو المراد في كلام الناظم وقوله حينا ظرف زمان مبهم معمول لترى أو لفاترة وفاترة اسم فاعل من فتر عن العمل من باب قعد اذا انكسرت حدته ولانت مفاصله بعد شدته اهـ وهو منصوب على انه مفعول ثان لترى ان جعلت علمية أو على الحال ان جعلت بصرية (فان قلت) كيف تجعل بصرية مع أن فتور القلب معنى لا يدرك بالبصر (قلت) هو وان لم يدرك بالبصر لكن تدرك به علامته من تثاقل وضعف وغيرهما مما يدل على الفتور والكسل متعلق بفاترة على انه تعليل له والفاء رابطة بين الجواب والشرط واقصص فعل أمر من قص الخبر يقصه من باب قتل اذا ذكره وفاعل اقصص ضمير المخاطب العائد على المدرس وعليهم متعلق باقصص والضمير المجرور بعلى عائد على الطلبة الحاضرين في مجلس الدرس وهم وان لم يتقدم لهم ذكر في هذا الكلام لكن السياق يدل عليهم ونادرة مفعول باقصص والنادرة بالدال المهملة هي الواقعة الغريبة الخارجة عن المعتاد وليست فعل ماض ناقص وتاء تأنيث والضمير في ليس عائد على النادرة هو اسمها وبأجنبية خبرها جر بالباء الزائدة وفي الدرس متعلق بأجنبية وفي بمعنى من على حد قول الشاعر * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال * أي منها ويحتمل ان في الدرس متعلق باقصص وفي على بابها من الظرفية ويقدر لاجنبية متعلق أي منه والاول أقرب لان تعلق المجرور بما قبله بلا فصل حيث قبله معنى الكلام من غير تكلف أولى من تعلقه بالبعيد ولأن السلامة من الحذف أولى فان كون مجلس الدرس هو محل قص النادرة معلوم من سياق الكلام فلا يتوقف اقصص على تقدير متعلق على الاحتمال الاول وقوله تدني فعل مضارع من أدنى الرباعي بمعنى قرب والضمير في تدني المستتر جوازا عائد على النادرة أيضا وبواسق مفعول تدني وهو جمع باسقة يقال بسقت النخلة تبسق بسوقا من باب قعد اذا طالت فهي باسقة والجمع باسقات وبواسق وثمار جمع ثمر بالثاء المثلثة وفتح الميم ويقال في ثمر ثمرة وتجمع حينئذ على ثمرات وهو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل أم لا فيقال ثمر الاراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو المقل أي بضم الميم وسكون اللام كما يقال ثمر النخل وثمر العنب قاله في المصباح وأما التمر بالتاء المثناة وسكون الميم فهو ثمر النخل خاصة فالثمر بالمثلثة وفتح الميم أعم من التمر بالمثناة وسكون الميم

واضافة

واضافة بواسق الى ثمار من اضافة الصفة للموصوف أى الثمار البواسق وقد علمت ان البسوق من صفة النخلة لا من صفة ثمرها لكن عبر ببسوق الثمرة الذى هو فى الاصل طولها ومراده لازم ذلك وهو بعدها بدليل قوله تدنى ففى قوله بواسق مجاز من باب التعبير بالملزوم الذى هو الطول وارادة لازمه وهو البعد وثمار مضاف الى الانس بضم الهمزة وسكون النون ضد الوحشة والأنس بفتح الهمزة والنون لغة فيه لكن اللغة الاولى متعينة هنا للوزن وفى قوله الانس استعارة بالكناية شبه الانس بشجرة مثمرة بجامع تشوق النفس الى كل وحصول السرور بكل ثم اقتصر على المشبه وذكر الثمار تخييل وبواسق ترشيح وقوله من ملح جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت ثان لنادرة أو حال منها لتخصيصها بالصفة وملح جمع ملحة بالضم وهى من الاحاديث ما عذب سماعه فى الأسماع والأكياس مضاف اليه ملح وهو جمع كيّس وهو الحاذق الفطن وتجلب بضم اللام وكسرها مضارع جلب من بابى ضرب وقتل والضمير فى تجلب عائد على النادرة والاسناد اليها مجازى من باب اسناد الشئ الى سببه اذ الجالب حقيقة هو حاكيها باعتبار كونه مباشر السبب والا فالفاعل الحقيقى بالمعنى التحقيقى هو الله سبحانه لا شريك له فى تدبير شئ من الاشياء ولا فى ايجادها تبارك الله رب العالمين والله خلقكم وما تعملون والفرح مفعول تجلب والجملة فى محل نصب صفة لنادرة أو حال على ما مر قريبا وتبسط مضارع بسط من باب نصر والضمير فيه عائد أيضا على النادرة والاسناد أيضا مجازى والروح مفعول تبسط وجمعه أرواح وهو مذكر كما قاله ابن الأعرابى وابن الأنبارى والأزهرى وقد تؤنث على معنى النفس قال صاحب المحكم والجوهرى الروح يذكر ويؤنث وكأن التأنيث على معنى النفس اﻫ وقد اختلف العلماء فى حقيقة الروح هل يمكن معرفتها فتعرف أو لا فيمسك عنها والثانى هو قول أهل السنة وقال البغوى انه أولى الاقاويل قال عبد الله بن بردة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله تعالى (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أى فى جنب علم الله تعالى اﻫ والى هذا القول ذهب ابن السبكى قال فى جمع الجوامع وحقيقة الروح لم يتكلم عليها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها اﻫ قال المحلى لعدم نزول الأمر ببيانها قال تعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) وعلى هذا القول فلا يعبر عنها بأكثر من موجود كما قال الشيخ الجنيد وغيره اﻫ وقال جماعة وافرة بجواز الخوض فيها وأجابوا عن الآية بان اليهود قالوا فيما بينهم ان لم يجب عن الروح فهو نبى فلم يجب لان الله تعالى لم يأذن له فتركه الجواب انما هو تصديق ما فى كتبهم مما قالوا الا انه لم يمكن الخوض فيها وبأن السؤال عنها كان سؤال تعجيز وتغليط اذ الروح مشترك بين روح الانسان وجبريل وملك آخر يسمى بها وصنف من الملائكة والقرآن وعيسى بن مريم فلو أجاب عن واحد منها لقالوا لم نرد هذا تعنتا منهم فجاء الجواب مجملا كما سألوا مجملا والخائضون فيها اختلفوا فالذى عليه جمهور المتكلمين وهو الاصح عند الشافعية أنها جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير من المتكلمين انها عرض وهى الحياة التى صار البدن بوجودها حيا قال السهروردى ويدل للاول وصفها فى الاخبار بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض وانما هى جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه والفرق بين الجسم والجوهر أن الجوهر بسيط والجسم مركب فظهر الفرق بين قول جمهور المتكلمين وبين قول الفلاسفة وكثير من الصوفية ومعنى كون الجوهر مجردا أنه لا مادة له وقال بعضهم الروح هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وتنقطع الحياة بنزفه وصلاح البدن بصلاحه وفساده بفساده ورد هذا بأن بعض الحيوانات لا دم له كبعض خشاش الارض وقال بعضهم هو نفس

الحيوان بفتح الفاء بدليل أنه يموت باحتباس النفس وردهذا بأن من الحيوانات مالا يتنفس الا عند الموت وهو السمك وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج ذهب الكل ﴿قلت﴾ وغير خفي ان القول بأنه الدم مبني على أنه جسم والقول بانه نفس مبنى على انه عرض وكذلك على القول بانه معنى اجتمع فيه ماذكر قرينها والله أعلم ومذهب أهل السنة أن الروح هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد وانها جوهر لا عرض ويشهد لهذا قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون والمراد هذه الارواح قاله في المصباح ﴿قلت﴾ فظاهره انها على هذا القول جوهر ولا ينافي قوله ومذهب أهل السنة ان الروح هو النفس الى آخر ماقدمناه من ان مذهب أهل السنة هو عدم الخوض فيها لان أهل السنة على فريقين فريق لم يخض فيها وهو المراد فيما مر وفريق خاض فيها وتكلم عليها وهم الذين قالوا انها النفس الناطقة الخ والله أعلم ثم اختلف أيضا في مسمى الروح والنفس هل هما مترادفان وهو الراجح وقيل بالفرق بين الروح والنفس بأن الروح أمارة بالخير والنفس أمارة بالشر وبأن الروح لا تفارق عند النوم والنفس تفارق والذي عليه المحلي وغيره من المحققين هو الاول وعليه فصفات الروح تتفاوت فتكون أمارة ولوامة وملهمة ومطمئنة وراضية ومرضية وكاملة ﴿قلت﴾ وظاهر قول من يقول بأن مسمى الروح غير مسمى النفس انهما متباينان بالحقيقة والذات وظاهر القول الاول الراجح انهما متحدان بالذات والاعتبار وقال بعضهم ان مسمى الروح والنفس شئ واحد نعم يختلفان بالاعتبار فمن حيث ميلها للشهوة والمعصية تسمى نفسا ومن حيث ميلها للطاعة تسمى روحا ولا يبعد أن يحمل القول الاول على هذا والله أعلم * وقد ذكر ابن راشد القفصي عن شيخه القرافي انه وقف على تأويل استقصاء الاقاويل في التفريق بين النفس والروح فبلغت سبعمائة اه وقول الناظم وتقبض الترح جملة معطوفة على تبسط الروح والترح بالتاء المثناة الحزن يقال ترح من باب تعب أي حزن ومراده بقبض الترح اذهابه عن الروح اذ يلزم من قبضه وامساكه عن الروح اذهابه عنها وعبر بتقبض دون تذهب الذي هو المراد مع ان البيت معه لما بين تبسط وتقبض من حسن الطباق وقوله ليحصل الخ اللام للتعليل متعلقة بقوله اقصص والنشاط أي الخفة فاعل يحصل وللقلوب متعلق بيحصل وتقدم قريبا تعريف القلب والخلاف فيه ويظفروا جملة معطوفة على جملة ليحصل النشاط والواو في يظفروا هي الفاعل بالفعل عائدة على الطلبة المأخوذين من السياق والظفر بالفتح الفوز كما في الصحاح يقال ظفرت بكذا اذا حصلته وفزت به قال الاخفش وتقول العرب ظفرت عليه بمعنى ظفرت به وبغاية متعلق بيظفروا وغاية الشئ منتهاه والمطلوب مضاف اليه غاية ﴿والمعنى﴾ اذا رأيت أيها المدرس قلوب الطلبة فاترة ومالة بسبب طول المجلس أو صعوبة النصاب أو غير ذلك فاذكر لهم واقعة غريبة أو مضحكة عجيبة تناسب ما أنت بصدده غير أجنبية منه تزيل ما بهم من الضجر والسآمة وتميل بهم الى الأنس والراحة * قال بعض العلماء ينبغي للمدرس أن يذكر شيأ من الادبيات على قدر الحاجة ومن النكات اللطيفة والامور التي ليست في بطون الدفاتر تشحيذا للاذهان وبذلك يفوح عبير العلم ومن هنا ترى الشخص عنده قليل من العلم لكنه يتصرف فيه كيف شاء ويغلب من عنده كثير من العلم الفاقد لمثل ذلك لكن يجب أن لا يطول بذلك لئلا يخرج بهم عما هو بصدده وبالجملة فليكن بقدر ما يعطى الطعام من الملح اه قال صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت وقال سيدنا علي رضي الله عنه أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرف الحكمة فانها تمل كما تمل الابدان والنفس مؤثرة للهوى آخذة للهوينا جانحة الى اللهو أمارة بالسوء مستوطنة

الروح والنفس مترادفان

للعجز طالبة للراحة نافرة عن العمل فان أكرهتها أنضيتها وان أهملتها أوديتها وكان الزهري يحدث ثم يقول هاتوا من أشعاركم فان الإدمان عل" وللنفس حظ وأفيضوا فيما يخفف علينا * وقال أبو المواهب التونسي الفكر كالبصر يعطله ما يعطل النظر * وقال الحسن حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور وقال أزدشير بن بابك ان للآذان مجة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنوشروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء (ويروى) أنه أصيب في حكمة آل داود لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من واحدة من أربع من غدو لمعاد أو اصلاح لمعاش أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده أو لذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث * وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم فقال له يا بني" ان نفسي مطيتي فان حملت عليها في التعب حسرتها يعني بلغت بها غاية الاعياء (ولابن الخطيب السلماني) من قصيدته السياسية المشهورة

وأعط نفسك حظا من اراحتها * فالنفس يوحشها كد واكراه

(وقال المواق) في سنن المهتدين حدثنا شيخنا المنتوري بسنده الى أبي العباس بن العريف قال كنت في مجلس أستاذي أبي على الصدفي أقرأ عليه الحديث فقرأ يوما الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل يحكي حكاية الصالحين فوقع في نفسي كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكي الحكايات قال فما تم لي هذا الخاطر حتى نظر الي" الشيخ شزرا وقال لي يا أحمد الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده قال فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العرق فلما رآني دهشت قال لي يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله قلت الشيخ أعلم قال (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) اه وقال في سنن المهتدين أيضا ومن كلام سيدي أحمد الزياتي وهو من شيوخ شيوخي خذ حظوظك من حيث الامر ولا تأخذها من حيث هواك وغاية الطاعة أن توافق أمر مولاك وقد أمرك بالرفق بنفسك فان كلفتها خيف عليك الدخول هواك وخذ المباح كرسيا للاستراحة عليه اذ لا تزال حمولة التكاليف على ظهر العبد فاذا كل" وضعها على ذلك الكرسي قليلا ليستريح ويرد النفس ثم ترجع لحمولة التكاليف اه (ولشمس الدين أحمد بن يوسف الطيبي من أبيات)

داو سمعي بالعود إن دماغي * مل" طول استماع درس الوجيز
وارقني انني أصبت بعين * بالجنا الا بالرقي والحروز
ليس كل الزمان للفقه لكن * بعضه للنشيد والأرجوز
ما ثناني المدام عن طلب العلم * وعن كشف سره المرموز
لا ولا صدني الشراب عن النحو * وبحث الممدود والمهموز

وانظر ان شئت ما قدمناه عند قول الناظم في آداب يوم الجمعس * وروحوا الخاطر بالمباح * ومما يشحذ الاذهان عند الفتور والملل ويزيل عنها أعباء التثقل والكسل القاء الألغاز والأحاجي على الحاضرين فان ذلك من السنة الواردة عن سيد العالمين * قال الأسنوي في كتابه (طراز المحافل) ان من السنة أن يلقي الشخص الألغاز على من في مجالسه لتشحيذ الأذهان لما رواه البخاري عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة واستحييت فقالوا ما هي يا رسول الله قال النخلة وحديث ابن عمر هذا ذكره البخاري في كتاب العلم من صحيحه وترجم له بقوله باب الفهم في العلم ثم ساقه قال الحافظ ابن حجر وفي هذا الحديث امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم ان لم يفهموه

وأما ما رواه أبو داود من حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الاغلوطات قال الأوزاعي أحد رواته هي صعاب المسائل فان ذلك محمول على ما لا نفع فيه أو ما خرج على سبيل التعنت أو التعجيز اهـ (ثم قال الناظم)

164 ﴿وسَوِّ بين المتعلمين * واحفظ قلوبهم أجمعين﴾

الواو للعطف وسوّ فعل أمر فاعله ضمير المخاطب وهو المدرّس وبين ظرف معمول لسوّ وهذا الظرف لا يضاف الا الى متعدد صراحة كما في قولك جلست بين زيد وعمرو أو ضمنا كقوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك أي ما ذكر من الفارض والبكر ومنه قول الناظم المتعلمين فانه متعدد معنى اذ هو جمع متعلم وبين يستعمل ظرف مكان كما هو معروف منصوص ويستعمل أيضا ظرف زمان كقولك مثلا جئت بين العشاءين وغير خفي أنها في قوله تعالى عوان بين ذلك وفي قول الناظم بين المتعلمين ليست للزمان ولا للمكان فالظاهر ان الظرفية فيهما اعتبارية مجازية والله أعلم وجملة وسوّ الخ معطوفة على ما قبلها، وقوله واحفظ فعل أمر من حفظ بكسر الفاء يحفظ بفتحها وفاعله ضمير المخاطب وهو المدرّس وقلوبهم جمع قلب مفعول باحفظ وضمير الجمع عائد على الطلبة مضاف اليه ما قبله وأجمعين توكيد للضمير فهو مجرور بالياء والتوكيد بأجمعين غير مسبوق بكل قليل والكثير سبقه بكل كما قال في الخلاصة

وبعد كل أكدوا بأجمعا * جمعاء أجمعين ثم جُمَعا

ودون كل قد يجيء أجمع * جمعاء أجمعون ثم جمع

وجملة واحفظ الخ معطوفة على ما قبلها ﴿والمعنى﴾ سوّ أيها المدرّس بين المتعلمين من غير أن تميز بين غني وفقير ورفيع وحقير بل اجعلهم في التعليم والبرور سواء واحفظ قلوبهم كلهم أجمعين وهذا بالنسبة الى أصل البرور والرفق والتعليم الذي هو مقصودهم والاقبال كل عليه بما يليق به مطلوبة ومراعاة التمييز على قدر الشرف والنجابة مرغوبة ففي القانون لابي علي اليوسي ومنها أي من آداب المدرس أن يكرم المتعلمين عليه وينزلهم منازلهم في السن والشرف والنجابة وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم أصحابه ويكنيهم ويسميهم بأحب أسمائهم اليهم وهذا مع التلطف بالجميع وخفض جناح الرحمة عليهم ويلتفت اليهم ويواجههم ولا يخص بمواجهته أحدا بحيث ينكسر قلب غيره اللهم إلا من سأل أو قرأ شيأ أو خاطبه خاصة في أمر فيواجهه بقدر الحاجة ومن سأله استمع منه رفيعا أو وضيعا اللهم الا أن يستحق تعنيفا التعنت أو نحوه اهـ ومما يخص به النجيب من الطلبة ويفرد به الاسئلة والابحاث من الشيخ للتلامذة بقصد اختبارهم وتشحيذ أذهانهم ورسوخ ما يلقيه اليهم في قلوبهم قال العلماء على قوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر لما سأله جبريل بحضرة الصحابة عن الايمان والاسلام الخ يا عمر أتدري من السائل يؤخذ من الحديث انه يندب تنبيه المعلم تلامذته والكبير من دونهم على فرائد العلم وغرائب الوقائع طلبا لنفعهم ومزيد فائدتهم وتيقظهم اهـ (ولبعضهم في معنى كلام الناظم)

علّم العلم لمن أتاك لعلم * واغتنم ما حييت منه الدعاء

وليكن عندك الفقير اذا ما * طلب العلم والغنيّ سواء

(ثم قال الناظم)

165 ﴿فهذه آداب ذي التدريس * من غير خلف لا ولا تدليس﴾

الفاء زائدة أو واقعة في جواب شرط مقدّر تقديره اذا علمت ما مر فهذه الخ وهذه مبتدأ والاشارة عائدة لما مر من الآداب وآداب جمع أدب خبر المبتدأ وذي بمعنى صاحب مضاف اليه آداب والتدريس مضاف اليه ذي وهو مصدر درّس بالتثقيل اذا قرأ أو كرر ويقال أدرس بالالف أيضا ودرّس كذلك

من بابى قتل وضرب كما مر عند قول الناظم باب آداب المدارس وقال الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) مانصه تدريس بمعنى الاخذ بالظاهر من غير تحقيق مولد مشهور فى كلام المصنفين بمعنى انه كلام ظاهرى يقال فى مجالس التدريس لا كلام تحقيقى يثبت فى الكتب والصحائف وكذا فى حاشية السعد فى اضافة مالك يوم الدين وفى بعض شروح المفصل التدريس خلاف التحقيق وفى الصدر الاول كانوا يقولون كلام مسجدى لغير محقق وهو بمعناه أيضا لأن حلق التدريس فى المساجد اه باختصار فتأمله ومن غير متعلق بمحذوف حال من آداب وخُلف مضاف اليه غير وهو اسم مصدر اختلف يختلف ولا زائدة لتوكيد النفى المأخوذ من غير وقوله ولا الواو للعطف ولا زائدة مؤكدة للنفى أيضا وتدليس معطوف على خلف والتدليس مصدر دلّس يدلس اذا خان وأخفى ما ينبغى بيانه ومنه التدليس فى البيع ﴿والمعنى﴾ هذه الآداب التى قدمتها وسردتها هى آداب المدرّس من غير اختلاف فيها ولا إخفاء لها وليس فى كلامه ما يقتضى انه أتى على جميع الآداب المطلوبة من المدرّس اذ بقى عليه منها جملة ﴿تتميم فى بقية آداب تتعلق بالمدرّس﴾ (منها) أنه اذا فهم من حال الطلبة الملل ينبغى أن يقوم عنهم ولا يعلمهم الا فى وقت نشاطهم كما قاله العلامة سيدى أحمد بابا فى اختصاره للمواهب القدوسية فى المناقب السنوسية لأبى عبد الله محمد بن ابراهيم الملالى (ومنها) انه ينبغى له بل يجب عليه أن لا يجحد ضرورة وأن لا ينزعج عند ايراد المسائل عليه والاكثار منها والالحاح عليه بها لأن الانزعاج ليس من شيم العلماء ولا من أخلاقهم وكذلك جحد الحق ليس من شيمهم بل من شيم من لا خير فيه قاله فى المدخل (ومنها) انه يجب عليه أن لا يعتقد ان الصواب لا يكون الا معه وان ردّ التلميذ عليه لا يكون الا خطأ، قال أبو على اليوسى فى القانون وحقٌّ على العالم أن لا يعتقد أن الصواب لا يكون الا معه ولا أنه فى غنية من الزيادة وكفاية عن الفائدة هيهات بل حقه أن يجلس على نية أن يفيد ويستفيد اه فالحق خلق من خلق الله يظهره الله حيث شاء، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها كما فى الحديث * وقال الامام المواق فى سنن المهتدين ويكون يعنى المعلم فى طلب العلم كناشد ضالة كما قال صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يقرأ عليه فيرى الذى يقرأ معه معينا لا خصما ويشكره اذا عرّف له الخطأ أو أظهر له الحق كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى موضع آخر أكان يشكره أم يذمه وأكان يكرهه أم يفرح به وكذا الشيخ مع التلميذ والتلميذ مع الشيخ اه وقال فى المدخل وينبغى أن يكون أى المعلم خائفا على نفسه من التقصير مشفقا عليها فى التبليغ يراها ليست أهلا لذلك وانها أقل عبيد الله وأكثرهم حاجة اليه وأفقرهم للتعلم كما قيل العالم عالم ما كان يرى نفسه أنه جاهل فاذا رأى نفسه أنه عالم فقد جهل بل مسترشد متعلم يقعد مع اخوانه يرشدهم ويسترشد منهم ويعلمهم ويتعلم منهم قال وقع لى سؤال مع أبى محمد يعنى ابن أبى جمرة رحمه الله لما جئت أقرأ عليه فقال لى أما تقرأ على العلماء فقلت أريد أن أقرأ عليك فقال استخر الله تعالى فاستخرت الله تعالى ثم جئت اليه فقلت أقرأ قال عزمت قلت نعم فقال لى لا يخطر بخاطرك ولا يمر ببالك أنك تقرأ على عالم ولا أنك بين يدى شيخ انما نحن إخوان نتذاكر أشياء من أحكام الله تعالى علينا فعلى أى لسان خلق الله الصواب والحق قبلناه وان كان صبيا فى المكتب فاذا قعد الانسان للتعليم على هذا الترتيب الذى ذكر فلا شك انه من أعظم الناس منزلة وأكثرهم خيرا وبركة اه (ومنها) أنه لا ينبغى له أن يترك الدرس لعارض يعرض له كجنازة أو غيرها اذ سماع مسئلة واحدة من العالم أفضل من سبعين حجة مبرورة كما قال بعض العلماء فأين هذا من فضل الجنازة وكذلك لا يترك الدرس لاجل مريض يعوده أو ما أشبهه من التعزية والتهنئة المشروعة لان هذا كله مندوب

وتعليم العلم أوكد منه قاله في المدخل وذكر له أدلة انظره (ومنها) أنه لا ينبغي له أن يرى لنفسه حق المشيخة على التلميذ فان في ذلك رفعا للنفس وتحريضا لها على التكبر وحب الرفعة، قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في المنن ثم لما درست كنت أعد نفسي مع الطالب كأني جاهل فلا أستحضر يوما أني رأيت نفسي شيخا عليه انما أرى ذلك مذاكرة يفيدني مرة وأفيده أخرى وقد كان على هذا القدم جماعة منهم سيدي عبد الله المنوفي شيخ الشيخ خليل صاحب المختصر، ومنهم الشيخ عبد الحق السنباطي ومنهم الشيخ عبد الرحيم الابناسي رضي الله تعالى عنهم فكانوا يرون إقراءهم العلم انما هو مذاكرة فالحمد لله الذي جعل لي اسوة بهم اهـ ونقل في محل آخر من المنن أيضا عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه قال ما جالست مجلسا قط أريد فيه أن أعلو على القوم الا وافتضحت وأرتج علي في الكلام وما جالست مجلسا قط أريد فيه أن أستفيد من القوم الا وقت وهم معترفون كلهم بفضلي اهـ (ومنها) انه ينبغي له أن يكرم المتعلمين بما أمكنه من أنواع الإكرام ولو بالتلطف في الكلام وطلاقة الوجه والابتسام، فإن ذلك أدعى لحبهم له ورغبتهم فيه وغبطتهم في حضور مجالسه فيحصل النفع المقصود، وأيضا في اكرامهم اكرام للعلم والشريعة وامتثال لايصائه صلى الله عليه وسلم بطالب العلم (عن أبي هرون العبدي) قال كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم استوصوا بهم خيرا اهـ (ولبعضهم)

ترفق بمن يأتيك للعلم طالبا * وقل مرحبا يا طالب العلم مرحبا
ومن يسر الله الطريق لجنة * له فجدير بالترحب والحبا

(ولابن بشكوال) وكان ينشدها لمن يأتيه لطلب العلم

أهلا وسهلا بالذين أحبهم * وأودهم في الله ذي الآلاء
أهلا بقوم صالحين ذوي تقى * حسن الرجال وزين كل ملاء
يسعون في طلب الحديث بعفة * وسكينة وتوقر وحياء
لهم المهابة والجلالة والنهى * وفضائل جلت عن الإحصاء
ومداد ما تجري به أقلامهم * أزكى وأطهر من دم الشهداء
ياطالبي علم النبي محمد * ما أنتم وسواكم بسواء

وذيلها أبو العباس العزفي بقوله

سماكم خلفاءه ودعا لكم * فلكم بذا فضل على الخلفاء

يشير للحديث على خلفائي رحمة الله (ومنها) أن لا يدع من نصح المتعلم شيأ وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتصدي لعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على أن يطلب العلوم للتقرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن ويحرضه على طلب العلوم النافعة وتجنب الضارة دينا أو دنيا كالخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد المتجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة قاله في الاحياء (ومنها) أن لا يقبح للمتعلم علما لا يحسنه هو أو لا يعرفه أصلا كمعلم علم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير ويقول ان ذلك نقل محض وسماع شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام

في تحيض النسوان، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم من غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة قاله في الاحياء أيضا (ومنها) أن يجلس عند الاقراء على ركبتيه إن أمكن مباشرا في جلوسه الأرض ولا يجلس على كرسي لأن ذلك أقرب الى التواضع وعدم الكبر سيما والجلوس على الكراسي للإقراء بدعة لم تكن في الصدر الاول قال العلماء المؤلفون في البدع: ومن البدع ما أحدثه المنتسبون الى العلم ولا سيما أهل المغرب من الجلوس على الكراسي وقد كان من هدي العلماء في قعودهم أن يجمع أحدهم في قعوده وينصب ركبتيه ومنهم من كان يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه كذلك كانت شمائل كل من تكلم في هذا العلم قبل أن تظهر الكراسي، وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي خبر آخر كان يقعد على قدميه ويجعل مرفقيه على ركبتيه وأول من قعد على الكرسي يحيى ابن معاذ الرازي وأبو حمزة البغدادي فعاب الأشياخ ذلك عليهما ولم تكن سيرة العارفين الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين فإنما كان جلوسهم الاحتباء وكان يجلس متربعا النحويون وأهل اللغة وهي جلسة المتكبرين ولما تكلم العلماء على إحداث بدعتين في المنبر أولهما جعله عاليا أكثر من ثلاث درج التي هي السنة فيه، ثانيهما ادخاله في بيته عند فراغ الخطيب والسنة فيه ابقاؤه منصوبا قالوا وأعظم من هذه البدعة اتخاذ الكراسي واحداثها في المساجد للاقراء فهي غاصبة لمواضع من المسجد ولا سيما وهي لا تنقل ولا تحوّل من مواضعها دائما اه ﴿قلت﴾ وذلك شامل لكراسي التدريس والوعظ غير أنه ينبغي أن يقال ان الجلوس على الكرسي اذا كان لأجل اسماع الحاضرين لكثرتهم فلا بأس به بل ينبغي أن يطلب حينئذ أو كان من محبس فيتبع شرطه حينئذ ولو قلنا بالكراهة في المختصر واتبع شرطه إن جاز أي أو كره كما للشراح أو كان الجلوس عليه يزيد في قلوب العوام تعظيم العلم وأحرى ان كان يحدثه سيما في هذا الزمان الذي صار نظر الناس وخصوصا العوام للصورة الظاهرة ولكن هذا حيث انتفى فعله عن الكبر وحب العلو والاعمال بالنيات والله تعالى المرجو في اصلاح الطويات الى غير هذا من الآداب التي يشهد بها الطبع السليم مما لا يخفى على أولي الالباب والله الموفق بفضله وكرمه (ثم قال الناظم رحمه الله)

﴿باب آداب التلميذ مع الشيخ﴾

تقدم اعراب هذه الترجمة غير ما مرة والتلميذ بكسر التاء كما في درة الغواص وفتحها لحن وبالذال المعجمة هو المتعلم قال العلامة النقادة الشيخ مرتضى في شرح القاموس في مادة ترمذ ما نصه ومما استدركه صاحب اللسان في هذا الباب التلميذ جمعه التلاميذ وهم الخدم والأتباع ونقل شيخنا عن عبد القادر البغدادي في شرحه على شواهد المغني وحاشيته على الكعبية ٢ ان المراد منه المتعلم أو الخادم الخاص للعلم ثم قال وقد ألف فيه رسالة خاصة جزاه الله خيرا اه كلام شارح القاموس ومراده بشيخه اذا أطلقه العلامة ابن الطيب محشي القاموس، ونص ابن منظور صاحب اللسان التلاميذ الخدم والاتباع واحدهم تلميذ اه منه بلفظه، ونص ابن الطيب وبقي على المصنف من مهمات هذا الفصل لفظ التلميذ فان المعروف فيه اعجام الذال وحكى بعضهم اهمالها والمصنف أغفله في كل منهما وكان الاولى ذكره اياه فيهما وقد بسط عليه الكلام العلامة عبد القادر البغدادي في شرحه على شواهد المغني وحاشيته على الكعبية بل اعتنى به فألف فيه رسالة مستقلة جزاه الله خيرا والمراد به المتعلم أو الخادم الخاص للعلم اه منه بلفظه فلم يذكر صاحب اللسان ولا شارح القاموس جمع التلميذ تلامذة كما هو شائع على الالسنة

٢ أي قصيدة كعب بن زهير اه مؤلفه

بل تلاميذ فقط، لكن وجدته في حديث نقله العلامة الطرنباطي في كتاب (بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الاحكام) ونسبه للديلمي من حديث ابن عمر مرفوعا يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغت عدد نجوم السماء والله أعلم ومع متعلق بمحذوف نعت للآداب أي آداب التلميذ المطلوبة منه مع الشيخ وتقدم ما يتعلق بلفظ الأدب والشيخ عند قول الناظم وساؤا الأدبا على الشيوخ وقد قسمنا الادب هناك الى أقسام، وقسم الشيخ زروق في بعض شروحه للحكم الأدب تقسيما آخر غير ما مر لنا وان كان قريبا منه اذ قال قال أبو نصر السراج الناس في الأدب على ثلاث طبقات أهل الدنيا وأكثر آدابهم في البلاغة وأخبار الملوك وأشعار العرب، وأهل الدين وأكثر آدابهم رياضة النفوس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمسارعة الى الخيرات وأهل الخصوصية من أهل الدين وآدابهم حفظ القلوب ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية اه وكلام الناظم من قبيل القسم الثاني هنا كما لا يخفى (واعلم) أن من أعظم أسباب الفتح على التلميذ حسن أدبه مع أشياخه بأن ينظر اليهم بعين الاحترام ويعتقد رجحانهم على أكثر أهل طبقتهم فذلك أقرب الى انتفاعه بهم ورسوخ ما يسمعه منهم في ذهنه، قال بعضهم ومن لم ير خطأ شيخه أفضل من صواب غيره لم ينتفع به اه وقد نصوا على ان من آداب المتعلم المبالغة في حب شيخه واجلاله وتبجيله وعدم إيثار الغير عليه ولو الأبوين لأن حق المعلم أقوى من حق الأب فان المعلم سبب الحياة الباقية والأب سبب الحياة الفانية، ولذا قال الاسكندر لما قيل له أمعلمك أكبر عليك أم أبوك فقال بل معلمي *وقيل لبزرجمهر ما بال تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لأبيك قال لأن أبي كان سبب حياتي الفانية ومعلمي كان سبب حياتي الباقية (ولبعضهم في هذا المعنى)

يا فاخراً بالعظام والسلف * وتاركاً للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب * لأن جعلنا عوارض التلف
من علم الناس فهو خير أب * ذاك أبو الروح لا أبو النطف

(ولآخر)

أفضل أستاذي على والدي الأدنى * وان نالني من والدي البر واللطف
فذاك مربي القلب والقلب جوهر * وهذا مربي الجسم والجسم كالصدف

(وقال آخر)

عظم شيوخك والزم رعي جانبهم * ان الشيوخ لهم عليك ما لأب
وان بدا لك علم عند منخفض * فاجن الثمار فما عليك في الخشب

(وقال آخر)

رأيت أحق الحق حق المعلم * وأوجبه حقا على كل مسلم
لقد حق أن يهدى اليه كرامة * لتعليم حرف واحد ألف درهم

(ودخل) الواثق يوماً على هرون بن زياد معلمه فبالغ في تعظيمه واكرامه فقيل له في ذلك فقال هو أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمته *وحجب العتابي يوماً على باب المأمون وكان مؤدبه فكتب اليه

ان حق التأديب حق الأبوه * عند أهل الحجا وأهل المروه
وأحق الأنام أن يحفظوها * ويعوها لأهل بيت النبوه

فدعابه وأحسن صلته وآلى على حاجبه أن لا يحجبه بعد *وفي الإحياء ان من وظائف المعلم الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد لولده بان

بقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم، وانما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه اه وقال بعض العلماء على حديث ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة الوالد على ولده، ودعوة المظلوم ودعوة المسافر ما نصه والمعلم في معنى الوالد بل أعظم قال ابن رسلان حتى قال بعض أصحابنا عقوق الوالد يغفر بالتوبة بخلاف عقوق الشيخ والمعلم نقله العلامة الخرشي في كبيره عند قول الشيخ خليل في باب الصوم كوالد وشيخ، وقال أبو بكر بن العربي في كتابه (سراج المريدين) إثر كلام يأتي نقله عنه ما نصه وهم أي الشيوخ في الحقيقة آكد من الآباء في المبرة اه وحكى بعض أكابر العلماء الإجماع على أن خدمة الشيخ مقدمة على خدمة الوالد قال عملا بما مضى عليه عمل الصحابة معه صلى الله عليه وسلم لأنهم رضوان الله عليهم لم يزالوا يخدمونه صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وأموالهم وعيالهم ويعظمونه كل التعظيم اه وقال الامام الماوردي وقد رجح كثير من العلماء حق المعلم على حق الوالد اه ذكره في كتابه آداب الدين والدنيا وقد جعل الشارع الشيخ كالوالد في مسائل من الفقه كمسئلة الفطر من النفل قال خليل وقضى في النفل بالعمد الحرام ولو بطلاق بت إلا لوجه كوالد وشيخ وان لم يحلفا اه قال ابن غلاب المراد بالشيخ شيخ الطريقة اذا أخذ على نفسه العهد أن لا يخالفه، قال ابن ناجي وظاهر المذهب انه لا يتنزل منزلة الأب شيخه المعلم للعلم يعني الشرعي وألحقه به بعض من لقيته اه وبالجملة فحقوق الشيخ على التلميذ كثيرة مؤكدة ستأتي في كلام الناظم وشرحه مسرودة معددة ❊ تنبيهان ❊ الأول ❊ تثبت المشيخة للشخص على التلميذ بتعليمه ولو مسئلة واحدة كما يرشد اليه ما نقل عن سيدنا عيسى عليه السلام أن ابليس قال له قل لا إله الا الله فقال له أقولها لا لقولك وذلك كما ذكروا أن ابليس أراد أن يكون عيسى تلميذا له فحماه الله وقد عد ابن عربي قدس سره من أشياخه الحبشة التي سألته في البحر عن حكم امرأة مسخ زوجها هل تعتد عدة الطلاق أو عدة الوفاة فتوقف عن الجواب حتى تلمذ لها فقالت له إن مسخ جمادا اعتدت عدة الوفاة وان مسخ حيوانا اعتدت عدة الطلاق، وكذلك عامر بن الظرب الجاهلي لما توقف في حكم الخنثى مدة وقالت له جاريته سخيلة أتبع القضاء المبال سامحها في التأخير وراعاها مراعاة الاشياخ باشارتها عليه بمسئلة واحدة من العلم، وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقوم لرجل من العوام اذا دخل عليه ويعظمه ويقول انه علمني علامة بلوغ الكلب وان الحر من راعى وداد لحظة، وانتمى لمن أفاد لفظة، واللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ونسي فضل معلميه، وقال شعبة رضي الله عنه من كتبت عنه أربعة أحاديث فأنا عبده الى أن أموت، وقال أبو علي اليوسي في فهرسته كل من أفادك علما فهو شيخك فيه اه وقال أيضا في بعض أجوبته فان من علمك حرفا فهو مولاك والمولى مخدوم اه وأصله قول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه أنا عبد من علمني حرفا (ولبعضهم)

اذا أفادك انسان بفائدة ❊ من العلوم فلازم شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة ❊ أفادنيها وألق الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكر المفيد له ❊ خيرا ويشكره ان قام أو قعدا

لكن غير خفي ان الحق والحرمة للشيخ تكون على قدر الانتفاع به فليس من أفادك فائدة واحدة كمن أفادك أكثر وليس من لازمته أيام طلبك كلها كمن لازمته في بعضها ❊ الثاني ❊ اطلاق الشيخ على من تنتهي اليه السلسلة ولو بوسائط شائع الاستعمال قاله بعضهم اذ لا فرق بين من أفادك بلسانه أو ما سطرته بنانه (ولبعض المتأخرين في هذا المعنى)

المؤلف رحمه الله مغربي وكلا جدا اما يكون هو حيا رغم فضله وعلمه، فتامل فعله ابن عربي والحبشية وهو كلام سخيف

هذا كذب

فهل بين من يعطيك علما بخطه * ومن بخطابه ٣ يفيدك من فرق

بذا الاعتبار ان تقل لؤلف * تفيت بشيخى فقد فهت بالحق

فعلى الشخص أن يعظم أشياخ أشياخه ومن فوقهم بما يمكن كما يعظم أشياخه اذلولاهم لما وصل ذلك العلم الى أشياخه الذين استمدّ هو منهم

والمرء في ميزانه أتباعه * فاقدر اذن قدر النبى محمد

ثم ان بعض نسخ الناظم فى الترجمة باب صفة الشيخ وآداب التلميذ معه والمراد بصفة الشيخ ماذكره فى البيتين الاوّلين وان كان قد عقد لأوصافه المطلوبة بابا بعد هذه (قال رحمه الله)

166 ﴿واقرأ على شيخ ذكىّ ذى ورع * مهذب النفس هواه قد قمع﴾

الواو للاستئناف واقرأ فعل أمر فاعله ضمير المخاطب وهو المتعلم وعلى الشيخ متعلق باقرأ وذكى نعت لشيخ والذكى بالذال المعجمة هو الفطن الحاذق وذى ورع وصف بعد وصف لقوله شيخ والورع فى الاصل التقوى والكف عن المحارم ثم استعير الكف عن الحلال والمباح قاله فى شرح القاموس وفعله من باب ورث ووجل ووضع وكرم كما فى القاموس ومهذب النفس أى مطهرها وصف ثالث لشيخ وهو بالذال المعجمة على وزن اسم المفعول وقوله هواه مبتدا والضمير المضاف اليه هو عائد على الشيخ وقد قمع جملة من فعل وفاعل فى محل رفع خبر المبتدا وجملة المبتدا والخبر وصف رابع لشيخ ومعنى قمع هواه أذله وأهانه وغلبه ولم يستول عليه حتى يخرج به عن الحدود الشرعية ﴿والمعنى﴾ اقرأ أيها الطالب على شيخ ذكىّ حاذق ورع مطهر الاخلاق قد قتل هوى نفسه وصار يغلب عليها اذا راودته على مالا ينبغى شرعا أو طبعا وسيأتى الكلام على الورع فى الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى (ثم قال الناظم)

167 ﴿مشتهرا بالفهم والتحرير * متصفا بالعالم النحرير﴾

مشتهرا بالنصب فى جميع النسخ فهو حال من شيخ وصاحب الحال وان كان نكرة لكنه تخصص بالاوصاف السابقة فاتيان الحال منه حينئذ جرى على الغالب كما تقرّر فى مبحث الحال من فنّ النحو وبالفهم متعلق بمشتهرا وهو مصدر فهم المسئلة يفهمها اذا عرفها وأدركها والتحرير معطوف على الفهم وهو أيضا مصدر حرّر المسئلة يحرّرها اذا خلصها وقوّمها وأسقط غلطها وغثها ومتصفا حال ثانية من شيخ على مذهب الجمهور من جواز تعدّد الحال وصاحبها واحد ومنعه ابن عصفور ونقل المنع عن الفارسى وجماعة ويجعلون الثانى نعتا للاوّل مالم يكن العامل فيه أفعل التفضيل متوسطا بين الحالين فيجوز باتفاق نحو هذا بسرا أطيب منه رطبا وسند منعهم فى غير اسم التفضيل قياسهم على الظرف قال العلامة بدر الدين ولد ابن مالك وليس بشئ أى للفرق الظاهر بينهما لان وقوع الفعل الواحد فى زمانين أو مكانين محال وأما تقييده بقيدين فلا بأس به ويجوز عند التعدّد عطف بعض الاحوال على بعض وعدمه فن الاوّل قوله تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدّقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا ومن الثانى كلام الناظم كقول الشاعر

علىّ اذا ما جئت ليلى بخفية * زيارة بيت الله رجلان حافيا

وبالعالم متعلق بمتصفا والعالم اسم فاعل من علم الشئ يعلمه علما بالكسر اذا عرفه فكل من عرف شيأ من الاشياء يقال له عالم به ثم خصه الشرع بعالم شئ خاص وهو قواعد العلوم ويجمع العالم على علماء وعلام كجهال ويقال العالم جدّا علامة وعلام كشدّاد وعلام كزنار والتعلمة والتعلامة بكسر التاء فيهما * وقد وقع خلاف كثير فى العلم فقال جماعة لا يحدّ لظهوره وكونه من الضروريات وقيل لصعوبته وعسره

٣ (قوله ومن بخطابه الخ) كذا بالأصل وهو غير مستقيم وزنا وان استقام معنى والمناسب أن يقال ومن بخطاب قد يفيدك من فرق اه مصححه

وقيل غير ذلك مما أورده أبو علي اليوسي في القانون وشراح كتب المنطق عند الكلام على أنواع العلم الحادث فلينظره مبتغيه وهو مقسم الى تقسيمات باختلاف الاعتبارات وقوله النحرير نعت العالم والنحرير بكسر النون ويقال النحر بكسرها أيضا هو الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير من نحر العلم نحرا وهو مجاز عن النحر للابل مثلا ﴿والمعنى﴾ ان الشيخ الذي يقرأ عليه العلم يكون موصوفا بالاوصاف السابقة في البيت قبل من كونه ورعا مهذب الاخلاق حالة كونه مشتهرا بين الناس بالفهم والتحرير متصفا عندهم بالعالم النحرير لان مثل هذا هو الذي تطمئن النفس للاخذ عنه والعلم لا يؤخذ الا عمن أخذه عن أهله ووثق بفهمه وعقله فأفاد الناظم رحمه الله ان الذي يؤخذ عنه العلم يعتبر فيه الورع وتهذيب الاخلاق مع الاتقان والتحرير ولا يكفي الزهد والورع عن الاتقان والفهم ولا العكس قال مالك لقد أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى الناس بهم المطر لسقوا وقد سمعوا العلم والحديث كثيرا ما حدثت عن أحد منهم شيأ لانهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد والفتوى تحتاج لمن له تقى واتقان وعلم وفهم فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل اليه غدا فأما زهد بلا اتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه اه وقال ابن مسعود لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فاذا أخذوه عن شرارهم ضلوا * ونقل أبو عمر بسنده أن عطاء الخراساني كان اذا صلى يتكلم بكلمات فغاب يوما فتكلم رجل من المؤذنين فسمع رجاء بن حيوة صوته فقال من هذا قال أنا قال اسكت فانا نكره أن نسمع الخير الا من أهله وفي مسلم والترمذي عن ابن سيرين هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وعن أنس وأبي هريرة كما في الجامع الصغير ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم قال المناوي فعلى الطالب أن يتحرى الاخذ عمن اشتهرت ديانته وكملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته، وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق حسن ثم قال واذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبا والفلاح يدرك طالبا الا اذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر وعلى نصحه للطلبة دليل ظاهر ثم قال قلت فان لم يجد طالب العلم من توفرت فيه الشروط على التمام والكمال فلينظر من يقارب من توفرت فيه فليأخذ عنه فان مصيبة الجهل لا تعدلها مصيبة وقد نص الفقهاء على أنه اذا لم توجد شروط الخلافة أو شروط القضاء أو شروط الشهادة فانه يقدم لذلك أمثل أهل ذلك الزمان ولا يجوز أن يترك الناس فوضى لئلا تضيع الحقوق انتهى المراد من كلامه ولهذا علق الناظم الاوصاف السابقة على وجدانها فقال

168 ﴿إن يلف ذا فعن سواه يعدل * لأنه للمتناهي أفضل﴾

ان حرف شرط ويلف فعل مضارع مبني للمجهول بمعنى يوجد مجزوم بان بحذف الالف وذا نائب فاعل يلف والاشارة للشيخ الموصوف بالاوصاف السابقة وقوله فعن الخ الفاء رابطة للجواب بالشرط وعن سواه متعلق بيعدل والضمير المضاف اليه سوى يعود على الشيخ الموصوف سابقا ويعدل بالدال المهملة فعل مضارع مبني للمجهول واقع في جواب الشرط والنائب عن الفاعل هو لفظ العدول المأخوذ من يعدل ويحتمل ان الجار والمجرور قبله هو النائب عن الفاعل ﴿فان قلت﴾ النائب عن الفاعل له حكم الفاعل وهو لا يتقدم على الفعل فكذا ما ناب عنه ﴿قلت﴾ علة المنع هي خوف التباس الفاعل أو النائب بالمبتدا كقولك زيد ضرب واللبس هنا مأمون اذ الجار والمجرور لا يصلح للابتداء الاصطلاحي وقوله لانه الخ علة لقوله يعدل والضمير الذي هو اسم ان عائد على ما عاد عليه الضمير ان قبله وأفضل خبر ان وللمتناهي متعلق بأفضل والمفضل عليه محذوف أي من غيره والمراد بالمتناهي غير المبتدي ﴿والمعنى﴾

هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا * وفي الحديث من وقّر عالما فقد وقّر ربه * وقد صب الرشيد الماء على يد معاوية الضرير حين فراغه من الاكل تعظيما للعلم * ورأى الرشيد أيضا بعض أولاده يصب الماء على رجل الاصمعي شيخه وهو يتوضأ أو يغسل رجليه فعاتب الاصمعي في ذلك وقال اني بعثته لك لتعلمه وتؤدّبه فلم تأمره أن يصب الماء باحدى يديه ويغسل رجلك بالاخرى * وروى أن هرون نفسه بعث الى مالك ليأتيه فيحدّثه فقال مالك ان العلم يؤتى ولا يأتي فسار الرشيد ليأخذ عنه فاستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام الرشيد فجلس بين يديه فحدّثه * وقال الشافعي رضي الله عنه كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها وكان رضي الله عنه شديد الخدمة لاشياخه واهانة نفسه في خدمتهم فقيل له في ذلك فقال

أهين لهم نفسي وهم يكرمونها * ولن تكرم النفس التي لا تهينها

* وقال الربيع والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر اليّ هيبة له وقال بعض العلماء ما مددت رجلي الى جانب قبر أستاذي استحياء من روحه وقد ذكروا أن من كمال العقل وحسن المداراة اكرام ستة أشخاص أشار لهم من قال

عليك بتعظيم واكرام ستة * من الناس واحذر شرّهم وتوقه

طبيب وحجام وشيخ وشاعر * وصاحب ديوان ومن يتفقه

ولا يخفى ما يترتب على جفاء هؤلاء الستة من الضرر الديني أو الدنيوي * وقال بعض أكابر العلماء واعلم أن من آداب التلميذ مع الشيخ أن لا يزال ناظرا اليه بعين الاجلال ويعتقد فيه درجة الكمال ويتواضع له ويخضع بين يديه ويهابه غاية المهابة ويعلم أن خضوعه له عز وذلته بين يديه رفعة اهـ وقال الامام ابن العربي في (سراج المريدين) وكما يلزم برّ الوالدين يلزم برّ المعلمين على المتعلمين بان يقبلوا أيديه ويعينوه في شغله ويمشوا ان ركب حوله ويعظموا قدره ويجعلوه قبلتهم وينظروا اليه وينصتوا له ويوقروه ويستأذنوه في السؤال ولا يحفظوا زلاته ولا يطلبوا غرته اهـ (ولابي عمرو الداني رحمه الله)

فالتزم الاجلال والتوقيرا * لمن يريك العلم مستنيرا

وكن له مجلا معظما * مرفع القدر مكرّما

واخفض له الصوت ولا تضجره * وما جنى عليك فاغتفره

فحقه من أعظم الحقوق * وهجره من أعظم العقوق

(وقيل) ما وصل من وصل الا بالحرمة ولا سقط من سقط الا بترك الحرمة وقيل الحرمة خير من الطاعة ألا ترى ان الانسان لا يكفر بالمعصية وانما يكفر باستخفافها ومن لم يقم بما يجب عليه من التعظيم لاشياخه والاحترام عوقب بحرمان فوائدهم وحصر لسانه عند الموت وسلب الايمان عند الختام فمن خط العلامة الشيخ التاودي بن سودة رحمه الله ناقلا من خط أبي عبد الله التماق مانصه روي عن الشيخ سيدي أحمد زروق رضي الله عنه أنه قال من استحقر استاذه ابتلاه الله بثلاث عقوبات الاولى أن ينسى جميع ما حفظ عنه الثانية أن يكل لسانه عند الموت الثالثة أن يخرج من الدنيا بغير ايمان والعياذ بالله نسأل الله السلامة والعافية اهـ فالواجب على التلميذ ولو بلغ درجة شيخه أو جاوزها أن لا يزال مقرا بفضله شاكرا له بقوله وفعله اذ الكريم من راعى وداد لحظة ولم ينس من أفاد لفظة قال العارف الشعراني في المنن ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ شهودي فضل معلمي عليّ ولو بلغت الغاية في الترقي فانه هو الذي أعطاني مادة الترقي حتى عرفت بها ما عرفت فمن نسي فضل معلمه عليه فهو لئيم كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه الى أن قال الشعراني وقد كثرت خيانة هذا الخلق

من كثير من الناس فيتعلم أحدهم العلم أو الصنعة ثم بعد قليل يسيئون الادب مع معلمهم ويسعون على وظيفته وينسون فضله عليهم ثم قال وبالجملة فمن قطع حبل معلمه قطع الله عنه الامداد اهـ وقال أيضا في كتابه البحر المورود في المواثيق والعهود ثم من علامات صدق شيخنا في الطالب عدم احتفاله بالعمل أن نراه غير معظم لمعلمه لا يرمي ببصره الى الارض اذا خاطبه قليل الادب معه في الحضور غير حافظ لحرمته في المغيب يسعى على وظيفة معلمه أو خلوته أو بيته اذا مات ويعارض أولاده في ذلك ويرد كلام شيخه بفهمه أو بنقل آخر يجادل شيخه بما استفاده هو منه اهـ وقال أيضا في العهود المحمدية ولا نكاد نرى أحدا منهم أي من الطلبة يقوم بواجب حق معلمه وهذا داء عظيم في الدين مؤذن باستهانة العلم وبأمر من أمر باجلال العلماء صلى الله عليه وسلم فصار أحدهم يفخر على شيخه حتى صار شيخه يداهنه ويملقه حتى يسكت عنه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد بلغنا عن الامام النووي انه دعاه شيخه يوما ليأكل معه فقال ياسيدي اعفني من ذلك فان لي عذرا شرعيا فتركه فسأله بعض اخوانه ما ذلك العذر فقال أخاف أن تسبق عين شيخي الى لقمة فآكلها وأنا لا أشعر ثم قال في العهود ثم من أقل آفات سوء أدبك ياأخي مع الشيخ انك تحرم فوائده فاما بكتمها عنك بغضا فيك واما ان لسانه يتعقد عن ايضاح المعاني لك فلا تحصل من كلامه على شئ تعتمد عليه عقوبة لك فاذا جاء شخص من المتأدبين معه انطلق لسانه له لموضع صدقه وأدبه معه فعلم أنه ينبغي للطالب أن يخاطب شيخه بالاجلال والاطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ولا يجادله قط بعلم استفاده منه في وقت آخر الا على سبيل التعرف فيقول ياسيدي سمعنا كم تقررون لنا أمس خلاف هذا فماذا تعتمدون عليه من التقريرين الآن حتى نحفظه عنكم ونحو ذلك من الالفاظ التي فيها رائحة الادب وكذلك لا ينبغي له أن يتزوج امرأة شيخه مطلقة في حياته أو بعد مماته وكذلك لا ينبغي له أن يسعى على وظيفته أو خلوته أو بيته بعد موته فضلا عن حياته الا لضرورة شرعية ترجح على الادب مع الشيخ وكذلك لا ينبغي له أن يسعى على أحد من أصحاب شيخه أو جيرانه فضلا عن أولاده فان الواجب على كل طالب أن يحفظ نفسه عن كل ما يغير خاطر شيخه في غيبته وحضوره اهـ وقال الامام الماوردي ان التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لادامة صبره وباظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الاكثار ثم قال ولا يمنعه من ذلك علو منزلته وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالشهرة والمال اهـ ومن تعظيم الشيخ كما قاله بعضهم أن لا يقرع عليه باب داره بل ينتظر خروجه وانظر الى قوله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقد كان مالك ينتظر خروج نافع في حر الشمس نصف النهار فاذا دعته الحاجة لقرع بابه فليكن ذلك بلطف وأناة وأدب وغض بصر عمن يخرج لفتح الباب وعدم استقبال الباب بالوجه بل يتنحى بوجهه عن الباب لئلا يرى عند فتحه ما لا يحب الشيخ الاطلاع عليه * وقول الناظم واحترم من انتسب له يعني كولده ووالده وزوجته واخوانه وغيرهم ممن له به اتصال ففي المنن للعارف بالله الشعراني ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي كثرة محبتي وتعظيمي لاولاد أشياخي في العلم والطريق وأصحابهم ومن يلوذ بهم في حال حياة أشياخي وبعد مماتهم قياما بواجب حق أشياخي وأولادهم وأصحابهم وهذا الخلق يخل به كل من لم يفطم على يد شيخ فيكرهون أولاد شيخهم وأصحابهم وبالعكس وكيف يدعي أحدهم محبة شيخه ثم يبغض أولاده وأصحابه هذا شبيه بطريقة الروافض وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى يقول لما أرى أحدا من أولاد شيخي أو أصحابه أكاد أطير من الفرح وكأني رأيت شيخي ثم يقول * لعلي أراهم أو أرى من يراهمو * وكان رحمه الله تعالى يقول لو خدمت أولاد شيخي طول عمري وأعطيتهم كل ما بيدي من الدنيا ما قمت لهم بجزاء فان معرفة الطريق التي

أطلعني عليها وانذهم لا يقابل بالأعراض الدنيوية فقل أن ترى من لم يعظم شيخه فى لازمه غالبا الرعونات البشرية والاخلال بواجب الادب مع أولاد شيخه وأصحابه والنكتة فى ذلك أن صاحب الرعونة يطلب من أولاد شيخه أن يتلمذوا له ويربيهم وأولاد شيخه يطلبون منه أن يكون تحت حكمهم كما كان مع والدهم فلا يقدر ولا يقدرون ولذلك كان الغالب على الفريقين العداوة والبغضاء اهـ وقال بعض الاكابر من العلماء وكذا من آداب التلميذ مع الشيخ أن يعامل أولاده ومواليه وأقاربه وأحباءه وسائر من له اليه نسبة بما يعامل به شيخه وهذا شأن الصحبة والمحبة كما قيل

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

ومن احترام أولاد الشيخ أن لا يسعى بعد موت أبيهم على ما كان بيده من الوظائف كما تقدم فى كلام الشعرانى ﴿قلت﴾ لكن محله حيث كانت فى الاولاد أهلية لما كان بيد أبيهم والا فالمناصب الشرعية لا تورث بمجرد القرابة وراجع ما قدمناه صدر باب كيفية الاقراء ومن احترام زوجة الشيخ عدم التكشف عليها الا فى حياته ولا بعد مماته وقضاء مآربها التى توقفت عليها حيث لم يكن لها من يقوم عنها بذلك ومن ذلك أيضا عدم تزوجها بعد موت شيخه كما فى المنن للشعرانى وتقدم عنه فى كتابه العهود أيضا فان ذلك مما لا يرضاه الشيخ فترك تزوجها من تعظيم الشيخ وتعظيم زوجته وان كان أمرا مباحا فقد تترتب عليه مفاسد ذكرمنها فى المنن جملة فانظره * وقول الناظم وشكره عليك قد وجب المراد بالشكر العرفى وهو الثناء عليه باللسان وتعظيمه وتوقيره بالقلب والجنان وخدمته بالجوارح والاركان فان ذل النفس فى خدمة الاشياخ عز والتواضع لهم رفعة كما مر وقد أصلح الشيخ خليل رحمه الله كنيف شيخه المنوفى وكان أرسل له ليأتى بمن يصلحه فتولى ذلك بنفسه وكان ذلك سبب الفتح عليه * كان سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه يقول كما فى طبقات الاخيار أربع لا ينبغى لشريف أن يأنف منها قيامه من مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وقيامه على دابته ولو كان له مائة عبد وخدمته لمن يتعلم منه اهـ وفى روح البيان أثناء كلام فى بر الوالدين ما نصه ويباشر خدمتهما بيده ولا يفوضها الى غيره لانه ليس بعار للرجل أن يخدم معلمه وأبويه وسلطانه وضيفه اهـ باختصار وبالله التوفيق (ثم قال الناظم)

١٦٥ ﴿وادع له فى الغيب والحضور * بما يفيد فيضان النور﴾

الواو للعطف وادع فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والدعاء هو رفع الحاجات الى رفيع الدرجات ويقال أيضا هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع، وله متعلق به والضمير عائد على الشيخ وفى الغيب أى الغيبة عن الشيخ متعلق أيضا بادع والحضور معطوف على الغيب وبما متعلق أيضا بادع وما موصولة ويفيد صلتها وفيضان مفعول بيفيد وهو مصدر لفاض يقال فاض الشئ يفيض فيضا وفيضانا والنور مضاف اليه فيضان وجملة وادع الخ معطوفة على ما قبلها ﴿والمعنى﴾ ادع أيها الطالب لشيخك فى غيبته مع حياته أو بعد موته وفى حضوره معك بما تعود عليك فائدته بفيض نوره عليك، وعود بركته اليك، فان الدعاء لهم من شكرهم وتعظيمهم المتأكد، وقد ذكر الشيخ زكرياء الانصارى فى شرح ألفية العراقى أن قارئا قال للربيع حدثكم الشافعى ولم يقل رضى الله عنه فقال الربيع ولا حرف حتى تقول رضى الله عنه اهـ وفى الإحياء عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه قال ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعى ويروى نحو ذلك عن يحيى بن سعيد القطان مع شيخه الشافعى أيضا وفى تنبيه الغافل عن أبى يوسف أنه قال مثل ذلك فى حق أبى حنيفة وقال أبو حنيفة انى لأدعو لحماد بن سليمان يعنى شيخه فأبدأ به قبل أبوى وقال أيضا جعلت جميع أعمالى ثلاثة ثلثها لحماد وثلثها لابوى وثلثها

لنفسي ﴿واعلم﴾ أن الدعاء الذي هو طلب الحاجات من الله تعالى بلا واسطة هو من خصائص هذه الامّة المحمدية وأما الامم الماضية فكانوا يفزعون في حوائجهم الى الأنبياء تسأل الله تعالى لهم وقد روى معمر عن قتادة أنه قال أعطيت هذه الامّة ثلاثاً لم يعطها الانبي، كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقيل لهذه الامّة (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وكان يقال للنبي أنت شهيد على قومك وقيل لهذه الامّة (لتكونوا شهداء على الناس) وكان يقال للنبي سل تعط وقيل لهذه الامّة (ادعوني أستجب لكم) ﴿واعلم أيضاً﴾ ان المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب للآيات والأحاديث الصريحة الكثيرة الشهيرة، وان كان الدعاء لا يدفع القدر ولكنه عبادة رتّب سبحانه عليها من الفوائد والثمرات مالا يحصر ولا يحصى ﴿ومن أجوبة الحافظ﴾ أبي الوليد ابن رشد ما نصه * وسئل رضي الله عنه عمن قال في دعائه اللهم كما حسّنت خلقي فحسن خلقي فسمعه رجل آخر فقال له وأيّ معنى لهذا الدعاء لأنه دعاء لا منفعة فيه لأنه أمر قد فرغ منه فقال له الداعي اتق الله ولا تقل هذا فقال له نعم أقول هذا وأعلن به أليس في الحديث المأثور ان الله اذا خلق الجنين في بطن أمّه فرغ من رزقه وأجله ذكر أو أنثى شقي أو سعيد حسن أو قبيح فقال له الداعي نعم كذلك هو فقال ذلك الرجل فأي معنى لدعائك أن تقول فحسّن خلقي وهو شيء لا يكون أبداً لانه ان كان الله تعالى خلقك حسن الخلق فلا يسوء خلقك أبداً وان كان خلقك سيء الخلق فلا يحسن خلقك أبداً اذ هو أمر مفروغ منه وهذا من الدعاء الذي لا معنى له فسكت الداعي ولم يكن عنده من الحجة ما يجاوبه، فلك الفضل في بيان ما يرجع اليه في هذه المسئلة وما تعتقده منه وما ظهر لك من الأدلة في كتاب الله أو سنة رسول الله أن تسطره في جوابك وما يردع به هذا المشئوم وغيره حتى لا يجترئ على مثل هذا القول، وهل يجب عليه في قوله هذا أدب أو غير ذلك مأنا بذلك ومنعماً ومتطوّلاً مأجوراً مشكوراً ان شاء الله تعالى (فأجاب أيده الله بهذا الجواب) لا ينكر الدعاء الى الله تعالى الا كافر بالله مكذب بكتاب الله لأن الله تعالى تعبّد عباده به في غير ما آية من كتابه ووعدهم بالاستجابة واجابته اياهم تكون فيما سبق في علمه من أحد ثلاثة أشياء على ما ثبت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن داع يدعو الا كان بين إحدى ثلاثة إما أن يستجاب له وأما أن يدّخر له وإما أن يكفّر عنه وبالله التوفيق اهـ منها ﴿وقد سئل﴾ الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في الفتاوى الموصلية هل يعصي من يقول لا حاجة بنا الى الدعاء لأنه لا يردّ ما قدّر وقضي (فأجاب) من زعم انه لا يحتاج الى الدعاء فقد كذب وعصى ويلزمه أن يقول لا حاجة بنا الى الطاعة والايمان لأن ما قضاه الله من الثواب والعقاب لا بدّ منه وما يدري هذا الاحمق الأخرق ان الله تعالى رتب مصالح الدنيا على الأسباب ومن ترك الأسباب وبنى على أن ما سبق به القضاء لا يتغير لزمه أن لا يأكل اذا جاع ولا يشرب اذا عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى اذا مرض وأن يلقى الكفار بلا سلاح ويقول في ذلك كله ما قضاه الله لا يردّ وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل اهـ (ولقد أحسن ابن العماد الشافعي) في منظومته الأدبية اذ قال في الردّ على من يقول بترك الدعاء

وقال قوم وهت في العلم رتبتهم * ترك الدعاء له الترجيح في العمل

قالوا وفي تركه التسليم ثم له * فضل الرضا بالقضا بالترك فاحتفل

وفي الذي ذكروا حرمان تابعهم * ومارشاد الورى في رأي منعزل

وللقائلين بترك الدعاء على ذلك أدلة كلها واهية انظر (سفينة الراغب) ان شئت ﴿تنبيه يرفع اشكال عدم استجابة الدعاء لبعض الداعين﴾ قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عند قوله تعالى في سورة البقرة (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) الآية بعد ما ذكر حقيقة الدعاء وفائدته المسئلة الثالثة في الآية سؤال

مشكل

مشكل مشهور وهو أنه تعالى قال ادعونى أستجب لكم وقال فى هذه الآية أجيب دعوة الداع اذا دعان وكذلك قال أمّن يجيب المضطرّ اذا دعاه ثم انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرّع فلا يجاب (والجواب) ان هذه الآية وان كانت مطلقة الا انه وردت آية أخرى مقيدة وهى قوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء ولا شك أن المطلق محمول على المقيّد ثم تقرير المعنى فيه من وجوه * أحدها ان الداعى لا بدّ وأن يجد من دعائه عِوَضاً إما اسعافاً بطلبته التى لأجلها دعا وذلك إذا وافق القضاء، فاذا لم يساعده القضاء فانه يُعطَى سكينةً فى نفسه وانشراحاً فى صدره وصبراً يسهل معه احتمال البلاء الحاضر وعلى كل حال فلا يعدم فائدة دعائه وهو نوع من الاستجابة * وثانيها ما روَى القفال فى تفسيره عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعوةُ المسلم لا تردّ الا باحدى ثلاث ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم إما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يدّخر فى الآخرة وإما أن يصرف عنه السوء بقدر ما دعاه وهذا الخبر تمام البيان فى الكشف عن هذا السؤال لأنه تعالى قال ادعونى أستجب لكم فاذا استجاب له ولو فى الآخرة كان صادقاً * وثالثها ان قوله ادعونى أستجب لكم يقتضى أن يكون الداعى عارفاً بربه ومن صفات الرب سبحانه أن لا يفعل الا ما وافق قضاءه وقدَرَه وعلمه وحكمتَه فاذا علم العبد أن مَن صفته هكذا استحال أن يقول بقوله وفعله يا رب افعل الفعلَ الفلانى لا محالة بل لا بدّ وأن يقول افعل هذا الفعل ان كان موافقاً لقضائك وقَدَرك وحكمتك وعند هذا يصير الدعاء الذى دلت الآية على ترتيب الاجابة عليه مشروطاً بهذه الشريطة وعلى هذا التقدير يزول السؤال * ورابعها ان لفظ الدعاء والاجابة يحتمل وجوهاً كثيرة أحدها أن يكون الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله كقول العبد يا الله لا إله الا أنت وهذا يسمى دعاء لأنك دعوتَ الله ثم وحدته وأثنيتَ عليه فهذا يسمى دعاء بهذا التأويل ولما سمى هذا المعنى دعاء سمي قبولُه اجابة لتجانس اللفظ ومثله كثير، وقال ابن الانبارى أجيب عن الاشكال المذكور بوجوه الأوّل ان أجيبُ ههنا بمعنى أسمعُ لأن بين السماع والاجابة نوعَ ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر كقولنا سمع الله لمن حمده أى أجاب الله فكذلك ههنا قوله أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أسمع تلك الدعوة، فاذا حملنا قوله تعالى ادعونى أستجب لكم على هذا الوجه زال الاشكال * وثانيها أن يكون المرادُ من الدعاء التوبة عن الذنوب وذلك لأن التائب يدعو الله عند التوبة واجابة الدعوة بهذا التفسير عبارة عن قَبول التوبة وعلى هذا الوجه لا اشكال أيضاً * وثالثها أن يكون المراد من الدعاء العبادة قال عليه السلام (الدعاء هو العبادة) ومما يدل عليه قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) فظهر أن الدعاء ههنا هو العبادة اذا ثبت هذا فاجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كما قال (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) وعلى هذا الوجه لا اشكال * ورابعها أن تفسير الدعاء ان يطلب العبد من ربه حوائجه فالسؤال المذكور إن كان متوجهاً على هذه التفسيرات الثلاثة المتقدمة فقد ثبت أن الإشكال زائل وان كان متوجهاً على هذا التفسير فقد عرفت جوابه فى أوّل المسئلة اهـ كلام الرازى (قلت) ولا يخفى ما فى الوجه الثالث من وجوه تقرير المعنى فقد ورد فى الحديث اذا دعا أحدكم فليعزم المسئلة ولا يقل اعطنى ان شئتَ فانه لا مُكرِه له أو كما قال صلى الله عليه وسلم الا أن يريد الفخر عقد قلبه على ذلك لا قوله بلسانه لكن ظاهر لفظه على خلاف ذلك والله أعلم (ثم قال الناظم)

171 ﴿وكُن مُطيعاً وَالتَمِس رِضَاهُ * ولا تحاولْ غيرَ مَا اقتضَاهُ﴾

الواو عاطفة وكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب ومطيعاً خبرها ومتعلق مطيعاً محذوف أى له والتمس أى اطلب فعل أمر فاعله ضمير المخاطب ورضاه مفعوله والضمير المضاف اليه رضا عائد على

انظر رده اسفل

الشيخ والجملة معطوفة أيضا على ماقبلها وقوله ولا تحاول لا ناهية وتحاول أي تطلب مضارع مجزوم بلا
وفاعله ضمير المخاطب وغير مفعول به وهو مضاف لما واقتضاه أي طلبه وإذن فيه صلة ما والضمير المستتر
في اقتضاه عائد على الشيخ والضمير البارز عائد على ما هو الرابط بين الصلة والموصول وجملة لا تحاول الخ
معطوفة على الجمل قبلها (والمعنى) كن أيها الطالب مطيعا لشيخك يعني فيما يأمرك به من غير المعصية
واطلب بقولك وفعلك رضاه عنك ولا تعمل غير ما يقتضيه ويطلبه منك قال بعضهم ومن آداب التلميذ
مع الشيخ أن يمتثل أمره في جميع ما أمره به إلا ما كان في معصية اهـ فرضا الشيخ على التلميذ من أعظم
النعم عليه، وأنفع الذخائر لديه، ففي المنن للعارف بالله الشعراني نفعنا الله به وبأمثاله: ومما أنعم الله تعالى
به علي موت جميع أشياخي في الفقه والتصوف وهم عني راضون وذلك من أكبر نعم الله علي فإن رضا
الأشياخ على طالبيهم ومريديهم عنوان على رضا الله عز وجل عنه لأنهم واسطة في السلوك وقل مريد
أو طالب في هذا الزمان يسلم من تغيير خاطر شيخه عليه ولو في حين من الأحيان وقد راجع بعض طلبة
العلم شيخه في مسئلة من غير أدب فقال له أما تخشى يا ولدي أن يقال لا نفع الله فلانا بعلمه فوقف ذلك
الطالب عن المزيد ولم ينتفع أحد بعلمه مع أنه كان في الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والنحو أمة
من الأمم ورأيت مدرسي الجامع الأزهر يجلسون في درسه فيسمعون فوائده ويعجبون بها ثم يقومون
من عنده لا يستحضر أحدهم شيئا من تلك الفوائد ولولا أني أخشى أن تكون غيبة لذكرته وشيخه
وبينتهما فإياك يا أخي أن تتهاون في تغيير خاطر أحد من أشياخك عليك أو لا تبادر إلى تطييب خاطره أو
تنتقل عنه وتقرأ على غيره من أئمته فإن الحكم للداعي الأول وله الحق الأعظم، وإيضاح ذلك أن الطالب
لا يفارق شيخه غضبا من نصحه له ويقرأ على غيره إلا لحظ نفسه وطالب العلم بغير إخلاص لا يفلح ولو أنه
أخلص في العلم لاحتمل نهر شيخه وزجره له وهجره له في طريق تحصيله العلم، وقد أجمع أشياخ الطريق
على أن المريد إذا بلغ مقام شيخه في العلم فمن الأدب أن يقيم تحت تربيته ويجري الله على لسان شيخه من
العلم والتحقيق ما هو أهله لمكان أدبه وصدقه كأنه يجري على لسان شيخه إذا أساء الأدب معه عكس
ذلك فإن الطالب إذا كان قليل الأدب مع شيخه فقد يستحق حرمانه من فوائده فيعقد الله تعالى لسان
شيخه عن الإفصاح له بالتحقيق ويحرم النفع به فيصير العلم موقورا في قلب الشيخ ولا يقدر على النطق به
وإن نطق نطق بكلام مشكل غير مفصح له عن المقصود كما جرب بنا ذلك مع طلبتنا اهـ (ثم قال الناظم)

قال الشعراني [illegible] مجرب

﴿ولتمشين تحت ظله السعيد * في كل أمر تبتغيه يا رشيد﴾ 172

الواو للعطف واللام لام الأمر وتمشين مضارع مجزوم المحل بها وهو مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد
الشديدة وتحت ظرف مكان معمول للفعل وهو مضاف إلى ظله والضمير المضاف إليه ظل عائد على الشيخ
والظل في الأصل ما استترت عنه الشمس واختلف هل هو مرادف للفيء أم لا فقال ابن قتيبة يذهب
الناس إلى أن الظل والفيء بمعنى واحد وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والفيء لا يكون إلا بعد
الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فيء وإنما سمي ما بعد الزوال فيئا لأنه ظل فاء من جانب المغرب إلى جانب
المشرق والفيء الرجوع وقال ابن السكيت الظل من الطلوع إلى الزوال والفيء من الزوال إلى الغروب
وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها بالغداة والفيء بالعشي، وقال رؤبة بن العجاج كل ما كانت عليه
الشمس فزالت عنه فهو ظل وفيء وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل
والفيء ينسخ الشمس نقل هذه الأقوال الفيومي في المصباح واقتصر في القاموس على ثلاثة منها وحذف
قول رؤبة وقال أصحاب العلم الطبيعي الظل مطلقا هو الظل الثاني قال الصفدي ومعنى ذلك أن النير
إذا ارتفع عن الآفاق استضاء الهواء بانبثاث الشعاع فيه فهذا هو الضوء الأول فإذا حجب هذا الضوء

حاجب

حاجب كان ماوراء ذلك الحاجب ضوأ ثانيا بالنسبة الى الضوء الاول لأنه مستفاد منه وهذا الضوء الثانى هو الظل اهـ ومن المجاز هو فى ظله أى فى كنفه ومنه كلام الناظم قال ابن العربى أصل الظل الستر ومنه قول الناس أنا فى ظلك أى فى دارك وسترك اهـ ومنه الحديث السلطان ظل الله فى أرضه لأنه يلجأ اليه من الشدائد كما يلجأ الى الظل من الحرّ وأضيف الى الله لأنه تمليكه وناصره قال ابن كمال باشا فى تفسير قوله تعالى (وندخلهم ظلا ظليلا) لما كانت بلاد الاعراب فى غاية الحرارة كان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة ولذلك جعلوه كناية عن الراحة قال عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله فى الارض فلا يتجه السؤال بأن يقال اذا لم تكن فى الجنة شمس تؤذى بحرّها فما فائدة وصفها بالظل الظليل اهـ وقول الناظم السعيد نعت مدح لظل وقوله فى كل أمر متعلق بتمشين أيضا وتبتغيه جملة من فعل وفاعل ومفعول فى محل النعت لامر وضمير المفعول العائد عليه هو الرابط بين الجملة الواقعة وصفا وبين موصوفها وقوله يارشيد حرف نداء ومنادى والرشيد من الرشد وهو الصلاح خلاف الغي والضلال وجملة النداء والمنادى كمل بها البيت وفيها تلميح الى ان من مشى تحت ظل شيخه فهو رشيد ومن حاد عنه فقد عدل عن المنهاج الواضح السديد ﴿والمعنى﴾ كن أيها الطالب تحت ظل شيخك أى عند أمره ونهيه فى كل أمر تبتغيه وتريده فان ذلك من الرشد والصلاح فإن إلقاء السلاح والقياد ان علم نصحه من الأشياخ يوصل للمراد قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه ومهما أشار عليه أى التلميذ شيخه بطريق فى التعليم فليقلده وليدع رأيه فخطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه، وقد نبه الله تعالى على ذلك فى قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه بقوله انك لن تستطيع معى صبرا هذا مع علو قدر موسى فى الرسالة وفى العلم حتى شرط عليه السكوت فقال فلا تسئلنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا اهـ وقال صاحب الهداية كان الطالب فى الزمان الاول يفوض أمره فى التعليم لمعلمه فيصل الى مقاصده والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه * ويحكى ان محمد بن اسمعيل البخارى رحمه الله بدأ كتاب الصلاة على الامام محمد بن الحسن فقال له اذهب وتعلم علم الحديث لما رأى علم الحديث أليق بطبعه فطلبه حتى صار فيه مقدما على أئمة الحديث اهـ وليس المراد من كلام الناظم حقيقته من المشى تحت ظله بمعنى انه يتأخر عنه فى المشي اذ هذا المعنى سيأتى فى قوله وامش وراء ظله المعظم الخ (ثم قال الناظم رحمه الله تعالى)

173 ﴿واصبر اذا جفا بطبعه ظهر * فالصفو لا بدّ له من الكدر﴾

الواو للعطف واصبر فعل أمر فاعله ضمير المخاطب واذا اسم مضمن معنى الشرط وجفا اسم مقصور من الجفاء ضد اللطف والليونة وهو فاعل بفعل محذوف يفسره ظهر لأن اذا لا تضاف لغير الجمل الفعلية وبطبعه متعلق بظهر والباء بمعنى فى اذ هو أحد معانيها الأربعة عشر المشار اليها بقولى من نظم معانى حروف الجر

بالبا استعن وعدّ عوّض ألصق * ومثل مع ومن وعن بها انطق
وزيدوا الظرفية استبن بها * كذاك الاستعلا فكن منتبها
وقسما أبدت وتأتى للبدل * وسببية وغاية الأمل
وزاد بعضهم لها التفدية * والظن أنها من التعدية

والضمير المضاف اليه طبع عائد على الشيخ، وقوله فالصفو الفاء تعليلية أو زائدة محسنة للفظ والصفو مبتدأ وهو مصدر صفا الشئ يصفو اذا خلا مما يكدره ولا نافية للجنس، وبد بضم الباء بمعنى فرار اسمها مبنى معها على الفتح يقال لا بدّ من كذا أى لا فرار ولا محيد عنه وفى القاموس لا فراق ولا محالة وفى المشارق لا بدّ من كذا أى لا انفكاك منه وقيل لا فراق دونه اهـ يقال بدّ الشئ يبدّه بدا فرّقه والتبديد

التفريق يقال شمل مُبَدّد أي مفرّق وتبدّد الشيء تفرّق كذا في الصحاح ولا يعرف استعماله الا مقرونا بالنفي كما في المصباح وقال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء ولا يستعمل الا في النفي ولا يرد عليه قوله

من ظنّ أن لا بدّ عنه * فان عنه ألف بدّ

لقصد التلميح وهو مولّد اهـ أي البيت مولد لا حجة فيه ومن الكدر متعلق ببدّ الذي هو بمعنى فراق كما علمت وله متعلق بمحذوف خبر لا وجملة لا بدله من الكدر خبر صفو والرابط هو الضمير في له لأنه عائد على الصفو ﴿والمعنى﴾ اصبر أيها الطالب اذا ظهر جفاء من شيخك بأن نهرك أو زجرك ولو ضربك وطردك لأن صبرك على ذلك يبلغك لأعلى المراتب، ويكسبك أعلى المناقب كما قيل

* وكم عزة قد نالها المرء بالذل * وتقدم قول الشافعي لما قيل له في صبره على خدمة الأشياخ وذل النفس لهم

أذلّ لهم نفسي وهم يكرمونها * ولن تكرم النفس التي لا تهينها

فقوله ولن تكرم النفس الخ هو معنى قول الناظم فالصفو لا بدله من الكدر أي الصفو الذي يحصل في آخر الامر بعد التحصيل وبلوغ درجة العلم لا بدله من تقدم الكدر من الصبر على الشدائد في زمن الطلب وقال بعض كبراء العلماء الراسخين ومن آداب التلميذ مع الشيخ أن يصبر على هفوته وشراسته ان كانت في خلقه ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن اعتقاده فيه، والاحزم ماعنده وقد قال قائل لسفيان بن عيينة ان قوما يأتونك من أقطار الارض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك فقال للقائل هم حمقى اذا مثلك ان تركوا ما ينفعهم لسوء خلق اهـ (وقد قلت من أبيات)

فان رأيته أو أناقلقا * فكن لما يبسطه مستبقا

وان بدا اليك يوما بعبوس * فانظر تجد قد ناله منك بؤس

كم مرة أقلقته بجهل * لكل واضح صريح سهل

الى آخرها وقد تقدمت كلها عند قول الناظم سابقا * واستعطفنه اذا ما أعرضا * الخ (ثم قال الناظم)

١٧٤ ﴿وامْر رْ وراء ظله المعظّم * الا اذا أمر بالتقدم﴾

الواو للعطف وامر رفعل أمر بمعنى سر وفاعله ضمير المخاطب ووراء ظرف مكان معمول لامرر وهو مضاف لظل وقد تقدم الكلام على الظل في البيت قبل هذا والمعظم نعت لظل والا حرف استثناء والمستثنى منه محذوف والتقدير امرر وراء ظله في كل زمان الا اذا أمر الخ واذا ظرف زمان في محل نصب بالا الاستثنائية بناء على الاصح من أقوال ثمانية في ناصب المستثنى والاستثناء هنا متصل على مذهب الجمهور لأن المستثنى من جنس المستثنى منه كما لا يخفى وكذا ان مشينا على مذهب القرافي في المنقطع لانا حكمنا على المستثنى بنقيض ما حكمنا به على المستثنى منه راجع الفرق بين المذهبين فيما قدمناه عند شرح قول الناظم في آداب المدارس والمشي لا تكثر لغير فائدة الا اذا الخ نعم ان جعلنا هنا المستثنى منه المقدر خاصا تقديره وامرر وراء ظله المعظم في زمن عدم أمره لك بالتقدم لا عاما كما قررنا أولا كان الاستثناء متصلا على مذهب الجمهور ومذهب القرافي معا لأن الاستثناء حينئذ من غير الجنس والله أعلم وقوله أمر فعل ماض والضمير يعود على الشيخ وبالتقدم متعلق بأمر ومتعلق التقدم محذوف أي عليه وجملة أمر بالتقدم في محل خفض باضافة اذا اليها وجواب اذا محذوف لدلالة المقام عليه والتقدير الا اذا أمرك بالتقدم عليه فتقدم حينئذ ﴿والمعنى﴾ لا تتقدم أيها الطالب على شيخك في المشي اذا ماشيته في الطريق ولا تمش بجنبه بل امرر وراءظله وخلفه فاذا أمرك بالتقدم فتقدم حينئذ وكذلك ينبغي أن يتقدم الطالب على الشيخ اذا كان ذلك لمصلحة تعود على الشيخ قال أبو علي اليوسي في القانون من آداب التلميذ مع الشيخ أن يستعمل الأدب في الماشاة فاذا خرج مع الشيخ

فليكن وراءه فهو التابع فلا يتقدم عليه ولا يمشي الى جنبه فيمن أنهم استفتوا وامر أن يعنه ينبغي التقدم فيها بين يدي الشيخ وذلك اذا نزلوا سفلا أو انطلقوا ليلا أو خاضوا سيلا أو حذروا ويلا أي شيئا يتقي أما أولا فمخافة أن يقع للشيخ زال فيتداركه من تحته ولئلا يزل هو فيقع عليه وأما ثانيا فمخافة أن يكون في الطريق شيء يؤذي من حيوان أو غيره فيلقاه عن الشيخ وأما ثالثا فلتجربة المحل لئلا تكون بركة يغرق فيها أو يكون الماء شديدا لا يحتمل، وأما رابعا فظاهر وكل ما أشبه الاربعة فهو بها ملحق وأما المشي الى جنبه فقد يحسن حين يحب الشيخ الأنس به أو بحديثه أو تحديثه وقد يأذن له الشيخ في الأخذ عنه في تلك الساعة فلا يمكن الا ذلك وهو من الآداب الملوكية في صحبة الرؤساء وينبغي حينئذ أن يحيد له عن الجادة ولا يزاحمه فان أمكنه أن يقي الشيخ شمسا أو ريحا أو زحاما أو دابة أو كلبا عقورا أو فتنة ما فليكن من أي جهة عن اليمين أو الشمال وان أقبل عليه الشيخ يحدثه فليكن من الجهة الاخرى غير جهة الشمس أو الريح أو الدخان أو نحوه لئلا يلقى الشيخ ذلك بوجهه وهذه أمثلة يعرف بها ما وراءها عند كل متيقظ لبيب وان أقبل الناس على الشيخ وهو معه فليعرفه بمن يحتاج الى التعريف من أهل الاقدار منه لا ليلاقي كلا بما يستحق ومن لم يعرفه سأل عنه بلطف وأعلم به الشيخ ليكفيه أمر السؤال وان رأى أحدا سار الشيخ فليبعد حتى لا يسمع ما جرى، وان لقي الشيخ في الطريق فليبدأه بالسلام على غاية من البشاشة والترحيب فان رآه في محل لا تليق به الملاقاة لضيق أو وعورة أو لا يحب الشيخ فيه ملاقاة في الجملة أو أن لا يراه بعينه أصلا فلا يلقاه حتى يمكن اذ المهم حفظ قلبه وقد يكون في ذلك الوقت منقبض الخاطر لا يحب كلام أحد وقد حدثت عن بعض أشياخنا عن بعض أشياخه رحم الله الجميع أنه خرج يوم خميس فرأى تلميذا له قد أقبل من بعيد في طريقه تلك، وعلم انه يلقاه فيسلم عليه فصاح عليه يا فلان لا تفسد علي خميسي أي بالسلام واذهب من طريق أخرى نعم ان كانت له حيلة واطافة في بسطه وتأنيسه فلا بأس، وقد حكى الغزالي في الإحياء انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما منقبضا فلم يستطع أحد أن يدنو منه فجاءهم بعض من له لطف وفكاهة من الصحابة فقال لهم أرأيتم إن أضحكته لكم فتقدم اليه وقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي بلغنا أن الدجال يأتي في مسغبة ومعه جبل خبز فقال صلى الله عليه وسلم هو أهون على الله من ذلك فقال ما ترى فداك أبي وأمي ان أدركت ذلك آكل من ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت بالدجال فضحك صلى الله عليه وسلم، وأصل ما ذكره الناظم من أن من الأدب عدم التقدم أمام الشيخ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قال ابن عطية في تفسير هذه الآية انه نهي عن التقدم في المشي، قال وكذلك بين يدي العلماء لأنهم ورثته صلى الله عليه وسلم اهـ (ثم قال الناظم)

175 ﴿وانْ جَلَسْتَ مَعَهُ عَلَى بِسَاطْ * فَلا تَكُنْ بِغَيْرِ أَمْرٍ ذَا انْبِسَاطْ﴾

الواو للعطف وان حرف شرط وجلست فعل الشرط فاعله تاء المخاطب ومعه متعلق بجلست والضمير المضاف اليه مع عائد على الشيخ والجلوس خلاف القيام ثم قيل الجلوس مرادف للقعود وقيل القعود يكون عن نوم أو اضطجاع والجلوس عن قيام وليس المراد بالجلوس في كلام الناظم خصوص معناه على كلا القولين بل المراد به مطلق الاجتماع ولو من غير الجلوس لكن عبر بالغالب، والبساط في الأصل ما يبسط ويفرش للجلوس عليه وهو بكسر الباء والمراد به هنا المكان الذي يبسط عليه البساط لا البساط نفسه من باب اطلاق الحال وارادة المحل فكأنه قال وان اجتمعت معه في مكان لكن خص الكلام بالجلوس على البساط لأن ذلك هو الذي يكون أدعى للانبساط وقوله فلا الخ الفاء رابطة للجواب بالشرط وهي لازمة هنا لأن الجواب لا يصلح جعله شرطا وكل ما كان كذلك ووقع جوابا تلزمه الفاء

وقد تحذف نثرا نزرا كقوله صلى الله عليه وسلم فإن جاء صاحبها والا استمتع بها وشعرا كقوله

مَن يفعلِ الحسنات الله يشكرُها * والشرّ بالشرّ عند الله سيان

ولا ناهية وتكن فعل مضارع من كان الناقصة مجزوم بها بسكون النون وبغير متعلق بتكن وأمر أى أذن مضاف اليه غير وذا بمعنى صاحب خبر تكن وانبساط مضاف اليه ذا والانبساط ضد الاحتشام وجملة لا تكن الخ فى محل جزم جواب الشرط وجملة الشرط والجواب معطوفة على الجمل قبلها ويحتمل كون الوا وللاستئناف فلا عطف حينئذ ﴿والمعنى﴾ اذا اجتمعت أيها الطالب بشيخك فى محل كأن جلست معه على بساط نزهة مثلاً فالتزم الوقار معه والاحتشام كما هو العادة فى مجلس الدرس وغيره ولا تزل الحشمة والسكوت الا اذا أمرك بذلك فإن أمرك فلا بأس بالبسط حينئذ بما لا يخرج عن أصل الوقار والإجلال، وينبغى للشيخ اذا اجتمع مع تلامذته فى نحو نزهة أن يباسطهم ويأمرهم بذلك اقتداء بالمشرع الأعظم صلى الله عليه وسلم فقد كان يباسط أصحابه ويمازحهم بما لا يخرج عن الشريعة وراجع ما قدمناه عند قول الناظم فى آداب يوم الخميس:

وروّحوا الخاطر بالمباح * فما عليكم فيه من جُناح

وعند قوله فى آداب الاقراء: وان ترَ القلوب حينا فاترهْ الخ تظفر بالبسط والانبساط (ثم قال الناظم)

176 ﴿إياكَ أن تَسبِقَه الى جَوابْ * أو تَقْطَعَ الكلامَ مِنْهُ بِخِطَابْ﴾

إياك اسم فعل نائب عن احذر فهو عامل فيما بعده النصب وقد مرّ الكلام على اياك فى نحو هذا التركيب وتسبقه فعل مضارع فاعله ضمير المخاطب والضمير البارز عائد على الشيخ والى جواب متعلق بتسبقه والفعل فى تأويل مصدر منسبك من الفعل فى محل نصب بإياك وتقطع معطوف على تسبق والكلام مفعول بتقطع ومنه متعلق بمحذوف نعت للكلام أو حال منه أى الكلام الحاصل منه أو حاصلا منه وبخطاب متعلق بتقطع ﴿والمعنى﴾ احذر أيها الطالب أن تسبق شيخك الى جواب عن سؤال سئل عنه بحضرتك أو تقطع كلامه بكلامك بأن تتكلم فى خلال كلامه بل من الأدب إن سئل عن مسئلة وأنت حاضر أن تسكت حتى يجيب ولا تقطع كلامه بكلامك اللهم الا أن تعلم من الشيخ ايثار ذلك ليستدل به على فضيلتك وإن لم تعلم ذلك منه فلا تجب أنت واسكت حتى يجيب بما ظهر له فإن أجاب بالصواب فذاك وإن أجاب بما ظهر لك أنه خطأ فلا تخاطبه بصورة الرد بحضرة السائل بل اجعل نفسك كأنك تسأله عن دليل ما قال وعمن نص على ذلك المقال ثم أظهر له ما بدا لك مع المبالغة فى الأدب والملاطفة حتى يظهر الحق ثم ان ظهر الحق معك فلا تظهر للسائل انك علمت الصواب دون شيخك فإن ذلك يؤذيه بمقتضى الطبع البشرى والله الموفق بمنه (ثم قال الناظم)

177 ﴿وافهمْ إشارتَه فى الأمور * واقضِ مُرادَهُ بلا تعبيرِ﴾

الواو للعطف وافهم فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب واشارته مفعول بافهم ويصح تعلقه بقوله اشارته على ان فى بمعنى الى وهى أحد معانى فى الأحدَ عشَر المشار اليها بقولى فى نظمى لمعانى حروف الجرّ

وأظهر الظرف بفى كذا السبب * كذاك الاستعلا ومعنى مع وجب
وللمقايسة والزيادة * ومن وبا وعوض الافادة
كذاك للتعليل زد معنى الى * فهاك معناها أخى مستكملا

والأمور جمع أمر بمعنى الشأن وهذا هو المراد هنا فى كلام الناظم ومنه قوله تعالى (وما أمر فرعون برشيد) أى شأنه ويطلق الامر أيضا على القول كقوله تعالى اذ يتنازعون بينهم أمرهم أى قولهم فيما

بينهم

بينهم وعلى العذاب كقوله تعالى وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر أي وجب عليهم العذاب وسوء الغرق وعلى فتح مكة كقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بأمره يعني والله أعلم فتح مكة وعلى يوم القيامة كقوله تعالى أتى أمر الله وكقوله تعالى حتى جاء أمر الله أي القيامة . وعلى الوحي كقوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الأرض) يعني ينزل الوحي من السماء الى الأرض ؛ وعلى الخبر كقوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن) أي خبر ويطلق الامر على مصدر أمر ضد نهى ويجمع هذا على أوامر * وجملة قول الناظم وافهم الخ معطوفة على مضمون قوله اياك أن تسبقه لأنه في معنى احذر الخ وقوله واقض الخ جملة معطوفة على ماقبلها أيضا ومراده مفعول باقض والضمير في اشارته ومراده عائد على الشيخ وبلا تعبير متعلق باقض والتعبير مصدر عبر اذا تكلم ابيان قصده ومنه العبارة وتقدم مأخذ اشتقاقها عند شرح قول الناظم في آداب الاقراء ولست أعني حفظك العبارة * (والمعنى) * افهم أيها الطالب اشارة شيخك الى الأمور واقض مراده منها من غير احتياجه الى تعبيره لك عنها فالفطن اللبيب يعرف مراد الحبيب بمجرد النظر في الحال ، من غير احتياج الى اشارة أو مقال ، كما قيل

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

(ولعمارة بن عقيل)

والعين تنظر والأفواه ساكتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

(ولآخر)

يناجي بعضنا باللحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون

(ولآخر)

تشير له بلحظك من بعيد * فيفهم طرفه عنك الإشارة

وقريب من هذا المعنى

وكيف أعبر عن حاجة * ضميرك مني بها أعرف

فاذا كانت في الطالب فطنة يقضي بها الشيخ أوطاره بمجرد مقتضى الحال أو الإشاره أولاه الشيخ محبته ووداده وصرف العناية اليه في الإفاده (ثم قال الناظم)

178 * وكن خفيف الحركات مسرعا * عند المناولة اذ هو دعا *

الواو عاطفة وكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب وخفيف خبرها والحركات جمع حركة ضد السكون مضافة اليها خفيف ومسرعا خبر بعد خبر وعند ظرف معمول لمسرعا والمناولة مضاف اليه عند وهو مصدر ناوله الشئ يناوله اياه إذا أعطاه له واذ ظرف زمان في محل نصب معمول لقوله كن وهو ضمير مبتدأ عائد على الشيخ وجملة دعا خبره والرابط هو الضمير في دعا * (والمعنى) * كن أيها الطالب اذا دعاك شيخك وناداك خفيف الحركة عند تلبية دعوته وكن مسرعا عند المناولة اذا أمرك بمناولة شئ لأن ذلك من الاعتناء واظهار غاية الامتثال المطلوب من التلامذة مع أشياخهم ويصح في هذا البيت وجه آخر من الإعراب وهو أن تجعل عند مطلوبة لكل من خفيف ومسرعا فيكون من باب التنازع ويكون المقصود من تكرار الخبر مجرد التأكيد غير أنه يلزم عليه مع ما فيه من تكرار المعنى الواحد قصور المعنى اذ يصير المعنى حينئذ كن خفيف الحركات ومسرعا اذا دعاك لمناولة شئ فيكون ساكتا عن خفة الحركة اذا دعاه لامر آخر غير المناولة وان علم هذا بالقياس على المذكور لكن التصريح بالامرين معا هو مراد الناظم والله أعلم (ثم قال)

179 * ولا تناده على بعاد * في سكة تسأل عن مراد *

الواو للعطف ولا ناهية وتناد فعل مضارع مجزوم بها بحذف الياء وفاعله ضمير المخاطب والضمير البارز عائد على الشيخ وعلى بعاد متعلق بتناد وهو مصدر باعد يباعد بعادا ومباعدة وعَلَى بمعنى مع على حدّ قوله تعالى (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم وقوله تعالى وآتى المال على حبه أى مع حبه أوهى فى النظم بمعنى من كقوله تعالى (اذا اكتالوا على الناس) أى منهم ويصح أيضا فى النظم كونها بمعنى عند كقوله تعالى (ولهم على ذنب) أى عندى قاله الازهرى فى التصريح زيادة منه على ماذكره ابن هشام فى التوضيح والمغنى وتعقبه الشيخ الطيب بن كيران بأنها فى الآية للاستعلاء المعنوى ﴿قلت﴾ غير خفى أن الآية قابلة بحسب المعنى لكون عَلَى فيها بمعنى عند والله أعلم وهذه المعانى الثلاثة هى من معانى فى الأحدَ عَشَرَ المشار اليها بقولى فى نظمى لمعانى حروف الجرّ

على للإستعلا ومعنى فى وعن * ومَعَ واللام وعند فاحتفظن
ومن وباء والتعويض أتت * ومثل لكن ولزيد وردت

وفى سكة متعلق بتناد والسكة بفتح السين الزقاق وتسأل فعل مضارع فاعله ضمير المخاطب وعن مراد متعلق به والجملة فى محل نصب حال من فاعل تناد أو فى محل جرّ نعت لسكة والعائد محذوف أى تسأل فيها عن مراد والجملة استئنافية لا محلّ لها من الإعراب وقد قيل بهذه الوجوه الثلاثة فى قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ﴿والمعنى﴾ لا تناد أيها الطالب شيخك من بعد اذا كان ماشيا فى طريق تسأله عن مسئلة من العلم مثلا أو تكلمه فى غرض من الأغراض الدنيوية لأن ذلك مناقض للأدب المطلوب منك معه ففى القانون لأبى على اليوسى رحمه الله فان رأى التلميذ شيخه ماشيا بين يديه فلا يكلمه مِن خلف بل يبادر أمامه ليسلّم عليه من قدّام وان كان بعيدا فلا يناده بل يذهب اليه حتى يصل اليه اهـ وليس مراد الناظم النهيَ عن نداء الشيخ من بُعد فى الطريق بقيد قصد سؤاله فان كان لغير سؤال فلا ينهى عنه بل المراد النهيُ عن كل واحد منهما خلاف ما يعطيه ظاهر العبارة فإن نداء الشيخ من بعيد فى الطريق ولو لغير السؤال من قلة الأدب كما لا يخفى على أريب، وأما السؤال عن العلم فى الطريق فقد كرهه بعضهم لكنه ضعيف ففى كتاب الأحكام من صحيح البخارى باب القضاء والفتيا فى الطريق وقضى الشعبى على باب داره ثم ساق حديث أنس بن مالك قال بينما أنا والنبى صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجل ٢ عند سدة ٣ المسجد فقال يارسول الله متى الساعة قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أعددت لها فكأن الرجل استكان ثم قال يارسول الله ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة ولكنى أحبّ الله ورسوله قال أنت مَع مَن أحببت ونقل القسطلانى عن المهلب أنه قال الفتيا فى الطريق وعلى الدابة ونحو ذلك من التواضع، فان كانت للضعيف فمحمودة وان كانت لشخص من أهل الدنيا أو من يخشى فمكروهة لكن اذا خشى من الثانى ضررا وجب ليأمن شرّه اهـ ونقل قبل هذا عن أشهب أنه لا بأس بالقضاء اذا كان سائرا اذا لم يشغله عن الفهم وقال السفاقسى لا يجوز فيما يكون غامضا اهـ وقال الأبى فى اكمال الاكمال على قضية سؤال يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن اليعمرى لسيدنا عبد الله بن عمر عمن يقول بالقدر وهو أوّل حديث فى مسلم ما نصه (قلت) وفيه مذاكرة العلم بالطريق وكرهه بعضهم والصحيح الجواز لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه صلى الله عليه وسلم وقف فى حجة الوداع للناس يسألونه وما روي أن قاضى المدينة سأل مالكا عن حديث وهو يمشى فأمر به الى السجن فقيل له انه القاضى فقال القاضى أحق أن يؤدّب لم يثبت عنه اهـ منه فما دل عليه النظم من النهى عن السؤال فى الطريق غير صواب كما تبين لك ﴿فان قلت﴾ يجعل النهى فى كلام الناظم منصبا على الامرين معا أعنى السؤال فى الطريق والنداء عليه من بعد ﴿قلت﴾ يقتضى

٢ قال ابن حجر لم أعرفه لكن فى الدارقطنى انه ذوالخويصرة اليمانى
٣ قوله سدة بالضم المظلة على بابه من الحرّ والمطر أو الباب أو عتبته أو الساحة أمام المسجد اهـ مؤلفه

حينئذ

حينئذ انه اذا وقع كل واحد منهما منفردا لا تكون فيه قلة أدب وهو وان سلم على المشهور فى السؤال فى الطريق لا يسلم فى النداء من بعيد كما هو واضح وقد يقال غاية الامر أن فى المفهوم تفصيلا وقد تقرر أن ذلك لا يعترض به والله أعلم (ثم قال الناظم)

180 ﴿وَكُلَّ مَا يَسُرُّهُ بَادِرْ بِهِ * وَالعَكْسَ بَاعِدْهُ تَفُزْ بِقُرْبِهِ﴾

الواو للعطف وكل مفعول بفعل محذوف من معنى بادر لا من لفظه والتقدير افعل كل ما يسره بادر به وكل مضاف الى ما ويسره فعل مضارع وفاعله مستتر عائد على ما والبارز عائد على الشيخ ومعنى يسره يدخل عليه السرور وبادر فعل أمر من المبادرة وهى المسارعة وبه متعلق ببادر والضمير المجرور بالباء عائد على كل ما هو الشاغل ويجوز رفع كل على الابتداء وجعل الجملة الطلبية خبرا لكن المختار هو الاول وعلى كل فالجملة معطوفة على ما قبلها وقوله والعكس الخ الواو للعطف والعكس مفعول بفعل محذوف من لفظ المذكور ومعناه أى باعد العكس باعده وتفز مجزوم فى جواب الطلب لانه مسبب عن مباعدة العكس وفى جازمه أقوال قيل لفظ الطلب ضمن معنى حرف الشرط فجزم واليه ذهب ابن خروف واختاره ابن مالك ونسبه للخليل وسيبويه وقيل الامر ناب عن الشرط أى حذفت أداة الشرط وأنيب عنها الطلب فجزم وهو مذهب الفارسى والسيرافى وابن عصفور وقيل الجزم بشرط مقدر دل عليه الطلب واليه ذهب أكثر المتأخرين، وقيل الجزم بلام مقدرة وعليه فالاصل هنا والعكس باعده لتفز بقربه وهو بعيد ولا يطرد الا بتجوز وتكلف والمختار القول الثالث قاله الأشمونى عند قول ابن مالك فى الخلاصة :

وبعد غير النفى جزما اعتمد * ان تسقط الفا والجزاء قد قصد

وكلام ناظمنا من هذا القبيل وبقربه متعلق بتفز والضمير المضاف اليه قرب يعود على الشيخ ﴿والمعنى﴾ سارع أيها الطالب لكل ما يدخل على شيخك السرور ولا تفعل عكس ذلك وهو ما لا يحبه ولا يسره فاذا فعلت ما طلبت منك فانك تفوز بقربه والمراد بالقرب المعنوى وهو قرب خاطره منك لا القرب الحسى على انه لازم للمعنوى (ثم قال الناظم)

181 ﴿وَاكْتُبْ تَآلِيفَهُ مَهْمَا أَلَّفَا * وَكُنْ عَلَى امْتِدَاحِهَا مُعْتَكِفَا﴾

الواو للعطف واكتب فعل أمر فاعله ضمير المخاطب وتآليفه جمع تأليف وهو فى الاصل مصدر ألف الشئ يؤلفه اذا جمعه ثم صار يطلق على اسم المفعول مجازا مرسلا ومهما اسم شرط جازم فى محل رفع مبتدأ وألف فعل ماض فاعله ضمير عائد على الشيخ وجواب مهما محذوف دل عليه ما قبله أى مهما ألف فاكتب تآليفه وجملة الشرط والجواب خبر مهما على الاصح من أقوال ثلاثة فيما اذا تأخر فعل الشرط وجوابه عن مبتدأ ثانيها أن فعل الشرط فقط هو الخبر ثالثها الجزاء فقط ومحل الخلاف فى غير ان وأما هى وقد تقدم عليها مبتدأ فالشرط والجواب معا هما الخبر اتفاقا وقوله وكن الخ الواو للعطف أيضا، وكن فعل أمر من كان الناقصة ومعتكفا أى ملازما خبرها وعلى امتداحها متعلق بمعتكفا والضمير المضاف اليه امتداح عائد على تآليف والجملتان معطوفتان على الجمل قبلهما ﴿والمعنى﴾ مهما ألف شيخك أيها الطالب تأليفا أو قيد تقييدا أو نظم قصيدا فاكتب ذلك حرصا على الانتفاع به واستجلابا لخاطره فان النفس جبلت على محبة من يبادر ويعتنى بآثارها وامدح تآليفه بما أمكن من أنواع المدح فان كانت فيك أهلية للنظم والنثر فامدحه بما تيسر من ذلك وان لم تكن فيك أهلية لذلك فلا أقل من الثناء على ذلك واستحسانه فى المحافل ولا بأس بتنبيهك لمؤلفها على ما عثرت عليه غير صواب منها

لينظر بعين التأمل والتثبت ويرجع للحق حيث ظهر ومدح الكتب بالنظم أو بالنثر أو بهما معا هو المسمى على لسان الادباء بالتقريض بالضاد ويقال بالظاء المشالة أيضا وهو مدح الانسان وهو حي بحق أو باطل وهو مجاز لغوى قال الزمخشري مأخوذ من تقريظ الأديم أي المبالغة في دبغه بالقرظ أي الذي هو ورق السَّلَم فهو أي التقريظ يزين صاحبه كما يزين القارظ الأديم اهـ مع بيان ثم صار التقريظ يطلق في عرف الادباء اليوم على مدح الكتاب ومدح صاحبه معه صراحة أم لا كان حيا أو ميتا وان كان يلزم من مدح الكتاب مدح صاحبه ، ولي بحمد الله تقاريظ على مؤلفات أشياخنا وغيرهم تعلم من الوقوف على ديواننا * ثم ان المراد من قول الناظم اكتب تآليفه تملكها كان بكتابة أو اشتراء أو غير ذلك كما أن المراد ان يكتبها الطالب لنفسه ، وكذلك ينبغي اذا كلفه الشيخ بكتبها له أو يخرجها له من المبيضة أن يمتثل أمره في ذلك ، وكذلك اذا أمره بنسخ كتاب من غير مؤلفاته فينبغي أن لا يأنف من ذلك ولا يستثقله بل يمتثل أمره مع اظهار الفرح والسرور بذلك فان ذلك مما يسره ويقربه منه وهذه عادة جارية للأشياخ مع تلامذتهم . نعم لا ينبغي للشيخ أن يكثر على التلميذ من هذا لئلا يلهيه عما هو بصدده من طلب العلم وقد مر في باب آداب النساخة أنه لا ينبغي الطالب الاكثار منها والولوع بها الا انها انتهى والله الموفق (ثم قال الناظم)

182 ﴿وشِعْرَه احفَظْه وكُنْ عَلَى الدَّوَامْ * محدِّثاً بفضـــله بين الأنامْ﴾

الواو للعطف وشعره مفعول بفعل محذوف يفسره المتأخر عنه واحفظه فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والضمير البارز عائد على الشعر هو الشاغل ويجوز رفع شعره على جعل الجملة اسمية والاول هو المختار كما هو مقرر وقوله وكن الخ الواو للعطف وكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب ومحدثا بصيغة اسم الفاعل خبرها وعلى الدوام متعلق بالخبر أو بكن وبفضله متعلق بمحدثا والضمير المضاف اليه فضل عائد على الشيخ أو على الشعر وبين ظرف مكان معمول لمحدثا أو لكن والأنام الجن والانس وقيل من هو على وجه الأرض من جميع الخلق ، والمراد هنا الإنس خاصة على المتعارف من ان الانسان انما يكون بين أبناء جنسه واجتماع الإنس بالجن نادر غير متعارف والجملتان معطوفتان على الجمل قبلهما ﴿والمعنى﴾ احفظ أيها الطالب شعر شيخك ويعني بالشعر ما تعلقت به فائدة كنظمه في شيء من مسائل العلم لا كل نظم من مدح أو تغزل أو غيرهما من أنواع الشعر العشرة حسبما بوب لها أبو تمام في الحماسة أو الثمانية عشر على ما رأى عبد العزيز بن أبي الاصبغ وهي غزل ، ووصف ، وفخر ، ومدح ، وهجاء ، وعتاب ، واعتذار ، وأدب ، وزهد ، وخمريات ، ومراث ، وبشارة ، وتهان ، ووعيد ، وتحذير ، وتحريض ، وملح ، وباب مفرد للسؤال والجواب ، وقد جمعت ذلك في قولي

وقالوا فنون الشعر تبلغ عشرةً * وزاد عليها البعض جزماً ثمانيهْ
فغزل ووصف ثم مدح كذا الهجا * عتاب وزهد ثم عذر ومرثيهْ
وخمر وآداب وعيد بشارة * ممالحة فخر وحرض بتهنيهْ
وباب سؤال والجواب بواحد * وحذر من المكروه لا تك آتيهْ

وقولي آخر القافية ثمانيه مخفف الياء للوزن ٣ وأما آتيه وتهنية فان الياء فيهما مخففة على الأصل لأن آتيه اسم فاعل المذكر مضاف الى مفعوله من أتى وتهنية كتفعلة مصدر هناه يهنيه ومرثية مخففة الياء أيضا قال الدنوشري

ومرثية بلا تشديد ياء * كمحمدة ومن يشدد فخطى

وفي هذه الأبيات ما لا يخفى من عيب سناد التأسيس في القافية وذلك فيما بين مرثية مع تهنية وبين

ثمانية

(هامش:) أنواع الشعر عشرة او ثمانية عشر

(هامش:) ٣ للوزن لعله سبق قلم الصواب حذفه لانه [...] الياء على الأصل [...] اهـ مصححه

ثمانية مع آتية وقد نظمتها حال الصغر جدا والتأسيس عبارة عن ألف بينه وبين الروي حرف وهو لازم فاذا أتى به الشاعر في أول بيت لزمه الاتيان به في الباقي فاذا أخل به في واحد من القوافي كان عيبا على ان العلامة الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري نص في كتابه سعود المطالع على ان أنواع السناد الخمسة التي منها سناد التأسيس كلها جائزة للمولدين وعليه فلا عيب حينئذ (ثم قال الناظم)

183 ﴿وإن تكن في الشعر ممن حرّره * فامدحه بالقصائد المحبّرة﴾

الواو للعطف وان حرف شرط وتكن فعل الشرط من الكون الناقص وضمير المخاطب هو اسمها وفي الشعر متعلق بتكن على الأصح من تعلق الظروف والمجرورات بالأفعال الناقصة كالتامة والمنع هو مذهب المبرّد والفارسي وابن جني والجرمي والشلوبين وابن برهان وعليه فقول الناظم في الشعر متعلق بالإستقرار الذي في الخبر ومنشأ الخلاف في ذلك هل الأفعال كلها دالة على الحدث أو التام منها فقط فمن قال بالعموم وهو الأصح عممها في التعلق بها ومن قال بأن الناقصة لا تدل على حدث منع ذلك وعلى ان الناقصة تدل على الحدث أيضا فلا يستثنى منها ليس خلافا لبعضهم فقد حقق الرضي انها تدل على الحدث أيضا وهو ذلك الانتفاء وانما سميت الافعال الناقصة ناقصة لعدم اكتفائها بالمرفوع واستدل مثبت التعليق للناقصة أيضا بقوله تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا) فان اللام متعلقة بكان لا بعجبا لانه مصدر مؤخر ولا بأوحينا لفساد المعنى ولأنه صلة لأن وقيل متعلق بعجبا على انه بمعنى معجبا بصيغة اسم المفعول والمصدر اذا وقع بمعنى اسم المفعول جاز أن يتقدم عليه معموله كاسم المفعول ﴿قلت﴾ وقد يجاب أيضا عن المانع بأن المجرور في الآية متعلق بعجبا باقيا على مصدريته لكون المعمول مجرورا وهم يغتفرون في الظرف والمجرور ما لا يغتفرون في غيرهما أو بأنه متعلق بأوحينا وينتفي الفساد بجعل الى رجل بدلا من الناس قاله الاشموني، وقال المحقق الأمير وينتفي الفساد أيضا بجعل اللام للتعليل أي أوحينا الى رجل لأجل هداية الناس والى الخلاف في تعلق الظروف والمجرورات بالافعال الناقصة مع تصحيح الجواز أشار صاحب الجمل بقوله

وتعليقها بالفعل إن يك ناقصا * أصح من المنع الذي قد تقالا

وقول الناظم ممن حرّره ممن متعلق بمحذوف خبر تكن ومن موصولة وحرّر صلتها والضمير المستتر في حرّر هو الرابط بين الصلة والموصول والبارز عائد على الشعر وتقدم الكلام على تعريف الشعر لغة واصطلاحا عند قول الناظم في باب ما يبتدأ به من العلوم

والشعر لا تدنيه خزرجية * منك ولكنه بالسجية

كما تقدم الكلام مستوفى على النظم الذي هو مرادف للشعر عند قول الناظم صدر الكتاب * وبعد فالقصد بذا المنظوم * الخ قول الناظم فامدحه الخ الفاء رابطة للجواب بالشرط وهي لازمة لكون الجواب طلبا وامدحه فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والضمير البارز هو المفعول عائد على الشيخ والمدح هو الذكر الجميل والثناء الحسن وقيل هو مقلوب الحمد وهما اخوان وقيل ان الحمد أخص من المدح فان المدح يطلق على الثناء لاجل الجميل الاختياري وغيره والحمد على الاختياري وهذا هو التحقيق كما مر لنا في مبحث الحمد أول هذا الشرح وأصل المدح كما قال الخطيب التبريزي من قولهم امدحت الارض اذا اتسعت فكأن معنى مدحته وسعت شكره وبالقصائد متعلق بامدحه وهو جمع قصيد وربما قالوا في المفرد قصيدة وفي الصحاح القصيد جمع قصيدة كسفن جمع سفينة اه وقال في شرح القاموس وقيل الجمع قصائد وقصيد اه فتحصل ثلاثة أقوال الاول قصيد وقصيدة كل منهما مفرد والكثير بلا هاء وجمعهما معا قصائد الثاني أن قصيدا جمع قصيدة وقصائد جمع الجمع الثالث أن

القصيدة هى المفرد وتجمع على قصيد وقصائد، وقال ابن جنى سمى الشعر قصيدة لأنه قُصد واعتمد اهـ وقول الناظم المحبرة بصيغة اسم المفعول نعت للقصائد من التحبير وهو التحسين والتزيين وجملة فامدحه الخ فى محل جزم جواب الشرط، وجملة الشرط والجواب معطوفة على الجمل قبلها، ويحتمل كون الجملة استئنافية ﴿والمعنى﴾ إن كنتَ أيها الطالب ممن يَعرِفُ الشعر ويحرّره ويتقنه فامدح شيخك بالقصائد البليغة المحسنة البديعة يعنى حين يقتضى المقام مدحَه كعند ختم كتاب من كتب العلم أو فى تهنئته بمولود أو عُرس أو نحو ذلك، ومنه رثاؤه بعد موته فان الرثاء من باب المدح لانه مدح للميت وذكر لمحاسنه. وقد وقع لى من ذلك كثير كما يعلم من الوقوف على ديواننا وأُخذ من قول الناظم فامدَحه جواز مدح من يستحق المدح ولا شك فى ذلك فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع المدح وأثابَ عليه والقصيدة التى مدحه بها كعب بن زهير مشهورة قال بعضهم فى شأنها هذا القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذى لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوسل بها فتوصل للعفو عن عقابه، فستر صلى الله عليه وسلم خلته وخلع عليه حُلّته وكف عنه من أراده، وأبلغه فى نفسه وأهله مراده، وذلك بعد إهدارِ دمه، وما سبق من هدر كلمه، محت حسناتها تلك الذنوب، وسترت محاسنُها تلك العيوب، فلولاها لمَنع المدحُ والغَزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الأسل، فهى حُجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه، وكان بعضهم لا يفتتح مجلسه الا بها فقيل له فى ذلك فقال رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك قال نعم وأنا أحبها وأحب مَن يحبها قال فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم اهـ وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم العباسَ بن مرداس مائةً من الإبل حين مَدَحَه، وهذا شأن الكرام فانهم اذا مُدحوا أجزلوا المواهب والعطايا وقد مَدَحَ صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم لتَقِلّون عند الطمع، وتكثرون عند الفزَع، ومدحُه صلى الله عليه وسلم للأخيار والأبرار كثير شهير وفيه قدوة لكل مسلم، وقال ابن بطال قال المهلب يجوز الثناء على الناس بما فيهم على الاما اُصفتهم ليعرف تقدّمهم فى الفضل فينزلوا منازلهم ولولا ذلك لم يُعرف أهلُ الفضل من غيرهم فالنبى صلى الله عليه وسلم خص أصحابه بخواصَّ من الفضل ظهروا بها على سائر الناس الى يوم القيامة فشهد للعشرة بالجنة كما شهد لابن سلام وقال صلى الله عليه وسلم أرحم أمّتى بأمّتى أبو بكر وأقواهم عمر وأشدّهم حياء عثمان وأقضاهم على الى غير ذلك فأثنى عليهم بالحق وعرّف أمّته فضلهم وهذا كله يدل على أن المدحَ بالحق جائز وأن الذى لا يجوز هو المدحُ الكاذب أو القصدُ بالمدح الى جهة الإعجاب والفخر وان كان حقاً قال عز الدين بن عبد السلام فى قواعده المدحُ المباح لا يكثر منه ولا يتقاعد عن اليسير منه عند مسيس الحاجة اليه رغبة للممدوح فى الإكثار مما مدح به أو يذكر به نعمة الله تعالى عليه ليشكرها بشرط الأمن على الممدوح من الفتنة ولا تكاد تجد مدّاحا الا رذلا ولا هجّاء الا نذلا اذ الأغلب عليهم الكذب اهـ وأما قوله صلى الله عليه وسلم (احثوا فى وجوه المدّاحين التراب) فقال بعضهم ليس على عمومه واغا هو فيمن جعله تكسباً ومذهبا لأن فعّالا للتكثير كضرّاب ويحتمل ان المراد من الحديث الاعطاء أى أعطوهم ما يستغنون به ومنه قولهم ترِبت يداك أى استغنت ويحتمل ان المراد بالتراب المنع ليكفوا عن جعل ذلك شغلا فكنى عن المنع بالتراب، ويحتمل انه أراد ذلك اهانة لهم وتوبيخا لئلا يمدحوا الشخص بما ليس أصله فيه اهـ ﴿قلت﴾ ويحتمل أن محله فيمن مُدح مع الاطراء فان المدحَ معه حرام وبهذا يشعر صنيع البخارى فانه ترجم قوله باب ما يكره من التمادح، قال شرّاح الحديث أى بما فيه الاطراء ومجاوزة الحد ثم ساق حديث أبى بكر ان رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويحك

قطعت عنق صاحبك يقول مرارا ان كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا ان كان يرى انه كذلك وحسيبه الله ولا يزكى على الله أحدا ثم عقبه بقوله باب من أثنى على أخيه بما يعلم قال الشراح من غير اطراء ولا مبالغة مع الأمن من اعجاب الممدوح وعدم فتنته بذلك ثم ذكر البخارى قول سعد ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الأرض انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام ثم ساق حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر فى الإزار ما ذكر قال أبو بكر يا رسول الله إن ازارى يسقط من أحد شقيه قال إنك لست منهم فمدحه صلى الله عليه وسلم بما فيه والصديق بلا ريب يؤمن منه الإعجاب والكبر. وقال الشيخ زروق فى النصيحة ويحرم المدح مع الاطراء، قال شارحها أى المبالغة وجواز الحذفيه بأن ينسب للممدوح أنه بلغ فى صفة كالكرم والشجاعة والعلم والتقوى مبلغا غير ممكن أو ممكنا لكن حالة الممدوح بعيدة منه وكثيرا ما يجرى ذلك فى مدح الملوك والرؤساء الى آخر كلامه انظره ان شئت وفى الجامع الصغير للحافظ السيوطى اذا مدح المؤمن ربا الايمان فى قلبه خرجه من رواية الطبرانى فى الكبير عن أسامة بن زيد قال العلقمى ٣ الرباء الزيادة وهذا ونحوه انما يسوغ لمن عرف أن الممدوح يعرف نفسه وهو شديد الاحتراز عن آفات الكبر والعجب وآفات الفتور والرياء وكان ذلك سببا لزيادته فى الأعمال الصالحة أو كان لمن يقتدى به ولا تزعزعه الرياح فهذا يزيد الايمان فى قلبه بسبب أعماله الصالحة الزائدة على العادة التى حركه لها المدح الذى لا يعجب به ولا تتأثر نفسه به اهـ وقال المناوى المراد المؤمن الكامل الإيمان، أما غيره فعلى نقيض ذلك وعليه حمل خبر اياكم والمدح فلا تعارض اهـ وقد تقدم ان الرثاء من المدح وأما حديث عبد الله بن أبى أوفى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المراثى أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم وأخرجه أيضا ابن أبى شيبة بلفظ نهانا أن نتراثى فمحمول عند العلماء على ذكر الميت بصفات ليست فيه ومثلوا المنهى عنه بنحو يا كهفاه يا جبلاه فانه حرام، قال العلقمى نقلا عن الخطابى أما الثناء والدعاء للميت فغير مكروه ولانه رثى غير واحد من الصحابة بل فى (سراج المريدين) أنه لا خلاف فى استحباب الثناء بعد الموت وهو التأبين والرثاء وهو أن تذكر خصال الرجل ومناقبه بعد موته اهـ والله أعلم نعم ينبغى للممدوح أن لا يغتر بالمدح ويركن اليه ويكتفى به ويعول عليه انظر ما يأتى عند قوله * ولا يغره ثناء الناس * الخ وأخذ أيضا من قول الناظم * وان تكن فى الشعر ممن حرره * الخ أن من لا يحسن الشعر ولا يتقنه لا يقدم على ذلك والا أوقع نفسه فى الملام وتعرض لسهام الكلام كما وقع وانتشر فى هذا الزمان فترى الشخص لم يشم رائحة لقرض الشعر ولا ميز فيه بين الترب والتبر ويأتى بالقصيدة فاسدة المعنى مختلة المبنى فاذا سألته من أى بحر هذه القصيدة لا يدرى الجواب بل ربما لا يفهم الخطاب وان قال من الطويل مثلا تجدها محتوية على بحور الشعر كلها أو خارجة من جميع الاوزان فى جلها (وقد أتى) مجيبا يوما رجل من أهل مكة ورد على ثغر السويرة وأنا متولى خطة القضاء به وكتب لى بأبيات ليست ترجع لبحر من بحور الشعر أصلا يسأل فيها عن حديث ذكره بلفظ اكرموا الضيف هل هو صحيح أم لا وهل عام أو خاص (فأجبته) على ما يحوم عليه من الوزن والقافية والمعنى بقولى

الشعر أصعب شئ أنت رائمه * ان لم تكن به ذا علم وعرفان
وبحر نظمك لم يظهر على نسق * ولم تكن عارفا يوما بذا الشان
فالنثر كان بكم أولى اذا غرضا * تبغيه فى العلم أوجدوى من انسان
أما الحديث الذى عنه سألت ففى * كتب الصحيح معانيه بتبيان
أما الوجوب فبالتخصيص قال جما * عة من العلماء أهل اتقان

٣ فى القاموس ربا ربوا كعلو ورباء زاد ونما اهـ

والندب فيماسوى قدر الوجوب على اخـ * ـتلاف اقـــواله مابين أعيان
وحيث أنت غريب الدار دارك فى * بلاد أم القرى من خـــير بلدان
وقد سألت على هـذا الحديث فذا * يدل ان المــراد جالب احسان
فاقدم علينا تنل خـــيرا ومكرمة * وكـل ماتبتغى منا برضوان
وكلنا شاسع عنـــه عشـــيرته * والقلب من بعدها حليف أحزان
فالله أرجوه أن يدنى اللقا بهـــم * فى خـــير حال وفى أسعد إبان
بجاه أحمد خـــير الخلق قاطبـــة * أزكى العوالم طرّا عين عـــدنان
عليـــه والآل والاصحاب كلهـــم * أذكى صـــلاة بها الآمال تلقانى

وربما يجلب بعضهم مانظم قديما ونظمه اقلته عند غيره عديما وينسبه لنفسه ويفتخر به على أبناء جنسه فيحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ويدعون العلم وقد جهلوا وقد وقع لبعض أهل العصر من هذا المعنى قصة عجيبة انظر حرف اللام وحرف العين من ديواننا ولهذا قد يتركه من يعرف حيث تعاطاه من لا يعرف (ولابى اسحق الغزى)

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب البواعث والدواعى مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منـــه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أن تراه كاسدا * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وانظر ماقدمناه عند قول الناظم

وان تكن عندك تلك الشنشنة * تنقل بدائعه عنك الالسنة

وعند قوله *وان تكن للشعر فيك ملكة * الخ *فائدتان* الأولى* اختلفوا فى أقل مايطلق عليه اسم القصيدة فقيل ثلاثة أبيات فصاعدا وعليه اقتصر فى القاموس وقيل مافوق السبعة والافهى نتفة وفى عمدة ابن رشيق ومن الناس من لايعدّ القصيدة الامابلغ عشرة أوجاوزها ببيت واحد وهذا هو الشائع اليوم بين الادباء وهو الذى لم يبلغ حدّ الطول فيمل ولا القصر فيستقل وهذه الطريقة أعدل الطرق وأحسنها وأقربها وأبينها لكن ليس هذا فى جميع الاحوال بل لكل مقام مقال فقد سئل عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم ليسمع منها قيل وهل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها وقال الخليل بن أحمد يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ وتطلب الاطالة عند الاعذار والانذار والترغيب والترهيب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحرث ابن حلزة ومن شابههما والافالقطع أطيب فى بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة وقال بعضهم يحتاج الشاعر الى القطع حاجته الى التطويل بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج اليها منه الى الطوال * وقيل لابن الزبعرى انك تقصر أشعارك فقال لان القصار أولج فى المسامع وأجود فى المحافل وقال أيضا يكفيك من الشعر غرّة لائحة وسبة فاضحة وقيل للجماز لم لاتطيل الشعر فقال لخوفى من الفضول وحذقى بالفصول (وللصفى الحلى)

سبة بالفتح المرة من سب اه مؤلفه

ليس البلاغة معنى * فيه الكلام يطول
بل صوغ معنى كثير * يحويه لفظ قليل
فالفضل فى جنس لفظ * تقل فيه الفضول
يظنه الناس سهلا * وما اليـــه وصول
والعىّ معنى قصير * يحويه لفظ طويل

وزعم

وزعم الرواة أن الشعر كله انما كان رجزا أو قطعا وانما قصد أي جعل قصائد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أوّل من قصده مهلهل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجيء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمحي وغيره وأوّل من كذب في الشعر هو مهلهل في قوله

ولولا الريح أسمع آل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

قال ابن بدرون الحضرمي قوله ولولا الريح الخ هذا أوّل كذب كذبته العرب في أشعارها ولم تكن تكذب قبل حتى نبههم اليه مهلهل وشرع لهم طريقه اه وأوّل من طوّل الرجز وجعله كالقصيد الاغلب العجلي شيأ يسيرا وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى العجاج فافتن فيه فالاغلب العجلي والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد ومرّ لنا أوّل الكتاب عند قول الناظم وبعد فالقصد بذا المنظوم * أن أوّل من قال الشعر يعرب بن قحطان ويقال له أيضا ابن قحطان لان هودا عليه السلام قال له أنت ابين والشاعر اذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل وقد جمع ذلك كله الفرزدق ومن المحدثين أبو نواس وكان ابن الرومي يقصد فيجيد ويطيل فيأتي بكل احسان وربما تجاوز حتى يسرق وخير الامور أوساطها وهو القائل

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاءه

وقد أعاد أيضا هذا المعنى في قطعة أخرى اذ قال

اذا عز رفد لمسترفد * أطال المديح له المادح

وقد ما اذا استبعد المستقى * أطال الرشاء له الماتح ٣

وأخذه السراج الورّاق فقال وسلك به مسلك الاعتذار

سامح بفضلك عبدا * مقصرا في الثناء

رأى قليبا قريبا * فلم يطل في الرشاء

(الثانية) استحسن الادباء أن تكون القصيدة وترا وأن يتجاوز بها العقد كما يجب أن يكون أوّلها مناسبا مشعرا بالذي أنشئت لاجله وأن يكون سالما من التطير الا في الرثاء وشبهه (ومما ينفر) ما وقع لابي المناقب الشاعر قال أنشدت التكريتي قصيدة كنت عملتها في الملك الافضل أبي الحسن علي ابن الملك الناصر أوّلها دعها ولا تحبس زمام المقود * تطوى بأيديها بساط الفرقد فقال ما كان مالك اذا أخذها ممدوحك فتحها فوجد أوّل ما فيها دعها فألقاها من يده وقال قد فعلت ألست كنت تفتضح قلت بلى ولكن نجاني الله اه كما ينبغي للشاعر أن لا تخرج القصيدة من يده حتى يبالغ في تنقيحها أو يعرضها على أهل الخبرة والذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور (وللطوعي)

لا تعرضنّ على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدّوه منك وساوسا تهذي بها

(وقال صفي الدين الحلي)

تأمّل اذا ما كتبت الكتاب * سطورك من بعد احكامها

وهذب عبارة طرز الكلا * م واستوف سائر أقسامها

فقد قيل ان عقول الرجا * ل تحت أسنة أقلامها

الى غير هذا مما ينبغي للشاعر مراعاته مما ذكره علماء الادب ووعاته كأبي الفتح الموصلي في كتابه المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر وسيدي حمدون بن الحاج في أوّل شرحه النوافح الغالية على المدائح السليمانية وغيرهما (ثم قال الناظم)

٣ الماتح بالتاء الفوقية هو من يستقي من أعلى البئر والمائح بالهمزة يستقي من أسفل البئر والمثل أبصر بكذا من المائح باست الماتح اه مؤلفه

184 ﴿وَبِالغَنْ فِى الحِفظِ والتَّأَدُّبِ * عِنْدَ خِطَابِهِ تَفُزْ بِالأَرَبِ﴾

الواو للعطف وبالغن فعل أمر مؤكد بنون التوكيد الخفيفة فهو مبنى على الفتح وفاعل بالغ ضمير المخاطب الذى هو الطالب وفى الحفظ متعلق بالفعل وهو مصدر سماعى لحفظ الشئ يحفظه بفتحها اذا منعه من الضياع وصانه من الابتذال ويقال تحفظ منه يتحفظ أى تحرز منه وتوقاه وهذا هو المناسب هنا من جهة المعنى غير أن الصيغة لا تقبله فلو قال وبالغن فى اللطف أى اللطافة لكان أنسب وأقرب وان كان ما فى النظم صحيحا أيضا كما يتبين عند بيان المعنى والتأدب معطوف على الحفظ وهو مصدر تأدب يتأدب تأدبا اذا استعمل الادب وعند متعلق بالحفظ والتأدب على سبيل التنازع ويصح تعلقه ببالغن والظرف مضاف لخطابه وهو مصدر خاطبه يخاطبه اذا كلمه مشافهة والضمير المضاف اليه خطاب عائد على الشيخ وتفز مجزوم فى جواب الأمر وتقدم الخلاف فى جازمه عند قوله فى هذا الباب * والعكس باعده تفز بقربه * وبالأرب أى المراد والمطلوب متعلق بتفز والجملة معطوفة على الجمل قبلها ﴿والمعنى﴾ بالغن أيها الطالب فى الحفظ لالفاظك عن وقوع شئ فيها يخل بالأدب عند خطابك شيخك فاذا فعلت ذلك فانك تفوز بالمطلوب من العلم قال بعض أرباب الرسوخ من العلماء ولا ينبغى للتلميذ أن يخاطب شيخه كخطاب الناس بتاء الخطاب أو كافه أو بمجرد اسمه بل ياسيدى ويا أستاذى ويا أيها العالم أو الحافظ أو نحو ذلك وكذلك اذا ذكره فى غيبته اه وفى المنن للشعرانى بعد ما ذكر أن من منة الله عليه عدم تأثره ممن يناديه بمجرد اسمه ما نصه ثم لا يخفى ان هذا الكلام فى عرف هذا الزمان انما هو فى حق الأقران أما شيخ الإنسان فمن الأدب أن ينادى بلفظ السيادة والتفخيم والتعظيم كما درج عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم انتهى وقد قال العلماء على قول جبريل يا محمد أخبرنى عن الايمان فى الحديث المشهور فهم من الحديث جواز نداء العالم والرئيس باسمه ولو من المتعلم ان لم يعلم كراهيته لذلك ولا كان على سبيل الوضع من قدره لانه أقرب للتواضع وأولى بالصدق والاقبال به أو كنيته توقيرا له وتعظيما اه ولا يخفى أن العرف جار بكراهية ذلك وهذا الأخذ من الحديث بحسب صدر الكلام انما هو اذا لم نمش على ان جبريل انما خاطب النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد اسمه ليوهم الحاضرين أنه بدوى جاف ومن التأدب والتحفظ عند خطابه عدم رفع الصوت فى الكلام ويرشد لهذا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لأن العلماء ورثة الأنبياء وما طلب للأنبياء يطلب لهم وأورد الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن السنى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم من أصحابى ولا خير فى التملق والتواضع الا ما كان فى الله أو فى طلب العلم اه (ثم قال الناظم)

185 ﴿وَسِرَّهُ احفَظهُ وكُنْ لَبِيبا * ثُمَّ عَلَيهِ لا تَكُنْ رَقِيبا﴾

هذا البيت والبيت الذى بعده انما وجدتهما فى نسخة واحدة من نسخ متعددة من النظم تحت اليد وهما على نفس الناظم رحمه الله تعالى فلذا شرحت عليهما فقوله وسره الخ الواو للعطف وسره مفعول بفعل محذوف يفسره احفظه والضمير المضاف اليه سر عائد على الشيخ وفاعل احفظ ضمير المخاطب العائد على الطالب والضمير البارز عائد على السر هو الشاغل للفعل عن العمل فى الاسم السابق ويجوز رفع سر على الابتداء وجملة الطلب خبره لكن الاول هو المختار وقوله وكن الخ الواو للعطف وكن فعل أمر من كان الناقصة واسمها ضمير المخاطب ولبيبا خبرها واللبيب اسم فاعل من لب يلب من باب تعب لبابة بالفتح أى صار ذا لب أى عقل وفى لغة لب يلب من باب قرب وعلى هذه اللغة فلا نظير له فى المضاعف وقوله ثم

عليه الخ ثم حرف عطف للترتيب اللفظي فقط ويشترط في كونها مرتبة في الذكر فقط أن تكون المعطوف بها جملة كما هنا وعليه متعلق برقيبا ويحتمل تعلقه بتكن لانه جائز على الاصح كامر ولا ناهية وتكن فعل مضارع من كان الناقصة مجزوم بلا الناهية ورقيبا خبرها والمراد بالرقيب هنا الحارس الذي يحصي أفعال محروسه والجمل الثلاث معطوفة على ماقبلها ﴿والمعنى﴾ احفظ أيها الطالب أسرار شيخك التي أسرّها اليك أو التي اطلعت عليه منها ولا يحب أن تفشيها وكن عاقلا ثابتا ولا تكن خفيف العقل طائش الفكر تفشي كل ماسمعت ورأيت منه فينبغي للطالب أن يقتدي في كتم أسرار شيخه بسيدنا أنس رضي الله عنه لما سألته أمه عن أمر أرسله اليه النبي صلى الله عليه وسلم فكتمه عنها فقالت له أصبت وبسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما أسرّ لها النبي صلى الله عليه وسلم سرّا فبكت ثم أسرّ لها فضحكت فسألتها عائشة رضي الله عنها عن سبب ذلك فقالت ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء ويجب عليه أي على التلميذ أن يكتم ما أسرّ اليه شيخه (ولبعضهم في هذا المعنى)

مَن سَارَرُوه فأفشَى السرّ منكشفا * لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا
وأبعدوه فلا يحظَى بقربهمُ * وأبدلوه مكان الأنس ايحاشا

اللهم الا أن يأمره الشيخ باذاعته لمصلحة تعود عليه أو الى غيره من اخوانه اهـ على ان كتمان الاسرار مطلقا من سمة من كان وصف الحرية له محققا وقديما قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وفي الحديث من أسرّ الى أخيه سرّ الم يحل له أن يفشيه عليه (وللطغرائي في لاميته)

ويا خبيرا على الأسرار مطلعا * أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

(حكى الماوردي) أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السرّ فقال

ومستودعي سرّا تضمنتُ سرّه * فأودعته في مستقرّ الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبي

وما السرّ في قلبي كميْتٍ بحفرة * لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني أخفيه حتى كأنني * من الدهر يوما ما أحطتُ به خُبرا

ومن هذه المبالغة أن بعضهم أسرّ الى غيره سرّا فلما فرغ قال له أحفظت فقال بل نسيتُ، وقال أبو الحسين المصحفي الأندلسي

ياذا الذي أودعَني سرّهُ * لا ترج أن تسمعَهُ مني
لم أجره بعدك في خاطري * كأنه مامرّ في أذني

وجاء رجل الى القاضي شريح فأسرّ اليه كلاما فلما خرج قال له رجل يا أبا أمية ما قال لك قال يا ابن أخي أو ما رأيته سترَه عنك، فالكاتمون للأسرار قليل، والغالب أن سامع السرّ ان لم يفشه لم يبرد له غليل وعليه فينبغي للعاقل أن يكون صدره صندوق سرّه ومتى أفشاه فلا يوجه اللوم لغيره (ولابي العلاء المعرّي)

فظنّ بسائر الاخوان شرّا * ولا تأمن على سرّ فؤادا

(وقال آخر)

ابخل بسرّك لا تبح يوما به * فصغيره يأتي بكل عظيم
أوما ترى سرّ الزناد اذا فشا * يأتي وشيكا سقطه بجحيم

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه من كتم سرّه كان الخيار بيده وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرّا فأفشاه فلمته لاني كنت أضيق منه صدرا به حيث استودعته اياه (ولبعضهم في هذا المعنى)

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق
اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق

(ولآخر)

اذا ما ضاق صدرك من حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الظلوم

وما أحسن قول الآخر

سرك ان أودعته ثانيا * فاعلم بأن قد آن أن تفشيه
لان ما أضمرت فى حالة ال * افراد تستخرجه التثنيه

معنى هذا البيت الاخير انك اذا قلت مثلا قام الزيدان فان الفعل رافع للفاعل الظاهر فلم يتحمل ضمير المثنى لما كان فى حالة الافراد فاذا قلت وقعدا احتجت الى اظهار ضمير يعود على الاثنين لانك تذكر الفعل للاثنين ففى حالة الافراد لم يظهر وفى حال التثنية ظهر كذا قال الصفدى (قلت) وقد حام على المعنى فصد عن سبيله المستقيم وانما المعنى ان ما أضمرت فى حالة الافراد كقولك زيد قام تظهره التثنية فى قولك الزيدان قاما فالذى كان مضمرا فى الافراد هو ضمير المفرد وفى التثنية ظهر وبرز وهذا بين وفى فهم المعنى متعين ولا يخفى ما فى ذلك من التورية البديعة (وقال مؤيد الدين الطغرائى)

ولا تستودعن السر إلا * فؤادك فهو موضعه الأمين
اذا حفاظ سرك زيد فيهم * فذاك السر أضيع ما يكون

وقال بعضهم السر ما كتمته فى نفسك فأما ما أسررته الى غيرك فليس بسر وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره فى غير أوداجك فانك متى تكلمت به أرقته وكما انه لا خير فى آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير فى انسان لا يملك سره وقال بعضهم سرك أسيرك فاذا بذلته كنت أسيره (وفى المعنى لابن نباتة)

صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر
أسيرك سرك ان صنته * وأنت أسير له ان ظهر

(ولابى عثمان التجيبى)

اكتم السر واجعل الصدر قبره * لا تبح ما حييت منه بذره
أنت ما لم تبح بسرك حر * فاذا بحت صرت عبدا لغيره
من يرد أن يعيش عيشا هنيا * يتحفظ مما عسى أن يضره

(وله أيضا)

لا تبح ما حييت يوما بسر * لصديق ولا لغير صديق
ان سرا يجاوز الصدر فاش * يدريه العدا ومن فى الطريق

(وقال قيس بن الخطيم)

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وتكثير الوشاة قمين

قال الخطيب التبريزى فى شرح الحماسة وقد قيل فى الاثنين فى هذا البيت انه يريد الشفتين وكأن من فسر هذا التفسير أراد لا تفش سرك الى أحد اه والمعروف ان المراد بالاثنين حقيقتهما أى الشخصين بدليل أن المبرد روى البيت اذا جاوز الخلين الخ ولكن الرواية الاولى هى المشهورة وقال معاوية رضى الله عنه الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنتقل صداقته فيذيع سره (قال بعضهم)

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة

...ين بقطع الهمزة
...روة كما قاله الحريرى
...رة الغواص اه مؤلفه

فلربما

فلربما انقلب الصديق فيكون أعلم بالمضرة

(وقال ابراهيم بن خفاجة)

لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الجوامد ما يشير وينطق
واذا المحك أذاع سر أخ له * وهو النضار فمن به يستوثق

والكلام في هذا المعنى كثير في دواوين الادب مبسوط شهير وما أحسن قول أبي المحاسن بن الشواء في شخص لا يكتم السر

لي صديق غدا وان كان لا ينطق الا بغيبة أو محال
أشبه الناس بالصدى ان تحدثه حديثا أعاده في الحال

(وللحطيئة يهجو أمه)

تنحي فاجلسي مني بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

الغربال معلوم يشبه به من يفشي الاسرار لانه لا يمسك ما يجعل فيه وكانونا أبرد أيام الشتاء يريد انها باردة الحديث * والحطيئة عرف انه من الشعراء الهجائين المطلقين لسانهم في أعراض الناس حتى هجا أباه وأمه وزوجته ونفسه ومن هجوه لابيه وأمه يخاطب الأم

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني * وكذاك بعلك ساءني في المجلس

(وقال في امرأته)

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

(وقال في نفسه)

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما * بشر ولا أدري لمن أنا قائله

وكان واقفا على ماء ثم نظر وجهه السمج القبيح في الماء فقال

أرى لي وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

واسم الحطيئة جرول ولقب بالحطيئة تصغير حطئة وهي الضرطة لانه ضرط يوما بين الناس فضحكوا منه وقالوا ما هذا فقال حطيئة فلقب بها كما مر وكان قبيح المنظر جدا وهو أحد المشاهير الذين عرفوا بقبح الصورة وبشاعة المنظر وهم ابان بن عثمان بن عفان، وعطاء بن أبي رباح التابعي الكبير والاحنف بن قيس المضروب به المثل في الحلم وهو تابعي كبير أيضا وأبو الاسود الدؤلي رضي الله عنه والأوقص المخزومي قاضي مكة رضي الله عنه وبشار بن برد الشاعر المعروف والاصمعي المعلوم المشهور والأعور بن بيان وحفص النحوي وأبو نواس وأبو العيناء والحريري صاحب المقامات والجاحظ وجحظة البرمكي وأبو دلامة والحطيئة ذكرهم العلامة الاديب سيدي مصباح اليالصوتي في كتابه سنا المهتدي وذكر ترجمة كل واحد منهم (رجع) وقال في الحماسة وهو مذهب غريب

ولا أكتم الاسرار لكن أنمها * ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الأسرار جنبا الى جنب

وأشار الناظم بقوله وكن لبيبا أي عاقلا عقب قوله وسره احفظه الى ان كتم الاسرار دليل على العقل والثبات وافشاؤها أمارة على الطيش والشتات وما ألطف قول بعضهم من قصيدة مشيرا الى هذا المعنى

وضاق علي السجن حتى كأنني * حللت به للضيق في صدر مخنق

فياليتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج أو كالسر في صدر أحمق

وأشار الناظم رحمه الله بقوله ثم عليه لا تكن رقيبا الى انه لا ينبغي للطالب أن يكون حارسا لافعال شيخه مترقبا لهفواته رقيبا على سيئاته فانه لا يحب أن يطلع غيره على كل ما يفعله اذ لا يخلو من فلتة أو عثرة يسبق اليها قوله أو فعله، قال بعض الاعلام ويحذر التلميذ كل الحذر من ظن العصمة في الاشياخ فان الانبياء هم المعصومون فلا يسقط من عينه بزلة ولا يزدريه بمعصية ويقال ان من حسن اعتقاد التلميذ أن يعلم ان الشيخ غير معصوم فلا يسقط من عينه بزلة ولا يزدريه بمعصية لكن الشيخ لا يكون مصرا بل هو تواب والله يحب التوابين ومن حسن اعتقاده أيضا أن يظن بشيخه الخير في جميع المواطن ولاسيما في أربعة وليحذر فيها من سوء الظن به فانه السم القاتل الاول ان رآه في معصية لان العصمة ليست الا للانبياء وليس من شرط الشيخ الا التوبة والله يحب التوابين الثاني ان منعه شيأ بل يعد منعه منه عين العطاء لانه لا يمنعه شيأ الا اذا رأى له فيه مضرة أو أراد له خيرا منه الثالث ان لامه على شئ لانه لا يلومه على شئ الا اذا رأى له فيه مضرة الرابع ان باسطه لانه كلما باسطه وأطاعه على بشريته تأكد عليه حق التعظيم وخيف عليه من قول الكفرة ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اه وقال بعضهم ومن تعظيم التلميذ للشيخ أن يحمل ما سمع منه من الهفوات أو فعله من الزلات على أحسن المحامل والتأويلات، ومن هنا حرم الكثير بركة العلم فاعلمه فانه مزلة الاقدام اه وكان الامام النووي كان في العهود اذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه يتصدق عنه في الطريق ويقول اللهم استر عني عيب معلمي حتى لا تقع عيني له على نقيصة ولا يبلغني ذلك عنه من أحد (ثم قال الناظم)

186 ﴿وإن تكن ياصاح ذا أموال * فانفق عليه كل ذاك المال﴾

الواو للعطف أو للاستئناف وعلى الاول فجملة الشرط والجواب معطوفة على الجمل قبلها وان شرط وتكن فعله واسمها ضمير المخاطب وياصاح حرف نداء ومنادى مرخم صاحب على غير قياس لانه وصف وذا بمعنى صاحب خبر تكن وأموال مضاف اليه ذا وهو جمع مال وقوله فانفق الخ الفاء رابطة للجواب بالشرط وهي لازمة هنا لكون الجزاء طلبا وانفق في النظم بوصل الهمزة للضرورة لانه فعل أمر من أنفق الرباعي فهمزته قطعية ولو حذف الفاء وقطع الهمزة لكان سائغا في الشعر بل وفي النثر على مذهب المبرد كما هو مقرر في كتب العربية وعليه متعلق بانفق والضمير المجرور بعلى عائد على الشيخ وكل مفعوله وهو مضاف لذاك والمال عطف بيان أو بدل من اسم الاشارة وجملة أنفق في محل جزم جواب الشرط ﴿والمعنى﴾ ان كنت أيها الطالب صاحب أموال فانفقها على شيخك ولا تبخل عليه بشئ منها ان كنت صادقا في الطلب والمحبة له وفي قوله كل ذاك المال مبالغة اذ المراد الانفاق عليه منها بما لا يضر الطالب ويجحفه فان اكرام الشيخ والهدية له مما يغرس محبة التلميذ في قلبه ويحمله على كمال النصيحة له في التعليم أو يقال ان الكناية في كلام الناظم على ظاهرها وكلامه حينئذ مع من بلغ غاية الصدق في الطلب وارتقى الذروة العليا في كمال الادب وهذا النسق اليوم مفقود ليس له ذكر ولا وجود ولبعضهم

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

(ولآخر)

وقدم فتوحا اذ عليه مداره * فان طريق الشيخ بذل العطية

وقال

المعتز ولي حسام يهاب الدهر صولته * أمضى وأعضب من سيفي عضب في
أخذه من قول جرير
لساني وسيفي صارمان كلاهما * وما السيف أسوا وقعة من لسانيا
وجرير أخذه من قول سيدنا حسان رضي الله تعالى عنه
لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودي
المذود كمنبر اللسان لانه يذاد به عن العرض (ولبعضهم ملغزا في السيف يخاطب الشهاب المنصوري)
أبن لي مجذوبا مطيعا لربه * ولكنه يصلى السعير بلا ذنب
اذا سمع التكبير للفرض تلقه * يرى ساجدا بعد الظهور من الجذب
ويكثر في يوم الخميس سجوده * ويبكي بلا جفن دماء من القلب
به صلوات الفرض قامت وان بدا * تراه على بعد ولم ير في القرب
فأجابه الشهاب بقوله
أيا سيدا دارت به فتية الذكا * ولا غرو للأفلاك دارت على القطب
سألت رعاك الله عمن اذا أوى * الى الشرق وقتا ليس يخلو من الغرب
وأبيض ممشوق القوام رشيقة * يميل على أحبابه ميلة القضب
وأعدل قاض لا يعطل حده * وأصدق في الأنباء عندي من الكتب
تراه اذا ما اعوج عن نهجه فلا * يقوم الا بالجحيم مع الضرب
ولم أر مجذوبا من الخلق غيره * يكون له عقل صحيح مع الجذب
تعجبت من حاليه كيف تباينا * فيحبس في سلم ويطلق في حرب
فصحفه بالقلب ابتغاء وضوحه * تجده على تكريره نير القلب
وقول الناظم عنه متعلق بذد والضمير المجرور بعن عائد على الشيخ والجملة معطوفة على ماقبلها وقوله بذا متعلق بتنال والاشارة لذودك باللسان عنه ويحتمل ان الاشارة راجعة لما ذكر من الآداب السابقة وهو أولى وتنال أي تدرك فعل مضارع وفاعله ضمير المخاطب وكل مفعول بتنال وخير مضاف اليه كل ومنه متعلق بتنال وفاعل تنال هو ضمير المخاطب المتوجه للطالب والضمير المجرور بعن عائد على الشيخ أيضا (والمعنى) امنع أيها الطالب عن شيخك بسيف لسانك القاطع ألسنة من يتكلم فيه بسوء أو يقدح فيه بما يشين ويسوء، فبذلك تبلغ كل خير منه، قال أبو علي اليوسي في القانون ومثله لغيره وكل ما يفعله التلميذ في حضور شيخه يفعله في غيبته وبعد موته فينصره ويغضب له ويجاوب عنه من يذكره بسوء وان عجز قام عن المجلس اهـ فان سكت عن ذلك ولم يجب ويدفع عن شيخه فكأنه راض بذلك واذا رضيه فكأنه فاعل له حقيقة ويرشد الى هذا المعنى قوله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) والله أعلم (تنبيهان * الاول) قال بعضهم بعدما ذكر جملة من آداب التلميذ مع الشيخ * ولا يقال لم يبق في هذه الازمنة من الأعلام من يستحق هذا التوقير لما غلب عليهم من حب الرياسة والجاه وعدم احتفالهم بأمور شنيعة * لانا نقول توقيرهم وتعظيمهم ليس لذاتهم بل لما قام بهم من وصف العلم اهـ (الثاني) هذه الآداب التي قدم الناظم رحمه الله المطلوبة من التلميذ مع شيخه كلها منصوصة للعلماء رحمهم الله تعالى وتقتضيها النصوص والقواعد العلمية الشرعية ولا ينبغي الافراط البشيع، في تعظيم الأشياخ فان ذلك من الجهل الشنيع، قال بعضهم رعاغلا بعض المتعلمين

(وقال بعض العلماء) ومن خدمة الشيخ أن يرى ما يعتقد عليه ولو بالدعاء له سرا أو جهرا من أسدى اليكم معروفا الحديث اه ولا يستحقر الطالب ما يهديه للشيخ ولو كان تافها فانه على قدر المهدى الهدية ومن أعطى ما يستطيعه فقد أجزل العطية وقد قال سيدنا على رضى الله عنه لا يمنعك اعطاء القليل فان الحرمان أقل منه * وينبغى للشيخ أن لا يفضل الغنى الذى أعطى على الفقير الذى لم يحسن اليه بالاعطاء بل يسوى بين الفقير والغنى من المتعلمين كما قال الناظم سابقا * وسوّ بين المتعلمينا * وتقدم قول القائل

علم العلم من أتاك لعلم * واغتنم منه ما حييت الدعاء

وليكن عندك الفقير اذا ما * طلب العلم والغنى سواء

وان كان البخيل تنفر منه النفوس والطبع يقابله بالعبوس ولا زال البذل للاشياخ والاهداء لهم سنة ماضية وعادة فى طريقة التعليم جارية نعم يجب على الشيخ أن يرفع همته ويقطع عما فى أيدى الطلبة نظرته فان الطمع فيهم يسقط جلالته من أعينهم ويحط قدره فى أنفسهم وما جاء من غير تشوف ولا سؤال فقبوله جائز حلال فان علم ان معطيه انما أعطاه منافسة مع أقرانه ونفسه غير سامحة باحسانه أو تكلف بالتسلف له من غيره أو أنه محتاج اليه لفقره فينبغى للشيخ أن يرده عليه مع اظهار البشاشة والاعتذار اليه بل التلميذ الفقير ينبغى للشيخ مواساته وتتأكد عليه لفقره مراعاته والله يحب معالى الامور ويكره سفسافها على ان الاولى والافضل والاحسن والاكمل هو التعفف عن قبول العطية من المتعلمين لئلا يفوته كمال الاخلاص فى التعليم والاقتداء بسيد العالمين فانه صلى الله عليه وسلم لم يطلب على التعليم أجرا ولا قبل لاجله خيرا * وفى المدخل وينبغى له أى للعالم أن لا يستعين بأحد ممن يقرأ عليه خوفا أن يتعجل أجر ذلك فى الدنيا وكان السلف رضوان الله عليهم يتحرزون من هذا الباب كثيرا وقد رأيت الشيخ الجليل أبا اسحق ابراهيم التنيسى رحمه الله تعالى من أهل تلمسان وكان فاضلا فى العلم والدين قد خرج يوما مع بعض أصحابه الى خارج البلد فعطشوا واشتد عطشهم ولم يكن هنالك ماء فرأوا عمارة فجاؤا اليها يطلبون الماء فاذا برجل من أهل تلك القرية قد قرأ على الشيخ أبى اسحق فذهب فأتى بلبن فيه سكر فأعطاه للشيخ ليشرب فأبى عليه فقال له ولم وهو من وجه حل فقال له لانك قرأت على ولا يمكننى أن آخذ منك شيأ لئلا أتعجل ثواب ذلك فى الدنيا فرغبه فلم يفعل وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يعنى ابن أبى جمرة لا يستقضى حاجة ممن قرأ عليه فى الغالب وذلك خيفة مما تقدم ذكره وقد كان رحمه الله تعالى خرج الى السوق لقضاء بعض حوائجه فى وقت فأخذ جملة حوائجه فشغل يديه معا فنزل له البياع من الدكان وسأله أن يحمل له بعض الحوائج فأبى عليه فلم يزل به حتى أعطاه شيأ حمله له ثم قص عليه البياع رؤيا رآها فسكت رحمه الله ولم يقل شيأ فقال له الرجل ياسيدى أما تعبرها لى فقال له لا يمكننى ذلك وأنت تحمل لى شيأ فيكون ذلك أجرة على العلم فرغبه فأبى عليه الا أن يعطيه حاجته يحملها بنفسه فمن رغبة الرجل فى تعبير الرؤيا أعطاه حوائجه فحملها بنفسه ثم بعد ذلك عبر له رؤياه ومضى لسبيله اه والله الموفق (ثم قال الناظم)

187 ﴿وَذُدْ بِصَارِمِ اللِّسَانِ عَنْهُ * بِذَا تَنَالُ كُلَّ خَيْرٍ مِنْهُ﴾

الواو للعطف وذد فعل أمر من ذاد يذود باعجام الذال الاولى واهمال الثانية أى منع ومنه قوله تعالى ووجد من دونهم امرأتين تذودان وفاعل ذد ضمير المخاطب وبصارم متعلق بذد وهو مضاف الى اللسان من اضافة المشبه به للمشبه بعد حذف أداة التشبيه فهو من التشبيه البليغ أى باللسان الذى هو كالصارم أى السيف الحاد القاطع فى ان كلا منهما يقطع ويفصل غير ان القطع فى السيف حسى وفى اللسان معنوى وتشبيه اللسان بالسيف أمر شهير معروف فى لسان أهل البلاغة مألوف قال ابن

في مدح معلميهم وتعظيمهم حتى يروا أن قول الشيخ دليل ولو لم يستدل ولا احتج على قوله فيصيرالذي أخذوا عنه ﴿حكي﴾ أن رجلا ناظر آخر في مجلس وقد استدل الخصم عليه بدلالة صحيحة فكان جوابه عنها أن قال هذه دلالة فاسدة لأن شيخي لم يذكرها وما لم يذكره شيخي فلا خير فيه فأمسك المستدل متعجبا وقال فضحني بجهله فصار أهل المجلس ما بين مستهزئ أو متعجب أو مستعيذ بالله من الجهل (ومما يحكى) في التوغل في التعظيم ان أصحاب الحلاج بالغوا في الشرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته حتى ادّعوا فيه الألوهية نسأل الله العافية * وقال العلامة الخطيب محمد بن مرزوق شاهدت بعض جهلة العوام الأغبياء يتقوون شعر حمار شيخنا ابن التيار تبركا به اهـ فلا حيف ولا شطط وخير الأمور الوسط ﴿فائدة﴾ لا بأس ببحث التلميذ مع شيخه فيما يقوله ان لم يظهر له وجهه ولا يعدّ ذلك من سوء الأدب ان سلم من العوارض، ففي فتح الباري للحافظ ابن حجر على حديث البخاري أوّل كتاب الادب ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه الخ عن ابن أبي جمرة ما نصه وفيه مراجعة الطالب لشيخه فيما يقوله مما يشكل عليه اهـ الغرض منه وذكر العلامة الطرنباطي في تأليفه (بلوغ أقصى المرام، في شرف العلم وما يتعلق به من الاحكام) انه لا بأس بمخالفة التلميذ لشيخه فيما صوّبه غيره من العلماء وانه لا يكون من سوء الأدب اهـ وقال أبو علي اليوسي في جوابه عن كتاب السلطان الهمام مولانا اسمعيل قدّس الله روحه خلال كلام ما نصه فالكلام انما هو مع الكلام لا مع المتكلم ولذلك يتكلمون على كلام أشياخهم ولا يعدّ ذلك منهم سوء أدب ولا عقوقا ثم قال فلا عيب على العالم وغيره اذا بحث في كلامه بحثا علميا اهـ ﴿تتميم﴾ في ذكر جملة من آداب طالب العلم في حق نفسه من غير أدبه مع شيخه (من أعظم ذلك وأهمه) الاخلاص في طلب العلم وهو أن يقصد بتعلمه وجه الله تعالى لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس أو يعرف بالعلم أو ليترتب بأخذه أو لأن يرأس به على الجهال أو لأن يشار اليه أو لأن يسمع قوله الى غير هذا من الحظوظ النفسانية المذمومة شرعا التي تخرجه عن أن يكون لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجهه جل وعلا بقصد أن تكون عبادته على علم وبصيرة وأن يفيد من احتاج الى علمه لله تعالى اقتداء بالمشرّع الأعظم صلى الله عليه وسلم حيث احتسب على هدايته ولم يطلب عليها أجرا فاذا كانت هذه نيته الأصلية وعليها اعقد عزمه أوّل الطلب فلا بأس بما يعرض بعد ذلك من أخذ المرتبات العلمية أو رفع منزلته بالعلم أو تعظيم الناس له أو غير هذا والله الموفق (ومنها) التواضع في جميع أحواله وخصوصا للشيخه كما مرّ حتى لو صار أرضا توطأ كان قليلا بالنسبة الى ما يطلبه ولان بالتواضع تقبل القلوب عليه وينشط من يعلمه لتعليمه وارشاده والتواضع أصل كل خير وبركة كل شئ كما هو معلوم مقرّر (ومنها) وهو من أوكد الامور عليه تخليص ذمّته من اخوانه وجلسائه ومعارفه وغيرهم اذ تخليص الذمّة هو المطلوب والمقصود الاعظم فليحذر العاقل خصوصا طالب العلم من هذين الامرين الخطرين اللذين عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الالسن وهما الغيبة والنميمة وقد ورد فيهما الوعيد الفظيع والعقاب الشنيع والله الهادي (ومنها) أنه لا ينبغي له أن يخلي نفسه من العبادات ونوافل الخيرات وان يكون له ورد من كل شئ منها فيتأكد عليه المحافظة على الرواتب وصلاة الضحى وما جعله الشارع تبعا للفرض قبله وبعده وغير ذلك مما جعل له الشارع وقتا معينا ولا يتركه لاشتغاله بطلب العلم الذي ليس بآكد مما ذكر اذ لو علم الشارع صلى الله عليه وسلم أن الاشتغال بالعلم حينئذ أنفع وأجزل أجرا لأمر به وقدّمه عليه لكن يحذر الطالب أن يتكلف من العمل ما عليه فيه مشقة حتى يخل باشتغاله بالعلم اذ اشتغاله بالعلم أفضل كما مرّ في فضل العلم قال أبو محمد بن أبي جمرة رضي الله عنه ينبغي لطالب العلم أن يكون له في علمه مثل

الملح في العجين ان عدم منه لم ينتفع به والقليل منه يصلحه اهـ والله الموفق (ومنها) أنه لا ينبغي له أن يخلي نفسه من شيء من قيام الليل فان فيه من الخيرات مالا يحصره قلم ولا لسان قال في المدخل بعد ما بين جملة من فضائل قيام الليل ولعلك تقول ان طالب العلم ان فعل ماذكرتموه من قيام الليل تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة والبحث ﴿فالجواب﴾ أن نفحة من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات والانوار والتحف مما قد يعجز الواصف عن وصفه وببركة ذلك يحصل له أضعاف ذلك فيما يريده اهـ والله الموفق والهادي (ومنها) أنه ينبغي له أن يحافظ على ورد الصوم ولا يتعلل بانه مشغول عنه بطلب العلم اذ صيام ثلاثة أيام في الشهر ليس فيها كبير مشقة في الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله فانه كان يفطر تسعة أيام ويصوم عاشرها فان ادعى الطالب أنه يعجز عن صيام الثلاثة الايام مع الطلب للعلم فينبغي لهذا أن يترك طلب العلم في تلك الثلاثة ويصومها لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله عليه الصلاة والسلام الحسنة بعشر فيكون ذلك كصيام الدهر قاله في المدخل وبالله التوفيق (ومنها) الاعتناء بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة لما في ذلك من الفضل العظيم (ومنها) أن لا يضيع نفسه في المزاحمة على الدنيا والتنافس فيها وفي رياستها فان ذلك مذهب لنور العلم مفسد للدين مكدر لصفو اليقين (ومنها) الاتصاف بالسكينة والاناة وتجنب العجلة والضجر والاتباع لاثر من مضى قال سيدنا علي كرم الله وجهه لا تخلط العلم بلعب ولا بضحك فتمجك القلوب وقال ابن شهاب ما رأيت لطالب العلم أحسن من الخشية والوقار (ومنها) أنه ينبغي للطلبة فيما بينهم التوادد والتعاون على المقاصد كلها وخصوصا تلامذة الشيخ الواحد فيما بينهم كان حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا لأن طلبة العلم مقصودهم الآخرة فان كانوا متحاسدين متباغضين فيما بينهم فذلك دليل على أن مقصودهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق من الدنيا وشهور الدنيا وسنوها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار بسبب التوادد والتحابب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا تنفك عن طريق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) قاله في الإحياء الى غير هذا من الآداب التي تقدمت في هذا الشرح مفرقة * ويحسن هنا ذكر قصيدة المأمون في آداب التعلم كما نسبها له العلامة أبو القاسم سيدي سعيد العميري في فهرسته وذكر نسبتها له أيضاً أبو عمر بن عبد البر في كتابه الإعلام بفضل العلم والأعلام ولفظه وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم ما ينسب الى اللؤلؤي وبعضهم ينسبه الى المأمون وهو

واعلم بأن العلم بالتعلم * والحفظ والإتقان والتفهم
والعلم قد يرزقه الصغير * في سنه ويحرم الكبير
فإنما المرء بأصغريه * ليس برجليه ولا يديه
لسانه وقلبه المركب * في صدره وذاك خلق عجب
والعلم بالفهم وبالمذاكرة * والدرس والفكرة والمناظرة
فرب إنسان ينال الحفظا * ويورد النص ويحكي اللفظا
وماله في غيره نصيب * مما حواه العالم الأديب
ورب ذي حرص شديد الحب * للعلم والذكر بليد القلب

محتشـ[illegible] في [illegible] والرواية * ليس له عمن روى حكاية
وآخر يعطى بـــلا اجتهاد * حفظا بما قد جاء في الإسناد
يهـــده بالقلب لا بناظره * ليس بمضطر الى مناظره
فالتمس العلم وأجمل في الطلب * والعـلم لا يحصـل الا بالأدب
والأدب النافع حسن الصمت * وفي كثـير القول بعض المقت
فكن بحسن الصمت ما حييتا * معارفا تحمـــد ما بقيتا
وان بدت بين أناس مسـئلة * معروفة في العـلم أو مفتعـلة
فلا تكون الى الجواب سابقا * حتى ترى غـيرك فيها ناطقـا
فكم رأيت من جهول سابق * من غـير فهم بالخطايا ناطق
أزرى به ذلك في المجـــالس * عند ذوي الألبـاب والتنافس
والصمت فاعـلم بك حقا أزين * إن لم يكن عنـدك عـلم متقن
وقـل إذا أعيـاك ذاك الأمر * مالى بما تسأل عنه خبـــر
فذاك شطر العـلم عنـد العلما * كذاك ما زالت تقـول الحكما
اياك والعجب بفضـــل رأيك * واحذر جواب القول من خطائك
كم من جواب أعقب الندامة * فاغتنم الصمت مع السـلامة
العـــلم بحر منتهـاه يبعـد * ليس له حد اليه يقصـــد
وليس كل العـلم قد حويتـه * أجل ولا العشر ولو أحصيته
فـابق عليـك منـه أكثر * مما علمت والجـواد يعـــثر
وكن لما سمعته مستفهما * إن كنت لا تفهم منـه الكلما
القـول قولان فقول تعـقله * وآخر تسمعـــه فتجهـله
وكل قـول فله جـواب * يجمعه البـاطل والصـواب
وللكلام أول وآخـــر * فافهمهما والذهن منك حاضر
لا تدفـع القـــول ولا ترده * حتى يؤديك الى ما بعـــده
فربما أعيـا ذوي الفضـائل * جواب ما يلقى من المسـائل
فيمسكوا بالصمت عن جـوابه * عند اعتراض الشك في صوابه
ولو يكون القول في القيـاس * من فضـة بيضاء عنـد الناس
إذا لكان الصمت من عين الذهب * فافهم هداك الله آداب الطلب

(ثم قال الناظم رحمـــه الله تعالى)

﴿خاتمـــة في آداب الشيخ﴾

خاتمة خبر مبتدا محذوف أي هذه خاتمة والخاتمة في الأصـل وصف أي مسائل خاتمة لكن صارت علما بالشخص على المسـائل المذكورة فيها على ما حققه العصام وارتضاه العـلامة الصبان من أن أسماء الكتب وما أشبهها كأسماء التراجم من قبيل أعلام الأشخاص ومتعلق خاتمة محـذوف أي خاتمة لهذا النظم وفي آداب متعلق بمحذوف نعت لخاتمة أي كائنـة في آداب الشيخ ثم ان ظرفية خاتمة في آداب من ظرفيـة الدال في المدلول لان المراد من خاتمـة هو الالفـاظ المخصوصـة من حيث دلالتهـا على المعـاني المخصوصة على المختار عند السـيد الجرجاني من احتمـالات سـبعة والمراد من آداب الشيخ المعاني فيكون

على هذا اللفظ الدال مظروفا فى المعنى المدلول والمعنى المدلول ظرف للفظ الدال وقد وجهه السيد فى حواشى المطوّل والدمامينى فى شرح التسهيل بأن المعنى أعم من اللفظ من حيث إن المعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ كثيرة فالمعنى الواحد حاو لتلك الألفاظ بمعنى انها وان تعددت لا تخرج عنه والأعم يكون ظرفا للأخص فبهذا الاعتبار يكون اللفظ مظروفا فى المعنى هذا ايضاح مراد السيد والدمامينى وان كان الاكثر والمعهود هو العكس أعنى مظروفية المعنى فى اللفظ وظرفية اللفظ للمعنى لأن اللفظ كالقالب تصب فيه المعانى ، ومن هذا الاستعمال قولهم هذه المسئلة فى كتاب كذا أو فى باب كذا غير أن الاستعمال الأول الذى منه كلام الناظم سائغ أيضا ومنه قولهم هذا الكتاب فى علم كذا والله أعلم وقد تقدم الكلام على الأدب وعلى الشيخ عند قول الناظم وساووا الأدبا على الشيوخ والمراد بالآداب هنا ما يطلب من الشيخ استعماله والتخلق به كان الطلب على سبيل الوجوب أو الندب اذ من الآداب الآتية ما يجب وأل فى الشيخ للجنس أى لتعريف الجنس وقد تقرر ان المعرّف بلام الجنس معرفة لفظا نكرة معنى والمراد من الشيخ العالم سواء كان منتصبا للتعليم الذى بسببه يسمى شيخا لغيره أو كان مشتغلا بما سوى التعليم من العبادات لان هذه الآداب التى ذكرت فى هذا الباب ليست خاصة بالعالم الذى يعلم العلوم بل هى عامة فيه وفى كل من اتصف بالعلم (ثم قال الناظم)

188 ﴿والشيخُ مِن آدابه المَرعِيَّهْ * مخافةُ اللهِ وحسنُ النيَّهْ﴾

الواو للاستئناف والشيخ مبتدأ وأل فيه أيضا للتعريف الجنس أي الحقيقة ومن آدابه خبر مقدم ومبتدؤه قوله مخافة الله وما عطف عليه وجملة المبتدا الثانى وخبره خبر عن الاوّل والرابط هو الضمير فى آدابه لأنه عائد على الشيخ والمرعية نعت لآداب وأصلها المرعوية بصيغة اسم المفعول من الثلاثى أى المحفوظة اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء الثانية وكسرت العين لمناسبة الياء واضافة مخافة الى الله من اضافة المصدر الميمى الى المفعول بعد حذف الفاعل والأصل مخافة الشيخ الله والاضافة على معنى من والخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال وحسن النية معطوف على مخافة الله والنية بتشديد الياء أصلها نوية فقلبت الواو ياء لاجتماعها ساكنة مع الياء وأدغمت فى مثلها وهى لغة القصد من نوى ينوى اذا قصد وقيل هى من النوى بمعنى البعد فكأن الناوى للشئ يطلب بقصده وعزمه ما لم يصل اليه بجوارحه وحركاته الظاهرة لبعده عنه فجعلت النية وسيلة الى بلوغه قاله القسطلانى قال العلامة أبو محمد سيدى عبد القادر الكوهى فى شرحه لأول حديث صحيح البخارى بعد نقله ما نصه (قلت) الأخذ صحيح وما وجهه به لا يتجه الا بمجاز بعيد اذ المعنى اللغوى حينئذ غير موجود فى المعنى الشرعى بل الموجود فيه ضده والأوجه أن يقال لأن المكلف بنية العبادة المأمور بها ودخوله فيها يصير بعيدا عن المخالفة وباتمامها يتحقق امتثاله أو يقال فى توجيه ذلك فكأن المكلف قبل نية العبادة والتلبس بها متلبس بالمخالفة فاذا قام اليها ونواها فقد بعدته نيته عن المخالفة وصيرته ممتثلا هذا هو الأنسب بالإشتقاق فتأمله اه وقيل ان النية مخففة الياء من ونى بنى اذا أبطأ لانه يحتاج فى تصحيحها الى نوع ابطاء ذكره ابن حجر الهيتمى فى شرح الأربعين النووية * وأما شرعا فهى ارادة تتعلق بامالة الفعل الى بعض ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو فعل قاله شهاب الدين القرافى فى تأليفه (الأمنية فى ادراك النية) فقوله تتعلق بامالة الفعل الى بعض ما يقبله أى كاما لتك فعل الصلاة الى ما تقبله من وقوعها فرضا أو نفلا أداء أو قضاء الى غير هذا والقصد لفعل الصلاة نفسها هو ارادة لا نية ففرق بين قصدنا لنفس الصلاة وبين قصدنا لكونها فرضا أو نفلا مثلا وان أردت بسط الكلام حسبما يقتضيه المقام فاسمعه مستفادا من تأليف القرافى

المشار اليه مع زيادة بيان لماله أو عليه (اعلم) ان النية نوع من أنواع الارادة والارادة جنس لها ولها أعني الارادة أنواع تسعة غير النية وبضم النية اليها تكمل عشرة أنواع للارادة وهي العزم، والهم، والنية، والشهوة، والقصد، والاختيار، والقضاء، والقدر، والعناية، والمشيئة، فلفظ الإرادة يشملها شمول الأعم للأخص لأن الجنس أعم من النوع كما هو مقرر، فحقيقة الإرادة التي هي الجنس أنها الصفة المخصصة لأحد طرفي الممكن بما هو جائز عليه من وجود أو عدم أو هيئة دون هيئة أو حالة دون حالة أو زمان دون زمان وجميع ما يمكن أن يتصف الممكن به بدلا عن خلافه أو ضده أو نقيضه أو مثله غير أنها أعني الارادة في المخلوق لا يجب لها حصول مرادها وفي حق الخالق تعالى يجب لها ذلك لأنها في المخلوق عَرَض مخلوق ومصرّف بالقدرة الالهية والمشيئة الربانية ومرادها وفي حق الخالق تعالى معنى ليس بعَرَض واجبة الوجود متعلقة لذاتها أزلية أبدية واجبة النفوذ فيما تعلقت به، وأما الأنواع العشرة (فحقيقة العزم منها) أنه الارادة الكائنة على وفق الداعية، والداعية ميل يحصل في النفس لما شعرت به من اشتمال المراد على مصلحة خالصة أو راجحة أو درء مفسدة كذلك والميل جائز على الخلق ممتنع على الله تعالى فلا يقال في حقه تعالى عَزَم بمعنى أراد الارادة الخاصة المصممة بل عزائم الله تعالى طلبه الراجع الى كلامه النفساني فاذا قلنا الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فالمراد مطلوباته والطلب أحد أقسام الكلام ليس من الإرادة في شيء فالعزائم ليست من العزم الذي نريده بقولنا عزمنا على السفر أو على الاقامة فظهر الفرق بين العزم والارادة وهو معنى قول العلماء العزم ارادة فيها تصميم (وحقيقة الهمّ) في قوله تعالى (ولقد همت به وهمّ بها) وقوله عليه الصلاة والسلام (من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه) قال القرافي الظاهر انه مرادف للعزم وان معناهما واحد يستحيل على الله تعالى كاستحالة العزم اه (قلت) الظاهر هو ما عليه الاكثر من العلماء من التفريق بين العزم والهمّ فان العزم هو التصميم على الشيء وربط القلب على فعله والهمّ توجه القلب اليه وقوته فيه ورجحانه من غير تصميم ولهذا ذهب الاكثر الى أن الهمّ بالسيئة لا يؤاخذ به والعزم عليها مؤاخذ به ولذا عبر في الحديث السابق بقوله ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وفي حديث البخاري ومسلم ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وحمل ذلك على ما اذا تركها خوفا من الله تعالى لا لعارض فان تركها لعارض تعذرٍ فصريح الحديث السابق انها لا تكتب عليه ورأيت جماعة نقلوا قولا وسلموه بأنه يؤاخذ بها ان تركها تعذرا وهو غير ظاهر لصريح الحديث المذكور وبقي قول آخر في المسئلة وهو انه يؤاخذ بالهمّ في حَرَم مكة دون غيرها وروى عن ابن مسعود من قوله موقوفا مرة ومرفوعا أخرى قيل والموقوف أصح ونقله بعض أصحاب الامام أحمد عنه ففي المؤاخذة بالهمّ على السيئة ثلاثة أقوال أصحها عدم المؤاخذة به مطلقا كما هو صريح الحديث ثم اذا كان الترك لله كتبت له حسنة كاملة كما هو صريح حديث الشيخين والله أعلم وذهب الاقل الى عدم المؤاخذة أيضا بالعزم على السيئة وهو الظاهر من كلام القرافي كما علمت ويدل لقول الاكثر من المؤاخذة بالعزم على السيئة كان لها خارج أم لا ما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وأجاب المانع كما في الحافظ ابن حجر بأن هذا شرع في الفعل والاختلاف فيمن همّ مجرد ثم صمم ولم يفعل واستدل من قال بعدم المؤاخذة بالعزم بمفهوم الغاية والشرط في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين عن أبي هريرة يقول الله تعالى اذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فاذا عملها فاكتبوها بمثلها الحديث فمفهوم قوله فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فاذا عملها أنه قبل العمل بالفعل

لا تكتب عليه وبمفهوم الظرف في حديث الصحيحين أيضا ان الله تجاوز لامّتي عما حدّثت به نفسها مالم تتكلم أو تعمل فأفاد الحديث التجاوز عما سوى القول والعمل فيشمل العزم أيضا والله أعلم قال الإمام الأبي في إكمال الإكمال محل الخلاف في العزم على السيئة هل يؤاخذ بها أم لا اذا كان لها خارج كالزنا وشرب الخمر والقتل وأما مالم يكن له خارج كالمعتقدات الفاسدة فان العبد يؤاخذ به اجماعا (وحقيقة النية) كما مرّ ارادة تتعلق بامالة الفعل الى بعض ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو فعل ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربة أو فرضا أو نفلا أو أداء أو قضاء أو غير ذلك مما هو جائز على الفعل فالارادة المتعلقة بأصل الكسب والايجاد وهي المسماة بالارادة من جهة ان هذه الارادة مميلة للفعل الى بعض جهاته الجائزة عليه تسمى بهذا الوجه نية ١ فصارت الارادة اذا أضيف اليها هذا الاعتبار صارت نية وهذا الاعتبار هو تمييز الفعل عن بعض رتبه وتمييز الفعل عن بعض رتبه جائز على الله تعالى فانه سبحانه قد يريد بالفعل الواحد نفع قوم وضر قوم وهداية قوم وضلال قوم الى غير ذلك مما هو جائز على فعله تعالى كما قال جل علاؤه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى فجعل نفس انزال القرآن هدى لقوم وضلالا لآخرين وهو فعل واحد والكل بارادته تعالى ومشيئته وكذلك نعمه على خلقه ٢ قد تكون فتنة لآخرين ونعمه عليهم قد تكون نعما لآخرين بالاتعاظ وغيره من النعم والكل بارادته تعالى غير ان أسماء الله توقيفية فلا يسمى تعالى ناويا ويسمى مريدا هذا ان قصر على الاعتبار العام وهو مطلق امالة الفعل الى بعض جهاته والصحيح انه لا يقصر عليه وان يؤخذ بمعنى أخص منه وهو امالة الفعل الى جهة حكم شرعي الذي يشمل الاباحة فينوي ايقاع الفعل على الوجه الذي أمر الله به ونهى عنه أو أباحه ومنهم من يقول بل أخص من هذا وهو أن يميل الفعل الى جهة التقرّب والعبادة وعلى هذين التقديرين فيستحيل على الله تعالى معناها بخلاف المعنى العام وتفارق النية الارادة من جهة أخرى وهو أن النية لا تتعلق الا بفعل الناوي والارادة تتعلق بفعل الغير كما نريد مغفرة الله واحسانه وليس ذلك فعلنا قاله الشهاب القرافي في تأليفه المذكور (وكتب) العلامة الدرّاكة أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك على قوله النية ارادة تتعلق بامالة الفعل الى بعض ما يقبله لا بنفس الفعل ما نصه فيه نظر لأن الارادة أيضا لا تتعلق بذات الفعل وانما الذي يتعلق بذاته هو القدرة والارادة صفة تخصصه ببعض ما يجوز عليه من المتقابلات الست والمعنى الذي فسر به النية هو معنى تخصيص الارادة فان امالة الفعل الى بعض ما يقبله هي عين تخصيصه ببعض ما يجوز عليه * وأما قوله ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربة أو فرضا أو نفلا أو أداء أو قضاء فالفرق الذي بينهما يرجع الى المراد والمنوي فانه في الاوّل عام وفي الثاني خاص فان الصلاة من حيث هي صلاة أعم من الصلاة التي هي فرض مثلا الى هذا يرجع الفرق المذكور ولا تعلق له ٣ بمعنى الارادة والنية التي يكون الاوّل متعلقا للارادة والثاني للنية فقط ولو كان كما قال لزم ان الارادة لا تتعلق بالجزئيات ولا تخصصها أبدا وهو غير صحيح والله أعلم انتهى أحمد بن مبارك لطف الله به آمين اه من خطه رحمه الله مباشرة ﴿قلت﴾ وأنت اذا تأمّلت بذهن ثاقب وفكر صائب علمت علم يقين أن الحق مع شهاب الدين وبيان ذلك أن حاصل معنى كلام القرافي ان القصد المتوجه لذات الصلاة مثلا هو الارادة والقصد المتوجه الى وصفها من فرضية أو نفلية أو غيرهما هو النية فلا شك ان القصد الى القيام للصلاة هو خاصية تخصيص الارادة وتوجيه القصد الى وصف ذلك القيام أمر زائد على ذلك القصد الاوّلي وهو خاصية النية ولا جرم ان ذلك القصد الاوّلي الذي هو الارادة مأخوذ في تعريف القصد الثانوي الذي هو النية ضرورة أخذ الاعم في حدّ الاخص وأما تعلق القدرة بتلك الصلاة

١ (قوله فصارت الارادة الخ) كأنه حاصل لما قبله والا فهو لا يخرج عنه فتأمل اه مصححه

٢ المناسب في التعبير قد تكون فتنة لقوم وقد تكون نعما لآخرين الخ اه مصححه

٣ (قوله بمعنى الارادة والنية التي يكون الخ) كذا بالاصل وهو ليس بواضح المعنى ولا مستقيم المبنى فلعله محرف وأن الاصل هكذا لا تعلق له بمعنى الارادة والنية ولا يكون الاول متعلقا الخ فليحرر اه مصححه

فهو القيام لها بالفعل وغير خفي أنه أمر زائد على القصدين المذكورين مما أخرج عنهما ذهنا وخارجا لما علم ان تعلق القدرة تابع لتخصيص الارادة والنية فاذا علمت معنى كلام القرافي فاعلم أن بحث العلامة أبي العباس بن مبارك معه من ثلاثة وجوه (الاول) أن الارادة لا تتعلق أيضا بذات الفعل كما ان النية كذلك وانما الذي يتعلق بذاته هو القدرة وان المعنى الذي فسر به القرافي النية هو معنى تخصيص الارادة (الثاني) ان الفرق الذي ذكره القرافي بين قصدنا لفعل الصلاة و بين قصدنا لوصفها والاول هو الارادة والثاني هو النية فرق يرجع الى المراد والمنوي لا الى ذات الارادة والنية (الثالث) أنه يلزم على ماذكره من التفريق ان الارادة لا تتعلق بالجزئيات ولا تخصصها أبدا وهو غير صحيح أي لان القرافي جعل الارادة متعلقة بذات الفعل لا بصفاته ﴿قلت﴾ وهذه الوجوه الثلاثة كلها مدفوعة * أما الاول فنقول عليه سلمنا أن الارادة أيضا لا تتعلق بذات الفعل بل بأحواله والمتعلق بذات الفعل هو القدرة وهذا غير مناف لكلام القرافي اذ الارادة عنده هي القصد المتعلق بأصل الكسب وهذا الكسب هو القدرة أي أثرها وامالة القصد الى بعض أحوال ذلك المراد هو النية مثلا قصدك للصلاة هو الارادة لانها خصصت هذا الممكن الذي هو الصلاة ببعض ما يجوز عليه اذ يجوز على هذه الصلاة الفعل وعدمه فالارادة خصصتها بالفعل دون الترك وامالة ذلك القصد الى كون تلك الصلاة فرضا مثلا هو النية وقيامك لها بالفعل هو القدرة أي متعلقها * وأما الثاني فنقول عليه سلمنا أن الفرق الذي ذكره القرافي بين قصدنا لفعل الصلاة وهو الارادة و بين قصدنا لوصفها وهو النية فرق يرجع الى المراد والمنوي أي متعلقهما لا الى ذاتهما لكن التغاير بين متعلق الشيئين يسري للتغاير بينهما ألا ترى ان العلم مثلا هو الادراك وهو في نفسه متحد وانما تغايرت العلوم بتغاير المعلوم الذي هو متعلق العلم فيقال علم التفسير مثلا وعلم الحديث وعلم الاصول أليس يقال فرق بين علم التفسير وعلم الحديث مع ان الفرق انما هو متعلقهما وهو المعلوم * وأما الثالث فنقول عليه لا نسلم انه يلزم على ماذكره القرافي من التغاير بين النية والارادة ان الارادة لا تتعلق بالجزئيات ولا تخصصها أبدا لان الارادة كما علمت جنس للنية والجنس مأخوذ في تعريف نوعه فالارادة مأخوذة في تعريف النية فحيث خصصت النية الجزئيات لزم أن الارادة مخصصة لها بل النية انما خصصت بالارادة المأخوذة في تعريفها فالتخصيص للنية لازم لها بواسطة جزئها الاعم وهو الارادة كاثبات التحرك للانسان بواسطة جزئه الاعم وهو الحيوان وما كان ثابتا للشئ بواسطة غيره فثبوته لذلك الغير أحرى لانه له بالاصالة فتأمل متصفا بالانصاف فانه من أحمد الاوصاف (وحقيقة الشهوة) أنها ارادة تتعلق براحات البشرية كالملاذ ودفع الآلام ونحوهما فهي مستحيلة على الله تعالى (وحقيقة القصد) أنه الارادة الكائنة بين جهتين كمن قصد الحج من مصر أو غيرها ومنه السفر القاصد أي في طريقة مستقيمة وبهذا المعنى يستحيل على الله تعالى (وحقيقة الاختيار) أنه الارادة الكائنة بين شيئين فصاعدا ومنه قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أي أرادهم دون غيرهم مضافة الى اعتقاد رجحان المختار وهو جائز على الله تعالى قال الله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين (وحقيقة القضاء) أنه الارادة المقرونة بالحكم الجبري فقضاء الله تعالى لزيد بالسعادة أراد به سعادته مع اخباره بكلامه النفساني بسعادته (وحقيقة القدر) أنه الارادة المتعلقة بما فيه مقدار من الاجسام أو عدد من الاعراض وهو جائز على الله تعالى (وحقيقة العناية) انها الارادة المتعلقة بالشئ على نوع من الحصر والتحقيق ولذلك قالت العرب اياك أعني واسمعي ياجارة أي أخصك دون غيرك ولم يقل اياك أريد ويقولون ما يعني بكلامه أي ما يخصه من المعاني التي يحتملها دون غيره وبهذا التفسير هي جائزة على الله تعالى (وحقيقة المشيئة) الظاهر كما قال القرافي انها مرادفة للارادة وقالت الحنفية هي مباينة

وجعلوها مشتقة من الشيء والشيء اسم لموجود حتى قالوا اذا قال الحالف ان شئت دخول الدار فعبدي حر فأراد الدخول للدار لا يعتق عبده حتى يدخل الدار ولا يكفي ارادة دخوله بناء على ان المشيئة مشتقة من الشيء ووقع في ذلك بينهم بحث كبير قال القرافي وأطنبت في كشف كتب اللغة فلم نجد للمشيئة معنى غير الارادة فالظاهر الترادف وهي جائزة على الله تعالى قال ولا يفهم من قولي ان المعنى جائز على الله تعالى الامكان الخاص وهو جواز الوجود والعدم فاني لم أرده وانما أريد بالجواز الامكان العام وهو كون المعنى غير ممتنع فيصدق بالواجب وهو المقصود فان جميع صفاته تعالى واجبة له سبحانه وتعالى (قال القرافي) فهذه التفاسير والتغايرات بين هذه المعاني العشرة يساعد عليها الاستعمال والاصول الموجبة لعدم الترادف مع ما علم ان الاصل هو الحقيقة وعدم التسامح في التعريف فيتخلص ان النية غير التسعة الباقية لما ذكر فيها من خصوصياتها المتقدمة وخصوصية كل واحد من التسعة المفقودة في النية فيجزم الناظر بالفرق حينئذ ولا يضر كون الاستعمال قد يتوسع فيه فيستعمل المستعمل أراد ومراده نوى أو قصد أو عزم أو عنى فانها متقاربة المعاني حتى يكاد يجزم بينها بالترادف غير أن الزين بن معطي من المغاربة والقاضي شمس الدين الحرث وجماعة من علماء العراق تعرضوا للفرق بينها وهو أولى من الترادف تكثيرا لفوائد اللغة انتهى ﴿قلت﴾ قوله فهذه التفاسير والتغايرات بين هذه المعاني العشرة الخ مع قوله فيتخلص ان النية غير التسعة الباقية الخ مراده الحكم بالتغاير على المجموع لانه قدم ان الظاهر الترادف بين العزم والهم على ما فيه كما مر كما استظهر أيضا الترادف بين الارادة والمشيئة كما مر وهو واضح وذهب جمع كالغزالي في الاحياء وغيره الى ان الارادة والنية والقصد ألفاظ مترادفة ولكن التحقيق هو ما ذكره القرافي والله أعلم ﴿تنبيه﴾ اصطلح الفقهاء من أهل مذهبنا على اطلاق النية على معنى آخر غير ما مر وهو الكلام النفسي قال الشهاب القرافي في الفرق الثاني من قواعده اختلف العلماء في الطلاق بالقلب من غير نطق واختلفت عبارات الفقهاء فيه فمنهم من يقول في الطلاق بالنية قولان وهم الجمهور ومنهم من يقول من اعتقد الطلاق بقلبه ولم يلفظ به بلسانه ففيه قولان وهذه عبارة ابن الجلاب والعبارتان غير مفصحتين عن المسئلة فان من نوى طلاق امرأته وعزم عليه وصمم ثم بدا له لا يلزمه طلاق اجماعا فقولهم في الطلاق بالنية قولان متروك الظاهر اجماعا وكذلك من اعتقد ان امرأته مطلقة وجزم بذلك ثم تبين له خلاف ذلك لم يلزمه طلاق اجماعا وانما العبارة الحسنة ما أتى به صاحب الجواهر وذكر ان ذلك معناه الكلام النفساني ومعناه اذا أنشأ الطلاق بقلبه بكلامه النفساني ولم يتلفظ به بلسانه فهو موضع الخلاف ثم قال فصارت النية لفظا مشتركا فيه بين معان مختلفة في اصطلاح أرباب المذهب يطلق على القصد والكلام النفساني اه (وقال أيضا في الذخيرة) المراد بالنية في العبادات القصد وليس مراده هنا بل المراد الكلام النفساني وهو غير العزوم والارادات والعلوم والاعتقادات بل معناه يقول في نفسه أنت طالق كما يقول بلسانه وقال في فصل الاكراه منها النية في المذهب لها معنيان أحدهما الكلام النفساني وهو المراد بقولهم في الطلاق بالنية قولان وقولهم ان الصريح لا بد فيه من النية على الاصح مع ان الصريح مستغن عن النية التي هي القصد بالاجماع وثانيهما القصد الذي هو الارادة اه المراد منه ونقله ابن غازي في حاشية المختصر بأبسط من هذا وقد عدل الشيخ خليل في باب الطلاق عن التعبير بالنية الى التعبير بالكلام النفسي فقال وفي لزومه بالكلام النفسي خلاف اشارة الى ان المراد بالنية في باب الطلاق ومثله باب اليمين الكلام النفسي لا المعنى المعروف لغة وهو القصد ﴿قلت﴾ والظاهر انه صار حقيقة عرفية عند الفقهاء في الكلام النفسي فلا يحتاج لقرينة صارفة ولا لنية اخراجه عن معناه

الاصلي والله أعلم ﴿فائدة﴾ محل النية هو القلب لان النية نوع من الارادة كما مر والارادة وأنواعها
والعلم والظن والشك والخوف والرجاء كلها تنسب للقلب والله أعلم ﴿والمعنى﴾ من آداب الشيخ التى طلب
منه رعايتها والمحافظة عليها خوفه من الله تعالى وحسن نيته فيما يحاوله و يفعله ﴿واعلم﴾ أن حال الخوف
ينتظم من علم وحال وعمل كما قال الغزالى فى الاحياء أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى الى المكروه
وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع فى يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم
قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك فى نفسه
حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه فى حقه وكان هذا
الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عن الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة
الخوف وشدة تألم القلب و بحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب
جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذى وقع فى مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات
السبع وهى حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة
جبلية للمخوف منه كخوف من وقع فى مجرى سيل أو جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول
على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير
لاحراق القلب وتألمه وذلك الاحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله
تعالى ومعرفة صفاته وانه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد
بمقارفة المعاصى وتارة يكون بهما جميعا و بحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى
واستغنائه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه
و بربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله وكذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
ثم اذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن
وعلى الجوارح وعلى الصفات انظر تفصيل ذلك فى الاحياء وانظر فيه أيضا درجاته واختلافه بالقوة
والضعف وأقسامه باعتبار ما يخاف منه وقد ورد فى فضل الخوف والترغيب فيه آيات وأحاديث قال
فى الاحياء وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع
مقامات أهل الجنان قال الله تعالى وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه
وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه فلذلك لا يتصور فى مؤمن أن
ينفك عن خوف وان ضعف وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وكل ما دل على فضيلة العلم مما تقدم
يدل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء فى خبر موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام
وأما الخائفون فلهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه وقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة واذا
خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف
غير الله خوفه من كل شئ وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله
تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر
دخل الجنة وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه
وقال أيضا ينبغى أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وقال أبو الحسن
الضرير علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى و بين عبده فاذا انقطع زمامه

هلاك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا قال أشدهم خوفا اليوم وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه الى غير هذا مما هو كثير وفي هذا القدر كفاية هنا ومعنى تحسين النية تخليصها لله تعالى في جميع الأحوال اذ النية هي إكسير العمل ففي الحديث الصحيح انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى (ثم قال الناظم)

189 ﴿وأن يكون دائم المراقبة * والحزم ناظرا لفوز العاقبة﴾

الواو للعطف وأن حرف نصب مصدري ويكون مضارع من كان الناقصة منصوب بأن والضمير في يكون عائد على الشيخ هو اسمها ودائم هو خبرها والمراقبة مضاف اليه ماقبله وهو مصدر راقبت الله أي خفت عذابه كما في المصباح والحزم معطوف على المراقبة مدخول لدائم والحزم الضبط والأخذ بالحذر من ترك ماينفع أو فعل مايضر وقوله ناظرا خبر آخر ليكون والضمير في ناظرا عائد على الشيخ أيضا ولفوز متعلق بناظرا والعاقبة مضاف اليه فوز وعاقبة الشئ آخر أمره فالاضافة في فوز العاقبة على معنى في أي الفوز في العاقبة وهي الدار الآخرة وأن المصدرية سابكة لمدخولها والمسبوك معطوف بالواو على مخافة الله في البيت قبله ﴿والمعنى﴾ من آداب الشيخ المرعية كونه دائم المراقبة والمشاهدة لله تعالى ودائم الحزم والأخذ بالحذر في الأعمال بأن يترك منها مانهي عنه ويفعل ماطلب وكونه أيضا ناظرا للفوز في الآخرة ووجه النظر للفوز في الآخرة هو العمل على ماينجي فيها من العذاب والعقاب من ترك مالايعني والاشتغال بما يعني وحقيقة المراقبة عند الصوفية كما في الإحياء هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه وهي بهذا المعنى من أفراد المعنى اللغوي السابق ذكره والمراد من هذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه وأما المعرفة التي تثمرها هذه الحالة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا أعني انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لاشك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه ثم المراقبة أقسام ودرجات انظر الاحياء ان شئت ويستعان على المراقبة بنحو قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقوله عز وجل ألم يعلم بأن الله يرى وقوله جل ذكره ان الله كان عليكم رقيبا وغير هذا مما يؤذن بأن الله سبحانه مطلع على العبد في جميع الاحوال شاهد لما بين يديه ويخفيه من الأفعال والأقوال ﴿قلت﴾ وبه يعلم ان مقام المراقبة هو مقام الاحسان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ويدل له قول ابن المبارك لرجل راقب الله فسأله عن تفسيره فقال له كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وقد ورد من كلام الائمة في الحض على المراقبة شئ كثير قال أبو عثمان المغربي أفضل مايلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص اذا جلست للناس

فكن

فكن واعظ النفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك ﴿وحكى﴾ أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد منهم بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر فى يده حى فقال له مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد اذ الله مطلع فى كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك أن تكرم ﴿وحكى﴾ أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم لها فقال يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحى من مراقبة الملك الجبار * وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه جل وعلا * وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده * وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس، استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى فى السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب (ولبعضهم)

اذا ما خلوتَ الدهرَ يوما فلا تقُل * خلوتُ ولكن قل علىّ رقيبُ
ولا تحسبنّ الله يغفُل ساعة * ولا أنّ ما تُخفيه عنه يغيبُ
ألم تَرَ أن اليومَ أسرعُ ذاهب * وأن غدا للناظرين قريب

* وقال حميد الطويل لسليمان بن على عظنى فقال لئن كنتَ اذا عصيتَ الله تعالى خاليا ظننت انه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرتَ * وقال سفيان الثورى عليك بالمراقبة لمن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة * وقال السنجى ان المنافق ينظر فاذا لم يرَ أحدا دخل مَدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى * وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعى بعنى شاة من هذه الغنم فقال انى مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة نسأل الله سبحانه التوفيق والهداية لأقوم طريق آمين

(ثم قال الناظم)

١٩٥ ﴿وَأن يكونَ هَيِّنا سَهلَ الجَناب * مَتَى دَعَوتَه لعاضِل أجاب﴾

الواو للعطف وان حرف نصب مصدرى ويكون مضارع منصوب بان والضمير فى يكون عائد على الشيخ وهينا خبرها وهو بشد الياء المكسورة صفة مشبهة من هان يهون اذا سهل فاذا قيل هين لين جاز فيهما التخفيف بالسكون كما قاله الشريشى فى شرح المقامات الحريرية فظاهره انه لا يجوز التخفيف فيهما الا مع الازدواج وربما يشعر به كلام المصباح ونصه هان الشئ هونا من باب قال لان وسهل فهو هين ويجوز التخفيف فيقال هين لين اه فأنت تراه مثل للتخفيف بما فيه زوجين والذى فى القاموس والصحاح والمختار جواز التخفيف فيهما مع الانفراد أيضا ونص القاموس فى مادة هون هان هونا سهل فهو هين وهين اه ونصه فى مادة لين لان يلين لينا وليانا بالفتح وتلين فهو لين ولين كميت وميت أو المخففة فى المدح خاصة اه المراد منه ونص الصحاح فى مادة هون وشئ هين على فيعل أى سهل وهين مخفف اه ونصه فى مادة لين اللين ضد الخشونة يقال لان الشئ يلين لينا وشئ لين ولين مخفف منه اه المراد منه ومثله فى المختار وسلم كلام القاموس شارحه ومحشيه فالظاهر ان تمثيل صاحب

المصباح بالتخفيف بالازدواج غير مقصود فيجوز التخفيف مع الانفراد أيضا كما هو ظاهر كلامه أولا فيكون كلام الشرح شيئا لا مستند له والله تعالى أعلم وسهل مضاف الى حجاب والحجاب في الاصل جسم حائل بين جسدين وقد يستعمل في المانع المعنوي فيقال العجز حجاب بين المرء ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربه والمراد في كلام الناظم هو هذا الثاني فان المراد بالحجاب هنا بعد الشيخ معنى عن الوصول اليه في كل حين بجاهه وعلو منصبه وعدم ملاقاته للناس متى طلبوه فعلو المنصب والجاه مانع معنوي كما لا يخفى ويحتمل ان المراد بالحجاب معناه الأصلي فيراد به من يباب الدار مثلا من حاجب أو بواب يمنع معه ولوج الأبواب بمعنى انه ينبغي للشيخ أن تكون باب داره مباحة لمن يريد طرقها عليه ليسألوه عما يحتاجون اليه من المسائل وجملة يكون مسبوكة بأن والمصدر المنسبك معطوف على مخافة الله في البيت السابق وقوله متى دعوته الخ متى اسم شرط مبتدأ مبني على السكون لشبهه بحرف الشرط وهو إن ودعوته فعل وفاعل ومفعول وضمير الفاعل عائد على الطالب وضمير المفعول عائد على الشيخ والعاضل متعلق بدعوت والعاضل الأمر الضيق الشديد يقال عضل عليه الأمر عضلا ضيقه عليه وعضل به الأمر اشتد وصعب ويقال أعضل بالألف وعليه اقتصر صاحب المصباح والصحاح وزاد صاحب الصحاح عضل عليه الأمر تعضيلا بالتضعيف ضيقه لكن الثاني موجود كما في القاموس وهو الذي استعمله الناظم وقوله أجاب فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم جواب الشرط وجملة الشرط والجواب في محل رفع خبر أداة الشرط (والمعنى) من آداب الشيخ المرعية كونه هينا سهلا في نفسه وأخلاقه سهل الملاقاة عند الاحتياج اليه متى طلبته لامر شديد عليك في مسائل العلم أجابك لما طلبته من بيانه وكشفه وذلك لأن المقصود من العالم هو الانتفاع به في مسائل العلوم فاذا كان سيء الأخلاق صعب الحجاب تعذر أو تعسر هذا المراد من ايصال النفع للعباد فلهذا كان من أوصاف العلماء العاملين خفض الجناح للمستفيد وعدم الاحتجاب بالحراس والعبيد وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي وقد وجهه الى جهة اني بعثتك وأنا بك ضنين فابرز للناس وقدم الوضيع على الشريف الخ وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوصي عماله ويقول اياكم والحجاب وأظهروا وأمركم بالبراز وكتب الى معاوية وهو عامله بالشام اياك والاحتجاب دون الناس وادن للضعيف وأدنه حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه *وقال موسى الهادي لحاجبه لا تحجب الناس عني فان ذلك يزيل التزكية* وقال زياد لحاجبه يا عجلان قد وليتك بابي وعزلتك عن أربعة طارق ليل فشر ما جاء به أو خير ورسول صاحب الثغر فانه ان تأخر ساعة بطل به عمل سنة وهذا المنادي بالصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا ترك برد واذا أعيد عليه التسخين فسد *وقال خالد بن عبد الله القسري لحاجبه لا تحجبن عني أحدا اذا أخذت مجلسي فان الوالي لا يحتجب إلا عن ثلاث اما رجل عيي يكره أن يطلع على عيه واما رجل مشتمل على سوأة أو رجل بخيل يكره أن يدخل عليه انسان يسأله شيأ (ولمحمود الوراق في هذا)

اذا اعتصم الوالي باغلاق بابه * ورد ذوي الحاجات دون حجابه
ظننت به احدى ثلاث وربما * نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت به مس من العي ظاهر * ففي إذنه للناس اظهار ما به
فان لم يكن عي اللسان فغالب * من البخل يحمي ماله عن طلابه
فان لم يكن هذا ولا ذا فريبة * يصر عليها عند اغلاق بابه

وقد أكثر الشعراء ذم المحتجبين لما أتوا أعتابهم فلعبد الله بن أحمد المهر في علي بن الجهم

أعلي دونك باب على حجاب * يدني البعيد ويحجب الاصحاب

هذا

هذا باذنك أم برأيك أم برأى * هذا عليك العبد والبواب
ان الشريف اذا أمور عبيده * غلبت عليه فأمره مرتاب

وللوليد بن عبيد البحترى فى ابن المدبر وكان له غلام حاجب يسمى بشرا

وكم جئت مشتاقا على بعد غاية * الى غير مشتاق وكم ردّنى بشر
فما باله يأبى دخولى وقد رأى * خروجى من أبوابه ويدى صفر

فتأمّل بديع هجوه بآخر بيتيه ومن أفحش الهجو بالحجاب قول بعضهم

أيحجبنى من ليس من دون عرسه * حجاب ولا من دون وجعائه ستر
ومن لو أمات الله أهون خلقه * عليه لأضحى قد تضمّنه قبر

فاعرف مقصده من البيت الثانى لتكون ممن حصل على ذوق المعانى * ولبعض الأدباء من خواص أصحابنا

اذا ما جئت باب كريم أصل * له فى المجد أعراق قديمة
يبادر بالخروج اليك طلقا * ترى فى وجهه بشرى وسيمة
ويسأل عن مرادك فى ابتسام * بألفاظ كالدرر النظيمة
ويقضى ما أردت بلا توان * ولو كان المراد رفيع قيمة
ويسدى فوق ما أمّلت منه * بنفس لم تخف فقرا سليمة
فترجع من حماه قرير عين * وقد غمرتك من نعماه ديمة
وذو اللؤم البخيل متى تجئه * تجد فى بابه أمة لئيمة
عليها ذلة من طول جوع * كثكلى ذات حزن أو يتيمة
فان باحتها عنه لأمر * رأت صدق الحديث من الجريمة
تجيبك وهى أكذب من سجاح * وما تمشى بحال مستقيمة
فتنفى كونه بالدار خوفا * من التوبيخ والكرب العظيمة
اذا ما أخبرت عنه بصدق * يعد كلامها شرّ النميمة
فيوجع رأسها ضربا أليما * وينخس ظهرها نخس البهيمة
وما هذا الحجاب لغير بخل * فبئس الفعل والصفة الذميمة
فردّ الامس أيسر من لقاه * وان كانت بمنزله وليمة

(الى أن قال)

فما غلظ الحجاب بطبع حرّ * ولا ترضى به النفس الكريمة   الخ

والشأن ان فعل الحاجب عنوان على حال المحجوب كما قال الطائى

حَشَم الصديق عيونهم بحاثة * لصديقه عن صدقه ونفاقه
٢ فلينظرن المرء من غلمانه * فهم دلائله على أخلاقه

٢ بضم الياء اه مؤلفه

(وقال آخر)

اعرف مكانك من أخيك * ومن صديقك بالحشم

(وقال آخر)

ومحنة الزائرين بينة * تعرف قبل اللقاء بالحشم

(وقال آخر)

يدل على سرّ الفتى واحتماله * اذا كان سهلا دونه اذن حاجبه

وقد قيل ما البوّاب الا كربه * اذا كان سهلا كان سهلا لصاحبه

وقال أيمن بن خريم يمدح بشر بن مروان بلين الحجاب

ولو شاء بشر كان من دون بابه * طماطم سود أو صقالبة حمر
ولكن بشرا سهل الباب للتي * يكون له من دونها الحمد والشكر
بعيد مراد الطرف ما رد طرفه * حذار الغواشي باب دار ولا ستر

وله أيضا في عبد العزيز

لعبد العزيز على قومه * وغيرهم منن ظاهرة
فبابك ألين أبوابهم * ودارك مأهولة عامرة
وكلبك أرأف بالمعتفين * من الأم بابنتها الزائرة
وكفك حين ترى السائلين * أندى من الليلة الماطرة
فمنك العطاء ومنا الثنا * بكل محبرة سائرة

ولعمارة بن عقيل في خالد بن يزيد

تأبى خلائق خالد وفعاله * إلا تجنب كل أمر عائب
واذا حضرنا الباب عند غدائه * اذن الغداء برغم أنف الحاجب

ولم يتبرم الطائي من وصمة الوقوف بالباب بل استقرب المرام عند الحجاب اذ قال في اسحق بن ابراهيم الموصلي

يا أيها الملك المأمول نائله * وجوده لمراعي ٢ جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا في مالك بن طوق سائقا الاعتذار عنه ألطف سوق

قل لابن طوق رحا سعد اذا خبطت * حوادث الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحت حاتمها جودا وأحنفها * حلما وكيسها علما ودغفلها
مالي أرى القبة الفيحاء مقفلة * عني وقد طالما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لي عمل زاك فأدخلها

ومن معناه قول الخثعمي لما حصل المراد مع الابعاد كأنه عن وصمة الحجب عمي

كيفما شئت فاحتجب يا أبا اللي * ث ومن شئت فاتخذ بوّابا
أنت لو كنت دون اعراض قحطا * ن وأسبلت دونه الابوابا
لرأينا سالك في مرايا أياد * يك يقينا ولو أطلت الحجابا

وللبلادري ولم يكن للبلادري

قالوا اصطبارك للحجاب وذله * عار عليك مدا الزمان وعاب
فأجبتهم ولكل قول صادق * أو كاذب عند الكريم جواب
اني لاغتفر الحجاب لماجد * ليست له منن علي رغاب
قد يرفع المرء اللئيم حجابه * ضعة ودون العرف منه حجاب
والحر مبتذل النوال وان بدا * من دونه ستر وأغلق باب

اختلف

تنبيه قال في المواهب وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم أن لا يتخذ حاجبا وذهب آخرون الى جوازه وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم وقال آخرون بل يستحب له ذلك ليرتب الخصوم ويمنع المقتحم ويدفع الشرير والله تعالى

٢ الجود بالفتح المطر والمراد ...ا العطاء والكثب ...ثلثة القرب اه مؤلفه

هذا التنبيه موجود ...ش الاصل فذهب منه ...القص بعض كلمات ...وف فأتممناها بالاجتهاد ...ين ان ما تحريناه في ...امها هو الصواب ...ز اه مصححه

تعالى أعلم اهـ ومذهبنا على الجواز قال الشيخ في باب القضاء عطفا على الجائزات واتخاذ حاجب وبواب والله تعالى أعلم (ثم قال الناظم)

191 ﴿وليجعل الزهد رفيقا والورع * مسكنه ولا يجاور الطمع﴾

الواو للعطف واللام لام الامر مسكنة على الاصل فيها ويجعل مضارع مجزوم بها والضمير في يجعل عائد على الشيخ والزهد مفعوله والزهد بضم الزاي وقد تفتح كما للشبرخيتي في شرح الأربعين وهو لغة ترك الشيء والاعراض عنه يقال زهد فيه كسمع ومنع وكرم زهدا وزهادة أعرض عنه وتركه ويأتي مزيد تفسيره عن الغزالي ورفيقا أي صاحبا مفعول ثان ليجعل والورع بالنصب معطوف على الزهد والورع بفتحتين لغة مصدر ورع عن المحرمات اذا تركها واجتنبها يرع بالكسر في الماضي والمضارع ورعا بفتحتين ورعة كعدة وفي فعله لغات أخر تقدمت عند قول الناظم في الباب قبل هذا

* واقرأ على شيخ ذكي ذي ورع * ومسكنه أي محل اقامته معطوف على رفيقا فالواو الداخلة على الورع عطفت معمولين على معمولين لعامل واحد وهو جائز قطعا وجملة وليجعل الخ معطوفة بالواو على جملة قوله سابقا والشيخ من آدابه المرعية مخافة الله الخ من عطف جملة فعلية طلبية على جملة اسمية خبرية في معنى الطلب ويأتي قريبا ما في ذلك وقوله ولا يجاور الخ الواو للعطف ولا ناهية ويجاور بالراء فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه سكون على الراء منع من ظهوره كسرها لالتقاء الساكنين ويحتمل أن تكون لا نافية ويجاور مضارع مرفوع والنفي بمعنى النهي والضمير في يجاور عائد على الشيخ أيضا والطمع مفعول يجاور والطمع لغة تمني الشيء وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله وقد يستعمل بمعنى الامل يقال منه طمع في الشيء طمعا وطماعا وطماعية مخفف الياء فهو طمع وطامع وجملة ولا يجاور الطمع معطوفة على جملة وليجعل الزهد الخ سواء جعلنا يجاور مجزوما أو مرفوعا كما مر فان جعلناه مجزوما فلا اشكال لانا عطفنا جملة انشائية على مثلها وان جعلناه مرفوعا على انه منفي فقد قدمنا ان هذا النفي مراد منه معنى النهي والنظر الى المعنى لا الى اللفظ فيكون من عطف جملة انشائية معنى على انشائية لفظا ومعنى ولو نظرنا الى لفظ المعطوف لجاز العطف أيضا على مذهب من يجيز عطف الخبر على الانشاء وعكسه ﴿والمعنى﴾ من آداب الشيخ المرعية أن يجعل الزهد رفيقه بحيث يلازمه ويصاحبه والورع مسكنه بحيث لا يجانبه وليبعد عن الطمع فلا يقاربه وينبغي ان مراد الناظم الزهد في غير الجميل من حلال الملبوس وأما هو فانه من حسن المروءة وكمال النفوس وخصوصا العلماء كما سيشير له الناظم بقوله

*وليك ناسكا جميل السمت * فانظر ما للناهناك أما حقيقة الزهد فهو كما في الإحياء انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة من بيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في ذلك الغير فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه أيضا بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك الحجر والتراب وما أشبههما لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة، وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة والبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وحبا فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ومن باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة وقد جرى العرف من الشرع والصوفية بتخصيص اسم الزهد بالزهد في الدنيا حلالها وحرامها ولهذا عرف الزهد

يُعلم أن
الزهد وما قيل

شرعا بأنه أخذ قدر الضرورة من المال المتيقن حله فهو أخص من الورع اذ الورع كما يأتي ترك المشتبهات فضلا عن المكروهات والمحرمات ولهذا قال الطيبي لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت وعرف أيضا عرفا بأنه تفريق المجموع وترك طلب المفقود والإيثار عند القوت ، قال أبو يزيد ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ مر علينا حاجا فقال يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وقال الضحاك روي أنه قيل يا رسول الله من أزهد الناس قال أزهد الناس من لم ينس المقابر والبلا وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من أيامه غدا وعد نفسه من الموتى ، وله حدود كثيرة كل يحده باعتبار مقامه وحاله ﴿قلت﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم أشار لحال وسط يليق بجميع أمته فلا يرد أن في مقامات الزهد أعلا من هذا وهو صلى الله عليه وسلم حاز المقامات العلى في كل فضيلة وخصلة جميلة والله أعلم وأحسن حدود الزهد كما قال ابن القيم إنه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا زهد العارفين وفوقه ما هو أعلى منه وهو زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول اليه تعالى والقرب منه ، وقد ورد في فضل الزهد آيات وأحاديث وآثار قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا قال في الاحياء فنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير أي صبروا على الزهد في الدنيا وقال عز وجل انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ، وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة على قلبه وأنطق بها لسانه وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغني أبدا وحرصا لا يشبع أبدا وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا * وقال بعض الصحابة تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا * وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا منكم قالوا ولم ذلك قال كانوا أزهد في الدنيا منكم وقال سيدنا عمر رضي الله عنه

لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه ، ولذلك يقال حسن الفقراء ، الدنيا زهدهم فيهم لا من زهدوا فيها

الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد، وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية أبواب فاذا صار أهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين فى الدنيا العاشقين للجنة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقيل لابن المبارك من الملوك قال الزهاد وقد نص بعض الفقهاء على ان من أوصى بمال للعقلاء أن يصرف للزهاد فى الدنيا وقال الفضيل بن عياض لو كان لأهل الحديث والقراء صبر على الزهد فى الدنيا ما تمندل بهم الناس وقال الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولهى كانت فى أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولا ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيأ ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه. والكلام فى بغض الدنيا والزهد فيها والتحذير من الاقبال بالكلية اليها كثير شهير لا يمكن استيفاؤه فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق والعلماء وارثوهم فى ذلك فكيف يمكن الاحاطة بكلام هؤلاء والله الموفق ثم ان للزهد أسبابا ودرجات وأقساما وعلامات انظر الاحياء ورسالة القشيرى ان شئت ﴿تنبيه أكيد﴾ اعلم أن الزهد ليس هو عدم المال بل عدم احتفال القلب بالدنيا او الأموال وان كانت فى ملكه كما مرت الاشارة اليه فى أحسن حدود الزهد فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لأنه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لأجل ما اشتمل عليه قلبه من الرغبة فى الدنيا قاله القرافى فى الفرق الخامس والخمسين والمائتين وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقال أما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وأن يكون ثواب المصيبة أرجح عندك من بقائها وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من صلحاء الامة الذين بسط لهم فى الدنيا فكثرت أموالهم واتسعت فيها أحوالهم وبذلك وصفهم الله سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم فى سائر أطوارهم فقال عز من قائل فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فأخبر عنهم بأنهم لا يلهيهم ما ذكر عن طاعته فأثبته لهم ونفى عنهم الشغل به عنه اشارة الى أنه قد طهر أسرارهم وكمل أنوارهم فلم تأخذ الدنيا من قلوبهم ولم تخدش فى وجه معرفتهم وزهدهم وقيل لسفيان الثورى أيكون الرجل زاهدا ويكون له المال قال نعم اذا ابتلى صبر واذا أعطى شكر وأخبار الأولياء المسلم لهم المقتدى بهم فى تعاطى الأسباب وتنمية المال وانفاقهم منه فى طرق الخيرات ومدحهم لذلك وتفضيله على مجرد الفقر والتشوق لما بيد الناس مذكور مشهور فى التعريف بهم ومقرر فى كتب القوم ولهذا قالوا ان الفقر المحمود هو ما كان مع استفراغ القلب من الدنيا والغنى المذموم هو ما كان القلب معه مشغولا به والا فالفقر ليس محمودا لذاته والغنى ليس مذموما لذاته ولما كان المال ذا وجهين لا وردت أحاديث بذمه وذلك الغالب، ووردت أحاديث بمدحه فالموضوع مختلف والله أعلم ﴿تنبيه آخر﴾ قد اختلف فى المزهود فيه من الدنيا التى ورد طلب الزهد فيها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والتحقيق ان دنيا كل

أحد بحسب حاله حتى إن كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الأمير بين أجناده وما أشبه ذلك دنيا بالنسبة اليهم الا أن قصد بذلك وجه الله والدار الآخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق والله سبحانه هو المرجو في التوفيق لا مرجو غيره ﴿وأما الورع في عرف الصوفية﴾ فهو ترك الشبهات فضلا عن المحرمات والمكروهات . قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه الورع ترك كل شبهة وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل ، وقال يونس بن عبيد الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة وقال سفيان الثوري ما رأيت أسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وقال أبو عثمان ثواب الورع خفة الحساب وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل الى الجليل من العطاء وقيل من دق في الدين نظره جل في القيامة خطره وقال معروف الكرخي احفظ لسانك في المدح كما تحفظ لسانك في الذم وقال بشر بن الحرث أشد الاعمال ثلاثة الجود في القلة والورع في الخلوة وكلمة الحق عند من يخاف منه ويرجى * ودخل الحسن البصري رضي الله عنه مكة فرأى غلاما من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن فقال ما ملاك الدين فقال الورع فقال ما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة ، وأوحى الله الى موسى عليه السلام لم يتقرب الي المتقربون بمثل الورع والزهد وقال أبو هريرة رضي الله عنه جلساء الله غدا أهل الورع والزهد ورؤي سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال بالورع وحكايات ساداتنا الصوفية نفعنا الله بهم في الورع كثيرة قال عبد الله بن الجلاء أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر وقيل لابراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت وهو اشارة الى أن الدلو من مال السلطان فهو من المتشابه وقال ابن المبارك لأن أرد درهما من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف وعن الفضيل أنه كانت له شاة فأكلت شيأ يسيرا من علف لبعض الأمراء فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك ووقع لعبد الله بن مروان فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له في ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى * وجاءت أخت بشر الحافي الى أحمد بن حنبل وقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال أحمد من أنت عافاك الله تعالى قالت أخت بشر الحافي فبكى أحمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها * وروي أنه حمل الى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين * وسئل أبو عثمان الحيري عن الورع فقال كان أبو صالح حمدون عند صديق له في النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح في السراج فقيل له في ذلك فقال الى الآن كان الدهن له في المسرجة ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا غيره وقال كهمس أذنبت ذنبا أبكي عليه منذ أربعين سنة وذلك انه زارني أخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ من الأكل أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل يده ولم أستحله قبل * وكان رجل يكتب رقعة وهو في بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم خطر بباله انه لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب * ورهن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلا عند بقال بمكة حرسها الله فلما

ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم وقال أيضا مامن شئ أذهب لعقول الرجال من الطمع وقالوا الطمع يدنس الثياب ويغير الأذهان وقالوا مصارع الألباب تحت ظلال الطمع * وقيل لبعضهم ما الغنى قال قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك * وقال ابن عطاء الله فى الحكم ما بسقت أغصان ذل الا على بذر الطمع وفيها أيضا أنت حر مما أنت منه آيس ، وعبد لما أنت له طامع قال أبو عبد الله بن عباد ان الطمع من أعظم آفات النفس وعيوبها القادحة فى عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، والطمع مضاد لحقيقة الإيمان التى تقتضى وجود العزة والعزة التى اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاهم وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه اهـ وقيل

حسبى بعلمى إن نفع * ما الذل الا فى الطمع

(ولآخر)

الحر عبد ما طمع * والعبد حر ما قنع

(وقال أبو عثمان التجيبى)

أنت حر ما تركت الطمعا * وعزيز ما تبعت الورعا

وكفى بالعز مع حرية * شرفا يختاره من قنعا

(ولآخر)

ومن كانت الدنيا مناه وهمه * سبته المنى واستعبدته المطامع

(ولآخر)

لا تضرعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك فى الدين

واسترزق الله مما فى خزائنه * فانما هو بين الكاف والنون

وقالوا لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدور ، ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ، ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان وقيل

وما قطع الأعناق حتى أبانها * وقدرها الا سيوف المطامع

(ولآخر)

رأيت مخيلة فطمعت فيها * وفى الطمع المذلة للرقاب

(ولآخر)

فاذا طمعت لبست ثوب مذلة * فبما اكتسى ثوب المذلة أشعب

وقالوا الطمع يعمى قلب الآدمى حتى يقدر حصول ما لا يكون (قال الشعبى) حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت له ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت لا تتلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين فى كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تتلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف

أراد فكاتبه أخرج البقال اليه سطلين وقال خذ أيهما شئت فقال أحمد أشكل عليّ سطلي فخذ لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وانما أردت أن أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل عنده ومن فضيلة الورع انه يورث الهيبة في قلوب الناس قال علي العطار مررت بالبصرة في بعض الشوارع فاذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبي من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم * وذكر أنه رجع ابن المبارك من مرو الى الشام في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه * واستأجر النخعي دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فأخذ السوط فقيل له لو حولت الدابة الى الموضع الذي فيه سقط السوط فأخذته فقال انما استأجرتها لأمضي هكذا لا هكذا وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب ماء باردا ستين سنة فرؤي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا الا اني محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها * ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما حطبا لانسان فكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به منذ مت * وتكلم أبو سعيد الخراز في الورع فمر به عباس بن المهتدى فقال أبا سعيد أما تستحي تجلس تحت سقف ابن الدوانيق وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل بالدراهم المزيفة وتتكلم في الورع * وجاء رجل الى الحسن البصري من بلاد بعيدة وقال جئتك لتعلمني الورع فقال له الحسن يا أخي أنا أكلت من طعام الأمراء فما بقي يصلح أن يؤخذ عني الورع ولكن امض الى فلان بالكوفة تراه في مزرعة له قد ورثها من آبائه لا يأكل الا منها نخذ عنه الورع فذهب اليه من البصرة الى الكوفة فوجده كما وصف له الحسن فقال من أرسلك اليّ قال الحسن البصري قال كان عهده بشيء وقد زال فقال له وما ذاك فقال اشتغلت يوما عن البقرة في صلاتي فذهبت الى طين الجار على أثر مطر فرجعت وفي قوائمها طين فاختلط بطين أرضي فما بقي يصلح أن يؤخذ عني ورع (وفي حياة الحيوان) قيل اختلط غنم البادية بغنم الكوفة في زمن أبي حنيفة فسأل أبو حنيفة رضي الله عنه كم تعيش الشاة فقيل سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين اهـ فانظر الى ورع هؤلاء السادات رضي الله عنهم ونفعنا بهم وبأمثالهم ورزقنا محبتهم فان المرء مع من أحب وان لم يعمل بأعمالهم وهذا كله من اتقاء الشبهات التي قال فيها صلى الله عليه وسلم ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴿وأما الطمع﴾ فهو التشوق الى ما في يد الغير وتمنيه وهو مذموم منهي عنه وخصوصا للعلماء فانه يجر الى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت ، قال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في شيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك الدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان * وفي الحديث اياكم واستشعار الطمع فانه يشرب القلوب بشدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا وهو مفتاح كل سيئة والسبب في احباط كل حسنة * وفي الحديث أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما الغنى اليأس عما في أيدي الناس واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال عليك باليأس عما في أيدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر واذا صليت فصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه * وعن سيدنا علي رضي الله عنه الطمع رق مؤبد * وعن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال

لكن يلاحظ ان في بعضها مبالغة
ما قيل في الطمع

عفا الله عنها انها يوم ودّعت * أجلّ فقيد في التراب مغيّب
ولو أنّها اعتاضت لكان مصابها * أخفّ على قلب الحزين المعذّب
ولكن رأت في الأرض أفعى مجدّلا * على قدر غرمول الحمار المشذّب
فظنّته أيرا والظنون كواذب * إذا أخبرت عن علم ما في المغيّب
وأهوت إليه من يفاع ودونه * ثمانون باعا من علو مصوّب
فصارت حديثا شاع بين مصدّق * يحقّقه علما وبين مكذّب
سرى الطمع المؤذي إليها بحتفها * ومن يمتثل أمر المطامع يعطب
وأعظم يا هذا لك الله ربّها * ورُبّك أجر الثكل في شاة أشعب

(وممن يضرب به المثل في الطمع أيضا) رجل من بني شيبان يقال له فلحس كجعفر يقال أطمع من فلحس قال الميداني كان سيدا عزيزا يسأل سهما في الجيش وهو في بيته فيعطى لعزه فاذا أعطيه سأل لامرأته فاذا أعطيه سأل لبعيره قال الجاحظ كان لفلحس ابن يقال له زاهر بن فلحس مرّ به غُزّيّ ٣ من بني شيبان فاعترضهم وقال الى أين قالوا نريد غزو بني فلان قال فاجعلوا لي سهما في الجيش قالوا قد جعلنا قال ولامرأتي قالوا ولك ذلك قال ولناقتي قالوا أما ناقتك فلا قال فاني جار لكل من طلعت عليه الشمس ومانعه منكم فرجعوا عن وجههم ذلك خائبين ولم يغزوا عامهم ذلك اه ويضرب به المثل أيضا في عظم الجاه فيقال أعظم في نفسه من فلحس وفي السؤال فيقال اسأل من فلحس قال أبو عبيد ومعنى قولهم أسأل من فلحس انه الذي يتحين طعام الناس يقال أتانا فلان يتفلحس كما يقال في المثل الآخر جاء يتطفل ففلحس عندهم مثل طفيل (وممن يضرب به المثل أيضا في الطمع) رجل يقال له قرلى بكسر القاف والراء وفتح اللام المشددة بعدها ألف هو اسم رجل من العرب كان لا يتخلف عن طعام أحد ولا يترك موضع طمع الا قصد اليه وان صادف في طريق يسلكه خصومة ترك ذلك الطريق ولم يمر به فقالوا فيه أطمع من قرلى هذا ما حكاه النسابون في تفسير هذا المثل * وقيل ان القرلى طير من بنات الماء يهوي باحدى عينيه الى قعر الماء طمعا ويرفع الاخرى الى الهواء حذرا فان أبصر في الماء ما يستقل بحمله من سمك أو غيره انقض عليه كالسهم المرسل فأخرجه من قعر الماء وان أبصر في الهواء جارحا مرّ في الارض ويضرب به المثل أيضا في الحزم فيقال أحزم من قرلى كما يقال أحزم من حرباء وفي الحذر فيقال أحذر من قرلى كما يقال أحذر من غراب وفي الاسجاع كن حذرا كالقرلى ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تولى وقال حمزة وأنا أقول خليق أن يكون الرجل شبه بهذا الطائر وسمي باسمه أي فلا خلاف حينئذ (وممن يضرب به المثل في الطمع أيضا) طفيل الذي ينسب اليه الطفيليون فيقال أطمع من طفيل كما في مجمع الامثال للميداني وهو رجل من بني عبد الله بن غطفان وأخباره معلومة مشهورة * ومن لطيف الحكايات المتعلقة بالطمع ان بعضهم مرّ بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ان لم أحمل عليك ألف رجل فأنا برجل فجلس على الباب الى أن أعيا ثم قام ودق الباب وقال تحمل على هذه الفاعلة والا فخذني * وقيل ان بعضهم تمنى في منزله فقال ليت لنا جماعة تطبخ سكباجا فما لبث أن جاء ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا لنا قليلا من المرق فقال جيراننا يشمون رائحة الاماني * ومن الحكايات الموضوعة على ألسنة الحيوانات قالوا رأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفيني على حمارك فأردفتها فقالت ما أفره حمارك ثم سارت يسيرا وقالت ما أفره حمارنا فقالت لها الظبية انزلي قبل أن تقولي ما أفره حماري فما رأيت أطمع منك (ثم قال الناظم رحمه الله تعالى)

٣ بضم الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء جمع غاز أي جماعة يريدون الغزو اه

192 ﴿وليتعفف عن عطية الملوك * ولا يكن له ببابهم سلوك﴾

الواو

أشعب الطماع

يكون فى حوصلتى درّتان فى كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون والكلام فى ذم الحرص والطمع أكثر من أن يحصر أو يجمع والباعث على الطمع الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما أوتى ولا يستنكف عما منع وحسم مادّة الطمع باليأس والقناعة * وممن اشتهر بوصف الطمع وصار عليه أغلب أبو العلاء مولى عبد الله بن الزبير المسمى بأشعب يضرب به المثل فيقال أطمع من أشعب وهو رجل من أهل المدينة سأل أبو السمراء أبا عبيدة عن طمعه فقال اجتمع عليه يوما غلمة من غلمان المدينة يعابثونه وكان مزاحا ظريفا مغنيا فآذاه الغلمة فقال لهم ان فى دار بنى فلان عرسا فانطلقوا الى ثمّ فهو أنفع لكم فانطلقوا وتركوه فلما مضوا قال لعل الذى قلت من ذلك حق فمضى فى اثرهم نحو الموضع فلم يجد شيأ وظفر به الغلمان هنالك فآذوه وكان صاحب نوادر واسناد وكان اذا قيل له حدّثنا يقول حدّثنا سالم بن عبد الله وكان يبغضنى فى الله فيقال له دع ذا فيقول ما عن الحق مدفع ويروى ليس للحق مترك * وكانت عائشة بنت عثمان كفلته وكفلت معه ابن أبى الزناد فكان يقول أشعب تربيت أنا وابن أبى الزناد فى مكان واحد وكنت أسفل ويعلو حتى بلغنا الى ما ترون * وقيل لعائشة هل آنست من أشعب رشدا فقالت قد أسلمته منذ سنة فى البز فسألته بالامس أين بلغت فى الصناعة فقال يا أمّه قد تعلمت نصف العمل وبقى علىّ نصفه فقلت كيف فقال تعلمت النشر فى سنة وبقى علىّ تعلم الطىّ وسمعته اليوم يخاطب رجلا وقد ساومه قوس بندق فقال بدينار فقال والله لو كنت اذا رميت عنها طائرا وقع مشويا بين رغيفين ما اشتريتها بدينار فأى رشد يؤنس منه * وقال مصعب بن الزبير خرج سالم بن عبد الله بن عمر الى ناحية من نواحى المدينة هو وحرمه وجواريه وبلغ أشعب الخبر فوافى الموضع الذى هم فيه يريد التطفل فصادف الباب مغلقا فتسوّر الحائط فقال له سالم ويلك يا أشعب من بناتى وحرمى فقال لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فوجه اليه من الطعام ما أكل وحمل الى منزله * وقال أشعب وهب لى غلام فجئت الى أمى بحمار موقور من كل شئ والغلام فقالت أمى ما هذا الغلام فأشفقت عليها أن أقول وهب لى فتموت فرحا فقلت وهب لى غين قالت وما غين قلت لام قالت وما لام قلت ألف قالت وما ألف قلت ميم قالت وما ميم قلت وهب لى غلام فغشى عليها فرحا ولو لم أقطع الحروف لماتت وقال له سالم بن عبد الله ما بلغ من طمعك قال ما نظرت قط الى اثنين فى جنازة يتسارّان الا قدرت ان الميت أوصى لى من ماله بشئ وما أدخل أحد يده فى كمه الا أظنه يعطينى شيأ وقال له ابن أبى الزناد ما بلغ من طمعك قال ما زفت بالمدينة امرأة الا كسحت بيتى رجاء أن يغلط بها الىّ وبلغ من طمعه انه مرّ برجل يعمل طبقا فقال أحب أن تزيد فيه طوقا قال ولم قال عسى أن يهدى الىّ فيه شئ وكان يقول ما أحسست بجار لى يطبخ قدرا الا وضعت المائدة وانتظرته يحمل الىّ قدره ومن طمعه انه مرّ برجل يصنع علكا فتبعه أكثر من ميل حتى علم انه علك ويروى انه قيل له ما بلغ من طمعك فقال للسائل هات فانك ما سألتنى عما بلغ اليه طمعى الا وقد خبأت لى شيأ تعطينى اياه وقيل له هل رأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لى فنزلنا عند دير فيه راهب فتلاحينا فى أمر فقلت الكاذب منا أير هذا الراهب فى استه فنزل الراهب وقد أنعظ وقال أيكما الكاذب ثم قال أشعب ودعواه هذا امرأتى أطمع منى ومن الراهب قيل له وكيف ذلك قال انها قالت لى ما يخطر على قلبك من طمع فى شئ يكون بين الشك واليقين الا وأتيقنه ودعواه هذا شاتى أطمع منى ومنها قيل له وكيف قال صعدت على سطح فنظرت الى قوس قزح فظننته حبل قت فأهوت اليه فسقطت فاندق عنقها وأخباره كثيرة وقد أشار ابن حجاج الى طمع شاة أشعب وضرب بها المثل فى قصيدة نظمها فى زوجته وقد سقطت من سطح فماتت

الواو للعطف واللام لام الامر ويتعفف مضارع مجزوم بها وفيه ضمير عائد على الشيخ وعن عطية جار ومجرور متعلق بيتعفف وياء عطية مشددة لان أصلها عطيوة بياء بين كفعيلة ثم أدغمت الياء الاولى فى الثانية فهى فعيلة بمعنى مفعولة أى معطية وأصل معطية معطوية كمفعولة اجتمعت الواو مع الياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء الثانية وكسرت الطاء لمناسبة الياء والملوك مضاف اليه عطية وهو جمع ملك بكسر اللام والمراد به هنا من له ملك وسلطنة أعم من أن يكون سلطانا عرفيا أو وزيرا أو عاملا أو غير ذلك وجملة وليتعفف الخ معطوفة على الجملة قبلها وقوله ولا يكن الخ الواو عاطفة ولا ناهية ويكن مضارع من كان التامة مجزوم بلا الناهية وله متعلق بيكن والضمير المجرور باللام عائد على الشيخ وبباهم متعلق بسلوك والضمير المضاف اليه باب عائد على الملوك وسلوك فاعل بيكن ﴿والمعنى﴾ من آداب الشيخ المرعية أن يجتنب عطية الملوك ولا يقبلها وأن لا يكون له وقوف وسلوك بأبوابهم فان الذهاب لابوابهم ذل للعلم والعلماء ففى الحديث العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا الملوك فاذا خالطوهم فاتهموهم على دينكم أو كما قال وقال الامام الاوزاعى رضى الله عنه ما شىء أبغض الى الله من عالم يزور العمال وكان مكحول يقول من قرأ القرآن وتفقه فى الدين ثم مشى الى باب أمير بغير ضرورة فقد خاض فى جهنم بعدد خطاه ويقال خير الملوك الزوّارون للعلماء وشرّ العلماء الزوّارون للملوك وهذا حيث مشى اليهم من غير ضرورة ولا دعاء منهم له كما هو صريح كلام مكحول وظاهر كلام الاوزاعى وصرّح به جماعة وأما اذا دعا السلطان واحدا من العلماء أو غيرهم فانه يجب تلبية دعوته وتعظيمه وتوقيره قال سهل رحمه الله تعالى أطيعوا السلطان فى سبعة ضرب الدنانير والدراهم والمكاييل والاوزان والحج والجمعة والجهاد ولا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فان استخفوا بهذين أفسد دنياهم وآخرتهم اهـ وقال ابن العربى السلطان نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب له ما يجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التعظيم والحرمة والطاعة ويزيد على النبى صلى الله عليه وسلم لا لحرمة زائدة لكن لعلة حادثة بأوجه منها الصبر على اذايته ويدعى له عند فساده بصلاحه اهـ نقله فى المعيار وقال بعضهم من لم ير طاعة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن يأتيه من غير دعوة فهو جاهل وقال الشيخ زروق فى بعض تآليفه والحق أن الملوك رحمة من جانب نقمة من آخر فمن أهمل حقوقهم هلك فى الدنيا والآخرة ومن تعرّض لهم خسر فى الدنيا والآخرة ومن اعتمدهم فاتته الدنيا والآخرة اهـ قال العلامة الشيخ التاودى بن سودة عقبه ومن خطه نقلت وحاصله لا تهملهم ولا تتعرّض لهم ولا تعتمدهم اهـ فالدأب على مجالستهم والاتيان الى أبوابهم يعود بالتطبع بالكبر والرياء قال بعضهم المجالس ثمانية وكل مجلس ينال منه شيآن مجلس العلماء ينال منه العلم والحكمة ومجلس الأولياء ينال منه الزهد والبركة ومجلس الفقراء ينال منه الصبر والقناعة ومجلس السفهاء ينال منه الضرّ وقلة الدين ومجلس الأمراء ينال منه الكبر والرياء ومجلس الأغنياء ينال منه الحرص والطمع ومجلس النساء ينال منه الذل والمعصية ومجلس الصبيان ينال منه الحمق والضحك اهـ وطلب منى بعض الأصحاب نظمها فقلت :

أصخ لمقال الرشد إن كنت ذا فكر * وقابل نصوحاً بالقبول وبالشكر
فقد جاءنا عن أهل علم وحكمة * مقال بدا فى حسن معناه كالدرّ
مجالس أصناف ثمان تفيد من * أتى جمعها أمرين لا شك فلتدر
فمجلس أهل العلم يوليك حكمة * وعلما فكن يا صاح أحرص فى الخير
ومجلس أهل الله يعطى زهادة * وكثرة أعمال تزيدك فى الأجر

ومجالس أهل الفقر يسدى قناعة * بما قسم الرزاق مع خصلة الصبر
ومجالس أهل الشر يرجع من أتى * اليه بضعف الدين واللهو والخسر
ومجالس أهل الملك إن جاءه فتى * تزود منه بالرياء وبالكبر
ومجالس أهل المال إن جئته ترى * لك الحرص أخلاقا مع الطمع المزرى
ومجالس نسوان يوالى بذلة * ومعصية الجبار فابعد عن الضر
ومجالس صبيان يثوب اذا أتى * اليه فتى بالحمق والضحك والوزر
فلازم ثلاثا واجتنب شر خمسة * تنل كل مأمول وتسلم من الشر

وكررت نظمها فى قطعة رجزية وهى:

الزم أخى صحبة أهل العلم * تحظ بحكمة وخير علم
ولتغتنم مع أولياء الله * تنل زهادة ورفع جاه
واحرص على صحبة أهل الفقر * تعط القناعة وحسن الصبر
واجتنبن مجالس أهل السفه * تسلم من اللهو وكل وله
وابعد عن الملوك كي تنجو من * رياء وكبر اذهمو بذا قمن
واعتزلن عن ذوي الأموال * تنج من الحرص وشغل البال
واحذر مجالس النساء فانها * بالذل والعصيان تغرى أهلها
ولا توافِ مجمع الصبيان * فانه الطريق للخسران

﴿رجع﴾ فالسلطان كما قال الأئمة لا بد للناس منه به يستقيم أمرهم ويتم صلاحهم

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

فالدعاء لهم مطلوب والحرص فى صلاحهم أمر مرغوب قال الفضيل وابن المبارك لو كانت لنا دعوة مستجابة لجعلناها فى السلطان يعنيان لما فى الدعاء له بالصلاح من صلاح العامة واستقامة الامر وسلامة ذات البين قال الشيخ يوسف البلوى فى هذا المعنى

وأخلص فى الدعا للخلق طرا * وخص به القضاة مع الولاة
فان صلحوا فيصلح من سواهم * وما المرعي الا بالرعاة

(وكان ينشد)

الله يدفع بالسلطان معضلة * عن ديننا منة منه ودنيانا
لولا الخلائف لم تؤمن لنا سبل * وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

وقال الطرطوشى فى سراج المريدين عن الفضيل لو ظفرت ببيت المال لاخذت من حلاله وصنعت منه أطيب طعام ودعوت الصالحين وأهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلى علينا وجعل عليه أمرنا وسئل سهل بن عبد الله التسترى كما فى سنن المهتدين للمواق أي الناس خير قال السلطان قيل كنا نرى أن شر الناس السلطان قال مهلا ان لله فى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال الناس ونظرة الى سلامة أبكارهم فيطلع الله فى صحيفة السلطان فيغفر له وأن الخشبات المعلقات على أبوابهم خير من سبعين واعظا يعظون اه ﴿قلت﴾ وأصل هذا حديث ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وقال بعضهم سألت أبا العلاء فقلت يا أبا العلاء أسب الحجاج قال ادع الله له بالصلاح فان صلاحه خير لك من فساده وكذلك قال الحسن رضى الله عنه أيها الناس لتعلمن والله ما سلط عليكم الحجاج الاعقوبة من الله لكم فلا تعارضوا عقوبة الله بالحمية والسيوف فعليكم بالذلة والاستكانة والخشوع والتوبة وكان يتلو هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى

صواب: سراج الملوك
سراج المريدين لابن العربي

اثر لعثمان رضي الله عنه

اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه الآية وقد روى أن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الكتب يقول الله عز وجل أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم وكذلك قال الرشيد لعلي بن عتيق فيما أوصاه به أطع الله يعطفني عليك وقال بعضهم فان كان السلطان عادلا فقد تمت النعمة وان كان جائرا فالصبر خير من القيام عليه واعتزاله سلامة اه (وأما) التعفف عن قبول عطيات الملوك والأمراء فهو طريق الورع الذي كان يسلكه جماعة من العلماء فقد أرسل بعض الولاة الى أبي ذر رضي الله عنه بجائزة فلم يقبلها وأرسل عبد الملك الى ابن المسيب بخمسمائة دينار فلم يقبلها وأرسل الوليد الى بشر بن سعيد خصيا بمال فوجده يصلي في مسجد فلما سلم أعطاه له فقال له هل تعرفني قال نعم أنت بشر بن سعيد قال لعل الوليد أراد غيري فخذ المال وعاوده فان قال أنا فارجع الي هنا ففعل الخادم ذلك فذهب وانصرف بشر ذاهبا فلما أتى الخصي لم يجده فأعلم الوليد فاستشاط غيظا وقال لعمر ابن عبد العزيز دللتني على كذا وعبر له بعبارة سب وحلف ليقتلنه فقال عمر لعله كان غنيا عنه وأنت تجد من هو مثله أو أفضل منه يقبل ذلك قال من هو فذكر رجلا صالحا فأرسله اليه فقبله فسري عن الوليد وبعث عمر بن عبد الله بن معمر ألف دينار الى القاسم فلم يقبلها وبعث عبد الملك بن مروان الى عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة بمال فلم يقبله وبعث خالد بن أسيد الى ابن مسروق بثلاثة آلاف فلم يقبلها وهو محتاج وبعث عمر بن عبيدة بألفي دينار الى ابن سيرين فلم يقبلها ودخل عليه فسلم سلاما عاما ولم يخصه فأجازه فلم يقبلها فلما ألح عليه ولم يقبل قال ردوا علي أرضي أحب الي قال نعم قال أزيلوا عنها الخراج قال نعم قال فما تصنعون فيه قال نفضه على أهل البلاد قال ان رفعتموه من الاصل والا فلا حاجة لي فيها فأبى ابن عبيدة فتركها ابن سيرين ولم يقبلها ودخل ابن محيريز على سليمان بن عبد الملك فقال سليمان بلغنا انك أنكحت ابنك قال نعم قال قد أصدقنا قال ابن محيريز أما العاجل فقد نقده وأما الآجل فهو عليه دين ودخل طاوس على محمد بن يوسف أخي الحجاج وهو والي اليمن في يوم بارد وطاوس يقعف من البرد فأمر بطيلسان به من الجودة ما الله أعلم به فألقي على منكبيه فجعل طاوس يحرك منكبيه حتى سقط عنه فغضب محمد فلما خرج قال له ابن منبه ما كان عليك لو أخذته فتصدقت به فقال له ما أحسن ما تقول لولا أنهم يقولون أخذ طاوس ثم يأخذون ولا يتصدقون وبعث خالد بن أسيد الى طاوس بثلاثين ألفا فلم يقبلها فقيل له لو تصدقت بها فقال أرأيت لو أن لصا نقب بيتا ثم أهدى اليك منه أتقبله قال ابن حبيب وما روى اذا جاءك شئ من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك انما ذلك فيما صح أصله فمن أخذ من سارق ما سرق أو اشتراه منه فقد شاركه في اثمها فهؤلاء الائمة الأعلام والجهابذة العظام تورعوا عن عطايا الملوك والامراء ورأوا أن ذلك أسلم لهم من قبول العطاء وقوم آخرون غيرهم قبلوا ما أتى من غير سؤال ولا تعريض بالحال أو المقال قال صاحب العمدة ان عبد الله بن عمر على جلالته رضي الله عنه والحسن البصري وعكرمة ومالك بن أنس عالم المدينة وجلة من أهل العلم غير هؤلاء كانوا يقبلون صلات الملوك اه وفي نفح الطيب ما نصه ذكر القرطبي صاحب التذكرة في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا ان الامام أبا عمر بن عبد البر حين بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جائزته فقال:

قل لمن ينكر أكلي * من طعام الأمراء
أنت من جهلك هذا * في محل السفهاء

لان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضي هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر مع

ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال ابن مسعود وكان قد سأله رجل سأله فقال إن لي جارا يعمل بالربا ولا يجتنب في مكسبه الحرام يدعوني لطعامه أفأجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشيء بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه حين سئل عن جوائز السلطان لحم ظبي ذكي ، وكان الشعبي من كبار التابعين وعلمائهم مؤدب بني عبد الملك بن مروان يقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعي وسائر علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب في جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعي وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلطان والأمراء وكان سفيان الثوري مع فضله وورعه يقول جوائز السلطان أحب الي من صلة الإخوان لأن الإخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير قد جمع الناس فيه أبوابا ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس في ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه في قبول جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى مدينة قرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الإدام والطعام والناض وله ولأمثاله في بيت المال حظ والمسؤول على التخليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعرف الشيء بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه فمن علم الشيء بعينه حراما مأخوذا من غير حله كالجزية وشبهها من الطعام والدابة وما كان مثل ذلك من الاشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة له فيه فهذا الذي لم يختلف أحد في تحريمه وسقوط عدالة آكله وآخذه ومتملكه ولم أعلم أحدا من علماء التابعين تورع عن جوائز السلطان الا سعيد بن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا في الورع وسلك سبيلهما في ذلك أحمد بن حنبل وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم أجمعين والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله وزهده فيها أن يحرم ما أباحه الله منها والعجب من أهل زماننا يحرمون الشبهات ويستحلون المحرمات ومثالهم عندي كالذي سأل عبد الله بن عمر عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين من أنتم فقالوا من أهل الكوفة فقال أتسألون عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن علي؟ وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروي هذا الحديث أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما وروى أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وفي حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله ، وفي لفظ بعض الرواة فلا ترد على الله رزقه وهذا كله مركب مبني على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشيء المحرم بعينه فانه لا يحل له اه كلام أبي عمر بن عبد البر وبه انتهى كلام صاحب النفح وذكر الشيخ زروق نفعنا الله به ان ابن عباد رضي الله عنه أعطاه السلطان كسوة ولبعض الصالحين وهو الرجراجي كسوة في وقت واحد فقبلها ابن عباد ولم يقبلها الآخر فقيل لبعض أهل البصائر من على الصواب فقال الورع مندوب وجبر قلب الملك واجب باجماع العقلاء وأنتم ترون من الأولى بالصواب الآخذ بمندوب أو الآخذ بواجب ثم قال أرأيتم لو أن الملك دخل في ذلك الوقت مكروبا ونزل به أمر من أمور المسلمين وخرجه على غير الصواب في ذمة من يكون اه قال العلامة الشيخ التاودي بن سودة في تأليفه كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم بها بيت المال عقب نقله هذه القضية ما نصه (قلت) ولعل الرجراجي كان يومئذ أحد الأئمة الاعلام وممن يقتدى به في الحلال والحرام وعلم ان عين الكسوة حرام والمقامات مختلفات والاعمال بالنيات والاحوال والنوازل مقتضيات والواجب التسليم لمن صح علمه

بحار الحشيش الذين كثر والتبدل وكثروا ببناء المساجد وبناء المدارس ... على طلبة العلم والصلاة ... زه يبقيلون ... منهم ... كانت ... بطنجة

الكتاب المهر الوزاني على المعيار

وورعه اهـ وفي النوادر لابن أبي زيد بجواز العلماء عندنا جائزة على ماشرط مالك يعني من كونها من الخلفاء الذين يجري على أيديهم بيت المال لا من العمال وغيرهم ممن ضرب على يده ومن كون ذلك الشئ غير معروف بالغصب بعينه لاجتماع الناس على قبول العطايا من الخلفاء من يرضى منهم ومن لا يرضى وجلّ ما يدخل بيوتات الاموال بالامر المستقيم والذي يظلمون فيه قليل في كثير ولم يعلم أحد من أهل العلم أنكر أخذ العطاء في زمن معاوية الى اليوم اهـ مع بيان وقد فرق زيادة الله عامل افريقية في زمانه مالا على العلماء فمنهم من قبل ومنهم من ردّ فاستنقص زيادة الله كل من قبل فبلغ ذلك أسد بن الفرات وكان ممن قبل فقال لا عليه انما وصلنا الى بعض حقنا والله حسيبه فيما يمسكه عنا ﴿فتحصل﴾ ان الائمة في الاخذ من الملوك على ثلاثة أصناف صنف ردّوا ولم يقبلوا أصلا وقسم قبلوا وتصدقوا بما أعطوا وقسم قبلوا وتملكوا ﴿وقلت﴾ والصنف الاول على قسمين قسم ردّوا العطاء ورعا وزهدا في الدنيا وقسم رأوا كراهة الاخذ حتى يساوي بين الناس في حقهم من بيت المال والصنف الثاني والثالث رأوا جواز الاخذ وان لم يساو بين الناس ثم منهم من تصدق ومنهم من تملك كما مرّ قال ابن حبيب والاخذ منهم أي من الملوك وان لم يساو بين الناس كافة حال جائز اذا طاب المجبى فأما اذا خبث المجبى فمجمع على النهي عنه والعيب له اهـ ﴿قلت﴾ ولعل مراده والله أعلم بطيب المجبى أن لا يعلم الشئ بعينه حراما كما مرّ عن الائمة وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري على حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه من هو أفقر اليه مني فقال خذه اذا جاءك من هذا المال شئ وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك ما نصه وكان بعضهم يقول يحرم قبول العطية من السلطان وبعضهم يقول يكره وهو محمول على ما اذا كانت العطية من السلطان الجائر والكراهة محمولة على الورع وهو المشهور من تصرف السلف والله أعلم والتحقيق في المسئلة أن من علم كون ماله حلالا فلا ترد عطيته ومن علم كون ماله حراما فتحرم عطيته ومن شك فيه فالاحتياط ردّه وهو الورع ومن أباحه أخذ بالاصل قال ابن المنذر واحتج من رخص فيه بان الله تعالى قال في اليهود سماعون للكذب أكالون للسحت وقد رهن الشارع درعه عند يهودي مع علمه بذلك وكذا أخذ الجزية منهم مع العلم بأن أكثر أموالهم من ثمن الخمر والخنزير والمعاملات الفاسدة وفي حديث الباب ان للامام أن يعطي بعض رعيته اذا رأى لذلك وجها وان كان غيره أحوج اليه منه وأن ردّ عطية الامام ليس من الادب ولا سيما من الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية اهـ (وقضية) العلماء مع السلطان أبي الحسن المريني رحمه الله حيث أكرمهم في داره بطعام واختلافهم فمنهم من قال اني صائم ومنهم من أكل أكلا خفيفا ومنهم من أكل أكلا بليغا ومنهم من حمل شيئا في يده وتصدق به ومنهم من أكل الخضر فقط ومنهم من امتنع من الاكل تصريحا مشهورة (واعلم) أن الشعراء في قبول مال الملوك أعذر من المتورعين وأصحاب الفتيا لما جرت به العادة قبل الاسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال العلامة سيدي علي مصباح اليالصوتي في سنا المهتدي نقلا عن صاحب العمدة ثم قال عقبه وقضية كعب بن زهير رضي الله عنه حيث أنشده قصيدته بانت سعاد وأعطاه حلته ومائة من الابل شاهدة على ذلك اهـ ﴿فائدة﴾ أصل الجائزة كما قال أبو جعفر النحاس أن تعطى الرجل ما يجيزه ليذهب الى وجهه وكان الرجل اذا ورد ماء قال لقيمه أجزني أي أعطني ماء حتى أذهب لوجهي وأجوز عنك ثم كثر حتى جعلت الجائزة عطية قال الراجز

يا قيم الماء فدتك نفسي ❊ أحسن جوازي وأقلّ حبسي

والصلة في الاصل كما في العمدة ما يأخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ثم كثر ذلك حتى قيل لهبة

السلطان صلة يعني أو غيره من وزير وعامل ونحوهما من كل ماله اتصال بالسلطان والله أعلم (ثم قال الناظم)

193 ﴿وَلْيتنزّهْ عن مَواضِعِ التُّهَمْ * صِيانةً لعرضه فهْوَ أهَمّ﴾

الواو للعطف واللام لام الأمر ويتنزه مضارع مجزوم بلام الامر والضمير في يتنزه عائد على الشيخ وهو مضاف الى التُّهَم جمع تُهْمة بضم التاء وسكون الهاء وفتحها وهي الشك والريبة وأصل تائها واو لانها من الوهم وقوله صيانة منصوب بيتنزه على انه مفعول لأجله ولعرضه متعلق بقوله صيانة والعِرض بكسر العين يطلق على مَعان قال الفاكهاني في شرح الأربعين النووية على قوله صلى الله عليه وسلم فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه مانصه والعِرض في اللغة أصله رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو خبيثة يقال فلان طيب العِرض وقش العِرض وسقاء خبيث العرض اذا كان منتنا عن أبي عبيد والعرض أيضا الجَسَد وفي صفة أهل الجنة انما هو عَرَق يسيل من أعراضهم أي أجسادهم والعِرض أيضا النفس يقال أكرمت منه عرضي أي صنت عنه نفسي وفلان نقيّ العرض أي بريء أن يشتم أو يعاب وقد قيل عرض الإنسان حَسَبُه قاله الجوهري واللائق بالحديث أن يراد به النفس أي استبرأ لنفسه أن يلام على ما أتى والله أعلم اهـ والعِرض بمعنى النفس هو المراد في كلام الناظم قال الترمذي قال شيخنا أبو محمد فيما نقلته من خطه أصل العرض جسد الانسان الذي فيه طوله وعَرضه فاشتق له من عرضه اسم على فعل بكسر الفاء ثم كنوا به عن الحسب في ذم الرجل فسمي عِرضا اهـ نقله بعضهم وأما العُرض بالضم فهو الجانب والناحية وبالفتح ضد الطول وللفرق بين الثلاثة أشار بعضهم بقوله

العُرض بالضم لجانب عُلم * والعَرض ضدّ الطول بالفتح وُسم
والعِرض بالكسر أتى للنسب * ذكر ذا في مُفهِم القرطبي

والضمير المضاف اليه عرض عائد على الشيخ والجملة معطوفة على ماقبلها وقوله فهو أهم الفاء زائدة أو تعليلية وضمير هو مبتدأ عائد على العرض ويحتمل أن يكون عائدا على التنزه المأخوذ من قوله وليتنزه وأهم خبر المبتدا وهو اسم تفضيل غير انه ليس على بابه بل بمعنى الوصف كقوله تعالى وهو أعلم بكم وقوله جل وعز وهو أهون عليه على أحد التأويلات في الآيتين ويحتمل ان اسم التفضيل على بابه ويقدر المفضل عليه محذوفا أي أهم من غيره ومذهب سيبويه وموافقيه ان اسم التفضيل في الآيتين وشبههما على بابه والمفاضلة على عادة المخلوقين في التخاطب وبحسب توهمهم العادي فان العادة ان اعادة ماتقدم اختراعه أسهل من اختراعه ابتداء وكذلك يقولون هذا أعلم من هذا وهي طريقة العرب وبلغتهم نزل القرآن فخوطبوا بمقتضى كلامهم والله أعلم ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن يتنزه ويبعد عن مواضع التهمة حفظا لعرضه وحسبه لأن العرض مهم ومتأكد فينبغي الاعتناء بحفظه إذ صون العرض عما يشين ويعيب من آكد مايعتني به العاقل اللبيب قال الشاعر

فانا وجدنا العرض أحوج ساعة * الى الصون من ريطة يمان مسهم

(آخر)

ولا خير في عرض امرئ لا يصونه * ولا خير في حلم امرئ ذلّ جانبه

(آخر)

يهون علينا أن تصاب نفوسنا * وتسلم أعراض لنا وعقول

فالعرض جوهر نفيس لا يفرّط في حفظه الا كل نذل خسيس فيجب أن يحفظ ويحاط بما أمكن من وجوه الاحتياط التي منها بذل المال فان بذله لحفظ العرض من أشرف الاحوال ففي الحديث

ذبوا بأموالكم عن أعراضكم قالوا يارسول الله كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا قال تعطون الشاعر ومن تخافون لسانه خرجه الخطيب عن أبي هريرة وابن لال عن عائشة ووردما وقي به العرض فهو صدقة وقال العلماء على قوله صلى الله عليه وسلم فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ان في عطف العرض على الدين اشارة الى أن صيانة العرض من صيانة الدين فيجب حفظه كما يجب حفظ الدين وقال عبد الله بن الحشرج من أبيات ذكرها أبو تمام في الحماسة

ومابذلي تِلادي دون عِرضي * بإسراف أمَـيمَ ولا فساد

(ولأبي فارس)

وماحاجتي في المال أبغي وفوره * اذالم يفرعرضا فلاوفرالوفر

(ولابن شرف)

وبَذلك المال للأعراض واقيـة * وصونك المال يُبقي العرض مبذولا

(ولآخر)

صون الفتى عرضه ممايدنسه * وصونه ماله مالبس يجتمع

المال يتلفه دهرا ويرجعه * اليه والعرض لايمضي فيرتجع

(ولآخر)

ألالاتلمني عـلى بذل مالي * فصوني لعرضي بمالي جمالي

وصوني لمالي لعرضي فساد * لعرضي وديني وجاهي ومالي

(ولآخر)

وأجعل مالي دون عِرضيَ جُنَّة * لنفسي وأستغني بما كان من فضل

(ولطرفة بن العبد)

وأعسرأحيانافتشـتدعسرتي * فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

(ولآخر)

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فإن ابتذال المال للعرض أصون

(وقال من قصيدة ناصحة)

وصن بمالك عرضايستهم به * ذوهمة همه في رفعة الراس

وقد قال المعتمد بن عباد أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه (ولبعض الشعراء) يمدح بصون العرض بالمال

فتى جعل الدنياوقاءلعرضه * واسدائه المعروف عند عداته

ولو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطرحياته

ولو لم يحزفي العمرقسما لطالب * وجازله الاعطاء من حسناته

لجادبها من غير كفرلربه * وأشركه في صومه وصلاته

والشعر في هذا المعنى كثير (رجع) ومن التهمة التي ينبغي للشيخ اجتنابها ولايجمل بالعالم ارتكابها مباسطة الطلبة الصباح الذين يقرؤن عليه واختلاؤه بهم لما في ذلك من تطرق الألسنة اليه ولو فرضنا السلامة. فلابد من الظنة والملامة.

قدقيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول وقدقيلا

ومن تعرض للقول القبيح فقد * حق الظنون وان كانت أباطيلا

وفي الحديث الشريف من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم وفي الحديث أيضا من

وقف موقف تهمة وفي رواية من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء الظن به وانظر قضية المصطفى صلى الله عليه وسلم لما وقف يشيع السيدة صفية احدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها بباب المسجد لما جاءته وهو معتكف فمر به رجلان من الأنصار فسلما عليه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما انما هي صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يارسول الله وكبر عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وانى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيأ قال الحافظ ابن حجر وفى الحديث من الفوائد التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار قال ابن دقيق العيد وهذا متأكد فى حق العلماء ومن يقتدى به فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم وان كان لهم فيه مخلص لأن ذلك سبب الى ابطال الانتفاع بعلمهم ومن ثم قال بعض الحكماء ينبغى للحاكم أن يبين للمحكوم عليه وجه الحكم اذا كان خفيا نفيا للتهمة ومن هنا يظهر خطأ من يتظاهر بمظاهر السوء ويعتذر بأنه يجرب بذلك على نفسه وقد عظم البلاء بهذا الصنف والله أعلم اهـ المراد من كلام ابن حجر وقال سيدنا عمر رضي الله عنه من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وقلت

باعد التهمة ياصاح ولا * تلمح الظنة يوما بنظر
لذة العصيان تفنى عاجلا * ليس يبقى غير اثم وخبر
لاتثق بالنفس فالنفس لها * شهوة تدعو الى نار سقر
لاتقل أخلو بلذات الهوى * جاهدا فى الستر عن كل البشر
ففعال المرء لاتخفى ولو * تحت أطباق الثرى كان استتر

(ثم قال الناظم)

١٩٤ ﴿وليتطهر من خبائث الشيم * كالكبر والعجب وكل مايذم﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويتطهر مجزوم بها والضمير فى يتطهر عائد على الشيخ ومن خبائث متعلق بيتطهر وهو جمع خبيثة وخبائث مضاف الى الشيم والشيم بكسر ففتح جمع شيمة وهى الطبيعة والعادة واضافة خبائث الى الشيم من اضافة الصفة للموصوف وقوله كالكبر الخ الكاف حرف جر للتمثيل والكبر بكسر الكاف مجرور بها وهو اسم من التكبر والعجب بضم العين الزهو والكبر وهو معطوف على الكبر يقال أعجب فلان بنفسه وبرأيه والاسم العجب ونقل المحقق ابن الطيب فى حواشى القاموس عن الراغب فى الفرق بين المعجب والتائه فقال المعجب يصدق نفسه فيما يظن بها وهما والتائه يصدقها قطعا اهـ فالكبر والعجب متلازمان اذ الكبر سبب فى العجب كما يأتى وقوله وكل معطوف على الكبر وهو مضاف الى ما الموصولة ويذم فعل مضارع مبنى للمجهول صلة ما وهو من الذم بالذال المعجمة خلاف المدح والضمير فى يذم هو النائب عن الفاعل عائد على ما وجملة وليتطهر الخ معطوفة على الجمل قبلها ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن يتطهر من الشيم الخبيثة مثل الكبر والعجب وغيرهما مما يذم كالفخر وحب المحمدة والغيبة والنميمة وغير هذا من الامراض الباطنية * ولنقتصر على ماتمس اليه الحاجة من الكلام على الكبر والعجب لتعرض الناظم لهما صراحة ومن رام شرح أمراض القلوب فعليه بربع المهلكات من الاحياء للغزالى وبغيره من كتب التصوف ﴿فأما الكبر﴾ فاعلم انه ينقسم كما فى الاحياء الى قسمين باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطنى أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا

عليه

عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي غير المعجب فلو لم يكن الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل الكبر مركب من أمور ثلاثة من رؤية نفسه في مرتبة ورؤية غيره في مرتبة أخرى ورؤية مرتبته فوق مرتبة ذلك الغير وقال الامام الماوردي الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة اه وهذا تفريق بينهما باعتبار سببهما وما قدمناه من التفريق هو باعتبار حقيقتهما كما لا يخفى وقد جاء ذم الكبر في غير ما آية وحديث قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال جل وعلا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى * وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال عليه السلام لعمه العباس أنهاك عن الشرك بالله وعن الكبر فان الله تعالى يحتجب منهما وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على المتكبرين وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر وسبب الكبر هو عدم التذكر في المآل والتأمل فيما احتوت عليه النفس من سيء الاحوال عن ثابت البناني انه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير الى المهلب بن أبي صفرة يسحب حلة ويمشي الخيلاء فقال يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفني قال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فرجع المهلب عن خيلائه وكان فاضلا ولكنه زل في هذه فرجع بالتذكير وذلك دليل فضله وبرهان نبله (ولابن عون في معنى هذا)

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(ولغيره)

لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاءه يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخراء كل يوم بيده مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقال أيضا لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الموت والمرض والجوع وانه مع ذلك لوثاب والكلام في هذا المعنى كثير شهير *قلت* وعند التأمل في أسباب الكبر والبواعث عليه تعلم انه قد يؤدي الى الكفر لان المتكبر قد يرى نفسه فوق غيره حتى أنه يخاف عليه أن يرى نفسه فوق

خالقه كما وقع لعبيد بن زرارة وهو من الموصوفين بالكبر كان يوما يمشى فى طريق فمرت به امرأة فقالت يا عبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال يا هنتاه مثلى يكون من عبيد الله فانظر كيف آل به الكبر الى داهية الكفر وكأن فى تقارب لفظ الكبر للفظ الكفر حتى انه يصحف به اشارة لذلك وفى هذا قلت

دع الكبر ان الكبر يهلك أهله * لقد ضل من أضحى يرى نفسه كبرا

تأمل بفكر ثاقب قرب لفظه * من الكفر كاد الكبر ينقلب الكفرا

كذلك معنى الكبر قد يكسب الذى * تحلى به كفرا فاياك والكبرا

﴿وأما العجب﴾ فهو النظر الى الاعمال والاوصاف الكاملة ورؤية كمالها والنجاة بها وهو أحد أسباب الكبر وجاءت آيات مشعرة بذمه كقوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وردت الآية مورد الانكار وقال عز وجل وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب فجعل العجب أكبر الذنوب وقال مطرف لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت اذا ظن أنه محسن وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك ما رأيت منى فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه والكلام فى هذا المعنى أيضا كثير والله المرجو فى التوفيق والهداية والعصمة من الغواية (ثم قال الناظم)

﴿وليجعل الظاهر مثل الباطن * منزها من كل عيب قاطن﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويجعل مضارع مجزوم بها والضمير فيه عائد على الشيخ والظاهر مفعوله الاول ومنزها بصيغة اسم المفعول مفعوله الثانى ومثل منصوب على الحال من الظاهر وهو مضاف للباطن ومن كل متعلق بمنزها وكل مضاف الى عيب وقاطن أى مقيم نعت لعيب يقال قطن بالمكان اذا أقام به والجملة معطوفة على ما قبلها ﴿والمعنى﴾ من آداب الشيخ المربية أن يجعل ظاهره منزها من جميع العيوب المعنوية اللازمة له حالة كون ظاهره مساويا لباطنه فى ذلك التنزيه ولا يكن فى ظاهره متكلفا لترك ما يذم وباطنه مضمخ بما يوجب الثلب والذم فان المطلوب من المؤمن هو استواء سره وعلانيته فيما يرجع الى عبادة الله ومعاملته وفى قول الناظم قاطن تلميح الى أن المطلوب هو عدم ملازمة العيوب لا خطورها فى وقت على الظواهر أو القلوب فان الانسان من حيث هو انسان مظنة المخالفة والعصيان وانما المطلوب مجاهدة النفس ومدافعتها عن المعاصى والذنوب والتيقظ لعدم تمكينها من توسيع محل الاقامة للعيوب وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منها أحد الظن والحسد والطيرة فاذا ظننت فلا تصدق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لو تكونون على ما أنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة فى الطرق أو كما قال صلى الله عليه وسلم والله الموفق بمنه وفضله (ثم قال الناظم)

﴿وليرباكيا على ذنوبه * مجتهدا فى البحث عن عيوبه﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويرمضارع مبنى للمفعول مجزوم بلام الامر وعلامة جزمه حذف الالف

والضمير المستتر هو النائب عن الفاعل عائد على الشيخ وباكيا منصوب على الحال منه على أن يرى بصرية وهو الظاهر وعلى ذنوبه جمع ذنب متعلق بباكيا ومجتهدا حال ثانية وتقدم أن الحال اذا تكررت يجوز الاتيان بغير الاولى منها معطوفا على الاولى وغيره معطوف وفي البحث أى التفتيش متعلق بمجتهدا وعن عيوبه جمع عيب متعلق بالبحث والجملة معطوفة على ماقبلها ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن يصير باكيا على ذنوبه نادما على فعلها وارتكابها مشفقا من المؤاخذة بها تائبا منها مجتهدا وحريصا في البحث عن عيوبه ومعرفتها ليتوب مما فرط منها ويحذرها في المستقبل فان البكاء على الذنوب من علامة صلاح القلوب والخوف من علام الغيوب والله المرشد والهادى لارب غيره (ثم قال الناظم)

﴿ولا يثق بنفسه في حال * فميلها للخير كالمحال﴾

الواو للعطف ولا ناهية ويثق مضارع مجزوم بها من وثق به يثق كورث يرث ثقة وموثقا ووثاقة كوراثة ووثوقا بمعنى ائتمنه والضمير المستتر في يثق عائد على الشيخ وبنفسه متعلق بيثق وتقدم الكلام على النفس في مبحث الروح وانهما مترادفان على المختار وانما يختلفان بالاعتبار فان مالت للطاعات والمعالى سميت روحا وان عدلت الى الدناآت والمعاصى دعيت نفسا ولهذا سماها الناظم هنا في مقام التحذير منها باسم النفس وقد تطلق النفس على الدم ومنه قول الفقهاء مالانفس له سائلة وقد تطلق أيضا على حقيقة الشيء وذاته وفي حال متعلق بيثق أيضا والتنوين للتنكير أى في حال من الاحوال والجملة معطوفة على ماقبلها وقوله فميلها الخ الفاء زائدة أو تعليلية وميلها مبتدأ مضاف للضمير العائد على النفس وللخير متعلق بميل وكالمحال جار ومجرور خبر ميل والكاف اسم بمعنى مثل والمحال هو مالا يتصور في العقل وجوده ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن لايأمن نفسه في حال من أحواله ولا يتركها من غير محاسبة على جميع أقواله وأفعاله فانه ان أهملها ولم يتفقدها تميل به للاهواء والاهوال لان ميلها للخير بعيد جدا يشبه المحال فالنفس أعدى لصاحبها من الشيطان وأخفى مكرا منه في جميع الاوطان وفي الحديث أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك فكم من شر سولته وفي قالب الخير أفرغته ولا يعلم حقيقة هذا الا من مارس كلام سادتنا الصوفية وصار يعرض كل ماتأمره به نفسه على صريح الكتاب والسنة مع رد البال غاية الغاية وكم أوقعت في مهالك بطريق يظهر أول الامر أنها الى الخير أقرب ومن طالع كتب القوم وخصوصا كتاب المنن للامام الشعرانى عرف ماقلناه والله الموفق وفي البيت تلميح لقوله تعالى وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء قال المفسرون والمعنى وما أزكى نفسى ان النفس لامارة بالسوء ميالة الى القبائح راغبة في المعصية والله تعالى أعلم بمراده ﴿تنبيه﴾ النفس ثلاثة أقسام أمارة وهى التى لاترجع ولا تندم على فعل القبيح والحق أثقل عليها من الجبال لبعدها عنه والباطل أخف شيء عليها لالفها له ولوامة وهى التى تندم بعد وقوع الفعل وترجع ومطمئنة وهى التى لاتقبل الباطل بوجه ولا بحال لالفها للخير وما أحب الله ورسوله فالامارة للجاهل واللوامة للتائب والمطمئنة للعارف (ثم قال الناظم)

﴿ولا يغره ثناء الناس * فانه كالسم في القياس﴾

الواو للعطف ولا ناهية ويغره فعل مضارع من غره يغره من باب قعد اذا خدعه فهو فعل مشدد الاخير مجزوم وفي ضبط آخر ما كان كذلك ثلاث لغات احداها الكسر مطلقا الثانية الفتح مطلقا وأصحاب هذه اللغة على قسمين فصحاء فينتقلون من الفتح الى الكسر لالتقاء الساكنين اذا ولى آخر الفعل

ساكن وغير فصحاء فيبقون الفتح على أصلهم الثالثة اتباع الآخر لحركة ماقبله الا فى ثلاثة مواضع وتتبين هذه اللغات بتقسيمها وتقييدها بذكر قصة الراعى المشهورة قال الراعى كان لى صاحب جندى ذو مروءة وكان بينى وبينه اخوّة وكان مجاهدا فسألنى يوما عن الفعل المضارع المجزوم المشدّد وعن الامر منه كلم تشدّد فشرعت فى الجواب فشمخت نفس الجندى وأظهر للناس انه غير محتاج لجواب وانه كأنما استخبرنى فأعرضت عنه وقطعت كلامى فأعاد السؤال مرارا فحلفت لاتسمعهامنى الآن تنزل عن صدر الايوان وتجلس على البلاط كالمتعلم بين يدى المعلم والالم تسمعهامنى وهذه خزانة كتب وجماعة صدور حاضرون فاطلع واسأل حتى لاتحتاج الىّ ثم ان الجندى غلب نفسه وقال لمن الله الشيطان لابأس بالذل فى طلب العلم فنزل عن صدر الايوان وقعد على البلاط بين يدىّ والناس ينظرون ثم قلت له ياأخى لم تجئنى هذه المسئلة رخيصة وسأحدّثك كيف استفدتها رحنا يوما الشيخى وسيدى أبى الحسن على بن محمد بن سمعت ٣ الاندلسى الغرناطى رحمه الله وكان الشيخ المذكور من فقراء البادية وكان أبوه وأخوه يعيشان من نقل الحطب من الجبال على حمارين لهما وكان أبى تاجرا فى سوق القماش وكنت مع ذلك أخدمه خدمة الموالى والعبيد فرحت له صبيحة يوم كثير المطر والثلج شديد البرد والطين فقلت ألكم حاجة قال نعم ليس عندنا من الماء شئ فأخرج لى سطل نحاس وقلة فخار يسعان أربعين رطلا والماء بعيد جدّا وأتيته بنحو اثنتى عشرة نقلة ثم سلمت عليه وأردت الانصراف وأنا فى غاية التعب فقال قف حتى أفيدك مسئلة عظيمة فقعدت فقال لى ذكر الشيخ القلاوسى فى كتابه المسمى بالزهر المكنون قال رحل طالبان من رندة الى اشبيلية برسم قراءة الحديث على أبى بكر الحافظ فلما قرأ عليهما الحديث الذى منه قوله صلى الله عليه وسلم مالم تصفر الشمس قال لهما الشيخ كيف تضبطان الراء فقالا معا بالفتح فأنشد

أوردها سعد وسعد مشتمل * ماهكذا ياسعد تورد الابل

ثم التفت الى أبى على الشلوبين وكان أصغر القوم سنا فقال كيف تضبطها أنت فقال العرب ثلاث فرق متبعون وكاسرون وفاتحون * فالمتبعون يتبعون الحرف المضعف لحركة الحرف الذى قبله فان كانت ضمة ضموه نحو لم يردّه وردّه وان كانت فتحة أو ألفا فتحوه نحو لم يعض وعض زيدا وعليه قوله تعالى لاتضارّ والدة بولدها وان كانت كسرة كسروه نحو لم يفرّ زيد وفرّ يا عمرو فيتبعون المضعف لحركة ماقبله الا فى ثلاثة مواضع فانهم لا يتبعون لماقبل أحدها اذا اتصل بالفعل ضمير مذكر غائب نحو لم يردّه ولا تردّه وردّه فان المتبعين يتبعون الى هاء الضمير فيقولون لم يفرّه وفرّه ولم يعضه وعضه ونحوه ويمكن أن يكون منه قوله تعالى لايمسه الا المطهرون نفيا أو نهيا او يكون فى النهى على لغة المتبعين الموضع الثانى اذا اتصل بالفعل ضمير مؤنث غائب نحو ردّها ولم يردّها بفتح الحرف المدغم اتباعا الفتحة الهاء وانما فعلوا ذلك لخفة الهاء فلم يعتدوا بها وكأن الفتحة باشرت الالف والضمة باشرت واو الصلة فانتقلوا الذلك الموضع الثالث اذا لقى آخر الفعل ساكنا من كلمة أخرى نحو ردّ القوم ولم يردّ القوم فيرجع المتبع هنا الى الكسر وعليه يقال مالم تصفر الشمس بالكسر * الفرقة الثانية الكاسرون مطلقا لان الاصل فى التقاء الساكنين الكسر فيقولون ردز يدا ولم يعض عمرو وعليه جاء قوله

قال أبو ليلى لحبلى مدّه * حتى اذا مددته فشدّه

* والفرقة الثالثة وهم الفاتحون على قسمين فصحاء وغير فصحاء فالفصحاء ينتقلون الى الكسر اذا عارضهم ساكن من كلمة أخرى فيقولون مدّ الحبل وشدّ الرحل وقياس لغتهم الفتح فى الجميع لكنهم كسروا مع الساكنين فيقولون مالم تصفر الشمس بكسر الراء وغير الفصحاء لا يزالون على أصلهم من الفتح مطلقا فيقولون مالم تصفرّ الشمس بفتح الراء وعليه قوله

فعض

٣ فى الأصل بخط القلم
…يم وسكون العين والتاء
مصححه

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فلما فرغ الشلوبين أنشد الشيخ

ذو المعالى فليعلون من تعالى * هكذا هكذا والا فلالا

قال ولم يسألهما بعد عن شئ قال الراعى فقلت للجندى قم الآن واقعد فى مكانك فتعجب الحاضرون ثم دعوا الى وله بخير وقالوا جزاك الله بخير على هذه الفائدة وقد نظم هذا التفصيل بعضهم بقوله

ان جزم الفعل الذى قد شددا * آخره كلا تضر أحدا
فاكسره مطلقا لقوم وافتحا * لآخرين ثم ان الفصحا
من هؤلاء حيث يلقى ساكنا * يأتون بالكسر كسر الحزنا
ثالثة اللغات أن تتبع ما * يلى فاثر ضمة له اضمما
وافتحه بعد فتحة أو ألف * واكسره بعد كسرة لتعرف
الاتباع وصه وبره * فالضم عندهم كلا تجره
ونحو ردها وجهها افتحا * لصلة وخفة قد وضحا
ونحو غض الطرف عض الحما * فاكسره للساكن وابغ العلما

فاذا أحطت علما بهذه اللغات الثلاث وتقييد الأولى منها بثلاثة قيود واطلاق الثانية عن التقييد والتقسيم وتقسيم الثالثة الى فصحاء وغيرهم تبين لك أن قول ناظمنا ولا يغره اما بضم الراء على اللغة الاولى وهى لغة المتبعين باعتبار القيد الاول وان كان القيد لم يظهر له أثر فى اللفظ هنا لكون ما قبل الراء مضموما أيضا لكن حيث اتصل بالفعل ضمير المذكر لا ينظرون حينئذ فى الاتباع لما قبل الآخر بل للضمير كما علمت واما بكسر الراء على اللغة الثانية وهى لغة الكاسرين مطلقا واما بفتح الراء على اللغة الثالثة وهى لغة الفاتحين مطلقا على مذهب الفصحاء منهم وغيرهم لان محل تقسيم هذه اللغة الى فصحاء وغيرهم حيث ولى آخر الفعل ساكن وذلك مفقود فى موضوعنا والله أعلم والضمير البارز فى يغره هو المفعول بالفعل عائد على الشيخ وثناء الناس أى وصفهم له بالجميل هو الفاعل بالفعل والناس جمع انس وهو جمع عزيز انظر ما قدمناه عند قوله فى باب آداب الاقراء *وخاطب الناس على قدر العقول* وقوله فانه الخ الفاء تعليلية أو زائدة والضمير المتصل بان هو اسمها عائد على ثناء الناس وكالسم متعلق بمحذوف خبرها والسم بفتح السين فى الاكثر وضمها لغة أهل العالية والكسر لبنى تميم وهو ما يقتل وجمعه سموم وسمام كفلس وفلوس وسهم وسهام وفى القياس متعلق بمحذوف حال من اسم ان *والمعنى* ان من آداب الشيخ المرعية أن لا يغتر وينخدع بثناء الناس عليه ويركن لذلك فان ثناء الناس ملاحظ فى القياس كالسم فكما ان السم هو سبب هلاك البدن فكذلك الاغترار بثناء الناس هو سبب هلاك الروح والقلب فينبغى للعاقل أن يتهم نفسه على كل حال ولا يركن لمدح الناس له بالمقال وقد قال مالك رضى الله عنه ينبغى للعالم اذا كان رأسا يشار اليه بالاصابع أن يضع التراب على رأسه ويعاتب نفسه اذا خلا بها فانه اذا اضطجع فى قبره ساءه ذلك وقد قال بعض الحكماء علامة الاحمق اذا مدح ارتاح لذلك وأعجب به اه فعلى الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما فى خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أيضا أن يظهر كراهة المدح ويقول كما قال رجل من الصالحين وقد أثنى عليه اللهم ان هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى وقال آخر لما أثنى عليه اللهم ان عبدك هذا قد تقرب الى بمقتك وأنا أشهدك

على مقته وقال سيدنا على رضى الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون * وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك * وأثنى رجل على على كرم الله وجهه وكان قد بلغه أنه يقدح فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما فى نفسك فالمنهى عنه انما هو الركون الى ذلك والاعجاب به والاعتماد عليه وأما رؤية ذلك من حيث انه منة من الله وفضل واحسان منه مع الحذر من مكايد النفس وعدم احتقار الغير فلا بأس بذلك فان الرغبة فى الثناء الحسن والذكر الجميل مطلوبة قال صلى الله عليه وسلم أنتم شهداء الله على خلقه من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار وقال الامام الفخر الرازى فى سورة الزخرف من تفسيره لدى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك مانصه واعلم أن هذه الآية تدل على ان الانسان لابد وأن يكون عظيم الرغبة فى الثناء الحسن والذكر الجميل ولو لم يكن الذكر الجميل أمرا مرغوبا فيه لما من الله به على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال وانه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ولان الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة بل الذكر أفضل من الحياة لان الحياة لا تحصل الا فى مسكن ذلك الحى أما أثر الذكر الجميل فانه يحصل فى كل مكان وفى كل زمان اه (ثم قال الناظم)

﴿وليمعن النظر فى الرياء * فانه أخفى من الهباء﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويمعن بضم الياء مضارع مجزوم بها من أمعن النظر فى الشئ اذا تأمله جدا وبالغ فى النظر فيه والنظر مفعول يمعن وفى الرياء متعلق به والرياء بتخفيف الياء هو اظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا يقال فى فعله رآه يرائيه مراآة ورئاء ومنه قوله تعالى بطرا ورئاء الناس ويقال راياهم مراياة ورياء على القلب كما فى الصحاح وقوله فانه الخ الفاء زائدة أو تعليلية والضمير العائد على الرياء هو اسمها وأخفى اسم تفضيل خبرها وهو من خفيت الشئ أخفيه خفيا أى كتمته وليس من أخفى الرباعى لان اسم التفضيل لا يصاغ قياسا الا من الثلاثى ومن الهباء متعلق بافعل التفضيل والهباء بالفتح والمد دقاق التراب والشئ المنبث الذى يرى فى ضوء الشمس ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ أن يمعن النظر فى الرياء ويفتش فى أفعاله ويحذر منه جهده فان الرياء أخفى فى الافعال من الهباء وقد جاء فى ذم الرياء آيات وأحاديث وآثار قال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن * وقال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل قال يارسول الله فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وعن سيدنا عمر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من رآى رآى الله به ومن سمع سمع الله به وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يارسول الله قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حيث رآه يبكى ما يبكيك قال حديث سمعت من صاحب هذا القبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أدنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال فى الاحياء والشهوة الخفية ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائى ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن أوس رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله قال أمر تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون

صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن بأعمالهم وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شئ لك ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شئ لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث * وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال أحدنا يصنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا فقال اذا عملت لله عملا فأخلصه وقال سيدنا علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا أثني عليه وينقص اذا ذم والرياء الخفي الذي أشار له الناظم وأمر بامعان النظر فيه كثير جدا كان ساداتنا الصوفية نفعنا الله بهم يتحرزون منه كل التحرز ويتوقونه كل التوقي ففي الرسالة القشيرية ان بعض المشايخ كان يصلي في مسجده في الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار الى المسجد عائق فصلى في الصف الاخير فلم ير مدة فسئل عن السبب فقال كنت أقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندي اني مخلص فيها لله فداخلني يوم تأخري عن المسجد من شهود الناس اياي في الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطي طول عمري انما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتي (ويحكى) عن أبي محمد المرتعش أنه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي أن جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك أن والدتي سألتني يوما أن أستقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ وشوب لنفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك فرأى ان ذلك رياء خفي والحكايات في هذا المعنى عن الصالحين الصادقين كثيرة جدا ﴿تنبيه﴾ الرياء على أربع مراتب (الاولى) وهي أشدها وأقطعها أن لا يكون مراد العامل الثواب أصلا كالذي يصلي بحضر الناس ولو انفرد ما صلى بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا أفرد قصده للرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس ولو انفرد لم يخرجها فهذه المرتبة العليا من الرياء الذي ورد فيه التشديد والوعيد (الثانية) أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن له قصد ضعيف بحيث لو كان وحده لم يفعل ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الرياء لم يحمله قصد الثواب على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم (الثالثة) أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو استقل حمل على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فترجى له السلامة رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم (الرابعة) أن يكون قصده الطاعة والثواب غير ان اطلاع الناس مرجح ومقو لنشاطه ولو لم يكن لم يكن يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه قال الغزالي في هذه المرتبة فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على قدر قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الخ فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح له وعلى هذا يحمل أيضا ما ورد في الاخبار والآثار من عدم قبول العمل الذي فيه شائبة رياء وقد ذكر ابن رشد في البيان عن الامام مالك قال سمعت ربيعة يسئل عن المصلي يقع في نفسه محبة أن يعلم بما يفعل من الخير وأن يلقى في طريق المسجد ويكره أن يلقى في غير ذلك ولا أدري ما أجاب به غير اني أقول اذا كان أصل ذلك وأوله لله فلا أرى به بأسا وان المرء يحب أن يكون صالحا وما ذكره مالك من انه لم يدر ما أجاب به ربيعة السائل وقع في سماع أشهب ووقع في سماع ابن القاسم ان مالكا ذكر عن ربيعة انه أنكر ذلك

على السائل ولم يجبه أن يحب أحد أن يرى ما يفعله من الخير أو يعلم به والذى ذهب اليه مالك من أنه لا بأس بذلك اذا كان أصل ذلك وأوله لله هو الصحيح ان شاء الله ثم قال ومراد مالك ان مجرد ميل الانسان الى أن يطلع على عمله لا يضره لان مجرد حب اطلاع الناس ميل طبيعى لا معصية فيه لكن ان عمل لاجل ذلك أو أحدث له ذلك تصنعا وتزينا فهو من الرياء يجب عليه مجاهدة النفس فى صرف ما طرأ له من ذلك بعد ابتداء العمل خوفا من احباط العمل فان فعل ذلك فلا يضره ما ذكر اهـ نسأل الله التوفيق والهداية الى أقوم طريق (ثم قال الناظم)

﴿ولا يكن مقتصرا على الفروض * بل للنوافل يكون ذا نهوض﴾

الواو للعطف ولا ناهية ويكن مضارع من كان الناقصة مجزوم باللام والضمير العائد من يكن على الشيخ هو اسمها ومقتصرا خبرها وعلى الفروض متعلق بمقتصرا وهو جمع فرض والفرض فى اللغة التقدير وفى اصطلاح الاصوليين بمعنى المفروض فالفرض والواجب مترادفان فى اصطلاح الاصوليين وان كانا متغايرين لغة قال ابن السبكى فى جمع الجوامع والفرض والواجب مترادفان خلافا لابى حنيفة وهو لفظى اهـ والواجب ما طلبه الشارع من المطلف طلبا جازما والفرض كذلك ومذهب أبى حنيفة أن ما ثبت بدليل قطعى كالقرآن فهو الفرض كقراءة القرآن فى الصلاة الثابتة بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن والواجب ما ثبت بدليل ظنى كخبر الواحد كقراءة الفاتحة فى الصلاة الثابتة بحديث الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فيأثم بالترك ولا تفسد صلاته به بخلاف ترك القراءة ومعنى كون الخلاف لفظيا أنه عائد الى اللفظ والتسمية اذ حاصله ان ما ثبت بقطعى كما يسمى فرضا هل يسمى واجبا وما ثبت بظنى كما يسمى واجبا هل يسمى فرضا فعند أبى حنيفة لا أخذا للفرض من فرض الشئ بمعنى حزه أى قطع بعضه وللواجب من وجب الشئ وجبة سقط وما ثبت بظنى ساقط من قسم المعلوم وعندنا نعم أخذا من فرض الشئ قدره ووجب الشئ وجوبا ثبت وكل من المقدر والثابت أعم من أن يثبت بقطعى أو ظنى ومأخذنا أكثر استعمالا وما تقدم من أن ترك الفاتحة من الصلاة لا يفسدها عنده أى دوننا لا يضر فى أن الخلاف لفظى لانه أمر فقهى لا مدخل له فى التسمية التى الكلام فيها قاله المحلى وجملة قول الناظم * ولا يكن مقتصرا على الفروض * معطوفة على ما قبلها وبل حرف عطف واضراب وللنوافل متعلق بنهوض وهو جمع نافلة وهى لغة الزيادة مطلقا ومنه قوله تعالى ويعقوب نافلة ثم خصت فى اصطلاح الاصوليين بالزيادة على الفرائض والنفل بوزن فلس مثل النافلة وكذلك المندوب والمستحب والتطوع والسنة والحسن والنافلة والمرغب فيه فهى كلها ألفاظ مترادفة عند الاصوليين خلافا للقاضى الحسين وغيره فى نفيهم ترادفها حيث قالوا الفعل ان واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم فهو السنة أو لم يواظب عليه كأن فعله مرة أو مرتين فهو المستحب أو لم يفعله أصلا وهو ما ينشئه الانسان باختياره من الاوراد فهو التطوع ولم يتعرضوا للمندوب والحسن والنفل والمرغب فيه لعمومه للاقسام الثلاثة بلا شك أى صحة حملها على الاقسام الثلاثة والتفريق بينها هو مذهب الفقهاء والله أعلم ثم ان المقصود بالنوافل فى كلام الناظم كل ما زاد على الفريضة وهو مذهب الاصوليين كما علمت وقوله يكون مضارع مرفوع من كان الناقصة والضمير فيه عائد على الشيخ وذا بمعنى صاحب خبر يكون ونهوض مضاف اليه ذا وهو مصدر نهض الى الشئ وله نهضا ونهوضا تحرك اليه بالقيام وجملة للنوافل يكون ذا نهوض خبرية لفظا طلبية معنى معطوفة ببل على الجمل قبلها ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المربيه أن لا يكون مقتصرا على الفرائض والواجبات بل ينهض الى النوافل وأنواع القربات وذلك متأكد على المتعلم والعالم كما مر التنبيه عليه فمن اقتصر على الفروض وترك التطوعات فقد فوت على

نفسه وبما كثيرا وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصا في دينه وان قصد بتركها
الاستخفاف بها والرغبة عنها كان كافرا كما نص عليه الشيخ ابراهيم الشبرخيتي في شرح الاربعين وغيره
وان كان يجوز في الجملة الاقتصار على الفرائض وترك النوافل بدليل حديث مسلم في كتاب الايمان أن
٣ رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت اذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت
الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيأ أدخل الجنة قال نعم قال شراح الحديث انما ترك النبي
صلى الله عليه وسلم تنبيهه على السنن والنوافل مع فضلها وتفويت خير كثير في تركها تسهيلا على السائل
وتأليفا له لقرب عهده بالاسلام وخشية من نفرته لو أكثر عليه مع العلم بأنه اذا تمكن الاسلام من قلبه
شرح الله صدره ورغب فيما رغبت فيه بقية الصحابة من محافظتهم على التطوعات كمحافظتهم على
الفرائض اغتناما لما جاء من عظيم ثوابها بل قال بعضهم اذا تمالأ أهل بلد على ترك التطوعات رأسا
قوتلوا عليها لكن ردّ هذا بأنه لا دليل عليه وأما كونه صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الاذان في بلد لم يغر
عليه والا أغار لا يدل لذلك لان الأذان اذ ذاك كان علامة على الاسلام ولأن الاذان في البلد من فروض
الكفاية وسنيته بالنسبة لكل جماعة طلبت غيرها والله أعلم (ثم قال الناظم)

﴿ولينشر العلوم بين الناس * ولا يكن لاهلها بالناسي﴾

الواو للعطف واللام لام الامر وينشر مضارع مجزوم بها والضمير في ينشر عائد على الشيخ والعلوم مفعول
به وبين ظرف مكان في الاصل والظرفية هنا مجازية اعتبارية والناس مضاف اليه بين وتقدم انه جمع
انس وهو جمع عزيز والجملة معطوفة على الجمل قبلها وقوله ولا يكن الخ الواو للعطف ولا ناهية ويكن
مضارع من كان الناقصة واسمها هو الضمير المستتر فيها العائد على الشيخ وبالناسي خبرها جرّ بالباء
الزائدة لوقوع الكون في حيز النفي والناسي اسم فاعل من نسي ينسى ولا يخفى ما بين الناس والناسي
من الجناس ولاهلها متعلق بالناسي والضمير المضاف اليه أهل عائد على العلوم وجملة ولا يكن الخ
معطوفة على الجملة قبلها ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن ينشر العلم بين الناس ولا ينس
الطالبين له بل يتفقدهم بالتعليم ليحصل المقصود من العلم الذي هو الارشاد وحصول الثواب الجسيم
وقد تقدّم ما يدل على فضل التعليم من الآيات والاحاديث والآثار في الكلام على فضل العلم عند قول
الناظم في المقدّمة * ولتطلب العلم ولو بالصين * والامر في قول الناظم ولينشر الخ للندب لا للوجوب نعم
ان توفرت شروط وجوب التعليم المتقدمة في التنبيه الاوّل من التنبيهات الثمانية عند شرح بيت الناظم
المشار اليه آنفا وجب ذلك وأزيدك هنا فائدة وهي انه حيث يجب التعليم بالشروط المذكورة فيمتنع
حينئذ أخذ الاجرة على التعليم واذا لم يجب الجواب فقال الزناتي يجوز أخذها قاله التتائي وهذا حيث لم
يحتج في الجواب الى الكتابة فان كان الجواب بالكتابة جاز أخذ الاجرة ولو مع وجوب الجواب وما ذكره
التتائي عن الزناتي من جواز أخذ الاجرة عند عدم وجوب الجواب هو الذي يدل عليه ما روي عن الشيخ
أبي علي بن علوان بأنه كان يأخذ الاجر الخفيف في بعض فتاويه وكذلك روي عن جمع من الأئمة الاعلام
الذين هم الاسوة والقدوة في الاسلام لكن محمل ذلك والله أعلم على انهم كانوا يجيبون بالكتب لا بمجرّد
اللسان والا فقد نقل المازري الاجماع على منع أخذ الاجرة أي من غير كتب وأقرّه البرزلي وغيره انظر
التنبيه السابع من شرح أبي العباس الهلالي على خطبة المختصر عند قول المصنف مبينا لما به الفتوى فقد
حرّر المسئلة ثم قال أخيرا وقد تحصل من هذه النقول ان أخذ الاجرة على نفس الفتوى ممنوع اجماعا
الا ان كان من حبس عليه أو من بيت مال مستقيم وان أخذها على كتبه الفتوى ممنوع أيضا ان أخذ
اكثر من معتاد عمله وكاغده ان كان الكاغد من عنده وان أخذها على الكتب قدر عمله غير ممنوع لكنه

٣ هو النعمان بن قوقل اهـ مؤلفه

مرجوح صيانة للدين والعرض ويتأكد اجتنابه على الورع لان الراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وبالله سبحانه وتعالى التوفيق اهـ هذا وفي روح البيان عند قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الآية ما نصه وقد اختلف العلماء في أخذ الاجرة على تعليم القرآن والعلم لهذه الآية ولا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا والفتوى في هذا الزمان على جواز الاستئجار لتعليم القرآن والفقه وغيره لئلا يضيع قال صلى الله عليه وسلم ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله والآية في حق من تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجرا فأما اذا لم يتعين فيجوز له أخذ الاجرة بدليل السنة في ذلك كما اذا كان الغسال في موضع لا يوجد فيه من يغسل الميت غيره كما في القرى والنواحي فلا أجرة له لتعينه لذلك وأما ان كان ثمة ناس غيره كما في الامصار والمدن فله الاجر حيث لم يتعين عليه فلا يأثم بالترك وقد يتعين عليه الا انه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله أن يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام أن يعين له شيأ والا فعلى المسلمين لان الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله فأخذ ثيابا وخرج الى السوق فقيل له في ذلك فقال ومن أين أنفق على عيالي فردوه وفرضوا له كفايته وكذا يجوز للامام والمؤذن وأمثالهما أخذ الاجرة وبيع المصحف ليس ببيع القرآن بل هو بيع الورق وعمل أيدي الكاتب وقالوا في زمننا تغير الجواب في بعض المسائل لتغير الزمان وخوف اندراس العلم والدين منها ملازمة العلماء أبواب السلاطين ومنها خروجهم الى القرى لطلب المعيشة ومنها أخذ الاجرة لتعليم القرآن والاذان والامامة ومنها العزل عن الحرة بغير اذنها ومنها السلام على شربة الخمور ونحوها فأفتى بالجواز فيها خشية الوقوع فيما هو أشد منها وأضر كذا في نصاب الاحتساب وغيره اهـ كلام صاحب روح البيان وقال المناوي على حديث ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة ما نصه وفيه ان من كان مشتغلا بطاعة لله بر وللعبد عليه من الله أجر يجوز أخذ الرزق على اشتغاله اذا كان في قيامه سقوط مؤنة عن جمع من المسلمين أو عن كافتهم وفساد قول من حرم للقيام أخذ الاجور على أعمالهم والمؤذنين أخذ الارزاق على تأذينهم والمعلمين على تعليمهم وذلك لان المصطفى صلى الله عليه وسلم جعل لولي العهد بعده فيما كان أفاء الله عليه مؤنته وانما جعل ذلك لاشتغاله فكان كل قيم بأمر من أمور المسلمين مما يعم نفعه سبيله سبيل عامل المصطفى في أن له المؤنة في بيت المال والكتابة مادام مشتغلا به كالعلماء والقضاة والامراء وسائر أهل الشغل بمنافع الاسلام اهـ وقد سئل القاضي أبو عثمان العقباني على أخذ الاجرة على تعليم العلم فأجاب كره مالك في المدونة الاجارة على تعليم العلم وقيل بالمنع وقيل بالاباحة حسبما اختلف في بيع كتبه ومذهب المدونة مقدم في النقل لئلا يضيع العلم لضعف أرزاق العلماء فان منعوا الاجارة شغلهم طلب المعيشة عن التعليم اهـ والله أعلم (ثم قال الناظم)

﴿ومن أتاه جافي السؤال * يلقاه بالصبر والاحتمال﴾

الواو للعطف أو للاستئناف ومن مبتدأ وأتى فعل ماض صلتها والضمير المستتر فيه فاعله هو العائد من الصلة الى الموصول وضمير الغائب البارز مفعول أتى وهو عائد على الشيخ وجافي منصوب على الحال من الضمير في أتى العائد على من وهو اسم فاعل من جفا يجفو اذا كان فظا غليظ الطبع والسؤال مضاف اليه جافي والاضافة على معنى في أي جافيا في السؤال وقوله يلقاه فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة في الالف والضمير في يلقى المستتر عائد على الشيخ وضمير الغائب البارز عائد على من وبالصبر متعلق بيلقى وتقدم الكلام على الصبر عند قوله في المقدمة واصبر على الجوع الخ والاحتمال معطوف على الصبر وهو مصدر احتمل الاذى يحتمله اذا عفا عن فاعله وأغضى وجملة يلقاه الخ في محل رفع خبر من والضمير البارز في يلقاه عائد على من وهو الرابط بين الجملة الواقعة خبرا بالمبتدا ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ

المرعيــة أن يلاقي من آتاه طالبا فى سؤاله بالصبر على الجفاء واحتماله اقتداء بأخلاق سيد العالمين صلى الله عليه وسلم فقد كان يأتيه جفاة الاعراب ويخاطبونه بجفاء في الخطاب فيلقاهم صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح والاحتمال ويجاملهم بالارشاد طلبا للهداية التي هى المقصود من البعث والارسال (ثم قال الناظم)

﴿وليتعلم علم ما قد جهــلا ✽ اذا رأى شخصا له محصــلا﴾

﴿ولا يظن أن ليس فوقــه عليم ✽ وليتل ما قد جاء في الذكر الحكيم﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويتعلم فعل مضارع مجزوم بها والضمير فيه عائد على الشيخ وعلم مفعول بالفعل وهو مضاف الى ما وما واقعــة على العلم واضافة علم الى ما بيانية والمراد بالعلم في الموضعين المسائل والقواعد ولا يصح أن تكون الاضافة حقيقية لما يلزم عليه من اضافة الشئ الى نفسه ويصح كونها حقيقية على جعل المراد بعلم الحكم وجعل ما واقعــة على المسائل بشرط كون المراد بالحكم أعم من المعنى الاصولى لئلا يكون المعنى قاصرا ويجوز على بعد أن تكون الاضافة حقيقية بأن يراد بعلم الاول الادراك وبالثانى الواقعة عليه ما القواعد ووجه بعــده أن الذى يقع عليه التعلم هو القواعد والمسائل لا الادراك هــذا هو المعروف ولا يصح عكس هذا الوجه وهو أن يراد بعــلم الاول القواعد وبالثــانى الادراك اذ يصير المعنى وليتعلم قواعد الادراك وهذا بمعزل عن مراد الناظم فالظاهر هو جعل الاضــافة بيانية والله أعلم وقوله قد جهلا صلة ما والضمير المستتر في جهلا عائد على الشيخ والضمير العائد من الصلة الى الموصول محذوف أى جهله واذا ظرف معمول لقوله يتعلم ورأى فعــل ماض فاعله ضمير الغائب العــائد على الشيخ وشخصا مفعوله والشخص سواد الانسان يرى من بعيــد ثم استــعمل في ذاته قال الخطابى ولا يسمى شخصا الا جسم مؤلف له شخوص وارتفاع ومحصلا مفعول ثان لرأى ان جعلت علمية أو نعت لشخصا ان جعلت بصرية وله متعلق بمحصلا والضمير المجرور باللام عائد على ما جهــلا وجملة وليتعــلم الخ معطوفة على الجمل قبلها وقوله ولا يظن الواو للعطف ولا ناهية ويظن فعل مضارع مجزوم بها وهو في كلام الناظم بسكون النون للتخفيف لقصــد الوزن اذ لا يتزن البيت الا باسكان النون وقد مرّ أن في الفعل المجزوم المشدّد آخره ثلاث لغات الاتباع والفتح والكسر على ما مرّ من التفصيل وليس فيه لغة بالسكون الا اذا فك الادغام فيتعين حينئــذ السكون والفعل هنا مدغم فيتعين ان السكون ضرورة ولو حــذف أن وقال ولا يظنّ ليس الخ لســلم من ارتكاب الضرورة وتجرى في الفــعل حينئذ اللغات الثلاث السابقة لكن في جميــع النسخ التى وقفت عليها من النظم وهى عدة زيادة أن بعد الفعل والضمير في يظن عائد على الشيخ وأن بفتح الهمزة وسكون النون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف وليس فعل ماض ناقص وفوقه ظرف مكان في الاصــل للعلوّ الحسى والمراد هنا العلوّ المعنوى والضمير المضاف اليه فوق عائد على الشيخ والظرف متعلق بمحذوف خبر ليس مقدّم على اسمها وهو عليم الذى هو هنا من أمثلة المبالغة على ما يقتضيــه المقام وجملة ليس فوقه عليم خبر أن المخففة من الثقيلة وجملة أن ليس فوقه عليم سدّت مسدّ مفعولى يظن وان كان المحقق الرضى لم يرتض هذه العبارة قال ولا تقول أن مع جزءيها سادّة مسدّ اسمين هما مفعولا فعل القلب كما يقوله بعضهم لأن أن المفتوحــة مع جزءيها فى تقــدير مفرد في جميع المواضــع بل الاولى أن يقال ان الاسمين المنصوبين فى نحو علمت زيدا قائما سادّان مسدّ أن مع اسمها وخــبرها ويفيدان فائدتها اذهما بتقدير المصــدر بلا آلة المصــدرية اهـ ﴿قلت﴾ وهو واضح لأن المفتوحة الهمزة ليست من المعلقات فحينئذ يكون قول الناظم ليس فوقه عليم هو في تقــدير مفرد مبتدا خبره محذوف تقديره واقع والجملة مفسرة لضمير الشان المقدّر والله أعلم وجمــلة ولا

يظن الخ معطوفة على جملة وليتعلم الخ وقوله وليتل الواو للعطف واللام لام الامر ويتل مضارع مجزوم بها بحذف الواو من تلا القرآن يتلوه تلاوة اذا قرأه والضمير في يتل عائد على الشيخ وما مفعول ليتل وقد جاء صلتها والضمير في جاء هو العائد من الصلة الى الموصول وفي الذكر متعلق بجاء والمراد بالذكر القرآن وقد سماه الله تعالى ذكرا في ق والقرآن ذي الذكر وأنزلنا اليك الذكر والحكيم نعت للذكر وقد وصف الله القرآن بانه حكيم في قوله والقرآن الحكيم ﴿والمعنى﴾ أن من آداب الشيخ المرعية ان لا يزال حريصا على تعلم ما يجهله من العلوم ممن رآه عالما به ولا يظن انه استغنى ولا يحتاج الى التعلم وليتذكر ما جاء في الذكر الحكيم يعني من قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم أي فوق كل ذي علم وان كثر من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم الى الله تعالى* ويروى ان موسى عليه السلام قال يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى *وروى عن سفيان بن عيينة أنه قال أحوج الناس الى طلب العلم أعلمهم لان الخطأ منه أقبح وأخرج أبو يعلى في مسنده عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعلم الناس من يجمع علم الناس الى علمه وكل صاحب علم غرثان وقال عليه السلام من ظن للعلم غاية فقد بخسه حظه والله تعالى يقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقال الخليل عليه السلام أحب الخلق الى الله عالم يطلب علما وقال عليه السلام لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الشعبي ما رأيت مثلي وما أشاء أن ألقى أعلم مني الا لقيته أراد ان العلم لا يحاط به ولو استغنى عن الزيادة من العلم مخلوق لاستغنى الانبياء هذا سيدهم وأعلمهم صلى الله عليه وسلم قال له الله عز وجل وقل رب زدني علما وقد قال أبو حازم كان العالم فيما مضى اذا لقي من هو خير منه في العلم يأخذ عنه واذا لقي من هو مثله ذاكره واذا لقي من هو دونه لم يتكبر عليه ثم صار الامر في زماننا اذا لقي من هو فوقه انقطع عنه حتى يرى من نفسه أنه غير محتاج اليه واذا لقي من هو مثله لم يذاكره ومن هو دونه تكبر عليه اهـ وقال الامام الماوردي في كتابه آداب الدين والدنيا ألفت كتابا في البيوع جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس وبلغت فيه الغاية فظننت اني أشد الناس قياما بمعرفة البيوع فأتاني في مجلسي اعرابيان فسألاني عن بيع عقداه على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحد منها جوابا فأطرقت مفكرا ثم قلت لهما ما عندي لكما جواب فأتيا من كان يتقدمه في العلم كثير من أصحابي فأجابهما مسرعا فأقنعهما وانصرفا مادحين لعلمه اهـ وتذكر قضية موسى عليه السلام لما قال له بنو اسرائيل إثر خطبة خطبها من أعلم الناس فقال أنا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبدنا الخضر والقصة مشهورة ونتيجتها في الذكر الحكيم مذكورة (ثم قال الناظم)

﴿ثمت لا يطلب رياسة به * بل يبتغي بذاك وجه ربه﴾

ثم للعطف مع الترتيب اللفظي والتاء الساكنة اللاحقة لها لتأنيث اللفظ وقد تقدم انها لا تلحقها تاء التأنيث ولا تكون للترتيب اللفظي الا اذا كان المعطوف بها جملة ولا ناهية ويطلب مضارع مجزوم بها والضمير في يطلب عائد على الشيخ ورياسة مفعول به والرياسة بتخفيف الياء فعالة من رأس عليهم بالهمز يرأس بالفتح في الماضي والمضارع رئاسة بالكسر اذا شرف قدره فهو رئيس وريس كقيم والجمع رؤساء وتسهل همزة المصدر الى الياء فيقال رياسة وبه متعلق بيطلب أو برياسة والاول أقرب والباء سببية والضمير المجرور بها عائد على العلم وجملة لا يطلب الخ معطوفة على الجمل قبلها وبل حرف عطف للاضراب ويبتغي أي يطلب مضارع مرفوع بالضمة المقدرة في الياء والضمير في يبتغي عائد على الشيخ

وبذاك متعلق بيبتغي والاشارة للعلم ووجه مفعول بيبتغي ورب مضاف اليه وجه والضمير المضاف اليه رب عائد على الشيخ واطلاق الوجه في مقام الربوبية من قبيل المتشابه كقوله تعالى ويبقى وجه ربك كل شيء هالك الا وجهه وقد تقرر أن في الآيات والاحاديث المتشابهة مذاهب ثلاثة * المذهب الاول مذهب السلف وهو التفويض أي نفوض معناه الى الله ونقول آمنا بالله وما جاء عن الله على مراد الله وقد بالغ في الاحتجاج لهذا المذهب محمد بن الحسن الشيباني الحنفي حيث قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاءت بها الثقات عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير اهـ ونسب صاحب الابريز هذا المذهب للائمة الاربعة وذكر الشيخ زروق أن الصوفية أجمعوا عليه قال ابن حجر ولو لم يكن في ترجيحه على التأويل الا أن صاحب التأويل ليس جازما بتأويله لكان كافيا اهـ وقال العارف بالله الشعراني في العهود ومن فوائد أخبار الصفات امتحان العبد هل يؤمن بها كما وردت فيفوز بكمال الايمان أم يؤولها فيحرم كمال الايمان انتهى * المذهب الثاني مذهب الاشعري ومن نحا نحوه أنها صفات لله تعالى تليق بجلاله لا نعلم كنهها ويسمها صفات سمعية * المذهب الثالث مذهب أكثر الخلف أن ذلك يؤول بما تقتضيه قواعد البلاغة من المحامل المجازية والكنائية وعليه فالمراد من الوجه الذات وهو في الاصل من تسمية الكل باسم جزئه الاشرف ثم توسع فيه فاستعمل في الذات مطلقا وان لم يكن ثم وجه ﴿تنبيهان * الاول﴾ محل المذاهب الثلاثة فيما له محملان فاكثر وأما ما له محمل واحد مجازي فيتعين المصير اليه كقوله تعالى وجاء ربك أي أمره وسلطانه هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أي عذابه والله أعلم ﴿الثاني﴾ يؤخذ من تسمية الاشعري لتلك الصفات المتشابهة بالسمعية انه لا يجوز اطلاق ما لم يرد به السمع كالظهر والبطن قياسا على ما ورد بل انما يجوز ما ورد فقط وحينئذ فما ورد في كلام الائمة كابن أبي زيد في الرسالة والشاذلي في حزبه الكبير فان علمنا وروده فلا اشكال وان لم نعلم ذلك فهو محمول على انه ورد في السمع وان لم نقف على وروده والله أعلم ﴿قلت﴾ ومعنى التوقف على السماع أن ما ورد نوعه يجوز اطلاقه ولو في غير ذلك الوارد كاطلاق الناظم رحمه الله الوجه على الله تعالى لانه ورد اطلاقه في القرآن وما لم يرد كالظهر والبطن لا نطلقه لا أن معنى التوقف على السماع هو أنه لا يجوز الاطلاق الا في عين ما ورد فاعرفه فاني رأيت من غلط فيه والله أعلم ﴿والمعنى﴾ أن من آداب الشيخ المرعية أن لا يطلب بعلمه الرياسة والشرف بل يكون مطلوبه ومقصوده بعلمه وجه الله والفوز بثوابه فان حب الرياسة داء عضال وهو من أقبح الخصال كما قال أبو عثمان التجيبي

حب الرياسة يا له من داء * كم فيه من محن وطول عناء
طلب الرياسة فت أعضاء الورى * وأذاق طعم الذل للكبراء
ان الرياسة دون مرتبة التقى * فاذا اتقيت علوت كل علاء

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار وقال الامام مالك رضي الله عنه اذا أحب العالم أن يعرف بالعلم فهو شر من ابليس وقد تقدم تقييد هذا الكلام عن الامام الشعراني عند قول الناظم سابقا في المقدمة

وكن به محتسبا لله * لا لتفاخر ولا تباهي

انظر ما كتبناه هناك وانما أعاد معنى هذا البيت هنا لامرين الاول ان الكلام هناك مع المتعلم والكلام هنا مع العالم الثاني أنه لاكيديته كرره اعتناء به وحرصا على التعلق بسببه والله أعلم
(ثم قال الناظم)

﴿وليأمر الانام بالمعروف * ولينههم عن ضدّه المعروف﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويأمر فعل مضارع مجزوم بها والضمير عائد على الشيخ والانام مفعوله وهو لغة الانس وقيل ماعلى وجه الارض من الخلق والمراد به هنا من يلقاه العالم ويجتمع به من الانس وكذا من الجن ان كان يجتمع بهم كما وقع لجماعة من العلماء والاخيار وهذا المعنى المراد هنا أخص من المعنى اللغوى على كلا القولين فيه كما لا يخفى وبالمعروف متعلق بيأمر والمعروف الخير ويطلق المعروف على الرفق ومن المعنيين قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف أى من كان آمرا بالخير فليأمر بالرفق وجملة وليأمر الخ معطوفة على الجمل قبلها وقوله ولينههم الخ الواو للعطف واللام لام الامر وينه مضارع مجزوم بلام الامر بحذف الالف والضمير فى ينه عائد على الشيخ وضمير الجمع عائد على الانام وعن ضدّه متعلق بينه والضمير المضاف اليه ضد عائد على المعروف والمعروف آخر الشطر الثانى نعت لضدّه وهو اسم مفعول من عرف الشئ يعرفه اذا علمه وضدّ المعروف هو المنكر الذى هو الشرّ ضدّ الخير المفسر به المعروف والضدّ لغة مطلق المنافى والمقابل واصطلاحا هو المعنى الوجودىّ المقابل لمعنى آخر ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر بشرط أن لا يجتمعا وقد يرتفعان وكثيرا ما يطلق الضدّ ويراد به المعنى اللغوى سيما عند غير المناطقة لكن المراد هنا هو المعنى الاصطلاحى لان الخير والشرّ أمران وجوديان لا يمكن اجتماعهما ويمكن ارتفاعهما بالمباح الاصلى فانه لا يقال فيه خير ولا شرّ فلا يسوغ انكاره ولا الامر به (واعلم) ان أنواع التقابل أربعة تقابل التضادّ وتقابل التضايف وتقابل التناقض وتقابل العدم والملكة وكلها لا يمكن الاجتماع فيها بين الطرفين * أما الامران المتقابلان تقابل التضادّ فهما اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالبياض والسواد فانهما معنيان وجوديان لا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يمكن اجتماعهما فى محل واحد فى آن واحد ويمكن ارتفاعهما بوجود الحمرة مثلا ومن ذلك الحركة والسكون فانهما أمران وجوديان لا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يمكن اجتماعهما وقد يرتفعان بانعدام محلهما ومن ذلك أيضا المعروف والمنكر كما مر * وأما الامران المتقابلان تقابل التضايف فهما الامران الوجوديان اللذان يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يجتمعان وقد يرتفعان كالابوّة والبنوّة فان أبوّة زيد لعمرو مثلا لا تتعقل الا بتعقل بنوّة عمرو لزيد الذى بسببها صار زيد أباله ولا يمكن اجتماع الابوّة والبنوّة فى ذات واحدة من جهة واحدة وأما كون زيد أبا لعمرو وابنا لخالد مثلا فليس ذلك من جهة واحدة بل الابوّة من جهة كونه أبا والبنوّة من جهة كونه ابنا ويمكن ارتفاعهما بارتفاع محلهما ومن ذلك الفوقية والتحتية والقلة والكثرة * وأما الامران المتقابلان تقابل التناقض فهما اللذان أحدهما وجودى والآخر عدمى ويتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يمكن اجتماعهما ولا ارتفاعهما كالقيام ولا قيام فان القيام معنى وجودىّ ولا قيام معنى عدمىّ ولا يمكن اجتماعهما على النسق السابق ولا ارتفاعهما اذ ارتفاع قيام هو لا قيام وارتفاع لا قيام هو قيام فاذا ارتفعا لزم انه حصل قيام ولا قيام وهو غير معقول * وأما الامران المتقابلان تقابل العدم والملكة فهما الامران اللذان أحدهما وجودى والآخر عدمى بشرط أن يكون المحل فى العدمى قابلا للوجودى ويتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يجتمعان وقد يرتفعان كالبصر والعمى بالنسبة الى زيد لا الى الحائط مثلا فان البصر معنى وجودى والعمى معنى عدمى اذ هو عدم البصر ويتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يقال الحائط أعمى لانه غير قابل للبصر ولا يجتمع العمى والبصر وقد يرتفعان بانعدام محلهما والى الانواع الاربعة أشار بعضهم بقوله

ثبوت أمر ثم نفيه سم * فى علم منطق نقيضا فاعلم
وعدم ملكة قد عرفا * به اذا أمكن أن يتصفا
وسم بالضد معنى قد وجد * حيث التنافى مع ضده عهد
وكل أمرين وجوديين * تنافيا سم متضايفين
لكن اذا كل توقف على * صاحبه عقلا من تحت الاملا والله أعلم

﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن يأمر الخلق بالمعروف وينهاهم عن المنكر لان ذلك من فائدة العلم وثمرته والمراد بالمنكر الذى طلب تغييره هو ما قبحه الشارع قولا كان أو فعلا ولو صغيرة (واعلم) ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من دعائم الاسلام المجمع على وجوبهما ولم يخالف فيه الا من لا يعتد به من الروافض ووجوبه بالسمع لا بالعقل خلافا للمعتزلة قاله عياض فى الاكمال ونقله الابى ثم ان تغيير المنكر باليد أو باللسان هو من فروض الكفاية ولا يجب على الاعيان الا فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو حق من انفرد برؤيته من غيرهم وأما تغييره بالقلب فهو واجب على الاعيان كما نصوا عليه قال العلامة الصعيدى فى حواشيه على الخرشى الا انه يشكل بأن يقال كيف يكون فرض العين أقوى من فرض الكفاية اه ﴿قلت﴾ لعل هذا الاشكال معكوس اذ اللازم على كون التغيير بالقلب فرض عين هو ان فرض الكفاية الذى هو التغيير باليد أو باللسان أقوى من فرض العين الذى هو التغيير بالقلب لانه ورد ان التغيير بالقلب هو أضعف الايمان وأيضا لا اشكال ولا غرابة فى كون فرض العين أقوى وانما الغرابة والاستبعاد فى العكس والجواب عن الاشكال على الوجه الذى ترجيته أن المراد فى الحديث بالاضعفية الاضعفية الراجعة الى المنكر بكسر الكاف لا الى الانكار الذى هو من علامات الايمان فيكون معنى الحديث وذلك أى المنكر بقلبه أضعف أهل الايمان أو يقال ان الاضعفية راجعة الى الانكار نفسه وأضعفيته باعتبار انه لا أثر له فى الخارج ولا كذلك التغيير باليد وباللسان والله تعالى أعلم * ولا بد فى الوجوب الكفائى أو العينى بالنسبة لغير الانبياء ولغير الانكار بالقلب من اعتبار شروط تغيير المنكر المشار اليها بقول بعضهم

معرفة المنكر والمعروف * والظن فى افادة الموصوف
والامن فيه من أشد المنكر * كقتل نفس فى قيام الخمر

ويزاد شرط الاجماع على كونه منكرا أو يكون دليل القائل بالحلية ضعيفا كأبى حنيفة فى شرب النبيذ فيجب نهى حنفى عن شربه ولا ينكر مختلف فيه قال القاضى عياض لا ينبغى للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يحمل الناس على اجتهاده ومذهبه وانما يغير منه ما أجمع على انكاره اه وقال النووى ثم العلماء لا يغيرون الا ما اتفق عليه ولا يغيرون فى مسائل الخلاف لانه ان كان كل مجتهد مصيبا فواضح وكذلك على ان المصيب واحد لان المخطئ غير آثم اه أى ولان المصيب غير معين وقال ابن سراج اذا جرت عادة الناس بشئ ولم يكن متفقا على تحريمه فليتركوا وما هم عليه اه وقال ابن لب اذا عمل الناس على قول لبعض العلماء فلا ينبغى انكاره اه وقال أبو اسحق الشاطبى الاولى عندى فى كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما وان كان مرجوحا فى النظر أن لا يتعرض لهم اه وقال عز الدين بن عبد السلام من أتى شيأ مختلفا فيه يعتقد تحريمه أنكر عليه لانتهاكه الحرمة وان اعتقد تحليله لم ينكر عليه الا أن يكون مدرك المحلل ضعيفا ينقض الحكم بمثله فى الشرع لبطلانه اه ومثله للشيخ زروق فى شرح الارشاد ونصه الفرع الثالث من فعل فعلا مختلفا فى تحريمه وهو يعتقد تحريمه أنكر عليه وان اعتقد التحليل لم ينكر عليه الا أن يكون مدرك

القول بالتحليل ضعيف فاينقض قضاء القاضي بمثله وان لم يعتقد التحريم ولا التحليل والمدرك فيهما متواز أرشد للترك برفق من غير انكار ولا توبيخ لانه من باب الورع اهـ وقال القرطبي ما صار اليه امام وله وجه سائغ في الشرع لا يجوز لمن رأى خلافه أن ينكره وهذا مما لا يختلف فيه اهـ وقد نص الزرقاني في باب الجهاد من شرح المختصر على أنه لا ينكر الا الحرام المجمع عليه أو ما ألحق به أي مما كان ضعيف الدليل وهو ما ينقض الحكم بمثله وما ينقض الحكم به هو ما خالف القواعد أو الاجماع أو النص أو القياس الجلي ويزاد أيضا شرط ظهور المنكر في الوجود من غير تجسس ولا استراق سمع ولا استنشاق ريح ليتوصل بذلك للمنكر ولا يبحث عما أخفي بيد أو ثوب أو حانوت أو دار فانه حرام لقوله تعالى ولا تجسسوا قال العلامة الزرقاني في باب الجهاد من شرح المختصر والظاهر أن حرمة الاقدام على ذلك لا تمنع وجوب النهي عنه بعد ذلك فما وقع لعمر بن الخطاب وهو يطوف ليلة في عسسه الذي اخترعه من انه نظر من خلال باب شيخا يشرب خمرا فصعد على جدار البيت ونزل على الرجل فقال يا أمير المؤمنين أنا عصيت الله واحدا وأنت ثلاثا قال الله تعالى ولا تجسسوا وأنت تجسست علي وقال وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من الجدار وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا أي تستأذنوا وأنت لم تستأذن فعفا عنه عمر وخرج وهو يقول ويل لعمر ان لم يغفر الله له اهـ ليس عفوه مذهبنا فلا يسقط الحد عن شارب الخمر بفعل الامام نحو ذلك اهـ وسلمه محشوه ﴿قلت﴾ وللأبي في اكمال الاكمال نقلا عن المازري ان محل عدم التجسس ما لم يخف فوت مفسدة تثبت بامارة قوية كمن أخبره من يثق به أن بهذه الدار رجلا اختلا بامرأة يزني بها أو يقتلها فانه يبحث ويتجسس ويقتحم خوف الفوات وما قصر فلا يبحث ولا يتجسس ولا يكشف الستر فلو سمع آلات الباطل فلا يقتحم ويغير من خارج لان المنكر ظاهر اهـ ومثله لابن حجر والشبرخيتي في شرح الاربعين وكذلك نص عليه غيرهم ونقل الشبرخيتي عن العارف ابن العربي قال لو كشف لولي أن فلانا يزني بفلانة أو يشرب الخمر لزمه النهي ولم يسقط عنه لان نور الكشف لا يسقط نور الشرع فشاهدته من طريق الكشف لا تسقط النهي عنه لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر وان شهدنا بكشفنا انه محتم الوقوع اهـ وأقره الناقل ﴿قلت﴾ وتأمله فان المقرر في المسائل الفقهية ان الاحكام الشرعية لا تخرج عن قوانينها المقررة بالنصوص لاجل كشف أو خروج عن عادة وان كان الخروج عن العادة ممكنا واقعا تشهد له عمومات الشرع فانظر كيف نصوا على ان الولي اذا قدر على الحج بالطيران فقط فلا يقال في ذلك أنه استطاعة يجب بها الحج ونصوا على أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مناما وقال له اذهب الى محل كذا ففيه ركاز فخذه ولا خمس عليك فيه فذهب ووجده فانه يجب عليه الخمس واذا رآه وقال امرأتك عليك حرام ولم يعلم وجها للتحريم اذ لم يقع موجبه فلا يعتمد على تلك المقالة أو وقع له موجب التحريم وقال له انها غير محرمة فلا يعتمد على ذلك وان القاضي اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تحكم بشهادة فلان فان ذلك لا يصده عن الحكم بها اذا كان الشاهد عدلا كما قاله ابن رشد أو أخبره بأن شهر شعبان مثلا ناقص وان مهل رمضان من غده ولم يثبت ذلك برؤية عدلين أو الاستفاضة أو كمال عدة شعبان فلا يعتمد على الرؤيا كما في الزرقاني صدر باب الصوم اذ غاية ما هنالك أن تكون الرؤيا باعتبار صحتها بمنزلة نص شرعي وقد قابله ما هو أقوى منه من نص الشارع المروي عنه يقظة الذي قاله تشريعا للعموم فيقدم الاقوى وان كانت رؤيا الولي حقا شهد بصدقها وأحقيتها عمومات الشرع هذا اذا جعلنا المثالين في كلام ابن العربي مقصودين بنفسهما لا انهما فرض مثال ليكون كلامه في المفسدة التي يخاف فواتها فيكون مساويا لكلام الابي السابق فان كان المثالان لا مفهوم لهما وانما هما فرض مثال تحكم الاشكال وزاد فتأمل ذلك فليس قصدي

إلا تنبيه الواقف عليه لحمن النظر ولم أقصد الاعتراض على ابن العربي فان مقامه يجل عن اعتراض مثلي عليه والله تعالى هو المنفرد بالعلم الحقيقي * ثم أقول قد يستأنس في الجملة لما قاله ابن العربي بقتل الخضر عليه السلام الغلام وكسر السفينة واقامة الجدار فان ارهاق الغلام الكفر لابويه وغصب الملك السفينة وأخذ كنز اليتيمين من قبيل المنكر الخفي وقد أنكره الخضر لما أطلعه الله عليه وكان الانكار لذلك بازالة أسبابه وقد يقال ان هذا من الاحتياط للمنكر المتوقع وكلامنا أولا في المنكر الواقع والله أعلم فتبين بهذا ان من شروط وجوب تغيير المنكر كونه مجمعا على تحريمه وكونه ظاهرا للعيان وقد عززت البيتين السابقين بثالث يتضمن هذين الشرطين فقلت

وكون ما ينكر مجمعا على * تحريمه وكونه قد انجلى

فتلخص ان شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خمسة * الاول معرفتهما فالشهير حكمه كوجوب الصلاة وحرمة الزنا يستوي في القيام به العلماء وغيرهم ومادق من الافعال والاقوال فانما يقوم به العلماء * الثاني الامن من ترتب ماهو أعظم من المنكر * الثالث ظن الافادة وهذا الشرط تواطأ على ذكره شراح المختصر والمرشد وحواشيهما وغيرهم وهو الظاهر كما يأتي في نص مالك والذي نقله الابي في اكمال الاكمال عن النووي هو ما نصه ولا يسقط بظن القائم به ان القيام به لا يفيد بل يقوم والذكرى تنفع المؤمنين قال الابي عقبه مؤيدا له قلت وقال الزمخشري يسقط لان في ذلك اذلال النفس والمؤمن لا يذل نفسه ويكفي في بيان ضعف قوله ضعف دليله فان النهي عن اذلال النفس محمول على اذلالها باتباع الشهوات وقد قال مالك لا تحل السكنى ببلد يعلن أهلها بالمعاصي اه والله أعلم * الرابع كون المنكر مجمعا على منعه * الخامس كونه ظاهرا في الوجود فان توفرت الشروط كلها وجب الامر والانكار والا فتفصيل فان انتفى الاولان والخامس أو أحد الثلاثة حرم الامر والانكار وان انتفى الثالث عند من اعتبره بقي الجواز ان لم يتأذ في بدنه أو عرضه والا انتفى الجواز أيضا قاله القرافي وفي أول المدارك ان ابن هرمز أنكر على بعض أهل الاقدار وقوفه مع امرأة على ظهر الطريق فقال ذلك الرجل لعبيده طؤا بطنه فوطئوه حتى حمل الى منزله فعاده الناس وفيهم مالك فجعل يشكو والناس يدعون له ومالك ساكت ثم تكلم فقال ان هذا لم يكن لك تأتي الى رجل من أهل القدر على باب داره معه حشمه ومواليه فتنكر عليه فقال له ابن هرمز أتراني أخطأت فقال إي والله اه وان انتفى الرابع انتفى الوجوب وبقي الندب قال الامام النووي بعد ان ذكر انه لا يجب الانكار الا بشرط الاجماع على التحريم نعم يندب الى الخروج من الخلاف للاتفاق على رجحان الخروج منه اه واذا كان الانكار للمكروه مندوبا فأولى ما ترجحت فيه الحرمة قال العلامة الرهوني في تأليفه التحصن والمنعة الذي يدل عليه كلام المدخل في غير ما موضع وكلام غيره ان التنبيه أي تنبيه العلماء العوام على ذلك أي على أن يجتنبوا المكروه هو المطلوب قال لان ما كان متفقا على كراهته اذا سكت عنه من رآه من العلماء ظن عوام الناس انه مطلوب ومستحب اه وكذلك يندب الامر بالمندوب قال في المواقف والحق ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تابع للمأمور به والمنهي عنه فيكون الامر بالواجب واجبا وبالمندوب مندوبا والنهي عن الحرام واجبا وعن المكروه مندوبا اه وان انتفى الخامس حرم التجسس على ما مر ولا يشترط في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذن الامام ولا كون الآمر والناهي عدلا على المشهور أي لا يشترط كونه فاعلا لما يأمر به تاركا لما ينهى عنه قال الامام النووي ولا يشترط في القائم به أن يكون ممتثلا في نفسه لانه تعلق به حقان حق الكف في نفسه ونهي غيره ولا يسقط حق حقا اه وفي الخبر أؤمر بالمعروف وان لم تأته وانه عن المنكر وان لم تجتنبه وفي رواية الطبراني عن أنس

فى حديث من رأى منكم منكرا فليغيره الخ قال قلت يارسول الله لانأمر بالمعروف حتى نفعله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وقيل للحسن فلان لا يعظ ويقول أنا أخاف أن أقول مالا أفعل فقال وأينا يفعل مايقول ودّ الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهى على الامتثال والاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهى عن المنكر وانسد باب النصيحة التى حث الشارع عليها سيما فى هذا الزمان الذى صار التلبس فيه بالمعاصى شعار الانام ودثار الخاص والعام وقد تقدم عند قول الناظم * وليطلب العلم ولو بالصين * عن القرافى ان العالم اذا سئل عن شئ من الحلال والحرام لا يمتثل فيه انه يجب عليه الجواب بالعلم ولا عليه فى عمله هو وذلك من قبيل ماهنا وهذا معنى قولهم يجب على متعاطى الكاس أن ينكر على الجلاس وأما قوله تعالى أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم الآية فخرج مخرج الزجر عن نسيان النفس لأنه لا يأمر وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث رأيت فى النار قوما يدورون كما تدور الرحا فسأل عنهم جبريل فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه فانما هو ومثله على عدم الانكار من أصله لا على انكاره والله أعلم نعم الغالب عدم افادة الامر والنهى الا اذا كان الآمر والناهى ممتثلا كما قال ابن الجوزى لمن طلب منه الحث على العتق أمهلنى حتى أكتسب ما أشترى به رقيقا وأعتقه قال الشاعر

وانك اذما تأت ما أنت آمر * به تلف من اياه تأمر آتيا

وقال من أجاد

مواعظ الواعظ لن تقبلا * حتى يعيها قلبه أوّلا
ياقوم لا أظلم من واعظ * خالف ماقد قاله فى الملا
أظهر بين الناس احسانه * وبارز الرحمن لما خلا

وقالت المعتزلة لا ينهى عن المنكر الا برىء منه وقال بعضهم ينهى عن غير ماهو متلبس به وغلا بعض الاشعرية وقال يجب على الزانى كف بصره عن النظر الى وجه المزنى بها ويكون عاصيا بالزنا مطيعا بالكف ولا يشترط أيضا كون المنكر عليه لا حرمة له على المنكر بل ينكر المنكر ولو على من له عليه حرمة كشيخه وأبيه ولا يشترط أيضا فى انكار المنكر أن يكون المتلبس به عاصيا كقتال الباغى المتأوّل وضرب الصبيان على فعل الفواحش وقتل الصائل من صبىّ أو مجنون اذا لم يندفع الا به نص على عدم اشتراط هذا الشرط العلامة الشيخ ابراهيم الشبرخيتى فى شرح الاربعين ولم أره الآن لغيره ممن تكلم على شروط تغيير المنكر وهو واضح من حيث الحكم ويحتاج فى فهمه الى حلّ بالنسبة الى القاصرين مثلى اذ لم أفهمه الا بعد تأمل فقوله كقتال الباغى الخ هو مثال للنفى لا للمنفى وهو تفسير للانكار لا للمنكر واضافة قتال للباغى من اضافة المصدر للمفعول ومعناه ان الباغى المتأوّل هو باعتبار بغيه غير عاص وانما قلنا انه غير عاص لانه يتأوّل فى بغيه أى مخالفته للامام ويبدى لها وجها وكونه غير عاص لا يسقط الانكار عليه لان البغى فى نفسه منكر بقطع النظر عن اعتقاد فاعله هنا والانكار الواجب عليه هو مقاتلة الامام العدل له لان تأويله لا يسقط مقاتلته عن الامام العدل كما بالغ عليه خليل فى باب الباغية اذ قال وان تأوّلوا وقوله وضرب الصبيان هو مثال للانكار أيضا لا للمنكر يعنى ان فعل الفاحشة فى نفسه منكر يجب انكاره وان فعلها صبى يعنى أو مجنون فهو غير عاص بها وعدم عصيانه بفعلها لا يسقط الانكار عليه بضربه على فعلها وقوله وقتل الصائل هو مثال للانكار أيضا يعنى ان الصائل اذا كان صبيا أو مجنونا هو غير عاص بصولته التى هى منكر فى نفسها لعدم تكليفه فاذا لم يندفع الا بالقتل فقتله انكار واجب وان كان هو غير عاص بذلك المنكر لعدم تكليفه هذا معنى كلام الشبرخيتى وهو واضح

ويفهم منه هكذا لا يتناقض مع ما فسر به هو نفسه تغيير المنكر بأنه ما قبحه الشرع قولا كان أو فعلا ولو صغيرة المقتضى انه لابد فى المنكر الذى يجب تغييره من كونه معصية لأنا نقول انه لابد أن يكون معصية فى نفسه بقطع النظر عن فاعله ولا يلزم من كونه معصية فى نفسه أن يكون فاعله عاصيا بفعله كما علمت من المثل والله أعلم ﴿تنبيه﴾ الشروط الخمسة السابقة انما هى لتوجه الوجوب الكفائى أما الوجوب العينى كما فى حق الانبياء أو بالقلب كما مر فهو متوجه من غير توقف على الشرط أصلا كما قاله الزرقانى شارح المختصر وولده شارح المواهب وغيرهما والله أعلم ولا ينافى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عند توفر الشروط وندب ذلك حيث اختل الثالث والرابع أو أحدهما قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك رواه الحاكم وغيره عن أبى ثعلبة الخشنى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى عليكم أنفسكم الآية فقال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا رأيت الحديث لان المراد من الآية على المشهور عند المفسرين لا يضركم من ضل بعد ان لم يفد أمركم ونهيكم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لأن الواجب هو الانكار والامر لا القبول لذلك وأما قبل الانكار فيضر الساكت ضلال من ضل لأن الاقرار على الضلال ضلال قال ابن حجر من أقبح البدع أن بعض الجهلة اذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر يقول قال الله تعالى عليكم أنفسكم الآية وما علم الجاهل بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكرم وجهه ان من فعل ذلك أردف اثم معصيته باثم تفسير القرآن برأيه أى وهو من الكبائر وانما معنى الآية عليكم أنفسكم بعد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قاله ابن المسيب وفيها أقوال أخر قال أبو عبيدة ليس لنا آية جمعت بين الناسخ والمنسوخ سواها وقال غيره الناسخ اذا اهتديتم اذ الهدى هنا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اه وقيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب كما جاء عن مجاهد وابن جبير عن أبى بكر الصديق وزاد ان الآية ليست نازلة فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجاء أيضا عنه رضى الله عنه أنه قال يوما على المنبر يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فيقول أحدكم على نفسى والله لتأمرن بالمعروف أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعوا خياركم فلا يستجاب لهم اه وفى أبى السعود ولا يتوهم فى هذه الآية رخصة بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسبما تفى به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه اه وقيل فى الآية الشريفة غير هذا ولم يحملها أحد على ظاهرها من الرخصة فى ترك الامر بالمعروف وأما الحديث السابق وهو اذا رأيت شحا مطاعا الخ فهو محمول والله أعلم على الانكار على العامة بشهرة وغلظة بحيث يتشوش الامراء من ذلك وتتغير قلوبهم ولهذا قال الشيخ زروق رضى الله عنه فلا يجوز لاحد اليوم أن يتعرض لامور العامة بل يقتصر على عياله وخاصته بقدر ما يقتضيه العرف وينكر فى العموم ما لا يتهم فيه بأمر يغير قلوب الامراء فقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يذل نفسه قيل لابن عباس رضى الله عنهما فما معنى ذلك قال يتعرض للسلطان وليس له منه النصف ثم ان كان قادرا على ذلك لم يتمكن منه الا بافساد النظام وذلك محرم اجماعا اه وفى المواق قال مالك ينبغى للناس أن يأمروا بطاعة الله فان عصوا كانوا شهودا على من عصى فقيل له أيأمر الرجل

الولى بالمعروف وينهاه عن المنكر قال ان رجا أن يطيعه فليفعل ويأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة اهـ قال ابن حجر ويأمر الولد أبويه برفق لا بتخويف ونحوه الا ان اضطر اليه اهـ وقد ورد فى الحض على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر آيات وأحاديث قال تعالى ولتكن منكم أمّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال فى المنافقين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال تعالى فى ذم بعض من مضى من الامم حيث رأوا المنكر وأهملوه كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وقال صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم لعنه الله * وقد ورد فى بعض الاخبار ان الله أوحى لجبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا على أهلها قال يارب ان فيها فلانا لم يعصك قط طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتغير اذ رأى منكرا * وورد أيضا ان الله أوحى الى يوشع بن نون أنى مهلك على قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا بغضبى وآكلوهم وشاربوهم * وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أفضل الاعمال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وروى جرير عنه صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصى ويقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيرون الا عمهم الله بعذاب قبل أن يموتوا * وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان الله تعالى لا يعذب العامّة بعمل الخاصة ولكن اذا ظهرت المعاصى فلم ينكروا فقد استحق القوم جميعا العقوبة * وروى سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة فقال أنت الذى تزعم انك رسول الله قال نعم قال فأىّ الاعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قال ثم ماذا قال صلة الرحم قال ثم ماذا قال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال فأىّ الاعمال أبغض الى الله سبحانه وتعالى قال الشرك بالله قال ثم ماذا قال قطيعة الرحم قال ثم ماذا قال ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وعن عبد الله بن مسعود قال بحسب امرئ منكم انه اذا رأى منكرا لا يستطيع له تغييرا أن يعلم الله من قلبه انه له كاره * وعن بعض الصحابة قال اذا رأى أحدكم منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرّات اللهم هذا منكر فلا تؤاخذنى فاذا قال ذلك فله ثواب من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ومحل هذا مع عدم القدرة على التغيير باليد والا فيجب بحسب القدرة كما قال صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم المنكر فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعنى أضعف أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامّة وقال بعضهم كل من قدر على التغيير باليد وجب عليه اهـ ومن عدم استطاعة التغيير باليد الخوف على النفس أو المال قال ابن حجر الهيتمى وليس من عدم الاستطاعة مجرّد الهيبة وعلى ذلك حمل خبر الترمذى وغيره ألا لا يمنعنّ رجلا هيبة الناس أن يقول الحق اذا علمه اهـ (وكيفية التغيير بالقلب) أن يكره المعصية ويودّ أن لو قدر على التغيير باليد قال الأبى وكان الشيخ يعنى ابن عرفة يقول انه أى التغيير بالقلب الدعاء بقطع المنكر وان دعا على المتعاطى جاز اهـ (وكيفية التغيير باللسان) بان يصيح أو يستغيث أو يأمر من يفعل ذلك وبالتوبيخ والتذكير مع لين أو اغلاظ بحسب ما يكون أنفع فقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالعنف والرياسة ولذا قال بعض من رأى عورة أحد فى الحمام ينبغى أن يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهى أن يقول له استر سترك الله (وقد روى) أن رجلا من الصحابة أكثر من شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب له حم

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو واليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها (وحكى) التاج السبكى عن أبيه انه كان يجتمع ببعض الامراء وكان الامير يلازم الحرير فقال يا أمير بكم الذراع من هذا فقال بدينار فقال فى الصوف ما يساوى كل ذراع منه دنانير وعم البكاء وخدمك يشاركونك فى لبس الحرير ولا يليق بشبهها مثلك أن يساووك فاعدل الى الصوف فانه أعلى وأغلا مع ما فيه من السلامة من العقاب الاخروى فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هذا حرام ربما لا يفيد (وكيفية النهى بالبديهة) قال الامام النووى وهو أى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تأكد طلبه وعظيم أجره لم يقم به الآن الا القليل فعلى الساعى فى مرضاة الله أن يعتنى بذلك ولا يحاشى أميرا ولا صديقا فان الصديق من عمر دار آخرة صديقه وان خرب دار دنياه والعدو من خرب دار آخرة صديقه وان عمر دنياه اه ولله الشهاب المنصورى اذ قال

ليس ذو الودّ من يراك على ما * هو شين ولم يلمك عليه

وحرام على امرئ شاهد الحق جليا ولا يميل اليه

بل صار فى هذه الايام وقبلها تغيير المنكر عند العامة من المنكر والامر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

لقد صار تغيير المناكر منكرا * لدى عصرنا عند اللئام من الورى

اذا قلت هذا لا يحل بشرعنا * يقولون ذا ما قاله كل من درى

وكم من فقيه قد رأينا ولم يقل * لنا مثل هذا ان هذا لمفترى

والله الموفق والهادى (ثم قال الناظم)

﴿وليك ناسكا جميل السمت * عن غير ما يعنى كثير الصمت﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويك مضارع من كان الناقصة مجزوم بالسكون الظاهر على النون المحذوفة تخفيفا وقيل لشبهها بحروف العلة فى الغنة وقد تقدم الكلام على شروط حذف هذه النون وما فيها من الكلام عند قول الناظم فى المقدمة * فالعلم ان لم تك عاملا به * والضمير فى يك عائد على الشيخ هو اسمها وناسكا خبرها وهو اسم فاعل نسك لله ينسك من باب قتل اذا تطوع لله بقربة وجميل خبر بعد خبر وهو اسم فاعل جمل بالضم والكسر جمالا فهو جميل اذا حسن والسمت بالسين المهملة المفتوحة الهيئة فى المصباح وهو حسن السمت أى الهيئة وعن غير متعلق بالصمت آخر الشطر وغير مضاف لما ويعنى صلة ما وكثير خبر ثالث ليك وهو مضاف للصمت بفتح الصاد مصدر صمت يصمت صمتا من باب قتل يقتل قتلا والجارى على الالسنة هو ضم الصاد * قال الشيخ الرهونى عند قول خليل فى باب النكاح واذن البكر صمت ما نصه (فائدة وتنبيه) وجدت بطرة نسخة من شرح سيدى محمد بن قاسم بن زاكور المسمى بعنوان النفاسة فى شرح الحماسة عند قولها

وسرّك ما كان عند امرئ * وسرّ الثلاثة غير الخفى

على قول الشارح وبعد هذا البيت فى غير الحماسة

كما الصمت أدنى لبعض البيان * وبعض التكلم أدنى لعى

ما نصه الصمت بفتح الصاد نص عليه صاحب الغريب وصاحب الزاهى والجوهرى ومختصر الصحاح والرافعى وهو ظاهر صنيع صاحب القاموس وأما الصمات فبضم الصاد لا غير انتهى ما وجدت بلفظه وما ذكره غريب والجارى على الالسنة الضم وهو الذى كنا نسمعه من أفواه المشايخ لكن ما ذكره من صنيع القاموس هو كذلك لاطلاقه الا انه قد يطلق اتكالا على الشهرة كما فعل فى القرب والبعد وما عزاه للجوهرى ان عنى فى الصحاح فليس فيه تصريح بذلك وانما فيه ما نصه صمت يصمت صمتا

وصموتا وصماتا سكت وأصمت مثله والتصميت أيضا السكوت اه منه بلفظه الا أني وجدته في نسخة عتيقة جدا متقنة بخط مشرقي حسن مضبوطا بالقلم بالفتح وبالفتح ضبطه في المصباح لانه شبهه بالقتل ونصه صمت صمتا من باب قتل سكت وصموتا وصماتا فهو صامت وأصمته غيره وربما استعمل الرباعي لازما أيضا اه منه بلفظه وقد قال في أوله ما نصه وقيدت ما يحتاج الى تقييده بألفاظ مشهورة البناء فقلت مثل فلس وفلوس وقفل وأقفال وفي الافعال مثل ضرب يضرب أو من باب قتل وشبه ذلك لكن ان ذكر المصدر مع مثال دخل في التمثيل والا فلا اه منه بلفظه وقد ذكر في الصمت المصدر فهو صريح في انه بالفتح فهو موافق لما قاله المطرز وكلام أبي الفضل في مشارقه يدل على أنه بالفتح ونصه وقوله وقد أصمت أي سكت يقال أصمت اصماتا وصمت صموتا وصمتا وصماتا والاسم الصمت بالضم اه منها بلفظه فقوله والاسم الصمت بالضم يدل على ان المصدر بالفتح والله أعلم اه كلام الشيخ الرهوني فتبين من هذا ان الصمت مصدر ليس فيه الا الفتح كما هو صريح كلام جمع وظاهر كلام آخرين ﴿وقلت﴾ وبه تعلم ان ما اعترض به العلامة ابن الطيب على صاحب القاموس في اقتضاء ظاهره الفتح فقط بانه ليس كذلك وان الصواب ان الصمت بالوجهين الفتح وقال به الاكثر والضم وصرح به عياض في المشارق وغيره من أئمة الاندلس قال وسمعناه من شيوخنا الاعلام قاطبة بالضم وعليه جرى كلام أهل المغرب قاطبة حتى استعملوه في الجناس كما أنشدنيه شيخنا الامام الكبير البارع أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي أدام الله مدده غير ماصرة

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطق صمت
فحسبي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يوما فما صمت

فيه نظر من حيث الاستدلال بكلام المشارق وان تبعه عليه تلميذه الشيخ مرتضى في شرح الاحياء والعلامة السيد الطالب بن الحاج في حواشي ميارة اذ كلام المشارق كما مر صريح في ان الذي بالضم هو الاسم لا المصدر نعم نسب الشيخ مرتضى أيضا الضم في المصدر لابن منظور في لسان العرب وقد راجعته فوجدته صريحا في الضم ونصه صمت يصمت صمتا وصمتا وصموتا وصماتا وأصمت أطال السكوت اه المراد منه بلفظه وكتب عليه مصحح المطبعة ما نصه قوله صمتا وصمتا الاول بفتح فسكون متفق عليه والثاني بضم فسكون بضبط الاصل والمحكم وأهمله المجد وغيره قال الشارح والضم نقله ابن منظور في اللسان وعياض في المشارق اه كتبه مصححه اه فتلخص من هذا كله ان الفتح هو المنصوص عليه عند الكثير من اللغويين والضم لم يذكره غير ابن منظور خلافا لابن الطيب ومن تبعه حيث نسبوه لعياض في المشارق وأما شيوعه على الالسنة بالضم فيحتمل أنه بالمعنى الاسمي لا المعنى المصدري فلا يكون ما شاع مخالفا للاكثر وكذلك الصمت الواقع في قافية البيت الاول من البيتين السابقين فيحتمل انه بالمعنى الاسمي كما لا يخفى على ذي ذهن بل هو أقرب عند المنصف فليتأمل وأما قول ناظمنا كثير الصمت فهو محتمل أيضا للامرين لكن الاقرب فيه هو المصدر والاولى على مصدريته هو الفتح لكونه الكثير كما علمت وللسلامة من التخالف بين السمت والصمت ﴿تنبيه﴾ الفرق بين المصدر والاسم أن المصدر دال على الحقيقة والماهية وهي أمر اعتباري بالنظر الى خصوص ذاته والاسم دال على المعنى الوجودي الحاصل من ايجاد تلك الماهية كالضرب مثلا هو بالمعنى المصدري دال على حقيقة الضرب المعروفة لكل أحد وهو في نفسه أمر اعتباري وهو بالمعنى الاسمي دال على ما يشاهد في الخارج من أثر تلك الحقيقة من رفع اليد ووضعها أو الاثر الناشئ في المضروب بسبب الضرب ثم تارة يتحد المصدر والاسم في الحركات والسكنات كما في الضرب الممثل به وتارة يختلفان في الحركات كالصمت

بالفتح المصدر وبالضم الاسم والجرح بالفتح المصدر وبالضم الاسم ﴿والمعنى﴾ من آداب الشيخ المرعية أن يكون ناسكا متقربا الى الله تعالى بالنوافل والقربات وأن يكون حسن الهيئة في لباسه وثيابه وأن يكون كثير الصمت عما لا يعنيه من الكلام والمراد بكثرة الصمت عما لا يعني دوامه فقد تطلق الكثرة والمراد بها الدوام كما تطلق القلة ويراد بها العدم أما طلب التنسك من الشيخ والعبادة فقد تقدم في هذا الشرح مفرقا وعند قوله * ولا يكن مقتصرا على الفروض * سيما والعبادة هي فائدة العلم وثمرته وأما كونه حسن السمت والهيئة فذلك مطلوب مرغوب اذ حسن الهيئة دليل على العقل والمروءة قال مالك رضي الله عنه أحب لطالب العلم ومثله العالم أو أحرى أن يكون نقي الثوب حسن الهيئة اه وخصوصا في هذا الزمان الذي قلت فيه الخيرات وكثرت الاشرار وصار مطمح الناس للصورة الظاهرة لا للعلوم الفاخرة * وللناظم رحمه الله في منظومته حديقة القضاة في باب آداب القاضي

وليك زاهدا في الملبس * فليعن منه بالرفيع الانفس
لأن للنفس انقياد التحسن * فاسمع ومن عينيك فاطرد الوسن

﴿قلت﴾ وذلك صحيح حسن اذا خلصت النية فيه لأن اقامة الهيئات الجليلة للأئمة والقضاة وولاة الامر من المتعين بحسب الوقت والمكان بسبب ان المصالح والمقاصد لا تحصل الا بعظمة الولاة في نفوس الناس وذلك في زمن الصحابة انما كان بالدين وفيما بعدهم انما يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها لتصلح المصالح وقد كان عمر رضي الله عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة في كل يوم لعلمه بان الحالة التي هو عليها لو عملها غيره لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى أن يضع غيره في صورة تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد سيدنا معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ الحجاب والمراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك مسالك الملوك فسأله رضي الله عنه عن ذلك فقال له انا بأرض قوم نحن فيها محتاجون الى هذا فقال لا آمرك ولا أنهاك ومعناه أنت أعلم بحالك هل أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج فيكون ترفها وهذا في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه وقد قال ابن عباد في زمنه الفقيه في هذا الوقت لو لم يحسن الناموس ويتحلى بالانقباض والعبوس ويلتزم هيئة مستحسنة في الملبوس لم يسمع أحد منه فتوى ولا قبل له دعوى وان كان في علم مالك بن أنس مثلا اه ومثله للعلامة ابن زكري في شرح همزيته والشيخ بنيس في شرح همزية البوصيري وقال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسألوا فاني كنت محرما فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبس العالم اللباس الحسن لمثل هذه النية كان له فيه أجر لانه سبب لامتثال أمر الله والانتهاء عن نواهيه وفي الحديث ان الله جميل يحب الجمال وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ * وللامام مالك كما نسبها له أبو المواهب التونسي في كتابه الجامع للحكم ونسبها الشيخ جسوس في شرح الشمائل لهلال بن هديل قال وكان من العلماء وذكره ابن رشد في جامع البيان والتحصيل والله أعلم

حسن ثيابك ما استطعت فانها * زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع في اللباس تخشنا * فالله يعلم ما تسر وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعدما * تخشى الاله وتتقي ما يحرم

* وروى ان الحسن البصري رأى فرقدا وهو لابس كساء غليظا فأخذ بكسائه وجذبه وقال له يا فرقد

ويتحلى

يافرقد يا ابن أم فرقد ان البرّ ليس فى لبس هذا الكساء انما البرّ ما وقر فى الصدور وصدقه العمل * وقال أبو الحسن الشاذلى لرجل أنكر عليه جمال هيئته يا هذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول اعطونى من دنياكم شيأ لله * وروى النسائى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وعليه ثوب دون فقال له هل لك من مال فقال نعم فقال من أىّ المال فقال من كل ما آتى الله من الابل والشياه فقال كل ما آتاك الله من مال فلير عليك أى كثر نعمته وكرامته عليك فأظهر أثر نعمته بلسان المقال والحال قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدّث ومن الناس من يقصد بالتجمل السلامة من اذاية الناس والتوصل الى حقوقه معهم وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البزار باسناد حسن اللهم اجعلنى شكورا واجعلنى صبورا واجعلنى فى عينىّ صغيرا وفى أعين الناس كبيرا قال المحقق ابن زكرى فى شرح الحكم وأى شئ يضرّ الانسان كونه فى أعين الناس كبيرا اذا كان عند نفسه صغيرا غاية الامر يوفون حقوقه ولا يظلمونه ولا يؤذونه فينحجون منه ويتحجونهم ويخالطونه بسلامة الصدر واسقاط الجاه ليس مطلوبا بالذات بل لما يتبعه من غلظ النفس أو لما يقع من الزيادة على ما يحتاج اليه والا فلا بدّ للانسان من جاه مّا فى معاشه لئلا تبخس حقوقه وتنتهك حرمته اهـ قال تلميذه الشيخ جسوس وحيث صار الناس انما يعتبرون ظاهر الصورة فلا بأس أن يستعمل الانسان من اللباس أو غيره ما يتوصل به الى حقه ويسلم به من الاذاية وقد أخذ بعضهم هذا من قوله تعالى يا أيها النبىّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أى لتتميز الأمة من الحرّة عند الخروج اهـ والله أعلم وقلت

لا بدّ للمرء من جاه يعيش به * قد ضاع فى الناس من لا عنده جاه

فالوقت قاض بذا يا صاح فاعن بما * ينيلك العز فى أمر ترجاه

وأما طلب السكوت عما لا يعنى فشهرة ذلك عن بسطه تغنى لكن لا بدّ لذلك من اشارة بألطف عبارة فى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقد جاء فى أوصافه صلى الله عليه وسلم أنه كان كثير السكوت لا يتكلم الا فيما يعنيه كيف وهو القائل من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال سيدنا عمر رضى الله عنه زلة الرجل تجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر وقالوا ربما يستفتح بالنطق مغالق الحمام ولبعضهم

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

* وفى بعض الكتب قال لقمان عليه السلام خدمت أربعة آلاف نبى واخترت من كلامهم ثمان كلمات ان كنت فى الصلاة فاحفظ قلبك وان كنت فى الطعام فاحفظ حلقك وان كنت فى بيت الغير فاحفظ عينيك وان كنت بين الناس فاحفظ لسانك واذكر اثنين وانس اثنين أما اللذان تذكرهما فالله والموت وأما اللذان تنساهما فاحسانك فى حق الغير واساءة الغير فى حقك * وقال القلشانى فى شرح الرسالة يروى انه اجتمع قس بن ساعدة وأكثم بن صيفى فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت فى ابن آدم من العيوب فقال له هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيه منها ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة ان استعملتها سترت العيوب كلها قال ما هى قال حفظ اللسان اهـ وتقدّم من وصية الامام مالك قوله واذا جلست مع قوم فكن أصمتهم * وقال سليمان بن عبد الملك السكوت عما يعنيك خير من الكلام فيما يضرّك والسكوت عما لا يضرّك خير من الكلام فيما لا يعنيك وقالوا ربّ لسان أتى على انسان كما يحكى ان رجلا من الفرس وقف على شيرويه لما قتل ابرويز فقال الحمد لله الذى قتل ابرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوّه وكبره وتجبره وبخله وجهله فانه كان يأخذ بالاحنة ويقتل بالظنة ويخيف البرىّ ويذل السرىّ فلما سمع شيرويه كلامه قال للحاجب احمله الىّ فلما مثل بين يديه

قال

قال كم كان رزقك قال ألفين قال والآن قال ما بيتي شيئا قال فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك من عنده ولم ترع له ذلك وأمر بنزع لسانه من قفاه (وروى) ابن الجوزي في كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم في الحلية عن الشعبي أنه قال مرض الاسد فعاده السباع ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال له الاسد اذا حضر فاعلمني فعاتبه ٣ في ذلك فقال كنت في طلب الدواء لك قال فأي شيء أصبت قال خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج فضرب الاسد بمخالبه في ساق الذئب وانسل الثعلب فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل فقال له الثعلب يا صاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من فيك قال الحافظ أبو نعيم لم يقصد الشعبي من هذا سوى أنه ضرب به المثل ٤ وتعليم العقلاء وتأديب الناس وتأكيد الوصية في حفظ اللسان وتهذيب الاخلاق والتأديب بكل طريق اه (ويحكى) عن أبي نصر بن مروان أنه أكل مع بعض مقدمي الاكراد على سماط فيه حجلتان مشويتان فأخذ الكردي بيده واحدة وضحك فسأله أبو نصر عن ذلك قال قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر فلما أردت قتله تضرع فلم أقله فلما رأى الجد مني التفت الى حجلتين كانتا في رأس الجبل فقال اشهدا لي في انه قتلني ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين ذكرت حمقه في اشهادهما علي قال ابن مروان فلما سمعت ذلك ضربت عنقه وقلت والله قد شهدتا عليك (ويحكى) أيضا ان سنمار الذي بنى القصر العجيب المسمى بالخورنق للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة قال له متقربا اليه بالحذق وحسن المعرفة لو علمت انكم توفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقال النعمان وانك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنه فأمر به فطرح من أعلى الجوسق وفي بعض الروايات انه قال له اني لأعرف في هذا القصر في ركن من أركانه موضع حجر لو زال لتداعى القصر أجمع فقال له أما والله لا تدل عليه أحدا أبدا ثم رمى به من أعلا القصر والحكايات فيمن ساقه لسانه الى حتفه كثيرة وهذا مصداق ما أخرجه ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمي من غريب أبي الدرداء ومن حديث ابن مسعود مرفوعا وأحمد في الزهد موقوفا والقضاعي عن حذيفة بن اليمان وابن السمعاني عن علي كرم الله وجهه والبخاري في الادب عن ابن مسعود كما في الدرر المنتثرة والجامع الصغير وشارحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البلاء موكل بالمنطق وهو من جوامع كلامه صلى الله عليه وسلم لأن البلاء الديني والدنيوي انما ينشأ عن اللسان وأنشدوا

احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * فيه يلوح لك الصواب اللائح
والصمت من سعد السعود بمطلع * يحيى به والنطق سعد ذابح

وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(ولآخر)

رأيت اللسان على أهله * اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا

(ولآخر)

الصمت أبقى على الارواح من كلم * قد تترك المرء مقتولا ومكلوما

(ولآخر)

فيارب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أربابها

٣ (قوله فعاتبه) ا… سقطا من ناسخ ال… تقديره فحضر فعاتبه الخ اه

٤ (قوله وتعليم ا… لمحذوف أي وقصد… اه مصححه

(ولآخر)

عليك بالصمت فكم ناطق * كلامه أهدى الى كلمه
ان لسان المرء أهدى الى * غسرته والله من خصمه
يرى صغير الجرم مستضعفا * وجرمه أكبر من جرمه

(ولبعضهم من قصيدة ناصحة)

احفظ لسانك واعرف ما تقول به * فكم لسان رمى بالرأس اذ عقرا
وبالنهار التفت قبل الكلام وان * نطقت ليلا فلا تجهر اذا جهرا
نطق اللسان سهام لا ترد ومن * يقوى على رد سهم فارق الوترا
الصمت حكم ولكن قل فاعله * فانطق بخير أو اصمت ترتجي الاجرا

﴿وقلت﴾

الزم الصمت تفقدن تعب القلب * وتحيا من الشرور سليما
لا تقل لي ان التكلم شاف * شجنا في الفؤاد أضحى مقيما
فادخار الاسرار ستراه * آخر الامر للسرور مديما
ما كثير الكلام في الناس إلا * أحمق أخرق يعيش ذميما
فزن اللفظ قبل نطقك فيه * ثم زنه وكن لبيبا حكيما أي حسنه
ثم قله ان كان فيه انتفاع * أو فدعه اذ كان مرعى وخيما
فخذ النصح من فتى طال ماقد * خبر الناس حادثا وقديما
فرأى اليوم الاعتزال نجاة * ورأى الصمت منهجا مستقيما

وكثيرا ما يصاب الانسان في جثمانه بما يجري على لسانه قال المناوي في شرح الجامع لا يتمنين أحد منية سوء ألا ترى ان المؤمل قال

شد المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فذهب بصره اه وذكر الامام الماوردي اصابة ما تفاءل به على نفسه وزاد فأتاه آت في نومه وقال له هذا ما طلبت اه وقال الماوردي أيضا شكا يوسف عليه السلام طول الحبس فأوحى الله تعالى اليه أنت حبست نفسك حيث قلت رب السجن أحب الي ولو قلت العافية أحب الي لعوفيت اه من كتابه آداب الدين والدنيا * ومن أعجب ما اتفق من هذا المعنى ما ذكره الحريري في درة الغواص ان عبيد الجرهمي عاش ثلاثمائة سنة وأدرك الاسلام وأسلم فدخل على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بالشام وهو خليفة فقال حدثني بأعجب ما رأيت فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

ياقلب انك من أسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد * حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست تدري وما تدري أعاجلها * أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

قال فقال رجل أتعرف من يقول هذه الابيات قلت لا والله الا أني أرويها منذ زمان فقال والذي يحلف

به

به ان قائلها صاحبنا الذى دفناه الساعة وأنت الغريب الذى يبكى عليه ولسمت تمرثه وهذا الذى خرج من قبره أمس النّاس به رحما وهو أسرّهم بموته كما وصف فتعجبت المذكر من شعره والذى صار اليه من قوله كأنّه ينظر الى مكانه من جنازته فقلت ان البلاء موكل بالمنطق فقال له معاوية لقد رأيت عجبا فن الميت قال عثير بن لبيد العذرى اه وكثيرا ما يصاب الشخص أيضا من كلامه بما عيّر غيره به أو سخر منه بسببه وفى الجامع الصغير ان البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها قال المناوى وفيه نصر الخراسانى كذاب وقال أيضا انه فى رواية ابن لال فى المكارم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ ما من طامة الا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق زاد ابن أبى شيبة فى روايته عن ابن مسعود ولو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلبا وفيه أيضا من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله رواه الترمذى عن معاذ قال المناوى ذكره الترمذى فى الزهد من حديث محمد بن الحسن بن يزيد عن ثور عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وقال يعنى الترمذى حسن غريب وليس اسناده بمتصل اه (قال بعضهم) ومن عجب ما حكى فى هذا المعنى ان الكسائى واليزيدى اجتمعا عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب فتقدّم الكسائى فصلى فأرتج عليه فى سورة الكافرون فلما سلم قال اليزيدى شيخ الكوفة يرتج عليه فى سورة الكافرون فحضرت صلاة العشاء فتقدّم اليزيدى فأرتج عليه فى سورة الفاتحة فلما سلم قال له احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق اه

(ومن هذا المعنى) ما وقع ليحيى بن المعلى الكاتب فقرأ قل هو الله أحد فغلط فيها وأرتج عليه وكان فى المجلس أبو نواس والعباس بن الاحنف والخليع وصريع الغوانى فقال أبو نواس

أكثر يحيى غلطا * فى قل هو الله أحد

وقال ابن الاحنف

قام طويلا ساكتا * حتى اذا عى سجد

وقال الخليع

يزحر فى محرابه * زحير حبلى بولد

وقال صريع

كأنما لسانه * شدّ بحبل من مسد

فاتصلت الحكاية بأبى على بن رشيق فقال

ونسى الحمد فما * مرّت له على خلد

ثم اتصلت بابن الحطيئة فقال

ورام شيأ غيرذا * يقرؤه فما وجد

والجاحظ

والكلام فى مدح الصمت وذم الكلام كثير شهير فى كتب العلماء والاعلام هذا والجاحظ لم ير الصمت مذهبا لأنّه قال كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ونفع الكلام يخص ويعم والرواة لم تروسكوت الصامتين كما روت نطق الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وبطول الصمت يفسد البيان (وقال أبو تمام الطائى) تذاكرنا فى مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه * قال الصفدى قلت ليس هذا بانصاف لا الصمت مطلقا ولا الكلام مطلقا وانما الصمت محمود اذا تكلم الانسان فيما لا يعنيه أو فيما اذا نقل عنه آلت عقباه الى مضرّته أو مضرّة غيره وقال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وأفتى الفقهاء أنه ان علم ان قوله الحق يصادف موقعا وقبولا تعين أن يقوله والا فالسكوت أولى ورب كلمة أدنت أجلا وقطعت دولا ومنعت أملا ودعت الى مأدبة شرّها الجفلى وأما الرسل فكلامهم متعين واجب عليهم لانهم ألزموا البلاغ وكلفوا هداية العباد ولا يكون ذلك الا بالكلام ولو لازموا الصمت لم يؤدّوا الامانة ولم ينصحوا العباد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمّتى أربعين حديثا

بعثه الله فى زمرة العلماء يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتى فوعاها فأدّاها كما سمعها فالكلام فى العلم ونشره وهداية وهداية الناس تتعين على من اتصف به وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ونصح المسلمين فريضة على كل مسلم * وروى الشعبى عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفى بعض الروايات أو ليسكت وقال الحسن بن عمرو والشعبى سمعت بشر بن الحرث يقول الصبر هو الصمت والصمت هو الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت الا رجل عالم يتكلم فى موضعه ويسكت فى موضعه اه والكلام مذموم اذا تكلم به فى غيبة بل هو محرّم أو اشتغل بما لا فائدة فيه أو بما اذا حفظ عليه أو نقل عنه حصلت به فتن أو نشأ به إحن أو تولدت به أحقاد أما اذا كان الكلام بين أحباب وأصحاب وأهل وفاء وصفاء ومروآت وديانات فلا بأس بالكلام وما أحسن ما قال محمد بن كناسة الاسدى

فى انقباض وحشمة فاذا * جالست أهل العفاف والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم اه

وهذا التفصيل هو الحق البين والوجه المتعين وعليه قول من قال وأجاد المقال

لا تقل ما حييت الا بخير * ليكون الجميل ردّا اليك
قد رأينا الصدى وذاك جماد * كل شئ تقول ردّ عليك

والله الموفق (ثم قال الناظم)

﴿وليشكر الله على احسانه * وفضله العميم وامتنانه﴾

الواو للعطف واللام لام الامر ويشكر مضارع مجزوم باللام والضمير المستتر فى يشكر عائد على الشيخ والله مفعول به وعلى احسانه متعلق بيشكر وهو مصدر أحسن اليه يحسن اذا أوصل اليه نفعا وخيرا والضمير المضاف اليه احسان عائد على الله وفضله معطوف على احسانه والضمير المضاف اليه فضل عائد أيضا على الله والفضل اسم مصدر لتفضل عليه يتفضل والمصدر التفضل وهو الاعطاء من غير توقع ثواب لا دنيوى ولا أخروى فهو بهذا المعنى خاص بالله تعالى والعميم صفة مشبهة من عمّ الشئ يعم اذا شمل وهو نعت لفضل وامتنانه معطوف على احسانه والضمير المضاف اليه امتنان عائد على الله أيضا والامتنان مصدر امتن عليه بالشئ اذا أنعم عليه به فالاحسان والتفضل والامتنان ألفاظ يراد منها شئ واحد وهو ايصال النفع والخير وجملة وليشكر الخ معطوفة على الجمل قبلها ﴿والمعنى﴾ ان من آداب الشيخ المرعية أن يشكر الله بالقلب واللسان والجوارح والاركان على احسانه اليه وفضله العميم وامتنانه لديه فان شكر المنعم واجب فالمراد بالشكر هنا العرفى على ما ينبئ به المعنى لا مجرّد اللغوى الذى هو الثناء باللسان نعم هو أعنى الثناء باللسان بعض الشكر العرفى ويبق صاحبه مطالبا بالباقى وقد سئل مولانا عبد القادر الجيلانى نفعنا الله به عن الشكر أى العرفى فقال حقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخصوص ومشاهدة المنة وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر وينقسم ثلاثة أقسام شكر باللسان وهو الاعتراف بالنعمة بنعوت الاستكانة وشكر بالاركان وهو الاتصاف بالخدمة والوقار وشكر بالقلب وهو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة ثم الترقى بعد حضور هذه المشاهدة الى الغيبة فى رؤية المنعم عن رؤية النعمة والشاكر الذى يشكر على المفقود والحامد الذى يشهد المنع عطاء والضرّ نفعا ثم يستوى عنده الوجهان اه واعلم ان شكر النعم يورث بقاءها والعكس بالعكس ففى الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرّض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها

بمقابلها اهـ وقيل

الشكر قيد للنعم * مستلزم دفع النقم ... وهو على ثلاثة * قلب يد فاعل وفم

وقال تعالى فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنشدوا

وأظلم خلق الله من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

والشكر يورث أيضا الزيادة من النعم قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال سيد الحكيم اذا رأى عبده قد قام بحق نعمته من عليه بأخرى فيراه أهلا لها والا سلبه منها وقطعها عنه (قال في الحكم) من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عوقب بوجود فقدانها ومن الحكم الجامعة قول من قال الشكر صيد للمفقود وقيد للموجود والله الموفق والهادي (ثم قال الناظم رحمه الله)

﴿اذ خصه به قديما في الازل * دون سؤال لا ولا شوب علل﴾

اذ تعليل لقوله وليشكر واختلف هل هي حرف كلام العلة أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من لفظها وخصه فعل ماض وفاعله الضمير المستتر فيه العائد على الله في البيت قبله والضمير البارز مفعوله عائد على الشيخ وقد مر الكلام في الترجمة على ان أل في الشيخ لتعريف الجنس فالمراد جنس الشيخ أي العالم فيظهر حينئذ وجه تخصيص الله بالعلم وليس المراد شيخا واحدا بعينه حتى يقال ان الفرد الواحد المعين ليس مخصصا بالعلم بل شاركه غيره من الاشياخ وبه متعلق بالفعل والضمير المجرور بالباء عائد على العلم المذكور سابقا ويحتمل عوده على الاحسان والفضل والامتنان وأفرد الضمير العائد عليها لان المراد منها شيء واحد كما مر ومآل الاحتمالين واحد لان المراد من الاحسان الاحسان بالعلم اذ الكلام فيه وقديما منصوب على نزع الخافض متعلق بالفعل وفي الازل متعلق به أيضا واتيانه بقوله في الازل بعد قوله قديما من الاتيان بالاخص بعد الاعم لان القدم يطلق على معنيين على عدم سبقية العدم أصلا وعلى طول المدة وان سبق العدم ومن الثاني قوله تعالى انك لفي ضلالك القديم وقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وأما الازل فهو القدم الغير المسبوق بعدم أصلا ودون اسم يدل في الاصل على الظرفية المكانية ثم توسع فيه كما هنا باستعماله في مطلق تجاوز شيء الى شيء وهو معمول لقوله خصه وسؤال مضاف اليه دون وقوله لا زائدة لتوكيد النفي المأخوذ من دون وقوله ولا الواو للعطف ولا مؤكدة للنفي المذكور وشوب معطوف على سؤال وهو مصدر شابه يشوبه شوبا من باب قال أي خالطه وعلل مضاف اليه شوب وهو جمع علة وهي السبب والباعث على الشيء ﴿والمعنى﴾ انما طولب العالم بالشكر على احسان الله اليه وفضله وامتنانه عليه لانه سبحانه وتعالى خصه بذلك في الازل بمحض الفضل والجود من غير أن يكون له اذ ذاك طلب ولا وجود ولا مخالطة علة تقتضي ذلك ولا موجب وسبب يبعث على ما هنالك فسبحان من تنزهت أفعاله عن البواعث والعلل وتقدست أسماؤه وصفاته عز وجل (ثم قال الناظم رحمه الله)

﴿اذ لم يكن ثم سوى الافضال * وسابغ الاكرام والنوال﴾

يحتمل كون اذ تعليلية لقوله دون سؤال لا ولا شوب علل ويحتمل كونها ظرف زمان لقوله خصه به قديما في الازل فهي على الاول اما حرف أو اسم في محل نصب ظرف زمان ولم حرف جزم ويكن مضارع مجزوم بها من كان الناقصة وثم بفتح المثلثة ظرف زمان وهو اسم اشارة للازل والظرف متعلق بمحذوف خبر يكن مقدم على اسمها وهو سوى المضاف الى الافضال الذي هو مصدر أفضل عليه يفضل بمعنى تفضل

وتكرّم وسابغ معطوف بالواو على الافضال مدخول لسوى وهو اسم فاعل من سبغت النعمة سبوغا من باب قعد اتسعت وكملت وسابغ مضاف للاكرام مصدراً كرم يكرم اذا أسدى العطاء والنوال بفتح النون اسم من نولته المال تنويلا أعطيته اياه ويقال أيضا نلت له بالعطية أنول له نولا من باب قال ونلته العطية أيضا كذلك واضافة سابغ لما بعده من اضافة الصفة للموصوف أى الاكرام والنوال السابغين أى المتسعين ﴿والمعنى﴾ انما كان عطاؤه تعالى فى الازل من غير سؤال ولا مخالطة علة لانه لم يكن هنالك الا افضاله واكرامه الواسع ونواله أو المعنى انه تعالى خصه بذلك فى الازل حيث لم يكن هنالك سوى الافضال وسابغ النوال فيجب حينئذ شكر هذه النعمة بالثناء باللسان وصرف جميع الجوارح فى الخدمة والله الموفق (ثم قال الناظم)

﴿فليجتنب لاجل ذا محارمه * وليسأل الاله حسن الخاتمه﴾

الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره اذا علم الشيخ ما مرّ من انه تعالى خصه فى الازل بالعلم من غير سابقية علة ولا عمل يستحق به ذلك فليجتنب الخ واللام لام الامر ويجتنب مضارع مجزوم بها ولأجل متعلق بيجتنب واللام لام العلة والاجل بالسكون بمعنى السبب ففى المصباح ويقال من أجله كان كذا أى بسببه اه وأجل مضاف الى ذا والاشارة عائدة لتخصيص الله الشيخ فى الازل بالعلم فضلا وكرما ومحارمه مفعول بيجتنب والمحارم ما حرم الله تعالى جمع حرام والحرام فى الاصل مصدر سماعى لحرم الشئ يحرم من باب كرم حرما بالضم وحراما كسحاب كما فى القاموس ﴿قلت﴾ والمتبادر من المصباح انه جمع محرم بفتح الميم والراء فيكون جمعا قياسيا وذلك انه قال ومحرم بمعنى حرام اه لا يقال ان قوله محرم بمعنى حرام مراده بضم الميم وشد الراء المفتوحة بصيغة اسم المفعول المضعف لانا نقول ذلك غير المتبادر منه لامرين الاول انه ذكره فى سياق الكلام على محرم بفتح الميم والراء المخففة الثانى انه يلزم عليه التكرار فى كلامه لانه قدم الكلام قبل ذلك على محرم بضم الميم وفتح الراء المشددة اذ قال حرم الشئ امتنع ثم قال وحرمت الشئ تحريما وباسم المفعول سمى الشهر ثم قال والممنوع يسمى حراما تسمية بالمصدر اه فأفاد قوله وحرمت الشئ تحريما وباسم المفعول يعنى الذى هو محرّم بمعنى حرام أن المحرم هو الحرام فراجعه وتأمله منصفا والله أعلم والضمير المضاف اليه محارم عائد على الله تعالى وقوله وليسأل الخ الواو للعطف ويسأل مضارع مجزوم بها والضمير المستتر فى يسأل عائد على الشيخ والاله مفعوله وهو فعال بمعنى مفعول فمعنى إله مألوه أى معبود بحق وحسن مفعول بيسأل وهو مضاف للخاتمة وحسن الخاتمة عبارة عن الموت على الايمان من غير تخلل شك عند النزع ثبتنا الله بفضله وكرمه آمين ﴿والمعنى﴾ اذا علم الشيخ ان الله منّ عليه بنعمة العلم فى الازل من غير سابقية طلب ولا عمل فليجتنب لأجل ذلك ما حرّم الله سبحانه ولا يكن ناسيا فضله واحسانه لأن المحسن قبل السؤال يجب أن يطاع ولا يعصى بحال وقد تقدم غير ما مرة ان امتثال الاوامر واجتناب النواهى هو من أفراد الشكر المأمور به شرعا فاذا منّ الله تعالى على عبده بنعمة العلم والعمل الذى منه ترك المحرّمات والمبادرة الى المأمورات فليكن متضرّعا الى مولاه المنان فى أن يتم عليه النعمة بحسن خاتمة الايمان ليحصل على دوام الفوز والامان وينفصل عن دار البوار والخسران ففى الحديث انما الاعمال بالخواتم رواه الشيخان وغيرهما بروايات مختلفات فان حسن الخاتمة هى طابع السعادة وأنموذج الحسنى والزيادة وقد أخفى الله تعالى عنا أمرها بالنسبة لكل أحد بعينه من العاملين إلا من ورد فى تعيينه نص كالانبياء والصحابة المبشرين ولهذا قطع أكباد العارفين الخوف من سوء الخاتمة ولمزيد معرفتهم بجلال ربهم لم تقم لهم الى جانب الأمن قائمة وقد قال مولانا عبد القادر الجيلانى نفعنا الله به أخذت على الله سبعين عهدا أن لا يمكر بى

فقيل

فقيل له فكيف أنت الآن فقال أذكر قوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وكيف لا يذوب الانسان خوفا من سطوة الجبار وقد ذكر العارف بالله الشعراني في تأليف له رد فيه على من يدعي الولاية بالكذب مانصه وقد اطلع أهل الكشف من أولياء هذا الزمان رضي الله عنهم أنه مات في هذا العام من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مائة وخمسون ألفا فوجدوا فيها عشرة أنفس ماتوا على الايمان والباقي على الكفر نسأل الله العافية فاذا كان هذا الحال وان رتبة الاسلام عزيزة فكيف مرتبة الايمان فكيف مرتبة الولاية فرحم الله امرأ عرف قدره وأراح الخلق منه ومن تلامذته من بعده فان الحية لا تلد الا الحية واثمهم في عنقه الى يوم القيامة اهـ وذكر أبو حامد الغزالي أن تسعين صديقا انحطت درجاتهم عن درجة الصديقية الى درجة الزنديقية والعياذ بالله وفي الابريز وقال أبو حامد رضي الله عنه ان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هو ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ثم قال بعد كلام طويل قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته خمسين سنة بالتوحيد اسطوانة فمات لما قطعت له بالتوحيد لاني لا أدري ماظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا أدري مايحدث لقلبي من باب الحجرة الى باب الدار وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله وقلوبهم وجلة وكان سهل يقول المريد يخاف من المعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وعن الحسن البصري انه لما سمع حديث آخر من يخرج من النار بعد ان يمكث فيها ألف سنة تمنى من خوف سوء الخاتمة أن يكون ذلك الرجل وقد تمنى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يكون طائرا يؤكل لحمه وتحسى مرقته وتمنى عمر بن الخطاب أن أمه لم تلده وقال عند موته لو أن لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع الى غير ذلك مما ثبت عن السلف والخلف اهـ وقد وقع من سوء الخاتمة بعد الايمان جزئيات كثيرة مذكورة في كتب القوم اللهم اني أعوذ بوجهك وجلالك من مكرك وجلالك

﴿تنبيه﴾ اختلف هل يجوز الدعاء على العدو بسوء الخاتمة أم لا قال ابن ناجي ظاهر المدونة انه يدعى على الظالم حتى بالموت على غير الاسلام وبه قال بعض شيوخنا وكان شيخنا يعجبه ذلك ويفتي به والصواب عندي تحريمه اهـ وذكر القرافي أن الدعاء بسوء الخاتمة لا يجوز واختلف في تكفير الداعي به قال الشيخ خليل والاصح انه لا يكفر ذكره الحطاب وأما قول القرافي ان ارادة الكفر كفر فقد رده ابن الشاط وحرر أنه معصية فقط وقال الشيخ أبو زيد الفاسي في حاشية البخاري عن ابن المنير في قضية سعد عند قوله وعرضه بالفتن مانصه فيه جواز الدعاء على الظالم بالفتنة في الدين وكان في النفس من هذه القاعدة اشكال وذلك ان الدعاء بمثله يستلزم وقوع المعاصي حتى تأملت هذا الحديث فوجدته سائغا لان وقوع المعاصي لم تعتبر من حيث كونها معاصي لكن من حيث أداؤها الى نكاية الظالم وعقوبته وهذا كما قيل في تمني الشهادة انه مشروع وان كان حاصله قتل الكافر للمسلم وهذا معصية في الدين ووهن فيه ولكن الغرض من الشهادة ثوابها لا نفسها ووجد ذلك في دعاء الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ربنا اطمس على أموالهم الآية الى غير ذلك من الآيات اهـ نقله شيخنا العلامة أبو عبد الله كنون في اختصاره لحاشية الشيخ الرهوني ﴿فائدة﴾ قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في المنن مانصه وسمعت سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله تعالى يقول كان لابي ادريس الخولاني مجلس وعظ وكان الخضر عليه السلام يحضره

ويحادثه اذا فرغ من المجلس فقال له أبو ادريس يوما يا نبي الله أي عمل اذا عمله العبد أماته الله على الايمان فقال الخضر عليه السلام أدركت مائة ألف نبي وسألتهم عن ذلك فلم يجيبوني حتى أدركت محمدا صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال من صلى صلاة الفجر وقرأ آية الكرسي وآمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخر السورة وشهد الله أنه لا إله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب اهـ وللشعراني أيضا في كتابه المسمى بالدلالة على الله عز وجل عن الخضر عليه السلام هذه القضية بزيادة قال سألت أربعا وعشرين ألف نبي عن استعمال شئ يأمن به العبد من سلب الايمان فلم يجبني أحد منهم حتى اجتمعت بمحمد صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال حتى أسأل جبريل فسألته فقال حتى أسأل رب العزة فسأله فقال الله عز وجل من واظب على قراءة آية الكرسي وآمن الرسول الى آخر السورة وشهد الله الى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب وسورة الاخلاص والمعوذتين والفاتحة عقب كل صلاة الخ أمن من سلب الايمان اهـ نقله عنه الشيخ علي الاجهوري وذكر صاحب بستان العارفين رحمه الله تعالى عن ابن عمر انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحفظ على العبد الايمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يحفظ الله عليه الايمان حتى يلقاه يوم القيامة فليصل كل ليلة بعد سنة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة الاخلاص ست مرات وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس مرة ويسلم منهما فان الله تعالى يحفظ عليه الايمان حتى يوافي به يوم القيامة زاد في رواية أخرى انه يقرأ انا أنزلناه في ليلة القدر مرة قبل قراءة قل هو الله أحد فاذا سلم سبح الله خمس عشرة مرة فعليك يا أخي بالمواظبة على ذلك وأمثاله ولا تمل من الخير تجد ثمرة ذلك سرورا يوم القيامة والحمد لله رب العالمين اهـ كلام الشعراني وقال الشيخ زروق في النصيحة الكافية واتباع السنة والصلاة في الجماعة عصمة من الانقلاب قال شارحها أي من الخير الى الشر في الاعم الاغلب ويستفاد هذا من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية ومن قوله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قال في العلوم الفاخرة واعلم ان سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يكون بفضل الله سبحانه لمن استقام ظاهره وصلح باطنه وقال عياض من لطف الله سبحانه وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير كثير وأما انقلابهم من الخير الى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى ان رحمتي سبقت غضبي أو غلبت غضبي وهذا والحمد لله هو الذي نعتقد اهـ وذكر بعض العلماء ان الاسباب المفضية الى سوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة التهاون بالصلاة وشرب الخمر وعقوق الوالدين واذاية المسلمين ﴿حكاية﴾ فيها بشارة حكي ان بعض التلاميذ كان كثيرا ما يقول لشيخه أخاف من سوء الخاتمة وأكثر عليه من ذلك فوقف يوما سائل بباب الشيخ فقال للتلميذ أعطه رغيفا فلما أخذه وذهب قال له الشيخ الحقه وانتزعه منه فقال له يا سيدي اني أستحيي أن أنزعه منه بعدما أعطيته اياه فقال له سبحان الله كيف تظن بالمولى الكريم ما يستحيي أن يفعله العبد اللئيم فكذلك الرب جل جلاله لا ينزع من عبده الايمان بعد ان أعطاه اياه فزال ما بالتلميذ واستبشر بكرم المولى الكريم سبحانه فان الكريم اذا بدأ كمل واذا أعطى وفى وأجزل لا رب لنا غيره ولا مرجو سواه اللهم كما أنعمت علينا بالايمان قبل أن نسألك تمم علينا النعمة به حتى نلقاك ونحن مستمسكون بأقوى سببه آمين * وفي قول الناظم حسن الخاتمة مع قوله في البيتين بعده ذا بدر التمام ويحسن بمدحهم ختام براعة الاختتام وهي أن يأتي المتكلم ناظما كان أو ناثرا بما يدل على تمام مقوله بشرط كونه حسن اللفظ عذب المساق لانه آخر ما يتلقى في الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام فان كان مختارا حسنا تلقاه السمع واستلذه حتى انه ربما يشفع فيما وقع من التقصير السابق

الاسباب المفضية الى سوء الخاتمة

وان كان بخلاف ذلك مجته الاسماع وربما أنسى الحسن المتقدم وأحسنه ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوّق لما بعده ثم تارة يكون فيه التصريح بما يدل على الكمال كمادة الانتهاء أو الاختتام أو الكمال أو التمام أو نحو ذلك ومنه كلام الناظم وتارة يكون بما يدل من قوة الكلام على الكمال كقول الامام النابلسى آخر بديعيته

هذا مديحى فان نلت القبول به * سعدت أولا فحسبى موقف التهم

(ثم قال الناظم رحمه الله)

﴿هنا انتهى ما رمته وكملا * والحمد لله على ما خوّلا﴾

هنا اسم اشارة للكمال وهو مكان رقم آخر كلمة مما تقدم من هذا النظم أو الى مكان رقم البيت الذى قبل هذا أو الى مكان الخاتمة كلها وهنا ملازمة للنصب على الظرفية أو شبهها لكن ليس شبه الظرفية فيها هو خصوص الجر بمن كما فى عند ولدن وقبل بل الجر بمن أو الى كما فى اين قاله الدماميني والعامل فى هنا هو قوله انتهى وهو فعل ماض مبنى على الفتح المقدر فى الالف وما اسم موصول فى محل رفع على الفاعلية بانتهى ورمته بمعنى قصدته جملة من فعل وفاعل ومفعول لا محل لها من الاعراب صلة ما وكمل فعل ماض مبنى على فتح اللام والالف لاطلاق القافية وفاعل كملا ضمير عائد على ما والجملة معطوفة على جملة انتهى عطف تفسير وكمل مثلث الميم فهو من الافعال المثلثة العين لكن الانسب هنا هو فتح الميم للسلامة من عيب السناد وقوله والحمد لله الواو للاستئناف والحمد مبتدأ ولله متعلق بمحذوف خبره وقد تقدم أوّل هذا الشرح الكلام على الحمد لغة وعرفا والشكر كذلك وأل فى الحمد يحتمل كونها لتعريف الجنس اما على سبيل الاستغراق فكأنه قال كل حمد لله أى كل حمد فالمحمود به هو الله واما للاشارة الى الحقيقة من حيث هى مع قطع النظر عن أفرادها وارتضى هذا الاحتمال الزمخشرى قال فى الكشاف كتعريف العراك فى ارسلها العراك وهو الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الافعال قال والاستغراق الذى يتوهمه كثير من الناس وهم منهم اه ﴿قلت﴾ قول صاحب الكشاف من بين سائر الافعال يعنى بباقى الافعال كالقيام والقعود والدخول والخروج مثلا ﴿فان قلت﴾ ان هذه الافعال متميزة فى نفسها بمجرّد تعقل حقيقتها من غير احتياج الى التعريف بأل ﴿قلت﴾ سلمنا ذلك ولكن أل أفادت ملاحظة ذلك التعيين وبين مصاحبة التعيين وملاحظته فرق جلى وقد أطال السيد فى حواشى الكشاف فى بيان هذا المعنى بما هذا ملخصه والله أعلم ونقل عن الزمخشرى فى توجيه منع الاستغراق ان اللام لا تفيد سوى التعريف والاسم لا يدل الا على مسماه فاذا لا يكون ثم استغراق ومعناه ان المقصود من هذه الجملة أعنى الحمد لله وهو ثبوت الحمد بأسره لله تعالى وحده مستفاد مع بقاء لام التعريف على أصل معناها الوضعى وهو الاشارة الى عهدية مدخولها فى ذهن السامع وبقاء الاسم الذى هو مدخولها وهو حمد على معناه الوضعى وهو الماهية من حيث هى لان لفظ حمد من المصادر الموضوعة للماهية والجنس من حيث هو ولام الجر للاختصاص فصار معنى الحمد لله حقيقة الحمد المعروفة لكل أحد مختصة بالله وهذا هو المقصود فلا حاجة الى اعتبار الاستغراق الذى يحتاج فى استفادته الى رعاية القرائن الخارجية لانه ليس معنى وضعيا للام التعريف بل يستفاد بمعونة القرائن والمقام * قال بعض المحققين فان قلت اذا استعين بتلك القرائن صار اختصاص أفراد الحمد بالله مصرّحا به واذا لم يستعن بها صار اختصاصها غير مصرّح به بل هو لازم من اختصاص الجنس والاوّل أولى فلم اختير الثانى قلنا الاختصاصان أعنى اختصاص الجنس واختصاص الافراد متلازمان فان كان المراد اختصاص الجنس فهو المصرّح به وان أريد

اختصاص الافراد فقد جعل اختصاص الجنس دليلا عليه على طريق الكناية وهي أبلغ كذا للسيد
الجرجاني في حواشي المطول ويحتمل كون أل في الحمد للعهد والمعهود حمد الله نفسه في أزله لما علم عجز
خلقه عن حمده بما هو أهله فكأن الحامد يقول أحمد الله بذلك الحمد الذي حمد به نفسه وان كنت
لا أعلمه على التفصيل كقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك واختار
هذا الاحتمال الشيخ أبو العباس المرسي ولما قرره للبهاء بن النحاس النحوي قال له ابن النحاس ياسيدي
أشهد بالله انها العهدية ويحتمل كونها للاستغراق أي استغراق الافراد فيكون المعنى كل فرد من أفراد
الحمد مختص به هو الله وأفراد الحمد أربعة حمد قديم لقديم كحمد الله نفسه وحمد قديم لحادث كحمد الله
لانبيائه وأصفيائه وحمد حادث لحادث كحمد بعضنا البعض وحمد حادث لقديم كحمدنا الله تعالى فلا محمود
في ذلك كله الا الله تعالى أما الاول والرابع فظاهر وأما الثاني والثالث فلان الله سبحانه هو الخالق
والمسدي لما وقع الحمد في مقابلته وما بكم من نعمة فمن الله وقد علمت مما مر في كلام الزمخشري ضعف هذا
الاحتمال الثالث وجملة الحمد خبرية لفظا انشائية معنى على التحقيق الذي حرره جمع من الفحول
لطول عدهم وان كان أصل وضعها للاخبار لكن نقلت عنه الى الانشاء وصارت حقيقة عرفية فلم يحتج
في اخراجها عن أصل وضعها الى قرينة ثم لا يصح أن يتعلق الانشاء بمضمونها الذي هو ثبوت الحمد لله
لان ثبوته له تعالى قديم لا يصح أن ينشأ وانما المراد انشاء الثناء بمضمونها وذهب جمع الى أنها لا زالت
على أصل وضعها من الاخبار بمضمونها قال التتائي في شرح المختصر والتحقيق انها أي جملة الحمد
خبرية لفظا ومعنى اه ونحوه للجلال المحلي في تفسير الفاتحة حيث قال جملة خبرية قصد بها الثناء على
الله بمضمونها بأنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق اه وارتضاه خاتمة النقاد أبو محمد سيدي عبد القادر
الفاسي رحمه الله لكن الاصوب هو الاول والله أعلم (لا يقال) يلزم على جعلها خبرية لفظا ومعنى أن
لا يحصل الحمد بها حينئذ اذ الاخبار عن الشيء ليس من افراد ذلك الشيء كما في قولنا الانسان حيوان فان
هذا الاخبار ليس من أفراد الانسان (لانا نقول) ليس هذا على عمومه بل قد يكون الاخبار عن
الموضوع من جزئيات ذلك الموضوع كقولنا الخبر يحتمل الصدق والكذب فان هذا خبر من الاخبار
فيحتمل الصدق والكذب وكون الاخبار في جملة الحمد من هذا القبيل واضح لصدق تعريف الحمد عليه
وأتى الناظم رحمه الله بالجملة اسمية في قوله والحمد لله لافادة الثبوت والدوام بخلاف الفعلية فانها تدل على
التجدد والحدوث لكن حقق العلامة الفناري نقلا عن بعضهم ان الذي يقتضيه جانب البلاغة رعاية
المحمود عليه فان كان صفة ثابتة كصفة الربوبية المحمود عليها في سورة الفاتحة جيء بجملة الحمد اسمية
وان كان المحمود عليه أمرا متجددا حادثا جيء بجملة الحمد فعلية لان الفعل يفيد التجدد والحدوث كما في
قول صاحب جمع الجوامع نحمدك اللهم على نعم يؤذن الحمد بازديادها وعلى هذا فكان الانسب بالناظم
أن لو أتى بالجملة فعلية فيقول وأحمد الله على ما خولا لان المحمود عليه متجدد حادث لان نعم الله تعالى على
عبيده لا تزال في كل وقت تتردد وتتجدد لكن يشكل على ما قاله الفناري الاتيان بالاسمية في قوله تعالى
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق الحمد لله الذي خلق السموات والارض الى غير هذا من الآيات فان المحمود عليه فيها أفعال حادثة
وأجاب بعضهم بأنه قصد فيها تعلق الحمد بالذات فانه تعالى يستحق الحمد لذاته ثم ذكرت النعمة بعد ذلك
بالتبع وبهذا الجواب يجاب عن ناظمنا أيضا قال العلامة الاديب سيدي حمدون بن الحاج في حواشي
التلخيص وأدق من هذا أن يقال انه تعالى يستحق الحمد بالاعتبارين أي باعتبار ذاته وباعتبار أفعاله
فتارة يغلب جانب الاول فيؤتى بالاسمية وتارة جانب الثاني فيؤتى بالفعلية اه وقوله على ما خولا

أفراد الحمد أربعة

الجار

الجار والمجرور متعلق بالاستقرار الذي في الخبر لا بالحمد الذي هو مصدر لما يلزم عليه من الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبي الذي هو لله لان الخبر وان كان غير أجنبي من المبتدا من جهة ابتدائيته هو أجنبي منه من جهة مصدريته ومن هذه الجهة نظرنا اليه في التعلق فكان الخبر أجنبيا بهذا النظر ويحتمل كون الجار والمجرور متعلقا بالمصدر ويغتفر الفصل هنا لانهم يغتفرون في الظروف وشبهها مالا يغتفرون في غيرها وما المجرورة بعلى موصولة واقعة على نعم الله على الناظم وغيره وخولا بتشديد الواو أي أعطى صلة ما والالف في خولا للاطلاق والضمير في خول عائد على الله والعائد من الصلة الى الموصول محذوف تقديره خوله ﴿والمعنى﴾ قد انتهى وكمل ماقصدته من النظم في آداب المتعلم والعالم والحمد لله على ما أعطى من نعم لاتحصى التي من جملتها اكمال هذا النظم على الوجه الذي قصدته فختم الناظم رحمه الله تأليفه بالحمد والثناء على الله تعالى كما ابتدأ به وذلك مطلوب مرغوب وأيضا اتمام هذا النظم نعمة كما مر والحمد عند حصول نعمة أو دفع نقمة مطلوب مؤكد به لما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي ليلة أسري به بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فأخذ اللبن فقال له جبريل عليه السلام الحمد لله الذي هداك للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك وأيضا قصد الناظم بختمه بالحمد كما بدأ به اغتنام الثواب المرتب على ذلك ففي الحديث ان الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده (ثم قال الناظم رحمه الله تعالى)

﴿ثم الصلاة سرمدا مع السلام * على النبي المصطفى بدر التمام﴾

ثم للعطف والترتيب الرتبي لان حمد الله سابق في الرتبة على الصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم والصلاة مبتدأ وهي لغة الدعاء هذا معناها الحقيقي على ماصوبه ابن الطيب في حواشي القاموس وباقي المعاني المذكورة في القاموس مجاز انظر الفائدة الثالثة من تأليفنا مجلي الاسرار والحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق وسرمدا ومع السلام منصوبان على الحال من المبتدا على مذهب من يجيز اتيان الحال منه أو متعلقان بالاستقرار الذي في الخبر على مذهب من يمنع ذلك والسلام لغة الأمان وسلام الله على نبيه زيادة تكرمة وتشريف وعلى النبي متعلق بمحذوف خبر عن الصلاة والنبي يصح فيه الهمز وعدمه أما بالهمز فمن النبأ أي الخبر لأنه مخبر عن الله بأحكام الشريعة فهو فعيل بمعنى فاعل أو مخبر من الله بالاحكام فهو فعيل بمعنى مفعول وأما بدون همز فمن النبوة وهي الارتفاع لأن مقام النبيين من الرفعة بمكان وعليه فهو فعيل بمعنى فاعل والهمز هو لغته صلى الله عليه وسلم أي لغته الاصلية ولغة قومه والا فهو صلى الله عليه وسلم يتكلم بجميع اللغات والمصطفى أي المختار نعت للنبي فهو مفتعل من الصفو فألفه منقلبة عن واو لتحركها وانفتاح ماقبلها وبدر التمام نعت آخر للنبي والتمام مضاف اليه بدر وجملة المبتدا والخبر معطوفة على جملة قوله وأحمد الله وجملة ثم الصلاة الخ خبرية لفظا انشائية معنى ﴿والمعنى﴾ ثم بعد اخباري بانتهاء النظم وحمد الله على نعمه أصلي وأسلم على النبي المصطفى بدر التمام والكمال وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبدر ليلة تمامه وهي ليلة الرابع عشر شائع ذائع والجامع بين المشبه والمشبه به هو الارتفاع وعلو المنزلة في كل والاهتداء بكل فهو هنا تشبيه بليغ بحذف الاداة ولا يصح كونه من باب الاستعارة للجمع بين طرفي التشبيه الا على مذهب السعد الذي يجعل المشبه محذوفا فهي حينئذ تصريحية ثم ان تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالقمر انما هو على سبيل التقريب والتمثيل بأحسن ماهو معروف في الوجود والا فهو صلى الله عليه وسلم أعلى وأجل وأرفع وأكمل وحسنه أبهى وأعظم ونوره أكبر وأدوم ونفعه أتم وأعم ولا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به أرفع فقد يكون بالمماثل وبالاقل كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة وأين نور المشكاة من نوره تبارك وتعالى على ان

البيانيين نصوا على انه ليس المراد بكون المشبه به أقوى من المشبه ان يكون ذلك بحسب الحقيقة ونفس الامر فقط بل القوة ولو بالاعتبار كما هنا فنور القمر باعتبار مشاهدته للقاصرين أقوى وأجلى واختار الناظم رحمه الله تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالقمر دون الشمس مع أن ضوءها أكمل وأتم لانها تؤذي بحرارتها وتسود ما وقعت عليه بخلاف القمر فنفعه سالم من الضرر فيحصل التناسب بين المشبه والمشبه به وقد أتى الناظم بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في ختام نظمه لأن من المواضع المتأكد فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء الكتاب وختمه كما نص عليه غير واحد كالقاضي عياض في الشفا والشيخ يوسف بن عمر في شرح الرسالة قال الشيخ زروق في شرح الرسالة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب جاء فيها حديث ضعيف بالنهي عنه ذكره أبو نعيم في الحلية ولم يعده العلماء من المواضع المنهي فيها عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي سبعة عند العثرة والبيع والذبح والجماع والخلاء والحمام والمواضع القذرة ونحوها فاعرف ذلك وقد جمع الناظم بين الصلاة والسلام كما هو المطلوب للامر بهما معا في الآية والمعتمد كراهة افراد أحدهما عن الآخر كما نص عليه الشيخ زروق ونسبه لجمهور العلماء من المحدثين ومثله لشيخ الاسلام النووي والشيخ خليل وجماعة وبالغ ابن حجر الهيتمي في الانتصار له حتى حكى عليه الاجماع وفي ألفية السير

واجتنب الرمز لها والحذفا * منها صلاة وسلاما تكفا

وحكى حجة الاسلام الغزالي والحافظ ابن الصلاح عن حمزة الكناني قال كنت أكتب الحديث وكنت أكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه ولا أقول وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي مالك لا تتم الصلاة علي قال فما كتبت بعد ذلك صلى الله عليه وسلم الا كتبت وسلم * وروى أبو اليمن ابن عساكر عن ابن عبد الدائم قال كنت أكتب لفظ الصلاة دون التسليم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي لم تحرم نفسك أربعين حسنة قلت وكيف ذلك يا رسول الله قال اذا جاء ذكري تكتب صلى الله عليه ولا تكتب وسلم وهي أربعة أحرف وكل حرف بعشر حسنات قال وعدهن صلى الله عليه وسلم بيده أو كما قال اه وذهب جمع الى عدم كراهة الافراد والظاهر الاول ومحل الخلاف مالم يجمعهما في مجلس كأن يصلي في الخط ويسلم في اللفظ أو العكس فلا كراهة كما ان الظاهر أن محل الخلاف في الصلاة على نبينا وأما غيره من سائر الانبياء والملائكة فلا كراهة اتفاقا والله أعلم وانظر الفائدة الثالثة عشرة من تأليفنا مجلي الاسرار والحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق ثم ان ظاهر الناظم انه لا يشترط في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الوقوف عند الكيفية الواردة خلافا لابن العربي حيث قال ولا تجزئ بغير لفظ مروي عنه عليه الصلاة والسلام اه والى قوله نحا تقي الدين السبكي واقتصر عليه المديوني في شرح الرقمي والصواب خلاف هذا وان ذلك واسع قال الامام أبو عبد الله الحطاب رحمه الله أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة فقال الذي أعتقده ان قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ليست لمن قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي لمن صلى أو سلم كما علم مما نصصناه اه وقال الشيخ الامام أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في شرح دلائل الخيرات الامر بالصلاة في الآية مطلقا يصدق بأي كيفية وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم تعليم الكيفية حين سئل عنها الا ان ذلك ليس على سبيل التعيين الذي لا يجزئ غيره بدليل اختلاف الالفاظ في روايات التعليم وكلها صحيحة وورد كيفيات أخر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين وعلى ذلك جرى عملهم وقد قال بعض العلماء ولا يصلى عليه الا بالكيفية الواردة في التعليم والذي جرى عليه عمل الناس خلافه ولا مرية في ان الوارد ولا سيما على سبيل التعليم أولى من غيره وانما الكلام في

تعبيه اهـ وقال العلامة سيدي المهدي الفاسي في شرح الدلائل أيضا ان الصواب التوسعة في ذلك
لاختلاف الروايات في الكيفية المأمور بها وتنوعها واختلاف ما رتب عليها بالزيادة والنقص في ذكر النبوة
والامية والعبودية والرسالة في أوصافه صلى الله عليه وسلم وفي ذكر من يصلي عليه من الذرية والآل
والاولاد ومجيء ما ورد عن الصحابة والسلف من ألفاظ الصلاة كالكيفيات الواردة عنه صلى الله عليه
وسلم وتراجم المؤلفين من المحدثين والفقهاء وغيرهم على الصلاة عليه في كتبهم بلفظ صلى الله عليه وسلم
ولفظ عليه السلام ونحو ذلك من الكيفيات المختصرة حتى كاد أن يكون ذلك من قبيل الاجماع والتواتر
على سعة القول فيها اهـ والله أعلم (ثم قال الناظم رحمه الله تعالى)

﴿وآله الغر وصحبه الكرام * ما دام يحسن بمدحهم ختام﴾

الواو للعطف وآله معطوف على النبي والضمير المضاف اليه آل عائد على النبي صلى الله عليه وسلم واضافة
الآل الى الضمير جائزة خلافا لمن منعه كما قدمنا أول هذا الشرح والغر نعت لآله وهو جمع أغر وهو في
الاصل الابيض الجبهة من الخيل وفي الكلام استعارة تصريحية شبه آله صلى الله عليه وسلم بالابيض
الجبهة من الخيل بجامع الحسن والاشتهار في كل ثم اقتصر على المشبه به ويحتمل أن يكون من قبيل
التشبيه البليغ بحذف الاداة والاصل وآله الذين هم كالغر ويحتمل الكلام مع هذا كله أن يكون فيه
تلميح لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من آثار الوضوء وصحبه معطوف على آله
وهو اسم جمع لصاحب مرادا به الصحابي أو جمع على الخلاف بين سيبويه والاخفش وقد تقدم الكلام
على الآل والصحب مبسوطا من وجوه أول هذا الشرح فراجعه ان شئت فلا حاجة لاعادته والكرام
نعت لصحب فقط أو له ولآله وهو جمع كريم وهو الذي العزيز النفيس ويجمع أيضا على كرماء وقوله
ما دام الخ ما مصدرية ظرفية ودام فعل ماض ناقص وختام هو اسمها ويحسن فعل مضارع فاعله ضمير
عائد على ختام وهو عائد على متأخر لفظا لا رتبة لان ختام متقدم على يحسن في الاصل وبمدحهم متعلق
بيحسن وضمير الجمع المضاف اليه مدح عائد على الآل والصحب وجملة يحسن بمدحهم في محل نصب خبر دام
والتقدير ما دام ختام يحسن بمدحهم ولك أن تجعل اسم دام ضمير الشأن وختام فاعل يحسن وجملة يحسن
بمدحهم ختام في محل نصب خبر دام ﴿والمعنى﴾ وأصلي أيضا على آله الغر وأصحابه الكرام وأبد صلاتي
بدوام حسن الختام بمدحهم وذلك مؤبد ولم لانتهائه وانما صلى الناظم على الآل والصحب عقب الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم لان محبتهم من آثار محبته صلى الله عليه وسلم التي هي روح الايمان فلا يكمل
ايمان العبد الا بحبهم مع محبته صلى الله عليه وسلم وفي الحديث لا تصلوا علي الصلاة البتراء قالوا وما هي
يا رسول الله قال أن تصلوا علي دون آلي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى
آل بيتي لم تقبل منه وقال صلى الله عليه وسلم في كيفية تعليمه الصلاة عليه قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد ٣ وعند الشافعية وجه بوجوب الصلاة على الآل معه صلى الله عليه وسلم ومذهبنا عدم
وجوبها على الآل وقال صلى الله عليه وسلم في حق أصحابه الله الله في أصحابي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن
أبغضهم فببغضي أبغضهم * ثم ان الآل يفسر بتفسيرات بحسب المقامات فان كان في العبارة ما يستدعي
تفسيرهم بأهل بيته حمل عليهم نحو اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الذين أذهبت عنهم الرجس
وطهرتهم تطهيرا وان كان في العبارة ما يستدعي تفسيرهم بالاتقياء حمل عليهم نحو اللهم صل على سيدنا
محمد وعلى آله الذين ملأت قلوبهم بأنوارك وكشفت لهم حجب أسرارك فان خلت العبارة من كل ذلك
حمل على الاتباع في أصل الايمان نحو اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله سكان جنتك وأهل دار
كرامتك أو نحو اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ومنه ما في كلام الناظم اذ ليس فيه وصف

٣ الوجه لا ... الشافعي و... تضعيفه هنا كما في شرح المؤلفه .

يخصصهم بأحد المعنيين الاولين اذ معنى الغر كما علمت يشمل جميع المؤمنين والكريم هو العزيز النفيس ولا أعز ولا أنفس من الايمان ثبتنا الله عليه وجعله مطيتنا يوم الوفود اليه نعم أقاربه صلى الله عليه وسلم هم أول داخل فى ذلك لعدم خروجهم عن محمل من المحامل السابقة لما لهم من الشرف الكامل التام بسبب انتمائهم لدرة الكون ولبنة التمام (وقد رأيت) أن أختم هذا الشرح الحفيل بمسك ذكر بعض فضائل مقامهم الجليل وان كان جاههم العظيم وقدرهم الفخيم لا تحصر فضائله ولا تحصى ولا يؤتى على كمالاته بالعد والاستقصا لكن من تعلق بأذيالهم لا شك انه ينجو ويبلغ من مقاصده ما يؤمل ويرجو كيف وهم بضعة من مولانا الرسول العظيم وللبعض ما للكل من الحرمة والتعظيم فأقول قال تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال ابن عباس رضى الله عنهما أى الا أن تودوا قرابتى وللعارف بالله سيدى ابن عربى الحاتمى مضمنا هذه الآية

أرى حب أهل البيت عندى فريضة * على رغم أهل البعد يورثنى قربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه * على هديه الا المودة فى القربى

وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى فى آية المباهلة فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل الآية قال بعض المفسرين لا دليل أقوى من هذا على فضل علىّ وفاطمة وابنيهما لأن الآية لما نزلت دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلىّ خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة فى الدنيا والآخرة اه وفى القرآن آيات كثيرة تقتضى رفعة جانب آل البيت الشريف وتحتمل التنويه بقدرهم المنيف انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى وأخرج الامام أحمد فى مسنده وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى أوشك أن أدعى فأجيب وأنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى وان اللطيف أخبرنى انهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما اذا تخلفونى فيهما وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث صححه الحاكم وقال على شرط الشيخين النجوم أمان لاهل الارض من الغرق وأهل بيتى أمان لامتى من الاختلاف فاذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس وقال صلى الله عليه وسلم انما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق ولعل المراد من الغرق ما يلحقهم من العذاب لولا وجودهم كما يدل عليه ما فى بعض الروايات فاذا ذهب أهل بيتى جاء أهل الارض من العذاب ما كانوا يوعدون ويحتمل ان المعنى ان من أحبهم وعمل بمقتضى سنة جدهم نجا من ظلمة الاغيار ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعمة وأخرج الطبرانى مرفوعا من اصطنع لاحد من ولد عبد المطلب يدا فلم يكافه بها فى الدنيا فعلىّ مكافأته غدا يوم القيامة اذا لقينى وفى خبر عنه صلى الله عليه وسلم أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه والمحب لهم بقلبه ولسانه وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبهم لله ولقرابتى وأخرج مسلم والترمذى والنسائى عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذكركم الله فى أهل بيتى وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى الحديث وأخرج البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم ويعلم جاهلكم ويهدى ضالكم وسألته أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام أى جمع قدميه فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بغض بنى هاشم أو الانصار كفر وبغض العرب نفاق وأخرج ابن عدى فى الكامل عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل الا أدخله الله النار وأخرج الطبرانى عن الحسن عن على رضى الله عنهما أنه قال لمعاوية بن خديج اياك وبغضنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أحد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار وأخرج ابن عدى والبيهقى فى شعب الايمان عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يعرف حق عترتى والانصار فهو لاحدى ثلاث إما منافق واما لزانية واما لغير طهور يعنى حملت به أمه على غير طهر وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزموا مودّتنا أهل البيت فانه من لقى الله تعالى وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفة حقنا وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو يقول أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهوديا وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن عبد الله بن جعفر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بنى هاشم سألت الله لكم أن يجعلكم نجداء رحماء وسألته أن يهدى ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم بحبى أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب وأخرج ابن أبى شيبة فى مسنده والحاكم والترمذى فى نوادر الاصول وأبو يعلى والطبرانى عن سلمة بن الاكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتى أمان لامتى وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن الحسن ابن على رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ أساس وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أهل بيته وأخرج الطبرانى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى أم ينتمون الى عصبة أبيهم الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وفى رواية عن سيدنا عمر رضى الله عنه بزيادة الصهر وهو الذى حمل سيدنا عمر على تزوّج أم كلثوم بنت سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وأخرج الحاكم عن سيدنا أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم وأخرج أحمد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقتى الجنة مابدأت الا بكم وورد فى أحاديث ضعيفة أن فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرّمها الله تعالى وذريتها على النار نعم أخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله تعالى غير معذبك ولا أحد من ولدك وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من أشفع له أهل بيتى وأخرج الديلمى عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب الله على من آذانى فى عترتى وأخرج الحاكم فى تاريخه والديلمى عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيأ حرمة الاسلام وحرمتى وحرمة رحمى

(قوله جوداء) ع فعلاء بضم الفاء العين هو أحد جواد اهـ مؤلفه

وأخرج أبو سعيد فى شرف النبوة وابن المثنى أنه صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك فمن آذى واحدا من ولدها فقد تعرّض لهذا الخطر العظيم كما قال ابن حجر الهيتمى لانه أغضبها ومن أحبهم فقد تعرّض لرضاها واذا صرّح العلماء بأنه ينبغى اكرام سكان بلده صلى الله عليه وسلم وان تحقق منهم ايذاء ونحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذرّيته الذين هم بضعة منه وروى فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا انه كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة أو تسعة آباء ومن ثم قال جعفر الصادق احفظونا فينا ما حفظ الله العبد الصالح فى اليتيمين اه (وفى نزهة الالباب) ما نصه حكى لى بعض أهل الخير أنه سمع بمجلس شيخ الاسلام والمسلمين قاضى القضاة بالديار المصرية أفندى المنصاوى أن رجلا صوفيا شريفا كان بخلوة فى مدرسة تحت نظر الامير قرقماس بالدولة الظاهرية وكان له جماعة يسلكهم الطريق وكان من عادتهم اذا جلسوا بين يديه لا يتكلمون الا جوابا فان كلهم أجابوا والا استمرّ واصموتا فاتفق أن شخصا من جماعة الشريف حصلت له ضرورة فجاء فشكا الى الشريف مظلمة نالته بسبب قرقماس المشار اليه وسأله رسالة اليه فى ذلك فأرسل اليه بكلمات أغلظ عليه فيها فغضب فأرسل من أخرجه من خلوته فجاء جماعته على عادتهم صموتا وجاء رجل وبيده ولد صغير فقبل يد الشريف وقال يا سيدى اسمع ما يقول هذا الولد فسأله فقال الولد رأيت فى منامى رب العزة تعالى وقال لى اذهب الى الشريف وسلم عليه منى وبلغه عنى ثم أنشد

يابنى الزهراء والنور الذى * ظنّ موسى انه نور القبس

لا أوالى الدهر من عاداكم * انه آخر سطر من عبس

يشير الى قوله جل جلاله أولئك هم الكفرة الفجرة ثم ان السلطان المذكور قبضه لامر وحبسه بثغر الاسكندرية وثبت عليه ما أفتى العلماء بكفره فضربت عنقه قال وطولع دواوين الشعراء وكلام الاقدمين فلم يعرف لهذين البيتين قائل وذلك مما يشهد لصدقه اه والذى فى الفتوحات ان بعض أمراء الاتراك تسلط على بعض الشرفاء العلويين فرأى العلوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له يابنى الخ والله أعلم (قلت) وقد شطر بعضهم البيتين المذكورين بقوله

(يابنى الزهراء والنور الذى) * كل نجم فى العلا منه اقتبس

نوركم فى الطور لما أن بدا * (ظنّ موسى انه نور القبس)

(لا أوالى الدهر من عاداكم) * أو عليه فيكم الامر التبس

لست أخشى الله فيكم ان أقل * (انه آخر سطر من عبس)

وقد علم من هذا وجوب محبة آله صلى الله عليه وسلم على الامّة وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صرّح البيهقى والبغوى وجماعة وجعلها بعضهم من فرائض الدين وعليه قول الشافعى

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم المجد انكم * من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وقد شطرهما بعضهم بقوله

(يا آل بيت رسول الله حبكم) * حرز من الكفر والرحمن فضله

بذاك أنبأنا جبريل وهو لنا * (فرض من الله فى القرآن أنزله)

(يكفيكم من عظيم المجد أنكم) * صلى على جدّكم من كان أرسله

فصار فى الدين ركنا حيث انكم * (من لم يصلّ عليكم لا صلاة له)

وخمسهما بعض الاعلام الاعيان من أهل العصر رحمه الله وأكرم مثواه بقوله

احبتى

أحبتي فاق شكل البدر مجدكمو * وعزكم ماله شبه ومثلكمو
أخذتم القلب مني فهو عندكمو * (يا آل بيت رسول الله حبكمو)
(فرض من الله في القرآن أنزله)

فحبكم عروة وثقى وودكمو * أتى به الذكر والمختار حدثكمو
فلا يرى أحد يوفي بمدحكمو * (يكفيكمو من عظيم المجد أنكمو)
(من لم يصل عليكم لا صلاة له)

وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ما حاصله ان من سب أبا أحد من ذريته صلى الله عليه وسلم ولم تقم قرينة على اخراجه صلى الله عليه وسلم من ذلك قتل اهـ وقال ابن الحباك حسبما نسبها له العلامة الشيخ التاودي بن سودة رحمه الله تعالى كما وجدت نسبتها له بخطه

السب لا يجوز في آل النبي * ولو عصوا وبدلوا في المذهب
من سب في آل رسول الله * فهو عدو كافر بالله
يقتل شرعا باتفاق العلما * ان لم يتب من قوله ويندما
ولا يصلى خلفه فرض ولا * يجوز في شهادة ان نزلا
ان مات عند الناس لا يكفن * وفي قبور المشركين يدفن
مبغضهم يموت كافرا ذليل * ولا ينال رحمة من الجليل
ولا له من الشفاعة نصيب * ذا الجزاء كل مبغض مريب

وبعضهم ينسبها للحافظ السيوطي والحاصل ان فضائل آل البيت كثيرة جدا كادت أن لا تدخل تحت الحصر قد أفرغ العلماء في عدها جهدا فما قدروا ورجعوا بالعي والحصر ﴿تنبيه﴾ قال شهاب الدين بن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة بعدما ذكر جملة من الاحاديث الدالة على علو مقامهم وتأكد احترامهم ما نصه علم مما ذكر في هذه الاحاديث عظيم نفع الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم ولا ينافيه ما في أحاديث أخر من حثه لاهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته وأن القرب اليه يوم القيامة انما هو بالتقوى ثم ذكر من الاحاديث في هذا المعنى جملة صالحة ثم قال ووجه عدم المنافاة كما قال المحب الطبري وغيره من العلماء انه صلى الله عليه وسلم لا يملك لاحد شيأ لا نفعا ولا ضرا لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك الا ما يملكه له مولاه كما أشار اليه بقوله غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها وكذا معنى قوله لا أغني عنكم من الله شيأ أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني به الله من نحو شفاعة أو مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا في تقوى الله وخشيته ثم أومأ الى حق رحمه اشارة الى ادخال طمأنينة عليهم وقيل ان هذا قبل علمه بأن الانتساب اليه ينفع وبانه يشفع في ادخال قوم الجنة بغير حساب ورفع درجات آخرين واخراج قوم من النار ولما خفي ذلك الجمع عن بعضهم حمل حديث كل سبب ونسب على أن المراد أن أمته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ينسبون اليه بخلاف أمم الانبياء لا ينسبون اليهم وهو بعيد وان حكاه وجها في الروضة بل يرده استناد عمر اليه في الحرص على تزوجه بأم كلثوم ويرده أيضا ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب كامر وغضبه صلى الله عليه وسلم لما قيل ان قرابته لا تنفع على ان في حديث البخاري ما يقتضي نسبة بقية الامم الى أنبيائهم فان فيه يجيء نوح عليه السلام وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول أي رب نعم فيقول لامته هل بلغكم الحديث وكذا جاء في غيره انتهى كلام ابن حجر ﴿خاتمة﴾ ما تقدم وغيره مما يدل على فضائل أهل البيت رضي الله عنهم هو الذي حمل الامام ابن عربي الحاتمي قدس سره على ان قال فيهم

نفعه صلى الله عليه وسلم

كلامافى فتوحاته المكية ملخصه انه يعتقد فى أهل البيت ان الله تعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم لابعمل
عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابقية عناية من الله لهم قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيرا فعلق الحكم بالارادة التى لاتتبدل أحكامها فلا يحل لمسلم أن ينتقص ولا ان
يشنأ عرض من شهد الله بتطهيره واذهاب الرجس عنه والعقوق لايخرج من النسب مالم يذهب
أصل النسبة وهو الايمان وماتعين عليهم من الحقوق فأيديناً فيه نائبة عن الشريعة ومانحن فى ذلك
الا كالعبد يؤدب ابن سيده باذنه فيقوم بأمر السيد ولا يهمل حق فضل الولد وماتزل بنا من قبلهم من
الظلم ننزله منزلة القضاء الذى لاسبب له اذقال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة منى يريبنى مايريبها
وللجزء من الحرمة ماللكل وقدقال تعالى وكان أبوهما صالحا فأثنى بصلاح الأب فماظنك بنبوته اذا كان
هذا فى أولاد الصالحين فماظنك بأولاد النبيين فاذا نعبر فى أولاد سيد المرسلين فبان لهم من الفضل
مالا يقدر قدره غير الذى خصهم به اه وتبعه على هذا جماعة من أهل الباطن رضى الله عنهم وماذكره
من أن العقوق لايخرج من النسب وقع الاستشهاد به منه صلى الله عليه وسلم مناما فى هذه المسئلة
نفسها فقد حكى عن التقى الفارسى أنه كان يرى من بعض الاشراف الحسينيين مايخالف ظاهره
الشريعة فكان يبغضه لذلك قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم مناما فقال يافلان باسمى مالك تبغض
أولادى فقلت حاشى الله ماأكرههم يارسول الله وانما كرهت مارأيت من فعلهم فقال لى مسئلة
فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب قلت بلى يارسول الله قال هذا ولدعاق اه (وذكر) التقى الفارسى
أيضا عن بعض الائمة أنه كان يبالغ فى تعظيم الاشراف فسئل عن سبب تلك المبالغة فقال ان شخصا من
الاشراف يقال له مطير قدمات وكان كثير اللعب واللهو فتوقف عن الصلاة عليه فرأى النبى صلى الله
عليه وسلم فى المنام ومعه فاطمة الزهراء فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته وقالت له
أما يسع جاهنا مطيرا وقد اعترض كلام ابن العربى السابق الامام النظار أبوعبدالله القصار بأن قوله
يعتقد فى أهل البيت الخ ان أراد تغليب الرجاء فى حق من علم الله تعالى انه منهم على الخوف فحق وان
أراد بالاعتقاد الجزم المطابق بانهم لايعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة فان قيل ورد به ظواهر
قيل ورد أكثر منها وأوضح فى حق فاعلى طاعات وأعدى الاعادى لاهل البيت من يوهمهم ذلك بل
يذكرهم نحو يضاعف لهم العذاب ضعفين وان كثيرا من تلك الظواهر قد لاتشملهم فمن اعتقد ذلك
منهم أومن غيرهم فهو مبتدع بل مذهب أهل السنة انهم فى المشيئة اه وأيد كلام القصار جماعة
من الفحول وهو ظاهر لكن يشكل عليه ان الآية صرحت بأن الله تعالى أراد اذهاب الرجس بمعنى
الاثم عنهم وماأراده الله هو مقطوع بوقوعه وهو معنى قول ابن العربى فعلق الحكم بالارادة التى
لاتتبدل أحكامها والجواب بأحد وجهين * الاول ان الارادة فى الآية بمعنى الامر والارادة بهذا المعنى
انماتستلزم الرضا بالمرادلاوجوب وقوعه ﴿لايقال﴾ لاخصوصية لاهل البيت بذلك مع ان الآية جاءت
لبيان مرتبتهم وخصوصيتهم ﴿لانانقول﴾ لما أمر أمهات المؤمنين بأوامر ونهاهن عن نواه أعقب ذلك
بقوله انما يريد الله ليذهب الخ تحريكا للهمم العلية التى لايناسبها الاغاية النزاهة وهو معنى قوله أهل
البيت نداء معترضا بين المتعاطفين أى قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها عمالايناسبها
ولايليق بالمتصف بها كأنه يقول انما أمرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لانالم نرض لكم الاالكمال بأن تأتونا
طاهرين من كل شىء وهكذا يقول الناصح لمنصوحه لاتفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرالك
حتى يبقى قدرك محفوظا ولاشك ان الامر على هذه الكيفية مزية لهم رضى الله عنهم * الوجه الثانى
فى الجواب ان المراد بأهل البيت فاطمة وبعلها وابناهما أونساء النبى صلى الله عليه وسلم أوهما على أقوال

ثلاثة للمفسرين خلافا لابن عربي في التقديم الذي ذكره والحاصل أن لآل البيت الشريف الفضل العظيم والجاه المنيف

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصا * تمسك في أخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا * محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى * وطاعتهم ودّ وودّهم تقوى

غيران المتأكد في حقهم أن لا يتكلوا على مجرّد النسب بل الواجب أن يبادروا الى ما يبلغهم النجاة من كل سبب فان الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوّة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوّة أشين قال تعالى يا نساء النبي من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكنّ لله ورسوله الآية فكما يجب على العامّة تعظيم آل البيت واحترامهم يجب عليهم أيضا في أنفسهم أمور انظر الدرّة المكنونة في النسبة المصونة لشيخنا العلامة أبي عبد الله كنوز رحمه الله وجماع تلك الامور هو التخلق بأخلاق جدّهم صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال ومن هنا قال العلماء أهمّ الاشياء لآل البيت طلب العلم وتحصيله بنية صالحة اذ هو الذي ورثه جدّهم صلى الله عليه وسلم ولم يورث دينارا ولا درهما فحقهم أن يتنافسوا فيه ويعتنوا به غاية الاعتناء اذ أولى الناس بالارث الاقارب وقبيح بهم أن يحرموا أنفسهم من ذلك الارث ويزهدوا فيه ويعرضوا عنه مع غاية رفعته وشرفه وأحقيتهم به ولا يمنعهم من ذلك احتياجهم الى التأدّب مع المعلمين والتواضع لهم والجلوس بين أيديهم لان التواضع خلق شريف به تخلق جدّهم صلى الله عليه وسلم ومدحه وأثنى عليه لاسيما مع العلماء فان التواضع لهم تواضع في الحقيقة لمنوبهم صلى الله عليه وسلم اذهم خلفاؤه ونوّابه * روى أبو نعيم في الحلية أن علي بن الحسين كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس اليه للاخذ عنه فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه قال العلم يتبع حيث كان وممن كان اهـ فنرجو الله سبحانه أن يحشرنا في زمرتهم وحزبهم ويجعلنا من الفائزين بوصلهم وقربهم وله الحمد على أن حقق لنا الله بمشيئته تعالى وفضله الانتساب الى هذا النسب الشريف وأظلنا تحت ظله الظليل الوريف وهو المرجوّ سبحانه بمنه وجوده أن يوفقنا الاكتساب نسب التقوى الذي هو السبب المتين الاقوى وأن يهدينا لاقتفاء سنة النبي المصطفى الامين لنكون بفضل الله من الجامعين لشرفي الدين والطين * وهذا ما يسر الله جمعه وقدّر وضعه وأستغفر الله العظيم مما خالطه من الرياء والعجب وكل وصف ذميم فالحمد لله أوّلا وآخرا ظاهرا وباطنا وقد قصرت فيما كنت التزمته أوّل الكتاب من الاستطرادات وذكر كل ما يناسب مما يروق ذوي الالباب لما عنّ لي من ركوب التوسط المحمود والوقوف في الجملة مع المقصود والا فالحديث شجون والعلم أنواع وفنون فرب مسائل كانت تعرض مناسبة للاصل المشروح فأعرض عنها لطولها أو شهرتها عند من يغدو في صفحات الطروس أو يروح ومن كانت له ممارسة بعلم الادب وكتبه يعرف ما قلناه ولا يتناقض له هذا مع ما قرّرناه وبسطناه وقد سمعت أن بعض أهل العلم من أهل العصر رام شرح هذه المنظومة لما بلغه حسن شرحنا وشاع به الذكر وقد أخبرني من رأى شيأ منه بأنه شئ لا يذكر وانما هو من الهذيان الذي ينبغي أن يكتم ولا يشهر

كل من حاك يعرف النسج لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

ولست أكره شرحه مرّة ثانية ممن يحسن الكلام ويتجنب مواقع الملام بعد ان سبقت لهذا المقصد وكرعت في موارده وصفيت منهله العذب لمتطلبه ووارده غير اني أقول كما قال المولى سعد الدين ان المنتحلين قد قلبوا أحداق الاخذ والانتهاب ومدّوا أعناق المسخ على هذا الكتاب وأنا في شرحي هذا

العلم يتبع حيثا

قد نسبت الاقوال لقائلها والانقال لناقلها كما هو الغالب الكثير الا فى أمر شائع شهير فليكن المحاول لشرح هذه المنظومة على هذا المنوال لئلا يكون من الناهبين للابحاث والاقوال قال سفيان الثورى رحمه الله نسبة الفوائد لقائلها من التحدث بالعلم وشكره وعكسه من جحدان العلم وكفره وقال الحافظ السيوطى فى كتابه المزهر فصل ومن بركة العلم وشكره عزوه الى قائله قال الحافظ أبو طاهر السلفى سمعت أبا الحسن الصيرفى يقول قال لى عبد الغنى بن سعيد لما وصل كتابى الى أبى عبد الله الحاكم أجابنى بالشكر عليه وذكر انه أملاه على الناس وضمن كتابه الى الاعتراف بالفائدة وانه لا يذكرها الا عنى وان أبا العباس محمد بن يعقوب الاصم حدثهم قال حدثنا العباس بن محمد الدورى قال سمعت أبا عبيد يقول من شكر العلم أن تستفيد الشئ فاذا ذكر لك قلت خفى على كذا وكذا ولم يكن لى به علم حتى أفادنى فيه فلان كذا وكذا فهذا شكر العلم اه ﴿قلت﴾ ولهذا لا ترانى أذكر فى شئ من تصانيفى حرفا الا معزوا الى قائله من العلماء مبينا كتابه الذى ذكر فيه وفى فوائد التجيرمى بخطه قال العباس ابن بكار الضبى قلت للمفضل الضبى ما أحسن اختيارك للاشعار فلو زدتنا من اختيارك فقال والله ما هذا الاختيار لى ولكن ابراهيم بن عبد الله استترعنى فكنت أطوف وأعود اليه بالاخبار فيأنس ويحدثنى ثم عرض لى خروج الى ضيعتى أياما فقال لى اجعل كتبك عندى لأستريح الى النظر فيها فتركت قمطرين فيهما أشعار وأخبار فلما عدت وجدته قد علم على هذه الاشعار وكان أحفظ الناس للشعر فجمعته وأخرجته فقال الناس اختيار المفضل انتهى كلام المزهر وللحافظ السيوطى مقامة سماها الفارق بين المصنف والسارق يعترض فيها على من ينسب فوائده لنفسه يفتخر بها بين أبناء جنسه قال فيها واغا اورطه فى ذلك الجهل بآداب المصنفين فانه ليس من أهل هذا المنزل بل هو عن هذا الفناء بمعزل أما سمع الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله تناصحوا فان خيانة أحدكم فى علمه أشد من خيانته فى ماله ولا بالاثر الوارد رضى الله عن ناقله بركة العلم عزوه الى قائله وقال فى مقامة أخرى له أثناء كلام وقد علم الله والناس من أمرى فى التأليف أن لا أنقل حرفا من كتاب أحد الا مقرونا بعزوه الى قائله ونسبته الى ناقله أداء لشكر نعمته وبراءة من دركه وعهدته اه وقد شاع وذاع قولهم سارق المتاع يقطع وسارق الكلام يصفع وقد تقدم فى هذا الشرح قول بعضهم

اذا أفادك انسان بفائدة * من العلوم فلازم شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة * أفادنيها وألق الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكرا للمفيد له * خيرا ويشكره ان قام أو قعدا

على أن ما جمعته فى هذا الكتاب انما هو بالنسبة لعلم العلماء كقطرة من سحاب فلست أعده شيأ مذكورا ولا أرانى به مشكورا وان كان لا يخلو من تنبيه أو فائدة أو نكتة على ما عند غيرى زائدة

ويسئ بالاحسان ظنا لا كمن * هو بابنه وبشعره مفتون

فأصاب والله الصواب من قال ما ترك الاول للآخر بل الحق مع من قال كم ترك الاول للآخر وما أحسن قول جمال الدين بن مالك أول كتابه التسهيل واذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستغرب أن يدخر لبعض المتأخرين ما خفى علمه عن المتقدمين وقال الامام الساحلى من كلام اذ قد يظهر للمتأخر ما غاب عن المتقدم ويفتح للصغير فيما عمى على الكبير ويطلع الناقص على ما لم يشرف عليه الكامل وذلك بحسب القسم الالهية والعطايا الربانية والمنح الازلية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولكل حال مقال وفى كل زمان رجال اه وانى أقول للواقف على هذا الشرح من العلماء المنصفين الكاملين سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين

والحامد

هذا البيت الناظم في منظومته في تقسيم صناعة القضاء اهـ

والحاسد الجاهل ما قدرا * فالعذر عند ذوي كرم سوا

المأمول أن يلمحه بعين الانصاف فانه من أشرف الاوصاف ويغض الطرف عما عسى أن يكون وقع فيه من الزلل فما علم قط كتاب سلم من الخطا والخطل

اذ أن قدرة مثلي غير خافية * والنمل يعذر في القدر الذي حملا

وفيما قدمناه صدر هذا الشرح من الاعتذار عما وقع فيه من التقصير كفاية لمن هو بأصل النشأة الانسانية بصير (وأقول) كما قال أبو الوليد الباجي أول كتابه المنتقى ونصه منه فلا يعتقد الناظر في كتابي ان ما أوردته من الشرح والتأويل والقياس والتنظير طريقة القطع عندي حتى أعيب من خالفه أو أذم من رأى غيره وانما هو مبلغ اجتهادي وما أدى اليه نظري وفائدة اثباتي له تبيين منهج النظر والاستدلال والارشاد الى طريق الاختبار والاعتبار فمن كان من أهل هذا الشان فله أن ينظر في ذلك ويعمل بحسب ما يؤدي اليه اجتهاده من وفاق ما قلته أو خلافه ومن لم يكن نال هذه الدرجة فليجعل ما تضمنه كتابي هذا سلما اليها وعونا عليها اهـ (وأقول) أيضا منشدا ولقبول العذر مرشدا

يا ناظرا فيما عمدت لجمعه * عذرا فان أخا الفضائل يعذر

علما بأن المرء لو بلغ المدى * في العمر لاقى الموت وهو مقصر

فاذا ظفرت بزلة فافتح لها * باب التجاوز فالتجاوز أجدر

ومن المحال بأن ترى أحدا حوى * كنه الكمال وذا هو المتعذر

والنقص في نفس الطبيعة كامن * فبنو الطبيعة نقصهم لا ينكر

فنرجو الله الكريم سبحانه وتعالى أن يقيل عثراتنا ويقبل بفضله وكرمه حسناتنا ويغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما هو أعلم به منا اللهم بك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم اجعلنا من أفضل عبادك عندك حظا ونصيبا في كل خير تقسمه من نور تهدي به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو بلاء ترفعه أو سوء تدفعه أو فتنة تصرفها اللهم انا نعوذ بكلماتك التامات وبنورك الذي أشرقت له الارض وأضاءت به الظلمات من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن درك الشقاء وشر قد سبق اللهم اجعل في قلبنا نورا وفي سمعنا نورا وفي بصرنا نورا اللهم الطف بنا في الدارين وأذهب عن قلوبنا كل رين وعمر قلوبنا بمعرفتك واجعلنا من أهل خصوصيتك وأنقذنا يا مولانا من شهوات نفوسنا وربقات غفلاتنا وتولنا بالحسنى وجد علينا بالمقر الاسنى اللهم انا نسألك ايمانا دائما ونسألك قلبا خاشعا ونسألك علما نافعا ونسألك يقينا صادقا ونسألك دينا قيما ونسألك العافية من كل بلية ونسألك تمام العافية ونسألك دوام العافية ونسألك الشكر على العافية ونسألك الغنى عن الناس بجاه سيدنا ومولانا محمد المخصوص بالشفاعة الكبرى في الموقف العظيم القائل تشفعوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك وعد كماله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿وكان الفراغ منه﴾ ليلة ست وعشرين من شعبان عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف وقد قلت مؤرخا تمام وضعه وختام جمعه ملتزما ما لا يلزم

يا صاح دونك شرحا * وافى بحسن انفراج

قد تم بدر سناه * وراق في نفس راج

أرخ بزهو ابتهاج * كمل نور السراج

٥٣٥ ٢٥٦ ٩٠ ٤١٢ ٢٠

سنة ١٣١٣

﴿ولمفـقيه الاديب الفاضـل الاريب المحب في جانب آل البيت الشريف المستظل تحت ظلهم الوريف السيد الحاج ادريس بن على السناني من خواص أصحاب المؤلف مقرظا لهـذا الشرح بقوله﴾

الحمـد لله الذي منح علماء هـذه الامّة بالآداب الصالحات ابتهاجا وأسرج قلوبهـم بشوارق العـلوم والفهوم وناهيك بها اسراجا وسراجا وجعلهم قادة لهـذه الامّة فلا تجهـل مع وجودهم للحق منهاجا فهم في الارض كالنجوم في السماء اذهم الهداة والحكماء فكم أقاموا على الحق حججا وقوّموا اعوجاجا ولم تزل وصاياهم الغرر وحكمهم المزرية بنسيم السحر لأمراض الجهـل علاجا ولطالما أنجبت أفكارهم بعقائل وعرائس ولفظت بحارهم لآلى ونفائس وأفاضت على أراضى قلوب المستفيدين ماء ثجاجا وكم أماطوا عن مصونات الافكار من لثام حتى ظهرت لعيون العقول كالشمس من الغمام وأخرجوها من الحجاب اخراجا

ما الفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء

ولاسيما من زان علمه رونق الادب وكمل الله فطرته بشرف النسب وكرم الحسب فأصبح لمفرق زمانه تاجا أحمده حمد من اغترف من بحر كرمه وطوله فاعترف بالفضل لاهله وامتزج الانصاف بروحه امتزاجا والصـلاة والسلام على أملح الخلائق وأفصح كل متكلم وناطق من جعله مولاه للوجود بدرا منيرا وسراجا وهاجا وعلى آله النجباء وصحابته البلغاء الادباء ما سلك محب لزيارة روضته سبلا فجاجا (وبعد) فمما أعدّه لدىّ غنيمة ومنة علىّ جسيمة مطالعتى وتصفحى لشرح أرجوزة العلامة الاديب المتقن اللبيب السيد العربي المسارى التى أخجلت عقود الدرّ والدرارى المسمى بالابتهاج بنور السراج تصنيف الشريف الاصيل الغطريف النبيل كريم الخيم والشيم عظيم القـدر والهمم نخبة بنى على خوط شجرة السودد الذى هو كالنهار جلى بحر العلوم وعنصر الفهوم العالم العـلامة الدراكة الفاضـل الممتاز بين الاماثل بالرفعة كالفاعل سلطان النجباء وسحبان الادباء أبى العباس مولاى أحمد ابن نقيب الاشراف العلويين مولاى المأمون الحسنى العلوى البلغيثى أحسن الله لنا وله العواقب ووالى علينا جزيل المواهب آمين فلقد أبدع في مؤلفه هذا كل الابداع وبلغ قصارى الاقناع بما يشـهد له بالذهن الثاقب وسعة الاطلاع وطول الباع من ايضاح مبهم وايراد محكم وانتخاب نقول لا يهتدى اليها الا الفحول واسـتنباط أبحاث فائقة واستخراج أجوبة بقول الحقّ ناطقة وسبك نكت دقيقة في قالب المجاز والحقيقة واكمال حكم من العربية اهتدى اليه بما يسلمه ويسرّ به سيبويه وذكر أدبيات وأحكام تسلمها الاعلام وتستعذبها الافهام وتحرير فوائد فضحت نفائس القلائد الى ما لا يأتى عليه العدّ أو يوقف له على حدّ وبالجملة فهو شرح جامع أخذ لباب الجامع

من كل معنى تكاد الهم تفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

ما لمح صاحب النظم أو لوّح الا وسقط على الخبير ولا صرّح بحكم الا ورشحه الشارح وبين ما فيه بالنقل الواضح الشهير على انه لم يتقدّم للارجوزة المذكورة شرح ولا تبرّع فاضـل لبيوتها المغلقـة بفتح وليس بعجب أن يذخر الله تعالى لخلف هـذه الامّة ما لم ينله سلفها من الفتوحات الجمة ومن شك فيما قلته أو ارتاب فالأعراب بالباب ولا يجهل قدر هذا الكتاب العجيب البديع الغريب عدا من لذعت نار الحسد صميم قلبه فنفخ يريد أن يطفئ نور ربه

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعـل

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

والحاصل فما هو الا فتح من المولى العظيم وعطفة من نبيه الكريم لا خطت هذا الهمام حتى سلك من هذا الشرح مسلكا تزل فيه لغيره الاقدام وتقدم لما تأخرت عنه العقول ولم يدع لقائل ما يقول وهذا لا يتعجب منه أو يستبعد اذ هي ليست بأول بركة لاجد وقد قلت في هذا الفاضل من بحر الكامل

شرحت سعادة صدورنا بعزار * فبدت محاسنها بلا استار

وفت بما وعدت ووافت تجتلي * والليل بحر فائض الزخار

وترى المجرة في السماء كروضة * ونجومها نوع من الازهار

والجو مصقول الجوانب زاهر * يزهو بنور ثوابت وسواري

بتنا نحاكم الهوى نعصي النهى * ونطيع صبوتنا بخلع عذار

نطفي الغليل برشف كاس عتقت * معصورة في سالف الاعصار

نار ولكن أطفأت حر الحشا * فاعجب لاطفاء الحريق بنار

في روضة ما غادرت غدرانها * في مهجتي شيأ من الاغيار

بسمت باثمار الرياحين التي * أدت ودائع وابل الامطار

فاحت مفتقة تخال لطيبها * في كل وجه جونة العطار

أحسن بها من ليلة ما شانها * الا مبادرة الصباح الطاري

ما راعنا الا بريق حسامه * لما محا الظلماء بالانوار

٣ والريح تكتب فوق وجه الماء ما * تقرى الطيور لنا على الاشجار

يا صاح ها النهر الصقيل صحيفة * فاسمع سرائرها من الاطيار

قم فاغتنم عيشا هنيئا وانتهز * فرصا لطاعة ربنا القهار

واشدد يديك على التمسك بالتقى * واجعل إمامك سنة المختار

واخدم بنيه بنية ومحبة * تلحق بسابق حلبة الابرار

واجنح لاهل العلم واحضر درسهم * واجعل أنيسك أنفع الاسفار

هذا وان شئت الذي فيه الغنى * يغنيك شرح قصيدة المساري

للعالم الاسمى الشريف ابن الشريف * ابن الشريف سلالة الاطهار

(مولاي أحمد) ذو المحامد والوفا * حمدت شمائله بلا انكار

بالغيثي الاصل المطهر سابقا * أكرم به من محتد معطار

كثرت مكارمه فقل نظيره * في همة وجادة ووقار

ونهاية وبلاغة ودراية * في كل ما فن بفتح الباري

والاصل ان يكرم تجد من فرعه * فوق الذي أملت من اثمار

فالصدر منه بحر علم قد طما * يزري بجودة دره ببحار

في الضبط والتحقيق والحفظ الذي * لم يلف فيه مكابر ومباري

ودراية ما ان تراها غالبا * الا لرهط المصطفى الاقمار

ولقد أتانا بابتهاج يزدهي * فأضا السراج بنوره للساري

شرح حوى من كل فن جملة * خفيت عن الالباب والافكار

شرح تحلى واكتسى حسنا وكم * شرح فاما عاطل أو عاري

شرح وأيم الله ما فيه سوى * ياقوتة أو درة للقاري

هذا من قول ابن ال..
والطير يقرا وال..
صحيفة
والريح يكتب والغما..
بل نقص من معـ..
لا يخفى فهي سرقة
النصاب فيرجى فيه
القطع اهـ كاتبه عل..
من التطويل كما لا..

حفظ الاله لنا همام اصاغه * وأتى بنفع للبرية جارى
يا ابن الكرام كريم أهل زمانه * أبقاك ربى مطلع الانوار
فالله يبقى سعيكم متقبلا * وثوابه يجرى مع الادوار
وترى لذا التصنيف سرا ظاهرا * حتى يرى فى سائر الاقطار

﴿ولبعض الاعيان الاعلام يأتى تعريفه عقب التمام ما نصه﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه)

الحمد لله الذى أسرج نور التوفيق فى قلوب العلماء به فابتهجت نفوسهم بالاطلاع على غرائب بديع حكمته وعجائبه ونصبهم فى مسالك دينه أدلة وأطلعهم فى بروج الهداية أهلة وحفظ ببقائهم فى جميع الاعصار قواعد الملة ونفى بذاود كائهم عن الدين خبث الشبه المضلة أحمده حمد معترف بنعمه مستزيد بشكره من وابل ديمه والصلاة والسلام على تاج الوجود امام أهل الحضرة الالهية وقبلة السعود سيدنا ومولانا محمد المخصوص بالسيادة على الاطلاق المبعوث بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق وعلى آله الاطهرين وأصحابه الاكرمين ﴿هذا﴾ ولما من الله تعالى على كاتبه جبر الله كسره وأطلق من ربقة التقييد بالهوى أسره بزيارة شيخنا ومولانا القطب المكتوم والبرزخ المختوم اكسير السعادة ومركز السيادة سيدنا ومولانا أبى العباس التجانى رضى الله عنه ومتعنا بسره وأفاض علينا من بحره فاتفق عند الرجوع أن نزلنا بثغر الصويرة فطلعت علينا طالعة البشائر بيمن الطائر واجتمعنا بقاضيها فى الوقت ذى السياسة الاياسية والديانة الاويسية فرد الزمان فى حسن السيرة وواحده فى صفاء السريرة ثالث العمرين فى اعتيام الحق وتحريه وتنزهه عما يخالف الشريعة وتبريه العالم المحصل والفيصل الذى لا يقع الا على المفصل الشريف الذى جمع بين شرفى الدين والنسب وضم الى سودد الادب سودد الحسب فطلع شمسا بلا غمام وزهر ابلا كمام

له سور تتلى من المجد خطها * يراع العلا فى صفحة القمر السعدى

مولانا وسيدنا أبى العباس ابن نقيب ساداتنا الشرفاء بمحروسة فاس مولانا المأمون الحسنى العلوى البلغيثى

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

فامتزجنا به امتزاج الماء القراح بصرف الراح فأطلعنا حفظه الله تعالى لحسن ظنه على شرحه البديع لمنظومة العالم الاجل سيدى العربى المسارى المسماة بسراج طلاب العلوم وسماه الابتهاج بنور السراج فاذا هو اسم طابق مسماه وبدر وافق سماه وفى النظم حقه من حل العبارة وايضاح الاشارة وكشف الاستار عن المخبآت وازالة الصدا عن وجه تلك المرآة وزاد بما لا اخاله يخطر للناظم ببال ولا تسدد لاصابة غرضه من ذهنه النبال من فرائد الفوائد وشوارد الزوائد بعبارة كأنها الدر ملاسة والرحيق سلاسة

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا وتعشقه من حسنه الصور

الى استطراد ما تقتضيه المناسبة من الطرف الادبية والملح التى تميل لها القلوب ملبية مفصلات بنوادر الحكايات تفصيل القلادة بالجوهر ومخترع أبيات تبهت القلوب وتبهر يختار من الشعر ما يوافق المقام وينتسق به الكلام واختيار الرجل رائد عقله ودليل نبله كما قيل

قد عرفناك باختيارك اذ كا * ن دليلا على اللبيب اختياره

مع ما اشتمل عليه من مسائل فى عدة فنون اشتمال الصدف على الدر المكنون من فروع فقهية

وتنبيهات

وتنبيهات نبيهة ومباحث بيانية كأنها المسكة والدرة اليتيمة * وبالجملة فهو كتاب أنباء عن غزارة مادة وقريحة حادة ودل على تضلع مؤلفه وسعة كعبه جمع من كل علم أحسنه وبمعين الفوائد من السنه

كأنه روضة غنا غنتها * كف الربيع فهات نزهة الحدق

ثم لما أجلت طرف الطرف في مضماره وطفقت على لجة بحاره كبرت تعجبا وأطرقت تأدبا وخدمت احسانه بأبيات تكافئها وكلمات على فرط الفهاهة ألفتها ناويا بتقريظه ما صح به اللسان على قلة الاحسان محبة فيه وفي صاحبه وقياما من حقه ببعض واجبه ونصها

روضة الحسن أصبحت في ابتهاج * مذ بدا بالكمال نور السراج
فأبان الهدى وأوضح سبل الحـ * ـق من نور صبحه الوهاج
وحوى من نوادر الادب الفـ * ـرد فوق كفاية المحتاج
وتضمن من عقود جمان الشعر * ما يزدري بدر التاج
حكم كسناء نجوم تبدت * تحت ذيل الظلام والليل داج
ومعان مستنبطات حواها * ظرف لفظ كخمرة في زجاج
وقريض كأنه سحر لحظ * من غزال مدعج الطرف ساج
هكذا توضح الشروح وإلا * فقفا الخط غير ذات اعوجاج
كيف لا وهو من صنيع إمام * حاز صرف العلا بغير مزاج
سيد نال غاية المجد والسو * دد طبعا بغير طول علاج
روض أزهار كل فضل غذاه الـ * ـعلم من ماء وبله الثجاج
الشريف الذي له النسب الوضاح مثل سنا الضحى في انبلاج
من له في مسالك الفقه ماقد * فات ادراكه ذكاء ابن ناجي
وعلا في مدارج النحو حتى * زاد عن سيبويه والزجاجي
بذكاء يفري العويص اذا ما * عن فري القناة للاوداج
وبفهم يضيء في ظلمة اللبـ * ـس كما يستضيء نور السراج
بارك الله فيه بدرا منيرا * تستنير به فساح الفجاج
وهدى بسناه هداه جميع الـ * ـخلق طرا لأقوم المنهاج
وأدام له من السعد والاقـ * ـبال والعز غاية الابتهاج

قاله وكتبه الفقير الى الله الطاهر بن محمد بن ابراهيم السوسي قطرا التمنرتي أصلا اليفرني دارا البكري نسبا التجاني طريقة غفر الله ذنبه وأمن سربه آمين بذي القعدة الحرام عام ١٣١٤

﴿وله أيضا معتذرا عن تقصيره في المدح﴾

أيا من جوده البحر المديد * ويا من مجده العقد الفريد
أتاك الشعر من خل صفي * صفاء ليس يمكنه مزيد
أراد المدح فيك فضاق عجزا * وعيا لفظه عما يريد
فقام بعذره بيت قديم * فصيح لا يمل له نشيد
تكاثرت الظباء على خداش * فما يدري خداش ما يصيد

فأجابه الشارح عن هذه الابيات

أحبر الوقت منشأك الفريد * بلغت به أقاصي ما تريد

أتى منك النظام حليف لطف * كعقد خريدة والطرس جيد
مدحت لنا به شرح ابتهاج * على نظم له صنع سديد
فزاد الشرح في عيني ابتهاجا * ونخـــر اماله يوما مزيد
فمدح الكاملين اذا اصطفوه * فقصدهم به قصد سعيد
اه

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه)

﴿وللطالب الانجب الحلي الاحسب الاديب سيدي محمد ابن الفقيه العلامة الاحفل الامثل سيدي محمد بن عبد القادر بن سودة من أنجب تلامذة المؤلف مقرظا الشرحه﴾

الحمد لله الذي شرح صدور أهل العرفان لاتباع سراج الاكوان وأمدهم بالايادي والاحسان ففاز وابالمرام والرضوان أحمده حمد من عرف انه الله الواحد الديان وأشكره شكر من رجا التخلص من الاوزار والخسران وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له الفتاح المنان وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله زهرة العوالم وعروس عدنان صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أهل الاحلام وأصحابه الجهابذة الاعلام ما فاح مسك ختام أولاح بدر تمام ﴿وبعد﴾ فيقول أسير ذنبه الراجي عفو ربه محمد بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن سودة المري لا زال فضل مولاه عليه يجري انه لما وقفت على شرح كعبة الادباء ونخبة النبلاء والالباء شمس البدور وصدر الصدور مقيد أوابد العلوم ومالك أزمة المنطوق منها والمفهوم الفقيه المشارك العلامة الدراكة الفهامة شيخنا الفاضل الالمعي الجامع النافع اللوذعي منبع الاتقان والتحرير الشريف المنيف النحرير من فاق في بديعياته الصفي والمرغيثي أبو العباس مولاي أحمد ابن نقيب ساداتنا الاشراف العلويين مولاي المأمون العلوي البلغيثي على منظومة الاديب المفلق الذي ليس له في وقته مجاري أبي حامد سيدي العربي المساري وجدته عقد الاحسناء أقبلت بالسرور والهناء أخرج فيه خريدة تلك المنظومة من خدرها للورى وأباحها لذوي العقول بعد ما كانت ترجع الى ورا وألبسها من تيجان الاتقان والفخار ما أدهش الاحبار ذوي الافتخار فدونك أيها الظمآن الملح بنهدها والنظر في بهائها وقدها فلقد أبداها فكر امام جليل فبرد الغليل وشفى العليل كان الله وليا وبه حفيا ولما شربت من غضرسه الصافي المتوافر أنشأت فيه من بحر الوافر

ألا بشرى فقد ضاء السراج * وبان به السرور والابتهاج
وطاب الفرع مثل الاصل منه * وعم النفع وانقطع اختلاج
ومهيعه غدا سهلا أريجا * يفوح شذاه اذ يبدو احتجاج
لقد سهلت غوامضه بشرح * ونوره فاح تحكيه الاراج
فيا من رام حل عويص فكر * عليك به فينفتح الرتاج
أبان من اليتائم عقد در * به للناس يعتدل المزاج
فكم رقت يداه بطرس حق * جميلا فاستقام به اعوجاج
أتى بالحق فيه ولم يدع ما * يقول الشخص يحتاج العلاج
لانه جاء هذا الشرح بحر * صفا عذبا فليس به اجاج
أبو العباس أحمد ناسري * له في العلم قد كثر الرواج
هو العلوي الذي قد حاز علما * جزيلا نجل مأمون سراج